لقد قام الباحث بتصحيح ما طلب
اللجنة

١٢ ع
٢٢٤

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

ابن رجب الحنبلي
وأثره في توضيح عقيدة السلف

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية : الدكتوراه

إعداد الطالب :
عبد الله بن سليمان الغفيلي

بإشراف فضيلة الشيخ :
حماد بن محمد الأنصاري
الأستاذ بقسم السنة في الدراسات العليا

عام ١٤١٠ هـ

المجلد الأول

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

" المقدمــــة "

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) (١) (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (٢) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (٣) (*) .

أما بعد : فان علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدرا ، وأوجبها مطلبا لأنه العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده ، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى ، وأساس شرائعه ، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٠٢) .

(٢) سورة النساء آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠) .

(*) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهى تشرع بين يدى كل حاجة وهى مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجها مسلم (٢ / ٥٩٣) وأبو داود (١ / ٥٩ ٦) والنسائى (١ / ٢٠٨) وابن ماجه (١ / ٦٠٩) وغيرهم وانظر تخريجها للشيخ ناصرالدين الألبانى بعنوان " خطبة الحاجة التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه " .

إليه قال الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (١) .

وشهد الله لنفسه تعالى بألوهيته وحده وشهد بها له ملائكته وأهل العلم قال الله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (٢) .

ولما كان هذا شأن التوحيد كان واجبا على كل مسلم أن يعتنى به تعلما وتعليما واعتقادا وعملا ليبنى دينه على أساس سليم وطريق قويم يسعد بثمراته ونتائجه فى الدنيا والآخرة ، فالعقيدة الاسلامية هى قوام المجتمع المسلم الذى لا يمكن أن يكون له بناء بدونها .

وأنا أعتقد اعتقادا جازما أن منهج أهل السنة والجماعة فى فهم العقيدة الاسلامية هو المنهج الصحيح الذى يجب السير عليه والعمل بمقتضاه فى كل زمان ومكان لمن أراد أن يسلك سبيل النجاة والفلاح ، لأن أعداء الإسلام والمسلمين قد بذلوا كل ما يستطيعون لابعاد المسلمين عن دينهم الحق وعقيدتهم السليمة كي يستطيعوا تحقيق أغراضهم الفاسدة ، فابن سبأ (٣) اليهودى الذى أدخل على المسلمين عقائد تشوه جمال دينهم

---

(١) سورة الانبياء آية (٢٥) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٨) .

(٣) هو عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية ، وكانت تقول بألوهية على، أصله من اليمن كان يهوديا ، وأظهر الاسلام لتفريق كلمة المسلمين وكان من غلاة الزنادقة ، وكان يقال له " ابن السوداء " لسواد أمه قال الذهبى : ضال مضل احسب أن عليا حرّقه بالنار، هلك سنة ٤٠ هـ .
ميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٦) ولسان الميزان (٣/ ٢٨٩) والاعلام للزركلى (٤/ ٨٨) .

وتحطم بنيانه ، كان من أول أعداء المسلمين الذين بثوا العقائد الفاسدة في صفوف المسلمين ، الأمر الذى أصبح له الأثر الكبير على ما أصاب المسلمين فيما بعد من محن .

وقد تبع ابن سبأ أناس أخرون ساروا على نهجه في تحطيم كيان الأمة الإسلامية بما يقومون به من أعمال فاسدة أمثال بشر المريسى (١) والجعد بن درهم (٢) والجهم بن صفوان (٣) وغيرهم .

---

(١) هو بشر بن غياث المريسى العدوى ، معتزلى ، عارف بالفلسفة ، وإليه تنتسب الطائفة المريسية القائلة بالارجاء ، وكان أبوه يهوديا وهو من أهل بغداد ينسب الى درب المريس ، قالوا في وصفه كان قصيرا دميم المنظر ، وسخ الثياب ، وافر الشعر ، وقد رد عليه الدارمى رحمه الله في كتاب " النقض على بشر المريسى " هلك سنة ٢١٨ .
ميزان الاعتدال (١ / ٣٢٢) والاعلام للزركلى (٢ / ٥٥) .

(٢) هو الجعد بن درهم أصله من خراسان ، مبتدع ضال ، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى ، وقال بخلق القرآن ونفى القدر ، قتله خالد بن عبد الله القسرى سنة ١١٨ هـ يوم النحر .
ميزان الاعتدال (١ / ٣٩٩) والرد على الجهمية للدارمى (١١٣) والأعلام (٢ / ١٢٠) .

(٣) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، أبو محرز ، رأس الجهمية وإليه ينتسبون لأنه أول من نشر المذهب .
قال الذهبى : الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان أصغر التابعين وما علمته روى شيئا ، ولكنه زرع شرا عظيما ، قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨ .
ميزان الاعتدال (١ / ٤٢٦) والكامل لابن الأثير (٥ / ٣٤٣) ، والخطط للمقريزى (٢ / ٢٤٩) .

وقد حاول هؤلاء جميعا القضاء على الاسلام والمسلمين ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين كما قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١)

فقد هيأ تبارك وتعالى من يرد كيد هؤلاء الحاقدين المفسدين فى نحورهم إذ تصدى لهم علماء السنة وردوا كيدهم ودحضوا باطلهم بالحجج القوية القاطعة من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كالإمام أحمد والبخارى وغيرهما ، وأمثال الدارقطنى وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهم رحمهم الله جميعا .

وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين والدعاة المصلحين الذين عاشوا فى القرن الثامن الهجرى العلامة الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى طيب الله ثراه وأكرم فى الجنة مثواه، فقد عرف عنه رحمه الله تعالى الورع والعبادة والزهد ، وقد ابتدأ فى طلب العلم والحديث بصفة خاصة منذ نعومة أظفاره ، فقضى حياته رحمه الله تعالى كلها فى علم وعمل ودعوة وعبادة وتهجد ووعظ وارشاد، وقد بارك الله له فى أوقاته وعمله ، فقد استفاد منه خلق كثير فى حياته ، ولا زال طلاب العلم ينتفعون بمؤلفاته القيمة حيث أن له رحمه الله تعالى ما يربو على ستين مؤلفا فى فنون مختلفة.

وقد استفاد رحمه الله تعالى كثيرا من كتب من سبقه من علماء الاسلام وخاصة شيخه ابن قيم الجوزية وشيخ شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

فقد تتلمذ على الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى وسمع عليه بعض مؤلفاته وقرأ عليه النونية فى السنة الأخيرة ولازمه حتى الممات مما كان له الأثر

---

(١) سورة الحجر آية (٩) .

الكبير فى علمه وثقافته .

ولما كان نظام الجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية يطلب من طلاب الدراسات العليا الذين يريدون الحصول على شهادة العالمية العالية " الدكتوراه " أن يكتبوا بحثا علميا فى مجال تخصصهم رأيت أن أقوم بدراسة علمية لمنهج هذا العالم الجليل وجهوده فى توضيح عقيدة السلف ، فاستخرت الله سبحانه وتعالى وشاورت فى ذلك أهل العلم من مشايخنا الأفاضل فى هذه الجامعة المباركة فوجدت منهم استحسانا وتأييدا لهذا الموضوع فعزمت عليه وجعلت عنوانه " ابن رجب الحنبلى وأثره فى توضيح عقيدة السلف " للحصول على درجة " الدكتوراه " فى العقيدة وكان سبب اختيارى لهذا الموضوع الأمور التالية :

١ — أنه لم يسبق أن كتب أحد عن الحافظ ابن رجب فى مجال العقيدة وجهوده فيها حسب علمى .

٢ — إن ابراز عقيدة هذا الإمام وغيره من أئمة السلف فيها ابراز لعقيدة السلف الصالح .

٣ — بيان أن عقيدة ابن رجب رحمه الله تعالى هى عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

٤ — الحرص على بيان عقيدة السلف الصالح ونشرها بين الناس وذلك بابراز علماء السلف مما يجلى عقيدتهم ويوضحها لدحض ماعداها من عقائد أهل البدع والضلال ، فإن العمل فى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ومحاربة البدع وأهلها وأبراز علماء السلف من الأعمال الواجبة على أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية ليكون ذلك نورا يهتدى به من أراد أن يسلك الطريق المستقيم طريق الكتاب والسنة .

وسلاحا بأيدى الدعاة والمصلحين يدحضون به كيد أهل الباطل

ويدمغون به شبههم الذين نراهم الآن جادين فى إخراج تراثهم الباطل ونشر كتبهم الفاسدة وترويج أفكارهم الضالة وكل هذا وراءه أعداء الاسلام والمسلمين الذين يدعمون كل رذيلة وينشرون الكفر والالحاد، والله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد والعاقبة للمتقين (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١)

وقد سرت فى الموضوع على الخطة التالية :

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة :

أما المقدمة فقد اشتملت على ما يأتى :

١ — أسباب اختيار الموضوع .

٢ — خطة البحث .

٣ — عملى الذى سرت عليه فى هذا البحث .

وأما الباب الأول : فقد خصصته للحديث عن العصر الذى عاش فيه ابن رجب رحمه الله تعالى وعن حياته الشخصية والعلمية علما أنه قد كتب عن تاريخ ابن رجب وحياته ومؤلفاته وأقوال الناس فيه بعض الدراسات السابقة (٢) من قبل بعض الباحثين ، وقد استفدت من ذلك كثيرا .

---

(١) سورة الصف ، آية (٨) .

(٢) كتب الدكتور محمد بن حمود الوائلى رسالة دكتوراه بعنوان (ابن رجب الحنبلى وأثره فى الفقه) سنة ١٣٩٦ هـ ، وكذلك كتبت الدكتوره أمينه الجابر رسالة دكتوراه بعنوان (ابن رجب الحنبلى وآثاره الفقهية) سنة ١٤٠٤ هـ ، وكلاهما من الأزهر ، وقد ظهرت فى بعض الرسالة الثانية الاستفادة الواضحة فى جميع جوانبها من الرسالة الأولى لتطابقهما فى البحث وكون الأولى قبلها .

ولكن أردت بهذا الباب أولا أن أدلى بدلوى مع الدلاء وأسهم بسهم مع الفضلاء وإنى وإن لم أكن فى مقامهم وسبقهم لأن اللاحق يتبع السابق.

ثانيا : أردت أن أبرز بعض الجوانب التى رأيت أنها بحاجة إلى اهتمام اكثر وهى :

١- زيادة التحقيق فى تاريخ ولادة ابن رجب رحمه الله تعالى خصوصا وان الدكتورة أمينة الجابر قد جعلت ذلك موضوع شك ووهمت الدكتور الوائلى فى ترجيح تاريخ معين فى ولادة ابن رجب رحمه الله تعالى.

٢ ـ تتبع شيوخ وتلاميذ ابن رجب رحمه الله تعالى من كتب التراجم المختلفة وحصرهم ، وهذا لم يحصل منه شيء فى الدراسات السابقة.

٣ ـ حصر كتب ومؤلفات ابن رجب رحمه الله تعالى مع بيان المطبوع منها والمخطوط مع الاشارة إلى أماكن المخطوط منها بقدر المستطاع.

٤ ـ الاشارة إلى الكتب التى تنسب إلى ابن رجب وهى ليست له أو هى مأخوذة من بعض كتبه ولم يؤلفها هو استقلالا.

وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : العصر الذى عاش فيه ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحالة السياسية.

المبحث الثانى : الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث : الحالة العلمية.

الفصل الثانى : حياة ابن رجب الشخصية وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : اسمه ونسبه.

المبحث الثانى : كنيته ولقبه.

المبحث الثالث : مولده.

المبحث الرابع : شهرته.

المبحث الخامس : أسرته .

المبحث السادس : أخلاقه وصفاته .

المبحث السابع : ابن رجب والتصوف .

المبحث الثامن : وفاتـــه .

الفصل الثالث : حياته العلمية ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : طلبه للعلم .

المبحث الثانى : رحلاته فى طلب العلم .

المبحث الثالث : شيوخـــه .

المبحث الرابع : تدريسه .

المبحث الخامس : تلاميذه .

المبحث السادس : ثقافته ومؤلفاته .

المبحث السابع : عقيدته ومذهبه .

المبحث الثامن : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

الباب الثانى : اثره فى توضيح عقيدة السلف فى التوحيد وأنواعه ونواقضه ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : تعريف التوحيد وبيان أقسامه والعلاقة بينهما وفيه عـــدة مباحـــث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد لغة .

المبحث الثانى : تعريف التوحيد شرعا .

المبحث الثالث : أنواع التوحيد .

المبحث الرابع : العلاقة بين أنواع التوحيد .

الفصل الثانى : توحيد الربوبية وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : تعريفه لغة .

المبحث الثاني : تعريفه شرعا .

المبحث الثالث : دلائل توحيد الربوبية :

١ ـ دلالة الفطرة .

٢ ـ دلالة النعم .

٣ ـ دلالة خلق السموات والأرض .

٤ ـ دلالة خلق النبات .

الفصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : مذهب السلف في أسماء الله وصفاته وترجيح ابن رجب له .

المبحث الثالث : أدلة توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الرابع : بيانه أن مذهب السلف أعلم وأسلم وأحكم .

المبحث الخامس : بيانه أن سورة الاخلاص فيها صفة الرحمن .

المبحث السادس: بيانه أن الاشتراك في الاسم لا يقتضي الاشتراك في المسمى .

المبحث السابع : ذكر جملة من الصفات التي ذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى :

١ ـ صفة العلم .

٢ ـ صفة الغنى .

٣ ـ صفة المعية .

٤ ـ صفة المجيء والاتيان .

٥ ـ صفة النزول .

المبحث الثامن : شبهة حول صفة النزول والرد عليها .

المبحث التاسع : رده على المخالفين لمذهب السلف من المعطلة والمشبهة .

٣ ـ نزول عيسى بن مريم عليه السلام .
٤ ـ خروج نار تحشر الناس .

المبحث الثالث : الايمان بعذاب القبر ونعيمه وفتنته :
أنواع من عذاب القبر .

المبحث الرابع : الأعمال التى يعذب أو ينعم بها العبد فى القبر .

المبحث الخامس : مستقر الارواح .

المبحث السادس : الصراط .

المبحث السابع : بيان المراد بالورود فى قوله تعالى (وان منكم الا واردها) .

المبحث الثامن : الشفاعة .

المبحث التاسع : الجنة ونعيمها .

المبحث العاشر : رؤية الله سبحانه وتعالى فى الجنة .

المبحث الحادى عشر : النار وعذابها .

المبحث الثانى عشر : خلق الجنة والنار .

المبحث الثالث عشر : الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبدا .

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج التى توصلت اليها فى هذا البحث.

هذا وقد كان منهجى الذى اتبعته فى اعداد رسالتى هذه ما يأتى:

١ ـ قمت بجمع مؤلفات ابن رجب رحمه الله تعالى وذلك عن طريق البحث والسفر والسؤال والمراسلة لأهل الخبرة والشأن حتى استطعت بحمد الله وتوفيقه أن أحصل تقريبا على جميع مؤلفات ابن رجب المطبوع منها والمخطوط الذى لم يفقد .

٢ ـ حصرت مباحث العقيدة التى اشتملت عليها كتب ابن رجب وذلك

بعد قراءة جميع ما تيسر لي من كتبه المطبوعة والمخطوطة ، ثم جمعت الأقوال التي تتعلق بكل مبحث على حده في بطاقات ، وجعلت لها عنوانا يتناسب مع ما تدل عليه ، ثم بينت ما تدل عليه من مسألة اعتقادية حسب جهدي – وهو جهد مقل – مستعينا في ذلك بأقوال أهل العلم الذين لهم جهود في توضيح العقيدة الاسلامية من علماء سلفنا الصالح .

٣ – احيانا أكرر الكلام الواحد لابن رجب في أكثر من موضع وذلك لاشتماله على أكثر من مسألة من مسائل العقيدة ، فأضطر الى اعادة الكلام وتكراره في عدة مواضع من مباحث الرسالة .

٤ – التزمت عند النقل من أي مرجع أو الاستفادة منه الاشارة الى رقم جزئه وصفحته بالاضافة الى ذكر طبعات هذه المراجع في فهرست المصادر والمراجع في آخر الرسالة .

٥ – بينت مواضع الآيات التي وردت في الرسالة بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٦ – عزوت الأحاديث التي وردت في هذه الرسالة الى مصادرها من كتب السنة المعتمدة بذكر الجزء والصفحة مع الاشارة في الغالب الى درجة الحديث من خلال أقوال المحدثين اذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما ، لأن مجرد العزو الى الصحيحين أو أحدهما معلم بالصحة .

٧ – ترجمة للاعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة ماعدا المشهورين ، فاني لم أترجم لهم لعدم خفاء أحوالهم وذلك ككبار الصحابة والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة وغيرهم .

٨ – عرفت بالفرق والطوائف التي ورد ذكرها في الرسالة تعريفا موجزا .

٩ ــ شرحت المفردات الغريبة التى وردت فى الرسالة مستعينا فى ذلك بكتب الغريب والمعاجم اللغوية .

١٠ــ اذا تكرر الحديث فى اكثر من موضع فانى أخرجه أول مرة ثم أحيل عليه فى المرات التى تليه .

١١ــ ضبطت الكلمات التى قد يشكل على القارى ضبطها ، وقد حاولت أن أضبط كل كلمة مرت على فى هذا البحث وأرى أن قراءتها تشكل على القارئ .

١٢ــ وضعت فهارس علمية عامة للرسالة تعين على الرجوع الى المراد منها بيسر وسهولة ، وقد اشتملت على ما يلى :

أ ــ فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب سور القرآن .

ب ــ فهرس الأحاديث الشريفة ورتبتها على الحروف الهجائية .

جـ ــ فهرس الآثار ورتبتها على الحروف الهجائية .

د ــ فهرس الأعلام المترجم لهم ورتبتهم حسب الحروف الهجائية .

هـ ــ فهرس الفرق والطوائف والمصطلحات .

و ــ فهرس المصادر والمراجع وقد رتبتها على الحروف الهجائية .

ز ــ فهرس الموضوعات وقد بينت فيه أبواب الرسالة وفصولها ومباحثها وما تتضمنه من فروع وجزئيات .

وبعد فإنى أحمد الله تعالى وأشكره وأثنى عليه الخير كله ، لا أحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، فله الحمد والشكر كله حيث وفقنى لاختيار هذا الموضوع الذى شعرت بفائدته الكبيرة منذ أن بدأت فيه ذلك لأننى قرأت وعرفت كثيرا من كتب العقيدة المفيدة النافعة .

وبعد حمد الله وشكره أتقدم بجزيل شكرى وعظيم امتنانى إلى فضيلة شيخى العلامة حماد بن محمد الأنصارى حفظه الله المشرف على هذه الرسالة فقد قرأت عليه هذه الرسالة من أولها إلى آخرها ، فاستفدت كثيرا

من توجيهاته العلمية الهادفة وارشاداته القيمة ، وأرائه السديدة ،وأعطانى من علمه ووقته الشيء الكثير بدون تقييد بزمن الاشراف المحدد ، ووجدت منه كل الاخلاص والنصح والمحبة فجزاه الله عنى وعن العلم وأهله خير الجـــزاء ، وتقبل منه جهده واخلاصه ووهب له مزيدا من التوفيق ، وأمده بالصحـــه والعافية ، وبارك له فى عمره إنه القادر على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الحسن لفضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى الذى وجدت منه تشجيعا كبيرا لهذا الموضوع والذى اعطانى كل ما عنده من كتب ومخطوطات تتعلق بهذا الموضوع فأسأل اللـــه عز وجل أن يجزيه خير الجزاء كما لا يفوتنى أن أشكر كل من له سمات بارزة فى النهوض بهذه الجامعة وأخص منهم معالي رئيس الجامعة الاسلامية .

كما أشكر المسؤولين فى الدراسات العليا على ما قدموه لى مــــن تسهيلات وعلى رأسهم فضيلة رئيس الدراسات العليا الشيخ / عبداللـــه ابن محمد الغنيمان، وفضيلة رئيس قسم العقيدة الدكتور / أحمد بن عطيـــة الغامدى .

وأخيرا أتوجه بالشكر وفائق الاحترام والتقدير إلى جميع الاخوة الذين ساعدونى وتعاونوا معى على انجاز هذه الرسالة ، والله أسأل أن يتقبـــل من الجميع تعاونهم وأن يوفقنا واياهم إلى العمل المستمر فى التعاون عـــلى البر والتقوى ، وأن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنـــا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الأول :

حياة ابن رجب وآثاره العلمية

البـــاب الأول

حياة ابن رجب وآثاره العلميـة

ويشتمل على الفصول التالية :

١ ـ الفصل الأول : العصر الذى عاش فيه ابن رجب الحنبلى .

٢ ـ الفصل الثانى : حياة ابن رجب الشخصية .

٣ ـ الفصل الثالث : حياة ابن رجب العلميـــة .

الفصل الأول:

العصر الذي عاش فيه ابن رجب الحنبلي

الفصـــل الأول

العصرالذى عاش فيه ابن رجب رحمه الله تعالى

ويشتمل على المباحث التالية :

تمهيـــــــد .

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثانى : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة العلميـــة .

تمهيـــــــــد

من المعلوم أنه من أراد أن يعطى فكرة عن شخصية من الشخصيات وبيانا لأثرها فى المجتمع لاسيما إذا كان لتلك الشخصية آثار وأعمـــــال يتوارد ذكرها متناثرا فى كتب العلماء أن يدرس الظروف المحيطة بها والبيئة التى عاشت فيها حتى يتمكن الباحث من الوقوف على العوامل والمؤثـــرات التى أدت إلى ظهور تلك الشخصية ونبوغها واتجاهها وذلك أن الشخـص عادة يتأثر بالأحوال المحيطة به كما يتأثر بالبيئة وبمن حوله من شيوخـــــه ومعلميه كما يؤثر هو فى تلاميذه وطلابه ومن يحيطون به ويعاشرونه ، وللأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية وغيرها أثر كبير فى تكييف اتجاهه ومنهجــــه الذى يسلكه ، من أجل ذلك كله كان لابد ونحن ندرس شخصية ابن رجـــب الحنبلى رحمه الله تعالى من أن نعطى فكرة موجزة عن العصر الذى عـــاش فيه فى النواحى التالية :

١ ـ النواحية السياسية .

٢ ـ الناحية الاجتماعية .

٣ ـ الناحية العلميـــة .

المبحث الأول
الناحية السياسية

وقع في العالم الاسلامي قبيل مولد ابن رجب رحمه الله تعالى حادثان رهيبان تحطمت على أثرهما دولة الاسلام وزالت معالمها وكان لهما أكبر الأثر في تنبيه المسلمين من رقدتهم وغفلتهم — وهذان الحادثان هما :

١ — استيلاء التتار الذين جاءوا من شمال الصين الى بغداد ، وقتلهم الخليفة والعلماء ، وتدميرهم الشام وتهديد مصر ، وكان سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦ هـ.(١)

٢ ـ الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمن من سنة ٤٩٠هـ - ٦٩٠هـ وراح ضحيتها أعداد هائلة من الأرواح .

يقول ابن الأثير(٢) رحمه الله تعالى في أحداث ذلك العصر : "لقد بلي الاسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم منها ظهور هؤلاء التتر قبحهم الله أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها ... ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من الغرب الى الشام وقصدهم ديار مصر ، وملكهم ثغر دمياط منها ، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم .(٣)

وقد استمر زحف التتار على بلاد المسلمين وتخريبهم لها فأثاروا الرعب

---

(١) انظر : النجوم الزاهرة (٧ / ٥٠) والذيل على الروضتين (ص ١٩٨ ، ١٩٩)

(٢) عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني الامام المحدث الأديب ، كان اماما في التاريخ ، له مؤلفات مفيدة منها : الكامل في التاريخ ، ومعرفة الصحابة ، توفي سنة ٦٣٠ هـ . وفيات الأعيان (٣ / ٣٤٨) وسير أعلام النبلاء (٢٢ / ٣٥٣) .

(٣) الكامل في التاريخ (١٢ / ٣٦٠) .

في قلوب الناس بما قاموا به من أعمال التخريب والتدمير والقتل يقول ابن كثير وهو يصف الحال : ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش ، وقُنِي الوسخ ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم الى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فانا لله وانا إليه راجعون وكذلك المساجد والجوامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ اليهم والى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي (١) وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانا ، بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم ، وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ... اهـ (٢)

---

(١) هو محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم ، كان رافضيا خبيثا رديء الطوية على الاسلام وأهله ، كان ذا حقد وغل على أهل السنة وقد فعل ما فعل بالاسلام وأهله ليحقق أهدافه ويبلغ غايته ولكن لقي جزاءه في الدنيا حيث أن التتار الذين ساعدهم أهانوه ثم مرض ومات غما وغبنا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وكان هلاكه سنة ٦٥٦ هـ .
العبر (٢٨٤/٣) والبداية والنهاية (٢٠١/١٣ ، ٢٠٢) .

(٢) البداية والنهاية (١٩١/١٣ ، ١٩٢) .

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى للمسلمين رجلا صالحا هو الملك قطز (١) الذى خاض المعركة ضد التتار وانتصر عليهم فى معركة عين جالوت (٢) ودخل قطز دمشق ورفرفت راية الاسلام فحكم مصر والشام معا .

وقد وصف ابن كثير رحمه الله تعالى ذلك فقال فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ : " ان الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا ، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا غزة ، وقد عزموا على الدخول الى مصر وقد عزم الملك ناصر صاحب دمشق على الرحيل الى مصر ـ وليته فعل ـ وكان فى صحبته الملك المنصور صاحب حماه وخلق من الأمراء وأبناء الملوك ... والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول الى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام ، بادرهم قبل أن يبادروه وبرز اليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ،

---

(١) هو : قطز بن عبدالله العزى ، سيف الدين ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام ، قتل وهو فى طريق عودته من الشام الى مصر سنة ٦٥٨ هـ .

البداية والنهاية (١٣/٢١٤) والنجوم الزاهرة (٧/٧٢) ، وذيل الروضتين (ص ٢١٠) .

(٢) عين جالوت : هى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين .

معجم البلدان (٤/١٧٧) .

فخرج فى عساكر وقد اجتمعت الكلمة عليه حتى انتهى الى الشـــــام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغا نوين ، وكان اذ ذاك فى البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكي فاشاروا عليه بأنـــه لا قبل له بالمظفر حتى يستمر هولاكو (١) فأبى الا أن يناجزه سريعـــا فساروا اليه وسار المظفر اليهم فكان اجتماعهم على عين جالوت يـــوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فاقتتلوا قتالا عظيما ، فكانـــت النصرة ولله الحمد للاسلام وأهله ، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلـــة وقتل أمير المغول كتبغا نوين وجماعـــة من بيتـــــه ......

---

(١) هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خـــان ، كـــان ملكـا جبارا قتل من المسلمين مالا يعلم عددهم الا الله ، وكـــان لا يتقيد بدين من الأديان ، وانما كانت همته فى تدبـــير مملكته حتى أباده الله سنة ٦٦٤ هـ .

البداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥) وجامـــع التواريـــــخ (٢١٩ — ٣٤١).

وهرب من بدمشق منهم ... فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة ولله الحمد على جبره اياهم بلطفه ، فجاوبتها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحا شديدا ، وأيد الله الاسلام وأهله تأييدا وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون " (١)

وقد تولى خلافة المسلمين بعد سقوط بغداد بثلاث سنين أبو القاسم أحمد (٢) بن الخليفة الظاهر وذلك سنة ٦٥٩ هـ (٣) غير أن حالة الضعف التى تعانيها البلاد الاسلامية نتيجة الصراع على السلطة قد شجعت التتار على العودة الى بلاد المسلمين ومهاجمتها وفعلا عادوا وكان آخر موقعة منهم حين التقت جيوشهم بقيادة غازان مع جيوش المسلمين بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٤) ومعه الخليفة فى موقعة مرج الصفراء سنة ٧٠٢ هـ على مقربة من حمص فهزم التتار فيها شر هزيمة ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك . (٥)

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٩ ، ٢١٠) .

(٢) أحمد بن الخليفة الظاهر بن الناصر المستضيء أبو القاسم العباسى يعتبر أول الخلفاء العباسيين بمصر ، ولقب بالمستنصر ، قتل سنة ٦٦٠ هـ فى معركة ضد التتار .
البداية والنهاية (١٣ / ٢١٩) والنجوم الزاهرة (٧ / ٢٠٦) والسلوك للمقريزى (١ / ٤٤٨) .

(٣) انظر : الذيل على الروضتين (ص ٢١٣) .

(٤) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى أبو الفتح ، من كبار ملوك الدولة القلاوونيه ، توفى سنة ٧٤١ هـ .
الاعلام (٧ / ١١) .

(٥) انظر : النجوم الزاهرة (٨ / ١٦٠) والسلوك للمقريزى (١ / ٩٢٨)

وأما الصليبيون فقد استمرت غاراتهم وهجماتهم على المسلمين نحو قرنين من الزمن ، فهم في حملتهم الأولى سنة ٤٩١ هـ استولوا على القدس والرُّها وقتلوا فيها آلاف المسلمين وستمروا على هذه الحال يعيثون في الأرض فسادا بحملاتهم المتتالية على بلاد المسلمين حتى هيأ الله سبحانه وتعالى للمسلمين حكاما أقوياء تمكنوا من استرداد ما استولى عليه الصليبيون أمثال زنكي (١) الذي استرد الرها سنة ٥٣٩ هـ (٢) وصلاح الدين الأيوبي (٣) الذي طهر بيت المقدس منهم سنة ٥٨٣ هـ (٤) وكانت نهايتهم وانقضاء دولتهم على يد الملك الأشرف (٥) بن المنصور قلاوون

---

(١) زنكي بن الحاجب الملك عماد الدين قال الذهبي : استولى على البلاد وعظم امره ، وافتتح الرها ، وكان بطلا ، شجاعا مقداما كأبيه ، عظيم الهيبة ، توفي سنة ٥٤١
سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٨٩) والنجوم الزاهرة (٥ / ٢٧٨) ، وشذرات الذهب (٤ / ١٢٨) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٢ / ٢٣٤) .

(٣) السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي الدويني قال الذهبي : محاسن صلاح الدين جمة لاسيما الجهاد ، فله فيه اليد البيضاء ببذل الأموال والخيل ، وله عقل جيد ، وفهم وحزم وعزم ، توفي سنة ٥٨٩ هـ .
سير أعلام النبلاء (٢١ / ٢٧٨) والبداية والنهاية (١٣ / ٣) .

(٤) انظر: الكامل لابن الأثير (١١ / ٥٤٦) والبداية والنهاية (١٢ / ٣٤٠) .

(٥) خليل بن قلاوون الصالحي الملك الأشرف ، ولي بعد وفاة أبيه ، واستفتح الملك بالجهاد وقاتل الافرنج ، وكان شجاعا مهيبا عالي الهمة ، قتله بعض المماليك سنة ٦٩٣ هـ .
النجوم الزاهرة (٨ / ٣) والاعلام (٢ / ٣٢١) .

جزيرة الروضة الواقعة فى نهر النيل ، وأسكنهم فيها وقد دامت مملكتهم قرنا وثلثا [١] وقد أدرك الحافظ ابن رجب طرفا كبيرا من عهدهم .

القسم الثانى : المماليك البرجية أو الجراكسة وحكموا من سنة ٧٨٤ هـ الى ٩٢٣ هـ . وسموا بالبرجية نسبة الى أبراج القلعة التى أنزلهم بها قلاوون يقول ابن العماد فى حوادث سنة ٧٨٤ هـ " فيها كان ابتداء دولة الجراكسة فانه خلع الصالح القلاوونى وتسلطن برقوق [٢] ولقب الظاهر وهو أول من تسلطن من الجراكسة " [٣]

وقد أدرك ابن رجب من هذا العهد ١١ سنة من سنة ٧٨٤ هـ وهى السنة التى حكموا فيها الى سنة ٧٩٥ هـ وهى السنة التى توفى فيها ابن رجب رحمه الله تعالى .

وقد كانت بلاد الشام تابعة فى ادارتها الى نظام الحكم فى مصر ويطبق فيها نفس نظام مصر فى تقسيم البلاد الى ولايات ، ولكن دمشق كانت هى الولاية الرئيسية بين تلك الولايات ، لأن واليها هو الذى يوقع عن السلطان فى أكثر الأمور . الا انه فى هذا العصر كان يسود العالم عدم استقرار فى الأوضاع السياسية الذى يعد سمة بارزة فى هذا العصر لكثرة الفتن والاقتتال على السلطة حتى أصبح ذلك أمرا مألوفا . [٤]

---

(١) انظر : النجوم الزاهرة (٦/ ٣١٩) وحسن المحاضرة (٢/ ٣٤) ، والعصر المماليكى فى مصر والشام (ص ٥) .

(٢) برقوق بن أنص العثمانى أبو سعيد ، الملك الظاهر ، أول من ملك مصر من الجراكسة ، توفى سنة ٨٠١ هـ .
الضوء اللامع (٣/ ١٠) والاعلام (٢/ ٤٨) .

(٣) شذرات الذهب (٦/ ٢٨٢) وأنظر موسوعة التاريخ الاسلامى (٥/ ١٩)

(٤) انظر : النجوم الزاهرة (٧/ ٥٥ ، ٨٣) مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك (٣٢٣) وما بعدها .

المبحث الثـانى
الحالـــة الاجتماعيـة

لقد أتضح لنا فيما سبق أن الحالة السياسية فى ذلك العصر الذى عاش فيه ابن رجب رحمه الله تعالى مليئة بالفتن والصراع على السلطة وعـدم الاستقرار ، ولذا لا يتصور أن تكون هناك حالة اجتماعية ثابتة مستقرة ،لأن الحالة السياسية كان لها تأثير بالغ على الحالة الاجتماعية ، وان من أبـــرز الأمور التى تتضح فيها الحالة الاجتماعية فى هذه الحقبة من الزمن أمرين :

١ ـ فئات الناس وأوضاعهـا الاجتماعية .

٢ ـ الأوبئة والمجاعات التى كان يتعرض لها المجتمع .

١ ـ فئات الناس وأوضاعهـا الاجتماعية :

كان المجتمع فى العصر المملوكى يتكون من طبقات ثلاث لها وزنها وتأثيرها فهناك طبقة الحكام وهى الطبقة التى لها سلطان القوة والنفوذ ، وكانت هذه الطبقة لها عدة أصول فمنهم التركى ، ومنهم المغولى ،ومنهـــم الجركسى ، ومنهم الصيبـني وغير ذلك من الجنسيات العديدة التىحملهـا تجار الرقيق الى مصر (١) .

وكانت هذه الفئات لا تشعر بالازدراء لحسن المعاملة التى كانـــوا يلقونها عند الأسياد لأن سلاطين المماليك قد حرصوا على العناية بمماليكهم وأتاحت الفرص لهم فقد كانوا يتعلمون القرآن وغيره من العلوم الشرعيـــة واذا كبر أحدهم تعلم الفروسية وفنونهـا ، وكانوا يدخلون فى مناصب الدولـــة

---

(١) انظر : العصر المماليكى فى مصر والشام (ص ٣٠٨) وموسوعـــــة التاريخ الاسلامى (٥/١٩٧) .

ويترقون حتى يصلوا الى رتبة الامراء ، والسلاطين . (١)

وقد كان الامراء حريصين على أن يبقى المماليك منفصلين عن باقي المجتمع ، وكانوا يؤيدون ذلك بالتحذيرات وأيقاع العقوبات بمن يخالفها . (٢)

وكان هؤلاء المماليك يتقلبون في رغد من العيش لأنهم استغلوا نفوذهم وانتصاراتهم على التتار والصليبيين فتمتعوا بخيرات البلاد وعاشوا عيشة الترف . (٣)

الطبقة الثانية : طبقة العلماء : وهذه الطبقة تستمد قوتها من الدين نفسه ، وقد حاول كثير من سلاطين المماليك أن يكرم العلماء ويحوز على رضاهم لأن هؤلاء السلاطين يشعرون بأنهم غرباء على البلاد وأهلها ، ولذا فهم في حاجة الى دعامة يستندون اليها في حكمهم ويستعينون بها على ارضاء الشعب ، ولم يكن أمامهم الا العلماء لأن هؤلاء السلاطين عندما كانوا يقدمون على عمل كبير كالحروب مثلا فانهم يحتاجون الى من يستندون اليه لفرض أمور على الناس وهم العلماء ولذلك كانوا يحترمونهم ويسمعون كلامهم إضافة الى أن غالب العلماء كانوا يعتمدون في حياتهم على الله تعالى ثم على الوظائف التي تسند اليهم ، ومع ذلك فقد كان العلماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصدعون بالحق بل كانت لهم مواقف في وجوه السلاطين جعلت هؤلاء السلاطين يخشون العلماء ويرهبون جانبهم ، ومن ذلك موقف الظاهر بيبرس (٤)

---

(١) انظر : العصر المماليكي في مصر والشام (ص ٣٠٩ ، ٣١٠) .

(٢) انظر : النجوم الزاهرة (٩٢/٩) وموسوعة التاريخ الاسلامي (١٩٨/٥)

(٣) انظر : العصر المماليكي في مصر والشام (ص ٣٠٩) .

(٤) هو بيبرس العلائي البندقداري الصالحي ، الملك الظاهر ، كان شجاعا يباشر الحروب بنفسه ، وله الوقائع الهائلة مع التتار والافرنج

= = =

من العز بن عبد السلام (١) فقد كان يرهبه ويخضع لنصيحته ولذا لما مات العز بن عبد السلام رحمه الله قال الظاهر بيبرس : " ما استقر ملكي إلا الآن " (٢).

كما كان للامام النووي وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمهم الله تعالى وغيرهم من العلماء مواقف مشرفة تدل على الجرأة والثبات في قول الحق .

وكان الى جانب هؤلاء العلماء الأبطال الذين وقفوا في وجه الباطل غير عابئين بما يلاقونه في سبيل كلمة الحق نجد آخرين لهم مواقف مغايرة سببها الحاجة أو حب الدنيا ، ومن ذلك ما ذكره السيوطي عن بعض هؤلاء العلماء حيث قال : " من غريب ما رأيت على كراريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك صورة قصة رفعها الفقير إلى رحمة ربه محمد بن مالك يقبل الأرض وينهي السلطان أيد الله جنوده ، أنه أعرف أهل زمانه بعلوم القراءات والنحو واللغة ، وفنون الأدب ، وأمله أن يعينه سلطان السلاطين ، وسيد الشياطين خلّد الله ملكه ، وجعل المشارق والمغارب — على ما هو بصدده من إفادة المستفيدين والمسترشدين —

=== وله فتوحات عظيمة ، توفي في دمشق سنة ٦٧٦ هـ .
البداية والنهاية (١٣/ ٢٦٠) والاعلام (٢/ ٧٩) .

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي ، الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان العلماء . قال الذهبي : برع في الفقه والأصول والعربية ودرس وأفتى وصنف وبلغ رتبة الاجتهاد توفي سنة ٦٦٠ هـ .
العبر (٣/ ٢٩٩) وطبقات الشافعية لابن هداية (٢٢٢) .

(٢) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٢/ ٩٥) والعصر المماليكي في مصر والشام (ص ٣١) .

بصدقة تكفيه هم عياله ، وتغنيه عن التسبب فى صلاح حاله ، وقد نفع الله بهذه الدولة الظاهرية الناصرية خصوصا وعموما وكشف بها عن النـــاس أجمعين غموما ولمّ بها شعث الدين مالم يكن ملموما ، فمن العجائب أن يكون المملوك من مرتدى خياراتها ، وعن يمين عنايتها غائبا محروما مع أنه من ألزم المخلصين للدعاء بدوامها ، وأقوم المواليد بمراعاة زمامها لابرحت أنوارهـا زاهرة ، وسيوف أنصارها قاهرة ظاهرة ، وأياديها مبذولة موفورة وأعاديهـا مخذولة مقهورة ". (١)

وقد كان ابن رجب رحمه الله من العلماء العاملين الذين لم يتزلفوا الى الحكام ويقفوا بأبوابهم ، وانما كان منقطعا عنهم لا يتردد اليهم ولا يقبل هباتهم منشغلا بالعلم والتعليم ودفع الأمة الى ما كان عليه سلفها الصالـح ولا غرو فى ذلك فهو تلميذ ابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الاسلام ابن تيميـة الذى يعد بحق علما شامخا فى تاريخ الامة الاسلامية ومفخرة عظيمة للمسلمين وموسوعة علمية نهل منها كل طالب ما يريد .

الطبقة الثالثة : طبقة عامة الناس من زراع وتجار وصناع فهـذه الطبقة كانت مغلوبة على أمرها يعيشون فى الفقر ، وكانت الحالة الأقتصادية من أسوأ ما يكون حيث مرت على البلاد الاسلامية فى تلك الأيام نوبـات من القحط والمجاعة حتى أن الناس أكلوا ما وجدوا من الجمادات والحيوانات والميتات وباعوا أولادهم وأهليهم (٢) وكانت تقع عليهم معظم المظالم مـن ضرائب ومكوس ، وهؤلاء هم الذين عصفت بهم التيارات المنحرفة ونشطت بهـم الطرق الصوفية .

---

(١) حسن المحاضرة (٢/ ٩٦) وما بعدها .

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٩٠)، وحسن المحاضرة (٢/ ٢٩٢).

الأمر الثاني : الأوبئة والأمراض التي تعرض لها المجتمع :

لم تسلم البلاد في عهد المماليك من الأوبئة والامراض الفتاكة التي كان لها أثر بالغ على النفوس أدى ذلك إلى موت الآلاف من الناس وقلة الأيدى العاملة لأن عدم التحكم فى مياه النيل كان يترتب عليه فساد الزراعة وقلة المحاصيل وبالتالى انتشار المجاعات المصحوبة بالأمراض والأوبئة ومن تلك الأوبئة والمجاعات : الطاعون الذى وقع سنة ٧٤٩ هـ وما أصاب الناس فى تلك السنة من أثره منقطع النظير حتى أنه إذا ما حل فى أهل بيت من البيوت لا يكاد يخرج منه حتى يقضى عليهم بل إن هذا الوباء قد عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى فى وصفه " وتواترت الأخبار بوقوع البلاء فى أطراف البلاد فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل أن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفا . . . . . . وفى هذا الشهر أيضا كثر الموت فى الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم إلى مئة ، فإنا لله وإنا اليه راجعون ، وإذا وقع فى أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم . . . . . وقد توفى فى هذه الأيام خلق كثير وجم غفير ، ولاسيما من النساء ، فإن الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب فى القنوت بسائر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإنابة وكثرت الأموات فى هذا الشهر جدا ، وزادوا على المائتين فى كل يوم ، فإنا لله وإنا اليه راجعون ". (١)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٣٧) .

وزاد الأمر أنه في يوم الإثنين ثاني عشر من شهر رجب جاءهم ريح شديدة أظلمت الدنيا منه ولقي الناس منه تعبا شديدا وهرعوا الى المساجد يدعون الله ويستغفرونه يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في وصف هذه الريح :

" وفي يوم الأثنين ثاني عشرة بعد آذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم أسود حتى أظلمت الدنيا ، وبقى الناس في ذلك يستجيرون الله ويستغفرون ويبكون مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ماهم فيه من الطاعون ، فلم يزد الأمر الا شدة ، وبالله المستعان ، وبلغ المصلى عليهم في الجامع الأموى الى نحو المائة والخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجا عمن لا يؤتى بهم اليه من أرجاء البلد وممن يموت من أهل الذمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال انه بلغ ألفا في كثير من الأيام ، فانا لله وانا اليه راجعون ". (١)

كما أنه في سنة ٧٦٢ هـ كثرت المستنقعات من فيض النيل في الديار المصرية فانتشرت الامراض والاوجاع وغلت الاسعار لقلة من يتعاطى الاشغال. (٢)

وفي سنة ٧٦٥ هـ حلت بالبلاد موجة من الجراد اتلفت المحاصيل الزراعية فغلت الأسعار واستمر الفناء ، وكثر الضجيج والبكاء ، وحل بهم الهم والغم . (٣)

وقد انتشرت الامراض والأوبئة في جميع ارجاء البلاد فما أن يتنفس الناس الصعداء مما هم فيه من بلاء الا ويحل بهم أمر آخر ، والله غالب على أمره وله في أفعاله حكم لا يعلمها الا هو عز وجل ، وهو سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم كما قال تعالى : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . (٤)

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٩) .
(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٢٩٠) .
(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٢٦٤) .
(٤) سورة الرعد آية (١١) .

المبحث الثالث
الحالة العلمية

خالفت الحالة العلمية كلا من الحالة السياسية والاجتماعية فقد كان هذا القرن تقريبا من القرون الذهبية من الناحية العلمية ذلك أن العصر المماليكي بشكل عام شهد حركة علمية نشطة ويرجع هذا النشاط إلى عدة عوامل هي :

١ — وفود العلماء إلى مصر والشام حيث ان كثيرا منهم يمم الى هذه البلاد فرارا من الزحف التترى المغولى الذى أوقع بالناس الكثير من البلاء والأذى وصنوف التعذيب والتقتيل ، وليس بأدل على ذلك ما حدث ببغداد على أيدى التتار ، فرأى كثير من العلماء أن مصر والشام خير حمى لهم ، إليها يفرون وإلى رحابها يلجأون .

٢ — تعظيم السلاطين والامراء لأهل العلم والعلماء وتشجيعهم للنشاط العلمى حيث أن المماليك عرفوا أن العلم سياج الدولة فقربوا العلماء وأجزلوا لهم العطاء وأنزلوهم من أنفسهم المكانة اللائقة بمراكزهم ، وهذه الحفاوة التى لقيها العلماء من الحكام رغبت الكثير من أبناء الشعب على طلب العلم والسعي فى تحصيله عن حب واخلاص لكي يصل الأواخر منهم إلى ما وصل إليه الأوائل .

٣ — شعور العلماء بواجبهم وتنافسهم فى ادائه لأنه لما حطم التتار بغداد وأبادوا العلماء وكتبهم رأى العلماء فى مصر والشام أنهم أمام مسئولية ضخمة تقتضى منهم القيام بواجبهم فى نشر الدين وتجديد العلم ، وإحياء ماأبادته أيدى الغزاة الغاشمين فقاموا بذلك قياما مشكورا وسعوا إليه سعيا حميدا ، فكانت حركة إحياء علمية جليلة

وكان بينهم فى هذا المجال تنافس شديد فى ميدان العلم والتعليم .

هذه الأسباب أدت إلى حركة علمية نشطة فانتشرت المدارس العلمية وملئت المساجد بحلقات التدريس بشكل عام .

ومن أبرز هذه المدارس فى مصر : المدرسة الناصرية التى أمر بانشائها السلطان زين الدين كتبغاء (١) ولكنه خلع قبل إتمامها وعاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك مصر فأمر باتمامها فتمت سنة ٧٠٣هـ (٢)

ومن أبرز المدارس فى الشام : المدرسة الشريفية الحنبلية وقفها شيخ الحنابلة بدمشق شرف الاسلام عبد الوهاب (٣) بن أبى الفرج الحنبلى الفقيه ، وممن درس بهذه المدرسة الحافظ زين الدين ابن رجب رحمه الله تعالى (٤) .

أما المساجد التى كانت فيها حلقات العلم والتعليم فمن أبرزها :

---

(١) هو كتبغا بن عبد الله المنصورى زين الدين ، الملقب بالملك العادل من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام ، توفى سنة ٧٠٢ هـ . الاعلام (٥/٢١٩) .

(٢) انظر حسن المحاضرة (٢/٢٦٥) وخطط المقريزى (٣/٣٤٦) .

(٣) العلامة الواعظ شرف الاسلام أبو القاسم عبد الوهاب بن أبى الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازى شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ورئيسهم وهو واقف المدرسة الحنبلية بدمشق ، توفى سنة ٥٣٦ هـ . العبر (٢/٤٥١) وطبقات المفسرين للداودى (١/٣٦٨) .

(٤) انظر الدارس فى تاريخ المدارس (٢/٦٤) ومنادمة الاطلال (٢٣٤) .

١ – جامع عمرو بن العاص فى مصر وهو أول مسجد أسس بديار مصر بعد الفتح بمدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ وكان هذا الجامع بمثابة الجامعة التى يتلقى فيها طلاب العلم جميع فنون العلم وقد ذكر المقريزى (١) فى الخطط أن شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ (٢) أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن فى سنة ٧٤٩ هـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه (٣) .

٢ – الجامع الأموى بدمشق الذى بناه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٤) وهو أعظم جوامع دمشق .

---

(١) أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم المقريزى ، الامام المحدث المؤرخ ، له عدة مؤلفات منها : الخطط وتجريد التوحيد ، توفى سنة ٨٤٥ هـ .
الضوء اللامع (٢ / ٢١) والبدر الطالع (١ / ٧٩)

(٢) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن على الصائغ ، برع فى الفقه والعربية والأدب ، وله تصانيف فى فنون مختلفة ، توفى سنة ٧٧٧ هـ .
حسن المحاضرة (١ / ٤٧١) .

(٣) الخطط للمقريزى (٣ / ١٢٥) .

(٤) الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموى ، أحد خلفاء بنى أمية ، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٨٦ هـ ، كثرت فى عهده الفتوحات ، وكان يكرم طلاب العلم ، توفى سنة ٩٧ هـ .
سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤٧) .

قال النعيمي: (١) وذكر ابراهيم بن الليث الكاتب في رسالة : وقد أفضيت الى جامعها فشاهدت ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه ، وجملة ذلك أنه بكر الدهر ووحيد الدهر ، ونادرة الأوان وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات وعجيبة الساعات ، ولقد أبقت أمية ذكرا ما يدرس ، وخلفت أثرا لا يخفى ولا يدرس . (٢)

وكانت تدرس في هذه المدارس والمساجد مختلف انواع المعارف في مقدمتها التفسير والفقه والحديث والنحو والصرف وغير ذلك من علوم الدين واللغة ، وقد تخرج من هذه المراكز علماء وفقهاء كانت لهم مؤلفات قيمة وذخيرة علمية عظيمة تعتبر موسوعات علمية في مختلف العلوم والفنون .

---

(١) عبدالقادر بن محمد بن عمر أبو المفاخر النعيمي ، مؤرخ دمشق وأحد محدثيها ، ألف كتبا كثيرة منها : الدارس في تاريخ المدارس ، توفي سنة ٩٢٧ هـ .
شذرات الذهب (١٥٣/٨) .

(٢) الدارس في تاريخ المدارس (٣٧١/٢ ، ٤١٣) ومنادمة الأطلال (٣٥٧) .

ومن أعلام ذلك العصر البارزين على سبيل المثال لا الحصر شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨ هـ) ومؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨هـ) وابن قيم الجوزيه المتوفى سنة (٧٥١هـ) والحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) وغيرهم ممن عرفوا بسعة انتاجهم وأصالته وأثروا التراث الاسلامى بكثير من مؤلفاتهم وعلومهم ، إلا أننا رغم هذه النهضة العلمية الواسعة يجب أن لا نغفل أنه فى هذا العصر استولت فيه عدة أوهام ، وأحاطت به جملة معتقدات لا تتفق ومذهب السلف ، وذلك بسبب البطش والجبروت والقلاقل التى سبقت حياة ابن رجب ، فالصوفية قد انتشرت بطرقها بل وأصبحت لها مكانة فى المجتمع ودليل ذلك اعتبار الخوانق (١) والربط من دور التعليم ، وكذلك المؤولة قد انتشروا من جهمية ومعتزلة وأشاعرة ورافضة وغيرهم من الفرق المخالفة لأهل السنة .

وقد عاش الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى فى غمرة هذه الاحداث السياسية والاجتماعية والعلمية ، وكان لكل ذلك أثره المباشر فى تكوين شخصيته حيث نجده بعيدا عن التقلبات السياسية الكثيرة مؤثرا الانصراف إلى تلقى العلوم ومجالسة العلماء ومن ثم التدريس والتأليف .

وكانت للحياة الثقافية الزاهرة فى دمشق مايدعوه إلى الاهتمام بعلوم الشريعة والعناية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نشأ وتعلم -كما سيأتى فيما بعد- على شيوخ وعلماء عصره البارزين فى علوم الشريعة المختلفة ، فاستطاع أن يأخذ من كل هؤلاء ويبرز عَلَما من أعلام المسلمين فى ذلك العصر فى علوم مختلفة رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) الخوانق مفردها خانقاه : وهى كلمة فارسية معناها المعبد أو البيت الذى ينقطع فيه الصوفية للذكر والعبادة وتجرى عليهم الأرزاق فيها وهى حدثت فى الاسلام حوالى سنة ٤٠٠ هـ .
انظر : الخطط للمقريزى (٣ / ٣٩٩ ، ٤٠٠) والعصر المماليكى فى مصر والشام (ص ٤١٠) .

الفصل الثاني:

حياة ابن رجب الشخصية

الفصـل الثـانى
حياة ابن رجب الشخصيـــة

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : اسمه ونسبه .

المبحث الثانى : كنيته ولقبه .

المبحث الثالث : مولـــــده .

المبحث الرابع : شهرتـــــه .

المبحث الخامس : أسرتـــــه .

المبحث السادس : اخلاقه وصفاته .

المبحث السابع : وفاتـــــه .

المبحث الأول

اسمه ونسبه (*)

هو الامام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الامام المقرئ المحدث

(*) مصادر ومراجع ترجمته :

يمكن تقسيم ما وقفت عليه من المصادر والمراجع التى ترجمت للحافظ ابن رجب الحنبلى إلى قسمين ، مطبوعة ، ومخطوطة :

القسم الأول : المصادر والمراجع المطبوعة :

١ ـ الرد الوافر لابن ناصر الدين (ت ٨٤٢ هـ) : ١٠٦

٢ ـ انباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : (١٧٦/٣)

٣ ـ الدرر الكامنة لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : (٤٢٨، ٤٢٧/٢)

٤ ـ لحظ الالحاظ لابن فهد المكى (ت ٨٧١ هـ) : ١٨٠

٥ ـ الدليل الشافى على المنهل الصافى لابن تغرى (٨٧٤ هـ) : (٣٩٨/١).

٦ ـ الجوهر المنضد لابن عبد الهادى (ت ٩٠٩ هـ) : ٤٦

٧ ـ ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطى (ت ٩١١ هـ) : ٣٦٧

٨ ـ طبقات الحفاظ للسيوطى (ت ٩١١ هـ) : ٥٣٦

٩ ـ الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى (ت ٩٢٧ هـ) : (٧٦/٢)

١٠ ـ الشهادة الزكية لمرعى الكرمى (ت ١٠٣٣ هـ) : ٤٩

١١ ـ كشف الظنون لحاجى خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) : (٧٩، ٥٩/١) (١٤٠٠، ١٠٩٧/٢).

١٢ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) : (٣٣٩/٦)

١٣ ـ صلة الخلف بموصول السلف للرودانى (ت ١٠٩٤ هـ) : ٢٧٦

===

. . . .

=== ١٤ــ البدر الطالع للشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : (١/ ٣٢٨)

١٥ــ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد (ت ١٢٩٥ هـ) (١٩٧) .

١٦ــ التاج المكلل لصديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) : ٣٢٥

١٧ــ ايضاح المكنون لاسماعيل باشا (ت ١٣٣٩ هـ) : (١/ ١٢٢ ، ٣٥٥)

١٨ــ هدية العارفين لاسماعيل باشا (ت ١٣٣٩ هـ) : (١/ ٥٢٧)

١٩ــ الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥ هـ) : ١٤٧

٢٠ــ منادمة الاطلال لابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ) : ٢٣٦

٢١ــ مختصر طبقات الحنابلة للشطي (ت ١٣٧٩ هـ) : ٧١ ، ٧٢

٢٢ــ الاعلام للزركلي (ت ١٣٩٥ هـ) : (٤/ ٦٧) .

٢٣ــ فهرس الفهارس لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : (٢/ ٦٣٦) .

٢٤ــ معجم المؤلفين لعمر كحالة : (٥/ ١١٨)

٢٥ــ معجم المؤرخين الدمشقيين لصلاح الدين المنجد : ٢١٨

٢٦ــ المستدرك على معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣٤٥

٢ ــ القسم الثاني : المصادر والمراجع المخطوطة :

١ ــ التبيان شرح بديعية البيان لابن ناصر الدين (ت ٨٤٢ هـ) : ورقة ١٥٩

٢ ــ تاريخ ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) : (١٤٠/ أ) .

٣ ــ المنهل الصافي لابن تغردي بردي (ت ٨٧٤ هـ) : (٢/ ١٩٧/ أ)

٤ ــ المقصد الأرشد لابن مفلح (ت ٨٨٤ هـ) : ورقه ١٦١

٥ ــ المنهج الأحمد للعليمي (ت ٩٢٨ هـ) : ورقه ٤٧٠ ، ٤٧١

شهاب الدين أحمد بن الشيخ الامام المحدث أبى أحمد رجب [(١)] عبد الرحمن ابن الحسن [(٢)] بن محمد بن أبى البركات مسعود السلامي [(٣)] البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى. [(٤)]

---

(١) وهم ابن فهد رحمه الله تعالى فى لحظ الالحاظ (ص ١٨٠) .
حيث جعل الاسم الواحد اسمين فقال : رجب بن عبد الرحمن ، والصواب أن رجب لقب عبد الرحمن ، وقد تبعه على هذا الوهم الدكتورة امينه الجابر فى رسالتها للدكتوراه " ابن رجب الحنبلى وآثاره الفقهية " (ص ٣٧) .

(٢) جميع المصادر تذكر الحسن إلا المقصد الأرشد فى تراجم أصحاب الامام أحمد لابن مفلح (ص ١٦١) والدارس فى تاريخ المدارس للعليمى (٢ / ٧٦) والرسالة المستطرفة للكتانى (ص ١٤٧) .
فإنها تذكر الحسين بدل الحسن .

(٣) قال السمعانى رحمه الله تعالى : السّلامي بفتح السين المهملة واللام ألف المخففة وفى آخرها الميم . هذه النسبة إلى رجل وموضع .
أما الرجل فهو منسوب إلى بنى سلامان وهو بطن من قضاعة ، وفيهم كثرة من الصحابة فمن بعدهم . . .
وأما المنسوب إلى موضع فهو مدينة السلام بغداد . . .
الانساب (٧ / ٢٠٨) .

(٤) الدرر الكامنة (٢ / ٤٢٨) والرد الوافر (ص ١٠٦) والتبيان لشرح بديعية البيان (ص ١٥٩) ولحظ الالحاظ (ص ١٨٠) وذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٦٧) والمقصد الأرشد ورقه (١٦١) ، والدارس فى تاريخ المدارس (٢ / ٧٦) والرسالة المستطرفة (ص ١٤٧) .

المبحث الثـــانى
كنيتـــــه ولقبـــــه

كنيته المشهور بها : " أبو الفرج "

وقد كناه ابن تغرى بردى (١) بأبى العباس (٢) ولكن المشهـــور أن هـذه كنية أبيه وليس كنية له .

وأما لقبه المشهور به فهو : " زين الدين " .

ولقبه ابن العماد الحنبلى " زين الدين وجمال الدين " (٣).

ولقبه ابن فهد (٤) (٥) وابن تغرى بردى (٦) بشهاب الدين ، والمشهـــور أن هـذا لقب أبيه .

---

(١) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الظاهـــــرى الحنفى ، العلامة المؤرخ ، له عدة مؤلفات منها : النجـــوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الدليل الشافى على المنهـل الصافى ، توفى سنة ٨٧٤ هـ .
الضوء اللامع (١٠ / ٣٠٥) وشذرات الـذهب (٧/٣١٧).

(٢) المنهـل الصافى (٢/١٩٧).

(٣) شذرات الذهب (٦/٣٣٩).

(٤) محمد بن محمد بن محمد المكى تقى الدين المعروف بابن فهـــد العلامة المحدث ، قال السخاوى : "أكثر من المسموع والشيــوخ وجد فى ذلك"، توفى سنة ٨٧١ هـ .
الضوء اللامع (٩/٢٨١) والبـدر الطالـــــع (٢/٢٥٩).

(٥) لحظ الألحاظ (ص ١٨٠).

(٦) المنهـل الصافى (٢/١٩٧).

المبحث الثـــالث
مولـــــــده

ولد ابن رجب رحمه الله تعالى فى بغداد سنة ٧٣٦ هـ وهـــذا ما ذكرته أغلب مصادر ترجمته .

وذكر ابن حجر فى الدرر الكامنة(١) انه ولد فى سنة ٧٠٦ هـ ، وتبعه على ذلك السيوطى فى طبقات الحفاظ(٢) واسماعيل باشا فى هدية العارفين(٣) .

وقد ذهب الدكتور/ محمد بن حمود الوائلى فى رسالته (ابن رجب الحنبلى وأثره فى الفقه) إلى أن القول الأول هو القول الصحيح وذلـــك للأمور التالية :

١ — ما ذكره ابن العماد فى شذرات الذهب فيه " قدم من بغداد مع والده الى دمشق وهو صغير سنة ٧٤٤ هـ "(٤)

وهذا يكشف لنا تاريخ ولادته وأن سنه حين قدم دمشق ثمانـــى سنوات ، وهذا يؤيد ما ذكره ابن حجر فى أنباء الغمر وهو خـــلاف ما ذكره فى الدرر الكامنة ، ولعل سبب اختلاف التاريخين يعـــود الى أن ناسخ الدرر أسقط كلمة " الثلاثين " لأنه ليس من المعقول أن يضع ابن حجر لولادة ابن رجب تاريخين متغايرين فى كتابيه دون أن يذكر سببا لذلك .

---

(١) الدرر الكامنة (٢/٣٢٩) .

(٢) طبقات الحفاظ (ص ٥٤٠) .

(٣) هدية العارفين (١/٥٢٧) .

(٤) شذرات الذهب (٦/٣٣٩) .

٢ ــ ما ذكره ابن رجب في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة فقد أزال اللبس وكفانا عناء البحث من أنه حضر درس الشيخ شرف الدين أبي محمد فقال : " حضرت درسه وأنا اذ ذاك صغير لا أحققه جيدا "[(١)] وكان ذلك سنة ٧٤١ هـ وبذلك نستطيع القطع بأن مولده كان عام ٧٣٦ هـ .[(٢)]

أقول : ويضاف الى ما ذكره الدكتور الوائلي للدلالة على صحة أن ولادة ابن رجب رحمه الله سنة ٧٣٦ هـ الأمور التالية :

١ ــ أن سنة ٧٠٦ هـ هو تاريخ ولادة والده أحمد كما جاء ذلك في الرد الوافر[(٣)] والمنهج الأحمد .[(٤)]

٢ ــ أن ما ذكره ابن العماد في الشذرات من أنه قدم مع والده من بغداد الى دمشق سنة ٧٤٤ هـ وهو صغير ، قد ذكره قبله ابن مفلح[(٥)]

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٣٦) .

(٢) ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة (ص ١١٢ ، ١١٣) .

(٣) الرد الوافر (ص ٧٩) .

(٤) المنهج الأحمد ورقة (٤٧١) .

(٥) برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح الحنبلي الشيخ الامام الأصولي المؤرخ المعروف بابن مفلح ، له عدة مصنفات منها : المقصد الأرشد في تراجم أصحاب الامام أحمد ، الآداب الشرعية ، توفي سنة ٨٨٤ هـ . الدارس (٢ / ٥٩) والضوء اللامع (١ / ١٥٢) .

فى المقصد الأرشد (١) والعليمى (٢) فى المنهج الأحمد (٣) والنعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس (٤). وهذا يدل على أن صحة ولادته كانت ٧٣٦ هـ اذ لو كانت ولادته سنة ست وسبعمائة لكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة ٧٤٤ هـ ومن كان هذا عمره لا يسمى صغيرا .

---

(١) المقصد الأرشد فى تراجم أصحاب الامام أحمد ورقه (١٦١).

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمى الحنبلى العلامة القاضى المؤرخ ، له عدة مصنفات منها : المنهج الأحمد فى تراجم اصحاب الامام أحمد ، الانس والجليل بتاريخ القدس والخليل ، توفى سنة ٩٢٨ هـ .
السحب الوابلة (ص ٢١٢) ومختصر طبقات الحنابلة للشطى (ص ٨١).

(٣) المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد (٤٧١).

(٤) الدارس فى تاريخ المدارس (٢/٧٦).

٣ ــ أن ابن حجر رحمه الله تعالى ذكر فى أنباء الغمر تاريخ ولادته بالحروف وفى الدرر الكامنه بالأرقام ، وما كتب بالارقام عرضة للسقط والسهو من النساخ وغيرهم بخلاف الكتابة بالحروف فالخطأ فيها بعيد مما يدل على صحة ما فى انباء الغمر .

وهذه الأمور كلها تقطع لنا بأن ولادة ابن رجب كانت سنة ٧٣٦ هـ وفيها رد على من توقف فى تعيين تاريخ لولادة ابن رجب رحمه الله تعالى أوجعل تعيين تاريخ معين لولادته من الأمور العسيرة .

ومنهم الدكتورة أمينه محمد الجابر حيث قالت فى مقدمة رسالتها " ابن رجب الحنبلى وآثاره الفقهية " فإن بحثى العلمى المتواضع يثبت عدم القطع بتاريخ مولد ابن رجب لعدم وجود مصدر أو قرينة ترجح أى التاريخين أنسب لذكر مولد ابن رجب ، وعلى هذا فمن قطع وجزم بتاريخ المولد فهى شبهة علمية ليس عليها دليل . (١)

بل الاعجب من ذلك أنها وهمت الدكتور الوائلى فى قطعه بصحة مولد ابن رجب وجعلت ذلك من الأمور العسيرة حيث قالت : " وعلى هذا فمن العسير عقليا أمام هذا التعكير القطع بتاريخ مولد ابن رجب وهو الوهن الذى وقع فيه الدكتور الوائلى حيث أنه جعل من رواية ابن رجب " وأنا اذ ذاك صغير لا أحقه جيدا " دليلا على ترجيح أنه ولد سنة ٧٣٦ هـ ، ولو قارنها بمقالة ابن رجب عن شيخه صفى الدين أنه اجازه غير مرة لأدرك أن القطع هنا قطع وهمى لا يسعفه علم ولا يسانده مصدر . (٢)

---

(١) ابن رجب الحنبلى وآثاره الفقهية .(ص ٩) .

(٢) المصدر السابق (ص٤٠) .

وهذا الكلام في الحقيقة من قلب الحقائق والنظر الى الأمور بخلاف ما هي عليه ، لأن ما قاله الدكتور الوائلي هو الحق والصواب الذى يتعين الأخذ به وعدم الالتفات الى غيره في تاريخ ولادة ابن رجب لوجود القرائن والدلائل التى سبق ذكرها والتى من خلالها نقطع ونجزم بصحة تاريخ ولادة ابن رجب وأنه سنة ٧٣٦ هـ .

والأولى بمن عجز عن أمر من الأمور أن يبين عجزه عنه وعدم قدرته عليه ، وأنه لا يبرر عجزه بتخطئة الآخرين وتوهينهم وهو ما فعلته الدكتورة المذكورة في رسالتها.

المبحث الرابع
شهرته

أشتهر زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ابن رجب الحنبلى)، ورجب هو اسم جده عبد الرحمن ، وقيل له رجب لأنه ولد فى شهر رجب ونسب إليه الحفيد رحمه الله .

وقد كان هناك من يسمى بابن رجب غيره ومنهم :

١ ـ والده شهاب الدين أحمد بن رجب ويقال له ابن رجب المقرئ ، وستأتى ترجمته (١) .

٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن رجب الطوخى الشافعى يعرف بابن رجب ولد سنة ٨٤٧ هـ وتوفى سنة ٨٩٣ هـ (٢) .

ولكن غلبت هذه الشهرة عليه رحمه الله تعالى فإذا قيل ابن رجب أو ابن رجب الحنبلى يتبادر إلى الذهن عند العلماء وطلاب العلم أن المراد ابن رجب الحنبلى زين الدين مالم يكن دليل أو قرينة تدل على أن المراد غيره وهذا يدل على فضله وسمو مكانته التى جعلته يشتهر على من سواه .

---

(١) ترجمته فى (ص ٥٢) .
(٢) الضوء اللامع (٢/ ١٢١) .

المبحـــث الخامـــس
أسرتـــــه

نشأ ابن رجب رحمه الله تعالى فى أسرة علمية عريقة كان لها أثـــر واضح فى تنمية مواهبه ، ومن ثم أصبح عالما عمت شهرته الآفاق ، وتجمـــع المصادر على أن اسرة ابن رجب بغدادية وأنها اسرة علم وطهر وفضـــل وصلاح ، بل عريقة فى الامامه العلمية ومنهم :

أولا : جده أبو أحمد رجب بن الحسن بن محمد بن أبى البركات مسعـود البغدادى ، وأسمه عبدالرحمن ورجب لقبه ، وقيل له رجب لأنه ولد فـــى شهر رجب، كان فقيها عالما له حلقة علمية فى بغداد يفد اليها طلاب العلم من كل مكان ، وقد ولد سنة ٦٧٧ هـ وسمع ثلاثيات البخارى وحدث بهـا وسمع من المعيد ابن المجلح وابن غزال وغيرهما .(١)

وصفه ابن العماد بقوله : " الشيخ الامام المحدث "(٢)

وقد أدركه ابن رجب رحمه الله تعالى جده وحضر مجلسه وهو يقـرأ عليه قال فى الذيل على الطبقات : قرأ على جدى أبى أحمد رجب بـــن الحسن غير مرة ببغداد وأنا حاضر فى الثالثة والرابعة والخامسة : أخبركم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابراهيم البزاز سنة ست وثمانين وستمائـــة أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعى أخبرنا أبو الوقت عبدالأول ابن عيسى أخبرنا أبو الحسن الداوودى أخبرنا أبو محمد السرخسى أخبرنـا أبو عبدالله الفربرى حدثنا البخارى حدثنا المكى بن ابراهيم حدثنـــا

---

(١) انظر : الدرر الكامنة (٢/١٩٩) .

(٢) شذرات الذهب (٦/٣٣٩) .

يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " من يقل على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار "[١] [٢]......

وهذا يدل على أن جده أبي أحمد كان عالما ويقرأ الناس عليه وقد توفي في صفر سنة ٧٤٢ هـ[٣].

ثانيا : أبوه أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن أبي البركات السلامي البغدادي الحنبلي ، نزيل دمشق ، ولد في بغداد صبيحة يوم السبت الخامس عشر ربيع الأول سنة ٧٠٦ هـ[٤] ونشأ بها ، وقرأ بالروايات وسمع من مشايخها ، وطلب الحديث ، وخرج لنفسه معجما مفيدا .

قال ابن ناصر الدين[٥] في وصفه : " الامام العالم

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب العلم - باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١/٣٥)

(٢) الذيل على الطبقات (٢/٢١٣).

(٣) الدرر الكامنة (٢/١٩٩).

(٤) المنهج الأحمد ورقه (٤٧١) والرد الوافر (ص ٧٩).

(٥) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد الدمشقي الشهير بابن ناصر الدين ، الحافظ المحدث كان عارفا بالنسب والرجال ، له مؤلفات كثيرة منها : الرد الوافر ، وبديعة البيان وشرحها ، توفي سنة ٨٤٢ هـ. الضوء اللامع (٨/١٠٣) وشذرات الذهب (٧/٢٤٣).

الصالح المقرئ المجود المحدث المفيد ... قرأ القرآن بالروايات أخذ عن جماعة من الشيوخ كثيرا من المرويات وخرج لنفسه مشيخة مفيدة بتراجم ملخصة فريدة ، وذكر ابن تيمية بشيخ الاسلام ، واثنى عليه وكان يحبه ويميل بالمودة اليه ".(١)

وقال ابن حجر : " ولد في بغداد ونشأ بها ، وقرأ بالروايات وسمع من مشايخها ، ورحل الى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالقدس وجلس للقراء بدمشق ، وكان ذا خير ودين وعفاف ...".(٢)

وقال العليمي : " العالم الصالح المقرئ المحدث شهاب الدين ..".(٣)

---

(١) الرد الوافر (ص ٧٩).

(٢) انباء الغمر (١/ ٤٢).

(٣) المنهج الأحمد (٤٧١).

مات سنة ٧٧٤ هـ رحمه الله[1] .

وقد أقبل ابن رجب يتتلمذ على أبيه ، وينتفع منه ، وينهل من معينه وكان أبوه حريصا على تزويده من مناهل العلوم والمعارف المختلفة فكان يصطحبه معه فى السماع على الشيوخ وذكر العليمى أنه قدم مع والده من بغداد إلى دمشق وهو صغير سنة ٧٤٤ هـ فاشتغل بسماع الحديث باعتناء والده[2] فلا ريب أن ابن رجب استفاد من جده المحدث (رجب) ثم من والده الامام المقرئ لأنه مادامت أن هذه هى أسرته التى عاش فيها وتلك مكانتها العلمية فلا عجب حين نرى ابن رجب ينشأ وهو محاط بجو علمى دينى تعبدى .

ولا شك أن نشأة ابن رجب فى مثل هذه الاسرة قد هيأ له مناخا مناسبا لطلب العلم والجد فى تحصيله .

تلك هى أسرة ابن رجب رحمه الله تعالى أسره علم وتقى وطهارة نالت من العلم حظا وافرا .

---

(١) شذرات الذهب (٦/ ٢٣٠) .

(٢) انظر : المنهج الأحمد ورقه (٤٧٠) .

المبحث السـادس
أخـلاقه وصفاتـه

ان علماء السلف كانوا أحرص الناس على التحلى بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الاخلاق السيئة .

ولقد كان الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى من أحرص الناس على التحلي بالاخلاق الفاضلة والابتعاد عن الاخلاق الرذيلة من الحسد والإيذاء والحقد وغير ذلك .

وكان رحمه الله تعالى زاهدا ورعا تقيا ، متعففا ، تعرضت له الدنيا بمفاتنها مرات عديدة فرفضها ولم يقبلها ، واكتفى منها بما يصلح حاله ويسد رمقه ، فلم يقبل من حاكم صلة أو عطية ، وكان ينهى دائما عن مخالطة ابناء الدنيا والنظر اليهم والاجتماع بهم ، ويأمر بمخالطة الصالحين والاشتغال بالعلم ، وكان له رحمه الله تعالى من الصفات والسلوك ما كان له أثر كبير في ظفره بلقب الامام والحافظ وزين الدين وغير ذلك من النعوت التى وصفه بها كل من ترجم له ، فهو حافظ لكتاب الله ، وعالم بما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وذو بصر تام بمذهب الامام أحمد رحمه الله ، وهو من ائمة الحديث وحفاظه ، واسع المعرفة بمتونه ، واسانيده وأحوال رجاله ، وهو ذو أفق واسع ، لا يتعصب لمذهب ، ولا يندد بغيره ، وهو حريص على معرفة الكتاب والسنة والرجوع الى الطريقة التى جرى عليها الصحابة والتابعون ومن جاؤوا بعدهم من الأئمة الأربعة وغيرهم من السلف الصالح لا يشغله عن العبادة وطلب العلم شئ من مطالب الدنيا وهو رضى الخلق ، عذب الشمائل ، حسن النية ، وقد ظهر آثار ذلك كله فيما خلفه من تآليف متنوعة أثنى عليها العلماء ، وتلقوها بالقبول .

وكان رحمه الله تعالى صاحب عبادة وتأله وتهجد وطول صلاة .

قال ابن ناصر الدين عنه : " أحد الأئمة الزهاد ، والعلماء العباد ".(١)

وقال ابن فهد : " كان رحمه الله اماما ورعا زاهدا ، مالت القلوب بالمحبة اليه ، وأجمعت الفرق عليه ".(٢)

وقال الحافظ ابن حجر : " وكان صاحب عبادة وتهجد ".(٣)

وكان مائلا الى اعتزال الناس والابتعاد عن مخالطتهم لاسيما في أواخر أيام حياته قال ابن حجي : " كان لا يخالط أحدا ولا يتردد الى أحد ".(٤)

وقال ابن قاضي شهبة :(٥) " وكان منجمعا عن الناس

---

(١) الرد الوافر (ص ١٠٦).

(٢) لحظ الالحاظ (ص ١٨١).

(٣) انباء الغمر (٣/١٧٦).

(٤) انباء الغمر (٣/١٧٦).

(٥) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدى الدمشقي الشافعي الشهير بابن قاضي شهبة ، الفقيه ، العالم المؤرخ ، سمع من أكابر عصره ودرس وجمع وصنف مصنفات كثيرة منها :

===

لا يخالطهم ولا يتردد الى أحد من ذوى الولايات ، ويسكن بالمدرسة العسكرية بالقصاعين ، وكان لا يعرف شيئا من أمور الدنيا ، فارغا عن الرياسة وأسبابها ، ليس له شغل الا اشتغال بالعلم .... وكان فقيرا متعففا غنى النفس ، وبالجملة لم يخلف بعده مثله ".(١)

وكانت مجالس تذكيره ووعظه الناس للقلوب صادعة ، وللناس عامة مباركة ونافعة ، قال ابن العماد : " وكانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة ، وللناس عامة ومباركة نافعة ".(٢)

تلك الصفات التى وصف بها تدل على ما وصل اليه

=== ذيل على تاريخ الاسلام للذهبى واسمه : " تاريخ ابن قاضى شهبة " "شرح منهاج الطالبين للنووى" ، توفى سنة ٨٥١ هـ. الضوء اللامع (١١/ ٢١) وشذرات الذهب (٧/ ٢٦٩) ، والبدر الطالع (١/ ١٦٤).

(١) تاريخ ابن قاضى شهبة ورقة (١٤٠/أ) .

(٢) شذرات الذهب (٦/ ٣٤٠).

ابن رجب رحمه الله تعالى من مكانة عالية خلقا وزهدا وورعا وعلمـــا ،
فهو المحدث الذى أتقن فنون الحديث وطرقه ، وصار قدوة وعلمـــا
تخرج على يديه كثير من أهل العلم فى زمانه ، وبخاصة الحنابلـــة ،
وهو المصنف الذى ترك لنا آثاراً منوعة فى العقيدة والفقه والحديـــث
والتاريخ تدل على غزارة علمه وحضور حافظته واجتماع النصوص بين يديـه
ويجعلها أداة طيعة فيما يريده من شرح وتبسيط للأفكار ، بحيث يقترب
من العامة ، ولا يبعد عن الخاصة من أهل العلم . وهو الواعظ المحبب
الى القلوب تجد الاخلاص والصدق فى حديثه ووعظه ، وهو الزاهـــد
فيما به الناس مشغولون ، المنقطع للعبادة والتصنيف .

المبحث السابع
ابن رجب والتصوف

إن المطلع على كتب ابن رجب رحمه الله تعالى وكثرة نقوله عن السابقين وخصوصا من اشتهر بالتصوف يظن أن ابن رجب رحمه الله تعالى علم من أعلام المتصوفة البارزين الذين يشار اليهم بالبنان ، وهذا يدل على عدم معرفة هذا الإمام ، بل الحقيقة أن ابن رجب رحمه الله تعالى ليس كما ظن هؤلاء وان نقل بعض أقوال المتصوفة وحكاياتهم لأنه رحمه الله تعالى عنده من العقيدة السليمة الصافية عقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع السلوك الحسن ما عصمه من الوقوع فيما وقع فيه أولئك القوم من زلات فضلا عن الأمور التى وصلوا فيها إلى حد الشرك والحلوله وغيرها من الأمور البعيدة عن دين الله عز وجل التى سببها الجهل بالكتاب والسنة ويكفيه فخرا فى ذلك أنه تلميذ من تلاميذ العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أبرز تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

إضافة إلى ذلك أنه انتقد القوم ورد عليهم فى عدة مسائل بل ذكر بعض بدعهم وبين أن ما هم عليه فى هذه المسائل بعيد كل البعد عن دين الله سبحانه وتعالى .

ولا يعنى هذا أنى أقول بعصمة ابن رجب رحمه الله تعالى من الاخطاء والزلات ، حاشا وكلا إنما هو بشر يصيب ويخطىء .

ولا أريد بهذا طرح جميع ما عند القوم بل لا بأس بالاستشهاد ببعض أقوالهم ما دامت موافقة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكم من الكتب التى ألفها علماء بارزون من أهل السنة والجماعة فيها شىء من أقوال

بعض الصوفية ، وأقرب مثال على ذلك شيخه العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . وهذا منهج سليم وصحيح لأن المسلم الحق الذى يسير على نهج الكتاب والسنة يجب عليه أن يقبل الحق لأنه هو بغيته ومراده بغض النظر عمن قال به . روى البيهقى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : خذ الحكمة ممن سمعت ، فإن الرجل يتكلم بالحكمة ، وليس بحكيم فتكون كالرمية خرجت من غير رام (١).

إلا أن الانسان المؤمن الحق يجد فى أقوال أهل السنة والجماعة ما يغنى عن أقوال غيرهم من الذين يوهم النقل عنهم الرضا بسيرتهم وما هم عليه .

فابن رجب رحمه الله تعالى يعد من علماء السلف الذين كان لهم فضل فى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، والذين جعلوا ابن رجب رحمه الله تعالى من الصوفية إنما هو بسبب خلطهم بين الزهد والتصوف ، فالصوفية ومن سار على نهجهم حتى يكثروا سوادهم ويدللوا على صحة منهجهم ضموا إليهم كل من كان من العلماء زاهدا متعففا ومنقطعا للعبادة وسموه صوفيا .

والحقيقة أن هذا من قلب الموازين والمفاهيم السليمة لأن قلة الرغبة فى الدنيا مع العبادة فى ديننا دين الاسلام زهد وورع وتقوى ، أما تسميته بذلك صوفيا فهذا غلط لأن لفظة صوفى لفظة محدثة كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وذكر أنها نسبة إلى الصوف ولبسه (٢).

---

(١) المدخل الى السنن الكبرى للبيهقى (ص ٤٤٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٦).

والحقيقة أن ابن رجب رحمه الله تعالى برئ من المتصوفة ومن مناهجهم التي خالفوا فيها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومع ذلك فهو ليس بمعصوم فقد يوجد في بعض كلامه أو بعض ما ينقله مالا يسلم من الهفوات والاخطاء التي وقع فيها أولئك القوم ، وهذا لا يقدح في علمه وفضله لأنه كما يقال : " لكل جواد كبوة " .

والانسان مهما تعلم وقرأ لا يسلم من الخطأ ، والاخطاء منها ماهو فاحش لا يمكن السكوت عنه ، ومنها ما هو خطأ غير فاحش لا يلام صاحبه .

وقد تتبعت كتب ابن رجب رحمه الله تعالى التي بين يدي صغيرها وكبيرها فلم أجد ولله الحمد كلمة أو مقالة فيها رد لما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو مخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة من أهل السنة والجماعة سوى ما ذكرت من كثرت نقوله من أقوال الصوفية خصوصا في أنواع العبادة كالمحبة والتوكل .

والخلاصة في هذا أن الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى منعلماء السلف الأفاضل المشهود لهمبالخير والصلاح وسلامة المعتقد كما سيتضح ذلك فيما أنقله من ثناء العلماء عليه وشهادتهم له بالامامة والفضل ان شاء الله تعالى .

وما أحسن مقولة للحافظ الذهبي قال فيها : "إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعلم تحريه للحق ، واتسع علمه وظهر ذكاؤه ، وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله ، ولا نضلله ونطرحه ، وننسى محاسنه ، نعم لا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك .(١)

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١) ، ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي .

المبحث الثامن
وفاته

ظل ابن رجب رحمه الله تعالى يعمل ويجد في ورع وزهد ويدعو الى الله سبحانه وتعالى بصدق واخلاص حتى أدركته المنية بعد هذه الحياة الجهادية سنة خمس وتسعين وسبعمائة للهجرة ، وهذا التاريخ قد اتفقت عليه جميع المصادر التي ترجمت لابن رجب ، وشذ عن هذا الاتفاق ابن تغردى بردى في المنهل الصافي اذ قيد وفاته سنة خمس وسبعين وسبعمائة (١) وهو غلط وتصحيف ظاهر .

وقد اختلفت المصادر في تحديد الشهر الذي توفي فيه رحمه الله تعالى .

فذكر ابن حجي (٢) (٣) وابن مفلح (٤) والنعيمي في الدارس (٥)

---

(١) المنهل الصافي لابن تغرى (٢/١٩٧/ب) .

(٢) أحمد بن حجي بن موسى الدمشقي الشافعي شهاب الدين الشهير بابن حجي ، كان فقيها ومؤرخا له عدة مصنفات منها : شرح المحرر لابن عبدالهادى ، توفي سنة ٨١٦ هـ .
الضوء اللامع (١/٢٦٩) وشذرات الذهب (٧/١١٦) .

(٣) ذكر قوله ابن حجر في انباء الغمر (٢/١٧٦) .

(٤) المقصد الأرشد (ص ١٦١) .

(٥) الدارس في تاريخ المدارس (٢/٧٧) .

وابن قاضي شهبة [١] والعليمي [٢] وابن العماد [٣] أن وفاته ليلـــة الأثنين رابع رمضان .

وذهب ابن حجر في الدرر الكامنة [٤] وابن ناصر الديـــن [٥] والسيوطي [٦] والشوكاني [٧] الى أنه توفي في شهر رجب .

---

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ورقة (١٤٠/أ) .

(٢) المنهج الأحمد ورقة (٤٧١) .

(٣) شذرات الذهب (٦/٣٤٠) .

(٤) الدرر الكامنة (٢/٤٢٨) .

(٥) الرد الوافر (ص ١٠٧) .

(٦) ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٦٨) .

(٧) البدر الطالع (١/٣٢٨) .

ويبدو لي أن القول الأول أرجح لان القائلين به أكثر ولزيادة الوصف فيما ذكروا حيث حددوا تاريخ يوم وفاته ، ولأن القائلين به أكثرهم من الحنابلة وهم أعرف وأعلم بشيوخ وعلماء مذهبهم من غيرهم ، علماأن الاختلاف في تحديد الشهر ليس/ كبيرة فائدته ما داموا يتفقون على تحديد السنة ، وقد توفى رحمه الله بأرض الحميرية ببستان كان استأجره وصلى عليه من الغد ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بجوار قبر الشيخ أبى الفقيه الزاهد أبى الفرج عبد الواحد ابن محمد الشيرازى ثم المقدسى الدمشقى المتوفى سنة ست وثمانين وأربعمائة والذى يرجع الفضل اليه فى نشر مذهب الامام أحمد بن حنبل بالقدس ودمشق رحمه الله تعالى .

وفى قصة وفاته ودفنه ما يشير الى زهده وانتظاره للموت ، قال ابن ناصر الدين : ولقد حدثنى من حضر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين ابن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام فقال له : احفر لى هاهنا لحدا ، وأشار الى البقعة التى دفن فيها ،قال : فحضرت له ، فلما فرغ نزل فى القبر ، واضطجع فيه فأعجبه ، وقال : هذا جيد ثم خرج .
قال : فوالله ما شعرت بعد أيام الا وقد أتي به ميتا محمولا فى نعشه ، فوضعته فى ذلك اللحد ، وواريته فيه ــ رحمه الله تعالى " . (١)

رحم الله ابن رجب ورضى عنه ونفعنا والمسلمين بعلمه وهديه آمين .

---

(١) الرد الوافر (ص ١٠٧).

الفصل الثالث:

حياته العلمية

الفصـل الثـالث
حياته العلميـة

المباحث التي يشتمل عليها هذا الفصل :

المبحث الأول : طلبه للعلم .

المبحث الثاني : رحلاته في طلب العلم .

المبحث الثالث : شيوخه .

المبحث الرابع : تدريسه .

المبحث الخامس : تلاميذه .

المبحث السادس: ثقافته ومؤلفاته .

المبحث السابع : عقيدته ومذهبه .

المبحث الثامن : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المبحث الأول
طلبه العلم

تعلم مبادئ القراءة في الكتاتيب كغيره من أبناء عصره ، ثم عكف على طلب العلم فقرأ القرآن العظيم على أبيه وعلى جماعة من شيوخ عصره . ثم أقبل على العلم وأجهد نفسه في تحصيله ورحل اليه مرارا وقرأ الفقه والحديث وغيرهما فحفظ أصولها وقرأها على مشاهير علماء عصره .

وقد قرأ على كثير من العلماء حتى برز في كثير من العلوم كالتفسير والحديث وأصول الدين وعلم السلوك والفقه وغير ذلك .

وقد قيض الله لابن رجب عوامل كثيرة اسهمت في تكوين شخصيته العلمية الفذة منها : أسرته الكريمة التي توارثت العلم أبا عن جد ، ومنها أن مدينة بغداد التي ولد فيها كانت عاصمة الخلافة الاسلامية كانت مركز العلم والثقافة آنذاك ، وكان أهلها يتمتعون بفوائد الرحلة وهم في بلدهم لكثرة علمائها في مختلف العلوم والفنون ، ولتردد أهل العلم وطلبته من كل حدب وصوب الى بغداد ، شأن كل مركز حيوى للعلم والثقافة في كل زمان ومكان .

ومنها عصره المزدحم بالثقافة الموسوعية والمعرفة المتنوعة ونوابغ العلماء في كل مضمار .

هذه العوامل وجهت ابن رجب في مرحلة مبكرة نحو طلب العلم وقبل سن التمييز ، فاحضر مجالس العلم والعلماء ، ولقد أشار هو رحمه الله تعالى الى هذا فقال في اثناء ترجمة شيخه عبد الرحيم بن عبد الله الزريرانى : درس بالمجاهدية ببغداد ، وحضرت درسه ، وأنا اذ ذاك صغير لا أحققه جيدا [١] ويبدو أن هذا كان قبل الثالثة من عمره لأنه يصرح بالتمييز

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٣٦) .

في الثالثة وما بعدها فيقول : قرئ على جدي أبي أحمد وأنا حاضر في الثالثة ، وفي الرابعة ، وفي الخامسة .(١)

وقد حصل له في الخامسة سماعات كثيرة ذكرها بكل دقة ووعي فنجده يقول : أخبرنا أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي قراءة عليه وأنا في الخامسة .(٢)

بل أحيانا يحدد السنة التي سمع فيها فيقول : قرئ على أبي الربيع علي بن عبد الصمد وأنا أسمع سنة ٧٤١ هـ ببغداد .(٣)

وهذه السماعات في هذا السن المبكر تدل على مكانة أسرته العلمية .

هذه بدايات الطلب للحافظ ابن رجب كما ذكرها المترجمون له وكما ذكرها هو في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ، وسيكون الكلام في المبحث القادم ان شاء الله تعالى عن رحلاته العلمية التي رحلها في كثير من البلاد .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢١٣) .
(٢) المصدر السابق (١/٦٧) .
(٣) المصدر السابق (٢/١٧٦) .

المبحث الثاني
رحلاته في طلب العلم

كان الصحابة رضى الله عنهم حريصين على عدم مغادرة المدينة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن حبهم العظيم له جعلهم لا يقوون على الابتعاد عنه لذلك نجد المكثرين من رواية الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخرجوا منها حتى توفى عليه الصلاة والسلام .

ولما بدأ عهد الفتوحات الاسلامية فى زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بدأت رحلاتهم وخروجهم من المدينة ، فانتشروا فى الأمصار يحملون معهم حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كل بحسبه فمنهم المكثر ومنهم المقل وقد يسمع أحدهم مالم يسمعه الآخر ، ويحفظ ما نسيه غيره .

ولذلك كانوا رضى الله عنهم هم أنفسهم يرحلون الى بعضهم لسماع حديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم اختص بسماعه واحد منهم دون سواه فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : بلغنى حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلى ، فسرت اليه شهرا ، حتى قدمت عليه بالشام ، فاذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب ، فقال : ابن عبد الله ؟ فقلت : نعم ، فخرج يطأ ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ، فقلت حديث بلغنى أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القصاص ، فخشيت أن تموت ، أو أموت قبل أن أسمعه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يحشر الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراة غرلا بهما قال : قلنا وما بهما ؟ قال : ليس معه شئ ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان ،

لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه ، حتى اللطمة ، قال : قلنا : كيف وأنا انما نأتى الله عز وجل عراة غرلا بهما ؟ قال : الحسنات والسيئات " (١) .

فالرحلة فى طلب الحديث سنة متبعة منذ ذلك العهد لأن الرحلات العلمية لها فوائد جمة فى كسب العلم .

وقد كانت الرحلة لتلقى العلم ورواية الأحاديث من محدثيها فى عهد التابعين أوسع منها فى عهد الصحابة حتى أصبحت سمة بارزة لكثير من العلماء النابغين حيث هاجروا طلبا فى اللقاء بالمشاهير والاستفادة منهم .

والحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى عالم شهد له أهل زمانه بالنبوغ فى أنواع عديدة من المعرفة لم يقتصر فى طلب العلم على مدينة بغداد ولكنه رحل الى مدن أخرى .

فقد كان والده يصطحبه معه فى رحلات علمية يسمع ويسمعه من أفاضل العلماء فى عصره قال ابن عبد الهادى (٢) : "واشتغل بسماع الحديث ورحل فيه" (٣) .

فقد رحل مع والده من بلدة بغداد الى دمشق وسمع مع أبيه عن جماعة من أكابر العلماء فيها قال ابن عبد الهادى : " قدم مع والده من بغداد

---

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٤٩٥) والحاكم (٢ / ٤٣٧) وصححه ووافقه الذهبى وأخرجه أيضا البخارى فى الأدب المفرد (٣٢٦) وذكره معلقا فى الصحيح (١ / ٢٧) وحسن اسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١ / ١٧٤) وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤ / ٤٠٤) رواه أحمد باسناد حسن .

(٢) يوسف بن الحسن بن عبد الهادى الدمشقى الصالحى المعروف بابن المبرد الشيخ العالم المصنف المحدث ، له مؤلفات كثيرة منها : الجوهر المنضد فى طبقات متأخرى أصحاب أحمد ، توفى سنة ٩٠٩ هـ .
الضوء اللامع (١٠ / ٣٠٨) وشذرات الذهب (٨ / ٤٣) .

(٣) الجوهر المنضد (٤٨) .

إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة وفيها ابن النقيب قال لي: قد أجزتك، وولدك عبد الرحمن ". (١)

وقال ابن حجر : قدم دمشق مع والده فسمع معه من محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الخباز ، وابراهيم بن داود العطار وغيرهما (٢)

وقد صرح ابن رجب رحمه الله تعالى بسماعه من بعض العلماء في دمشق فقال : وقرأت سنن ابن ماجه بدمشق على الشيخ جمال الدين يوسف ابن عبد الله بن محمد النابلسي. (٣)

ثم رحل مع والده الى مصر وسمع فيها على أكابر علمائها .

قال الحافظ ابن حجر : وسمع بمصر من الميدومي وبالقاهرة من ابن الملوك ". (٤)

وقال ابن العماد : وسمع بمصر من صدر الدين أبي الفتح الميدومي ومن جماعة من أصحاب ابن البخاري ومن خلق من رواة الآثار. (٥)

ورحل الى نابلس (٦) وسمع بها من جماعة الحافظ عبد الحافظ بن بدران حيث قال في ترجمته : حدثنا عنه جماعة من أصحابه بدمشق ونابلس . (٧)

ورحل الى القدس وسمع بها من أبي سعيد العلائي وقد أشار الى

---

(١) الجوهر المنضد (ص ٤٨) .
(٢) الدرر الكامنة (٢ / ٤٢٩) .
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٤١) .
(٤) الدرر الكامنة (٢ / ٤٢٩) .
(٥) شذرات الذهب (٦ / ٣٣٩) .
(٦) هو أبو محمد العماد عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسي النابلسي امام فقيه عابد ، وكان مواظبا على التلاوة ، من تلاميذه الحافظ الذهبي ، توفي سنة ٦٩٨ هـ
المعين في طبقات المحدثين للذهبي (٢٢٣) والعبر للذهبي (٣ / ٣٩٢) وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٤١) وشذرات الذهب (٥ / ٤٤٢) .
(٧) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٤١) .

رحلته هذه بقوله : وسمعت شيخنا الحافظ أبي سعيد العلائي ببيت المقدس (١)

ثم عاد بعد ذلك مع والده الى بغداد سقط رأسه وذلك سنة ٧٤٨هـ

وقد أشار الى عودته الى بغداد في ترجمة سليمان بن عبد الرحمن النهرماري حيث قال : وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وصلى عليه بجامع قصر الخلافة ، وحضرت الصلاة عليه ، ودفن بمقبرة الامام أحمد بباب حرب . (٢)

وفي بغداد قرأ على الشيخ أبي المعالي محمد بن عبد الرزاق الشيباني وفي ذلك يقول : أخبرنا أبو المعالي محمد بن عبد الرزاق الشيباني الزاهد بقراءتي عليه ببغداد سنة تسع وأربعين وسبعمائة . (٣)

ثم رافق والده الى مكة للحج سنة تسع وأربعين وسبعمائة وسمع فيها ثلاثيات البخاري من الشيخ أبي حفص عمر بن علي بن الخليل البغدادي ، وقد ذكر هذا اثناء ترجمته له فقال : وقدم في آخر عمره الى بغداد ، فأقام بها يسيرا ثم توجه الى الحج سنة تسع وأربعين وحججت أنا تلك السنة أيضا مع والدي ، فقرأت على شيخنا أبي حفص عمر ثلاثيات البخاري بالحلة اليزيدية . (٤)

وسمع كذلك بمكة من الفخر عثمان بن يوسف وغيره قال النعيمي : وسمع بنفسه بمكة المشرفة على الفخر عثمان بن يوسف ، واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده . (٥)

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٦٥) .
(٢) المصدر السابق (٢ / ٤٤١) .
(٣) المصدر السابق (١ / ٢٨٩) .
(٤) المصدر السابق (٢ / ٤٤٤) .
(٥) الدارس في تاريخ المدارس (٢ / ٧٦) .

ثم عاد بعد ذلك الى دمشق ولازم شيخه ابن القيم رحمه الله تعالى ملازمة أفادته كثيرا حتى مات سنة ٧٥١هـ، وفي ذلك يقول: ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه وغيرها .(١)

وفي سنة ٧٦٣ هـ سافر للحج مرة أخرى والتقى بالمشاهير من العلماء هناك وقد أشار الى رحلته هذه أثناء ترجمته للشيخ محمد بن أحمد السقا حيث قال: وقد جمعت بينه وبين قاضي قضاة مصر الموفق وابن جماعة بمنى عام ثلاث وستين وسبعمائة .(٢)

ثم عاد الى دمشق حيث كانت هي سكنه ومستقره في أثناء ذلك منها يرتحل واليها يعود .

وقد أهتم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى بالتلقي عن أهل الحديث، والسماع من كثير من رواة الأثار، وقد رافق في السماع الامام المحدث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي(٣)، قال الحافظ ابن حجر: ورافق شيخنا زين الدين العراقي في السماع كثيرا .(٤)

وظل ابن رجب يخرج الطلبة النجباء والعلماء الاكفاء حتى تخرج به غالب فقهاء الحنابلة بدمشق قال ابن العماد: وتخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق(٥)

فهو رحمه الله تعالى استوطن بدمشق عاصمة العلم ومهد الحضارة آنذاك وكرس جهده حتى برع ونبغ، وكان اماما في فنون كثيرة قال عنه ابن حجر: أتقن الفن، وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق .(٦)

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨) .

(٢) المصدر السابق (٢/٤٤٦) .

(٣) الامام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن زين الدين العراقي كان عالما محدثا فقيها، له عدة مصنفات منها تخريج أحاديث الاحياء، وألفية في علوم الحديث، توفي سنة ٨٠٦ هـ .
الضوء اللامع (٤/١٧١) وحسن المحاضرة (١/٢٠٤) وشذرات الذهب (٧/٥٥) .

(٤) الدرر الكامنة (٢/٤٢٨) .

(٥) شذرات الذهب (٦/٣٣٩) .

(٦) انباء الغمر (٣/١٧٦) .

المبحث الثالث
شيوخه

ان مما تدرك به مكانة الرجل ، وتعرف به منزلته هو معرفة شيوخه وأساتذته الذين تلقى عنهم ، وتأثر بهم ، فان للشيخ فى نفس التلميذ من الأثر ماليس لأحد غيره من الناس حتى والده .

وان لقوة شخصية الاستاذ وقدرته العلمية لأكبر الأثر فى بناء التلميذ ونضوج عقليته .

ونحن اذا عرفنا أساتذة الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى وشيوخه عرفنا أنه تلقى علومه جميعا على أيدى كبار العلماء والأئمة فى عصره .

ولقد كان لاشتغال ابن رجب رحمه الله تعالى فى طلب العلم فى سن مبكرة من عمره ورحلاته المتعددة الى كثير من البلاد والأقطار التى أتاحت له الالتقاء بكثير من العلماء والأخذ عنهم أثرا فى كثرة اساتذته وشيوخه .

ولقد حاولت فى هذه الدراسة استقاء جميع شيوخ ابن رجب رحمه الله الذين أخذ منهم وذلك بتتبع كتب التراجم التى تناولت عصر ابن رجب أوشخصيته بالاضافة الى كتب ابن رجب التى يشير فيها الى بعض اساتذته وشيوخه مثل كتاب الذيل على طبقات الحنابلة .

وهذا التتبع والاستقراء الذى استطعت فيه أن احصر هذا العدد من شيوخ ابن رجب لم اسبق اليه فيما أعلم حسب علمى واطلاعى على الكتب التى ترجمت لابن رجب أو تناولته بالبحث والدراسة .

وسأذكر أسماء شيوخ واساتذة ابن رجب رحمه الله تعالى الذين صار لهم الأثر فى تكوينه الفكرى ونضوجه العلمى مرتبا على حروف المعجم ، ثم أترجم للمشاهير منهم بشئ من التفصيل : وهم على ما يلى :

١ ــ أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى عمر محمد بن أحمد ابن قدامة الفقيه النحوى ، شيخ الحنابلة المشهور بابن قاضــى الجبل المتوفى سنة ٧٧١ هـ.(١)

٢ ــ والده شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبى البركات مسعود السلامى البغدادى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ(٢)

٣ ــ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الحريرى المقدسى المرداوى الصالـــــــــح ، المتوفى سنة ٧٥٨ هـ(٣)

٤ ــ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم البعلي المتوفى سنة ٧٧٧ هـ.(٤)

٥ ــ أبو العباس أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهــادى المقدسى الصالحى المتوفى سنة ٧٥٢ هـ.(٥)

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٥٣) والمقصد الأرشد ورقه (١٥) والدرر الكامنة (١ / ١٢٩) والدارس فى تاريخ المدارس (٢ / ٤٤) وشذرات الذهب (٦ / ٢١٩) .

(٢) انباء الغمر (١ / ٤٢) والرد الوافر (ص ٧٩) وغاية النهاية فـــى طبقات القراء (١ / ٥٣) وشذرات الذهب (٦ / ٢٣٠) .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٨٦) والمقصد الأرشد ورقه (٢٨) والمنهج الأحمد ورقه (٤٥٣) وذيل العبر للحسينى (ص ١٧٥) ، والدرر الكامنة (١ / ١٨١) والقلائد الجوهرية (٢ / ٤١٨) وشذرات الذهب (٦ / ١٨٥) .

(٤) الذيل علــى طبقات الحنابلة (٢ / ٣٦٥) والدرر الكامنة (١ / ١٨٨) والمنهج الأحمد ورقه (٤٧٣) .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٣٩) والمنهج الأحمد (٤٥٢) والقلائد الجوهرية (٢ / ٤١٩) .

٦ – علاء الدين أحمد بن عبد المؤمن النووى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩هـ (١)

٧ – أحمد بن على بن عبد القاهر بن الفوطى ، سمع منه ببغداد . (٢)

٨ – جمال الدين أبو العباس أحمد بن على بن محمد البابصرى البغدادى الفقيه الفرضى الأديب ، توفى سنة ٧٥٠ هـ. (٣)

٩ – كمال الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد المهدى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٥٧ هـ . (٤)

١٠ – أبو العباس أحمد بن محمد بن سليمان الحنبلى المتوفى سنة ٧٦٥هـ (٥)

١١ – شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر بن حسين الشيرازى الدمشقى المعروف بـ " زغنش " بزاء معجمة مضمومة ثم غين ساكنه ثم نون مضمومة ثم شين ، توفى سنة ٧٧١ هـ. (٦)

١٢ – شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى الزهر بن عطية الصالحى الغسولى الهكارى الحنبلى ، المتوفى سنة ٧٦٠هـ. (٧)

---

(١) لحظ الالحاظ (ص ١١٨) وشذرات الذهب (٦/ ١٥٨) .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٢٦٥) .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٥) والمقصد الأرشد ورقه (٣٥) وشذرات الذهب (٦/ ١٦٦) .

(٤) النجوم الزاهرة (١٠ / ٣٢٤) وحسن المحاضرة (١ / ٢٣٩) وشذرات الذهب (٦/ ١٨٢) .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٣٠١) والمنهج الأحمد ورقه (٤٥٧)

(٦) الدارس (٢ / ١٢٥) والقلائد الجوهرية (٢ / ٤١٩) والمقصد الأرشد ورقه (٤٧) وشذرات الذهب (٦/ ٢٢٠) .

(٧) الذيل على العبر للحسينى (١٨٣) والمقصد الأرشد ورقه (٤٦) ، وشذرات الذهب (٦/ ١٨٨) .

١٣ــ بشر بن ابراهيم بن محمود بن بشر البعلي الحنبلي الشيخ الصالح المتوفى سنة ٧٦١ هـ سمع منه بالشام (١) .

١٤ــ صفي الدين أبو عبدالله الحسين بن بدران البابصري البغدادي ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ سمع منه ببغداد (٢) .

١٥ــ أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبدالله العلائي الشافعي المتوفى سنة ٧٦١ هـ سمعه في القدس (٣) .

١٦ــ عز الدين أبو علي حمزة بن موسى بن أحمد الامام الحنبلي المعروف بابن شيخ السلامية المتوفى سنة ٧٦٩ هـ (٤) .

١٧ــ جمال الدين أبو سليمان داود بن ابراهيم بن داود بن يوسف بن سليمان العطار الدمشقي ، توفي سنة ٧٥٢ هـ (٥) .

١٨ــ زينب بنت أحمد بن عبدالرحيم المقدسية المعروفة ببنت الكمال ، توفيت سنة ٧٤٠ هـ سمع منها اجازة ، وهو في بغداد (٦) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٢٠٠) والدرر الكامنة (٢ / ١٢) ، وشذرات الذهب (٦/ ١٩٠) .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٣) والمقصد الأرشد ورقه (١٠٠) وشذرات الذهب (٦/ ١٦٢) .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٦٥) ودرة الحجال في أسماء الرجال (١ / ٢٥٨) وطبقات الشافعية للسبكي (٦ / ١٠٤) وشذرات الذهب (٦/ ١٩٠) .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٣) والدرر الكامنة (٢ / ١٦٥) وشذرات الذهب (٦/ ٢١٤) .

(٥) الدرر الكامنة (٢ / ١٨٥) والدارس في تاريخ المدارس (١ / ٤٣٥) وذيل العبر للحسيني (ص ١٥٨) .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٥٣ ، ١٥٥) والدرر الكامنة (٢ / ٢٠٩) ودرة الحجال في معرفة الرجال (١ / ٢٧٨) .

١٩- نجم الدين أبو المحاسن سليمان بن عبد الرحمن الشيباني النهرماري البغدادي الحنبلي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.(١)

٢٠- زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن سعد أخو شمس الدين ابن قيم الجوزية ، توفى سنة ٧٦٩ هـ.(٢)

٢١- جده أبي أحمد عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي الملقب رجب ، توفى سنة ٧٤٢ هـ(٣) ، سمع منه وإجازة .

٢٢- شرف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزريراني البغدادي الحنبلي ، توفى سنة ٧٤١ هـ سمع منه ببغداد اجازة.(٤)

٢٣- عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي ، توفى سنة ٧٦٧هـ لقيه في مصر ومكة.(٥)

٢٤- تاج الدين عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله الواسطي ، الدمشقي المقرئ ، توفى سنة ٧٤١هـ ، سمع منه ببغداد إجازة(٦) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤١) والدرر الكامنة (٢/٢٤٨) والمقصد الأرشد ورقه (١٢٣).

(٢) الدرر الكامنه (٢/٤٣٤) وشذرات الذهب (٦/٢١٦) والمقصد الارشد ورقه (١٦٢).

(٣) الدرر الكامنة (٢/١٠٧).

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٣٥) والدرر الكامنة (٢/٤٦٦)

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٨٥) والعقد الثمين (٥/٤٥٧) وطبقات الشافعية للسبكي (٦/١٢٣) وحسن المحاضرة (١/٣٥٩).

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٤) والدرر الكامنة (٢/٣٧٦).

٢٥ـ عبدالله بن اسماعيل الانصاری أبو محمد.(*)

٢٦ـ تقی الدين أبو محمد عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن نصر بن فهد الصالحی الدمشقی الحنبلی المعروف بابن قيم الضيائية ، توفی سنة ٧٦١ هـ ، سمع منه بدمشق.(١)

٢٧ـ عفيف الدين أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد الخزرجی العبادی المدنی المعروف بابن المطری المتوفی سنة ٧٦٥ هـ.(٢)

٢٨ـ صفی الدين أبو الفضائل عبدالمؤمن بن عبدالحق بن عبدالله القطيعی البغدادی ، توفی سنة ٧٣٩ هـ سمع منه اجازة فی بغداد(٣)

٢٩ـ فخر الدين عثمان بن يوسف بن أبی بكر النويری المالكی المتوفی سنة ٧٥٧ هـ ، سمعه بمكة.(٤)

٣٠ـ محب الدين أبو الربيع علی بن عبدالصمد بن أحمد بن عبدالقادر بن أبی الحسن الحنبلی البغدادی ، توفی سنة ٧٤٢هـ سمع منه فی بغداد اجازة.(٥)

---

(١) الذيل علی طبقات الحنابلة (٢ / ٣٢١) والدرر الكامنة (٢ / ٣٨٨) وشذرات الذهب (٦ / ١٩١).

(٢) الذيل علی طبقات الحنابلة (٢ / ٣٧٠) وطبقات الحفاظ للسيوطی (ص ٥٣٤) وطبقات الشافعية للسبكی (٦ / ١٠٣) والوفيات لابن رافع (٢ / ٢٨٢).

(٣) الذيل علی طبقات الحنابلة (٢ / ٤٢٨ ، ٤٣٠) والدرر الكامنة (٣ / ٣٢) وذيل تذكرة الحفاظ (٢١).

(٤) الدرر الكامنة (٣ / ٦٧) والدارس فی تاريخ المدارس (٢ / ٧٦) ، والوفيات لابن رافع (٢ / ١٨٩).

(٥) الذيل علی طبقات الحنابلة (٢ / ٢٢١ ، ٢٩٣) والدرر الكامنة (٣ / ١٣٢) والذيل علی العبر للحسينی (١٢٧).

(*) الذيل علی طبقات الحنابلة (٢ / ٦١).

٣١- نجيب الدين علي بن محمد الرفاعي ، روى عنه بالاجازة .(١)

٣٢- علاء الدين أبو الحسن علي بن زين الدين المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي المعروف بابن المنجا ، توفي سنة ٧٥٠هـ سمعه بدمشق .(٢)

٣٣- أبو حفص عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة المراغي الحلبي المزي الدمشقي توفي سنة ٧٧٨ هـ ، سمعه في دمشق .(٣)

٣٤- سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن عمر القزويني البغدادي ، توفي سنة ٧٥٠ هـ .(٤)

٣٥- سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى بن الخليل الأزجي البغدادي توفي سنة ٧٤٩ هـ سمعه بدمشق .(٥)

٣٦- علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي ، مؤرخ الشام المتوفى سنة ٧٣٩ هـ سمع منه اجازة بدمشق .(٦)

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢٨٥) .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٧) وذيل العبر للحسيني (١٥٥) والقلائد الجوهرية (٢/٤٩٧) .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٩٨) والدرر الكامنة (٣/٢٣٥) ، وشذرات الذهب (٦/٢٥٨) .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٦٧) والدرر الكامنة (٣/٢٥٦) .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٤) والدرر الكامنة (٣/٢٥٦) وشذرات الذهب (٦/١٦٣) .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/١٨٤) والدارس في تاريخ المدارس (١/١١٢) والنجوم الزاهرة (٩/٣١٩) .

٣٧ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن اسماعيل الصالحي الحنبلي المعروف بالحفة ، وقد يقال الحفيفة ، توفي سنة ٧٥٩ هـ .(١)

٣٨ـ عز الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.(٢)

٣٩ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة ابن حمدان الدمشقي شمس الدين ابن النقيب الشافعي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .(٣)

٤٠ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .(٤)

٤١ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن تمام بن حسان التلي ثم الصالحي ، توفي سنة ٧٤١ هـ اجازه بدمشق .(٥)

---

(١) الدرر الكامنة (٣ / ٣٨٠) والوفيات لابن رافع (٢ / ٢٠٩) وشذرات الذهب (٦/ ١٨٧) .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤١) والبداية والنهاية (١٤ / ١٩٣) وشذرات الذهب (٦/ ١٥٧) .

(٣) الدرر الكامنة (٤ / ١٩) وطبقات الشافعية للسبكي (٦ / ٤٤) والمختصر في اخبار البشر (٤/ ١٤٣) .

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٧) والبداية والنهاية (١٤ / ٢٣٤) والنجوم الزاهرة (١٠ / ٢٤٩) .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٣٣) والمقصد الأرشد ورقه (٢٥١) ولحظ الألحاظ (١١١) والوافي بالوفيات (٢ / ١٥٤) وفوات الوفيات (٢ / ٣٧٠) والمختصر في أخبار البشر (٤ / ١٣٣) .

٤٢ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله الصالحي المقدسي الحنبلي (١)، توفي سنة ٧٥٩هـ .

٤٣ـ تاج الدين محمد بن أحمد بن رمضان بن عبد الله الجزيري ثم الدمشقي الحنبلي (٢)، توفي سنة ٧٥٨ هـ .

٤٤ـ نجم الدين محمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن بركات بن سعد الدمشقي العبادي المعروف بابن الجباز (٣)، توفي سنة ٧٥٦هـ .

٤٥ـ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى بن أبي بكر العادل الأيوبي المعروف بابن الملوك (٤)، توفي سنة ٧٥٦هـ .

٤٦ـ أبو المعالي محمد بن عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الشيباني، سمعه ببغداد (٥).

٤٧ـ محمد بن عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الحسن الحنبلي سمع منه ببغداد سنة ٧٤١ هـ إجازة (٦).

---

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (٢ / ٤٢٨) والدارس في تاريخ المدارس (٢ / ١٢٣) وشذرات الذهب (٦/ ١٨٧) .

(٢) القلائد الجوهرية (٢ / ٤٢٨) والدرر الكامنة (٣ / ٤٠٥) والمقصد الارشد ورقه (٢٥٢) وشذرات الذهب (٦/ ١٨٦) .

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ١٩٦ ، ٢٤٧) والدرر الكامنة (٤ / ٤) والوفيات (٢ / ١٨٨) وشذرات الذهب (٦/ ١٨١) .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٤١) والدرر الكامنة (٤ / ٧) وذيل العبر للحسيني (١٧٠) .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٨٩ ، ٣٧٦) .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٧٦) .

٤٨- محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الدمشقي الاسدى ، توفى سنة ٧٨٢ هـ.(١)

٤٩- صدر الدين أبو القاسم محمد بن على بن أبى الفتح بن أسعد بن المنجا الحنبلى المتوفى سنة ٧٥٤ هـ.(٢)

٥٠- صدر الدين أبو الفتح محمدبن محمد بن ابراهيم بن أبى القاسم الميدومى المتوفى سنة ٧٥٤هـ.(٣)

٥١- بدر الدين أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالغنى بن عبدالله ابن أبى نصر الدمشقى المعروف بابن البطائنى ، توفىسنة٧٥٦هـ.(٤)

٥٢- محمد بن محمد بن الكوفى الهاشمي الواعظ ، روى عنه بالاجازة.(٥)

٥٣- فتح الدين أبو الحرم محمد بن محمد بن محمد القلانسى الحنبلى ، توفى سنة ٧٦٥هـ.(٦)

---

(١) انباء الغمر (٢/٣٧) والدرر الكامنة(٤/٢٢٨)والنجوم الزاهرة (٢٠٦/١١).

(٢) الدرر الكامنة (٤/١٧٦) والوفيات (٢/١٥٨) والمقصد الأرشد ورقه (٢٩٣) وشذرات الذهب (١٧٦/٦).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١/١١٨) والدرر الكامنة(٤/٢٧٤) ولحظ الألحاظ (ص ١٨٠).

(٤) الدرر الكامنة (٤/٣٠٦) والقلائد الجوهرية (٢/٥٧٠) وشذرات الذهب (١٨١/٦).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٢٨٥).

(٦) الدرر الكامنة (٤/٣٥٣) ولحظ الالحاظ (ص ١٤٧) وشذرات الذهب (٢٠٦/٦).

٥٤ـ شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن المَنْبِجي الدمشقي توفي سنة ٧٦٧هـ.(١)

٥٥ـ ابن النباش : لم يذكر له ابن رجب لا أسما ولا تاريخ مولد ولا تاريخ وفاة مع أنه أقر بأنه قرأ عليه مختصر الخرقي من حفظه ، وسمع عليه اجزاء كثيرة من مصنفاته وصحبه الى الممات .(٢)

٥٦ـ شمس الدين أبو المحاسن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي الصالحي ، توفي سنة ٧٥١ هـ سمعه بدمشق .(٣)

٥٧ـ جمال الدين يوسف بن عبد الله بن العفيف المقدسي النابلسي ، توفي سنة ٧٥٤ هـ سمعه بدمشق .(٤)

وفيما يلي ترجمة لأشهر شيوخ ابن رجب رحمه الله تعالى وهم :

١ ــ ابن القيم :

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي الامام الحافظ المفسر المحدث الأصولي الفقيه النحوي المشهور بابن قيم الجوزية ، ولد سنة احدى وتسعين وستمائة .

وأسرته أسرة علم وفضل ، سمع من أبيه وغيره ومن شيخ الاسلام ابن تيمية

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة(٢ / ٣٨٦) والدرر الكامنة(٥ / ٩١)والنجوم الزاهرة (١١ / ٩٢) والوفيات(٢ / ٣١٠) .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٤٣٢) والمنهج الأحمد ورقه (٤٤٣)

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٦٨) والدرر الكامنة (٥ / ٢٥٦) ، والبداية والنهاية (١٤ / ٢٣٥) .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٤١) والدرر الكامنة (٥ / ٢٣٩) ، والمقصد الأرشد ورقه (٣٦٦) .

بل لازمه وأخذ عنه وأعجب به كثيرا .(١)

وقد برع رحمه الله تعالى في جميع العلوم يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : تفنن في علوم الاسلام ، وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيهما المنتهى ، والحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله وبالعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك وكان عالما بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى".(٢)

له مؤلفات كثيرة جدا ، وكلها مفيدة ونفيسة منها :"زاد المعاد في هدى خير العباد"، "واعلام الموقعين عن رب العالمين"، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" ، وكلها مطبوعة ماعدا الأخير منها فالمطبوع جزء منه، توفي رحمه الله سنة ٧٥١ هـ وله من العمر ستون سنة .

قال ابن كثير رحمه الله :" وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت آذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي امام الجوزية وابن قيمها وصلى عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله . الى أن قال : وكانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ".(٣)

---

(١) ترجمته في : ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٧) وذيل العبر للحسيني (١٥٥) والنجوم الزاهرة (١٠/ ٢٤٩) والدرر الكامنة (٣/ ٤٠٠) وشذرات الذهب (٦/ ١٦٨) .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٨) .

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤ – ٢٣٥) .

٢ ـ ابن الخباز :

محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن بركات الدمشقي الأنصاري العبادي ، المعروف بابن الخباز .

ولد في شهر رجب سنة ٦٦٧هـ .(١)

رحل به والده فسمع من أحمد بن عبد الدائم (٢) وعبد الرحمن بن نجم الحنبلي (٣) وغيرهم ، وقد سمع منه الأئمة والحفاظ ومنهم الذهبي والمزي وابن كثير والبرزالي والعراقي وغيرهم .

وقد خرج البرزالي له مشيخة ، وذكر له أكثر من مائة وخمسين شيخا .(٤)

---

(١) الدرر الكامنة (٤/٤) ومعجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/١٧١) .

(٢) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة زين الدين أبو العباس المقدسي الحنبلي ، قال الذهبي : "كان فيه دين وتواضع ونباهة ، انتهى اليه علو الاسناد" ، توفي سنة ٦٦٨ هـ .
العبر للذهبي (٣/٣١٧) والنجوم الزاهرة (٧/٢٣٠) وشذرات الذهب (٥/٣٢٥) .

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الشيرازي الأنصاري الحنبلي الفقيه الواعظ ، قال ابن رجب : "انتهت اليه رئاسة المذهب بعد وفاة الشيخ موفق الدين" ، توفي سنة ٦٣٤ هـ .
العبر للذهبي (٣/٢١٩) والذيل على طبقات الحنابلة (٢/١٩٣) والدارس في تاريخ المدارس (٢/٨٢) وشذرات الذهب (٥/١٦٤) .

(٤) ذيل العبر للحسيني (١٦٩) وشذرات الذهب (٦/١٨١) .

قال العراقي عنه : "كان مسند الافاق في زمانه ، وتفرد برواية مسلم بالسماع المتصل ، وكان صدوقا مأمونا محبا للحديث وأهله". (١)

توفي رحمه الله في ثالث شهر رمضان سنة ٧٥٦ هـ . (٢)

٣ ـ أبو سعيد العلائي :

هو صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي الدمشقي الشافعي الامام العلامة الفقيه المحدث الأصولي ولد بدمشق سنة أربع وتسعين وستمائة. (٣) وسمع الكثير ورحل في طلب العلم، قال الحسيني (*) : "حدث عن القاضي تقي الدين سليمان الحنبلي ، وطبقته فأكثر ، وكان إماما في الفقه والنحو ، والأصول ، متفننا في علوم الحديث ومعرفة الرجال ، علامة في معرفة المتون والأسانيد ، فمصنفاته تنبئ عن امامته في كل فن". (٤)

له تصانيف كثيرة مفيدة منها : كتاب القواعد المشهورة ، وتنقيح الفهوم في صيغ العموم ، والمراسيل ، وغيرها (٥)

توفي رحمه الله في ليلة الاثنين الثالث من شهر المحرم سنة ٧٦١هـ. (٦)

---

(١) الدرر الكامنة (٤/٤) وطرح التثريب للعراقي (١/ ٩٩) .

(٢) الوفيات لابن رافع (٢/ ١٨٨) .

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (٤٣) وذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٦٠) .

(٤) ذيل العبر للحسيني (١٨٦) .

(٥) طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٦٩) وشذرات الذهب (٦/ ١٩٠) .

(٦) البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٩) والوفيات لابن رافع (٢/ ٢٢٦) .

(*) أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسين بن حمزة الحسيني ، فقيه ، محدث حافظ امام مؤرخ ، له عدة مصنفات منها ذيل على العبر للذهبي ، وذيل تذكرة الحفاظ ، توفي بسنة ٧٦٥ هـ .
الدرر الكامنة (٤/ ٦١) والبدر الطالع (٢/ ٢٠٩) .

المبحث الرابـــع
تدريســـــه

لم يقتصر ابن رجب رحمه الله تعالى على التعلم وحده دون نشـــره وتعليم الناس له بل حرص على تدريس الناس وتوعيتهم بأمور دينهم ، وهـــذا هو منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

فهو رحمه الله تعالى بعد رحلاته العلمية استقر بدمشق يـــدرس بمدارسها ويعقد المواعيد الوعظية ، والحلقات العلمية وينهض بمسؤوليتـــه نحو الدين والعلم والمجتمع .

فقد كان له حلقات من الدروس يجتمع فيها حوله عدد غفير مـــن الطلاب يرتشفون من علومه ويسألونه ويناقشونه ويستمعون الى محاضراته ويسمع لهم قراءاتهم عليه ليجيزهم أو يدقق عليهم .

فقد ولي ابن رجب رحمه الله تعالى حلقة الثلاثاء بعد وفاة ابـــن قاضي الجبل[(١)] سنة احدى وسبعين وسبعمائة ، ودرس بالمدرسة الحنبلية بعد وفاة ابن التقي[(٢)] سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، قال العليمـــــي :

---

(١) تقدمت ترجمته ص (٧٤)

(٢) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن محمود بـــن أحمد المرداوي الحنبلي المعروف بابن التقي ، اشتغل بالعلـــم وتميز فيه ، ودرس وأفتى ، وكان عالما زاهدا تقيا ورعا ، توفـــى سنة ٧٨٨ هـ .
الجوهر المنضد (١٤١) وشذرات الذهب (٦/٣٠٤) .

" درس بحلقة الثلاثاء والمدرسة الحنبلية ". (١)

وقال ابن عبد الهادى : " ولى حلقة الثلاثاء بعد وفاة ابن قاضى الجبل فى رجب احدى وسبعين ، ودرس بالحنبلية بعد وفاة ابن التقى ، ثم أخذ منه ". (٢)

كما أن الشيخ عز الدين ابن شيخ السلامية وقف درسا وعين له الحافظ ابن رجب قال النعيمى فى معرض كلامه عن ابن شيخ السلامية : " ووقف درسا بتربته بالصالحية وكتبا ، عين لذلك الشيخ زين الدين ابن رجب رحمه الله تعالى ". (٣)

ومعنى هذا أنه أشتغل بالتدريس وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وقد تتلمذ على يديه خلق كثير من الحنابلة فى وقته .

قال ابن حجى : " وتخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق ". (٤)

وكان رحمه الله واعظا بليغا مفوها ، فكانت مواعظه مؤثرة فى النفوس موقظة للقلوب ، قال ابن ناصر الدين : كانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة وللناس عامة مباركة نافعة. (٥)

وهو يقتدى فى مسلكه الوعظى بأسلوب الامام ابن الجوزى الذى كانت مواعظه تضم إلى جانب الآيات والأحاديث الأشعار الرقيقة التى تقع من النفس أحسن موقع ويخلطها بعبارات مسجوعة ، فتكون مواعظه محببة للنفوس لا يمل من تكرارها ولا يسأم من ترداداها ، فلو قارنا بين إسلوبه وإسلوب ابن رجب لوجدنا بينهما توافقا . كما كانت له معرفة بمواعظ السلف وأخبارهم ، قال ابن قاضى شهبة : " وكان يحفظ كثيرا من كلام السلف ". (٦)

---

(١) المنهج الأحمد ورقه (٤٧١) .
(٢) الجوهر المنضد (ص ٤٩) .
(٣) الدارس فى تاريخ المدارس (٢ / ٧٦) .
(٤) انباء الغمر (٣ / ١٧٦) .
(٥) التبيان لبديعة البيان (ص ١٥٩) .
(٦) تاريخ ابن قاضى شهبة ورقه (١٤٠ / أ) .

المبحث الخامس
تلاميذه

ارتفعت منزلة الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في البلاد الشامية وأصبح من علمائها البارزين ، ونال بذلك شهرة واسعة ، وذاع صيته بين الأنام فصار محط أنظار طلبة العلم يرحلون اليه ، ويأخذون منه ، ويسمعون عليه ، ويحضرون دروسه ومجالس وعظه .

وقد توافد عليه الطلبة من كل حدب وصوب ، وقد استطعت بتوفيق من الله أن أتوصل الى عدد من أسماء تلاميذه لم تذكر أكثرهم مصادر ترجمته ولا الدراسات السابقة لابن رجب ، وقد رتبتهم على حروف المعجم وأشرت إلى المصادر التي ذكرت سماع هؤلاء الطلبة عليه أو تخرجهم به وهم :

١ — أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي الحموي الحلبي الحنبلي المعروف بابن الرسام ، توفي سنة ٨٤٤ هـ.(١)

٢ — محب الدين أبو الفضل أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر البغدادي المعروف بابن نصر الله ، توفي سنة ٨٤٤ هـ.(٢)

٣ — داود بن سليمان بن عبدالله الموصلي ، ثم الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٨٤٤ هـ.(٣)

---

(١) الضوء اللامع (١ / ٢٤٩) ومعجم الشيوخ لابن فهد (٥٤) وشذرات الذهب (٧ / ٢٥٢).

(٢) القلائد الجوهرية (٢ / ٥٠٥) والضوء اللامع (٢ / ٢٣٣) والمقصد الأرشد ورقه (٥٣) .

(٣) الضوء اللامع (٣ / ٢١٢) والجوهر المنضد (ص ٣٩) ومعجم الشيوخ لابن فهد (٣٥٦) .

٤ ـ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد المقرئ الشهير بابن عياش ، توفي سنة ٨٥٣ هـ .(١)

٥ ـ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الكرم الصالحي الدمشقي الحنبلي المعروف بابي شعر ، توفي سنة ٨٤٤ هـ.(٢)

٦ ـ زين الدين أبو ذر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد المصري الحنبلي المعروف بالزركشي ، توفي سنة ٨٤٦ هـ.(٣)

٧ ـ تاج الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن صديق الطرابلسي ثم القاهري الشهير بابن الطرابلسي ، المتوفى سنة ٨٤١ هـ .(٤)

٨ ـ علاء الدين علي بن محمد بن عباس البعلي ثم الدمشقي الحنبلي المعروف بابن اللحام ، توفي ٨٠٣ هـ.(٥)

٩ ـ علاء الدين علي بن محمد بن علي العلاء الطرسوسي المزي .(٦)

---

(١) الضوء اللامع (٤ / ٥٩) وشذرات الذهب (٧ / ٢٧) ومعجم الشيوخ لابن فهد (١٢٢) .

(٢) الجوهر المنضد (ص ٥٩) والضوء اللامع (٤ / ٨٢) وطبقات المفسرين للداوودي (١ / ٢٦٦) والقلائد الجوهرية (٢ / ٤٣٣) .

(٣) الضوء اللامع (٤ / ١٣٦) وشذرات الذهب (٧ / ٢٥٦) .

(٤) معجم الشيوخ لابن فهد (١٣٨) والضوء اللامع (٤ / ١٨٣) ، وشذرات الذهب (٧ / ٢٤٠) .

(٥) الجوهر المنضد (ص ٨١) والضوء اللامع (٥ / ٣٢٠) وانباء الغمر (٤ / ٣٠١) وشذرات الذهب (٧ / ٣١) .

(٦) الضوء اللامع (٥ / ٣٢٨)

١٠- القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن المغلي ، توفي سنة ٨٢٨ هـ (١).

١١- سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن عبد الله الأنصاري ، المعروف بابن الملقن توفي سنة ٨٠٤هـ (٢)

١٢- أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر بن محمد السراج الشافعي الدمشقي المعروف بابن المزلق بضم الميم وفتح الزاي وكسر اللام المشددة ، توفي سنة ٨٤١ هـ (٣).

١٣- سراج الدين عمر بن موسى بن الحسن بن عيسى بن محمد القرشي المخزومي الحمصي الشافعي ، توفي سنة ٨٦١ هـ (٤).

١٤- فاطمة ابنة المحدث محمد بن علي بن محمد البكري ، توفيت سنة ٨٥١هـ (٥)

١٥- شمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٨٥٥ هـ (٦).

١٦- شمس الدين أبو المعالي محمد بن أحمد بن معالي الحبتي الحنبلي المتوفى سنة ٨٢٥ هـ (٧).

---

(١) انباء الغمر (٨/٨٦) والضوء اللامع (٦/٣٤) وشذرات الذهب (٧/١٨٥).

(٢) انباء الغمر (٥/٤١) والضوء اللامع (٦/١٠٠) وشذرات الذهب (٧/٤٤).

(٣) الضوء اللامع (٦/١٢٠) ومعجم الشيوخ لابن فهد (١٩٢).

(٤) معجم الشيوخ لابن فهد (١٩٤) والضوء اللامع (٦/١٣٩).

(٥) الضوء اللامع (١٢/١٢٨).

(٦) الضوء اللامع (٦/٣٠٩) ومعجم الشوخ لابن فهد (٢٠٤) وشذرات الذهب (٧/٢٨٦).

(٧) انباء الغمر (٧/٤٨٠) والضوء اللامع (٧/١٠٧) وشذرات الذهب (٧/١٧١).

١٧ـ عز الدين محمد بن بهاء الدين علي بن عز الدين عبد الرحمن بن محمد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٨٢٠ هـ .(١)

١٨ـ محمد بن خالد بن موسى الحمصي القاضي شمس الدين المعروف بابن زهرة توفي سنة ٨٣٠ هـ .(٢)

١٩ـ محمد بن خليل بن محمد بن طوغان أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي الحريري الحنبلي المعروف بابن المنصفي ، توفي سنة ٨٠٣ هـ .(٣)

٢٠ـ محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المقدسي الصالحي الخطيب ، توفي سنة ٨٢٠ هـ.(٤)

٢١ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبادة السعدي الأنصاري الحنبلي ، توفي سنة ٨٢٠ هـ.(٥)

٢٢ـ أبو بكر بن علي بن عمر بن عبد الخالق التلعفري بفتح التاء وتشديد اللام واسكان العين وفتح الفاء ، الدمشقي .(٦)

---

(١) انباء الغمر (٧/ ٢٩٠) وشذرات الذهب (٧/ ١٤٧) .

(٢) انباء الغمر (٨/ ١٣٤) وشذرات الذهب (٧/ ١٩٥) .

(٣) الجوهر المنضد (ص ١٦٤) وانباء الغمر (٤/ ٣٢٣) وشذرات الذهب (٧/ ٣٥) .

(٤) الجوهر المنضد (ص ١١٤) والضوء اللامع (٨/ ١٨٧) .

(٥) الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٤٩) والمقصد الأرشد ورقه (٢٩٧) وانباء الغمر (٧/ ٢٩١) والضوء اللامع (٩/ ٨٨) وشذرات الذهب (٧/ ١٤٨) .

(٦) معجم الشيوخ لابن فهد (٣٥٠) والضوء اللامع (١١/ ٥٦) .

وبعد أن ذكرت اسماء من حصلت عليهم من تلاميذ ابن رجب اذكر هنا تراجم لثلاثة من المشاهير منهم وهم :

١ — ابن الرسام :

هو أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن على الحموى الحنبلى أبوالعباس المعروف بابن الرسام . ولد سنة ٧٧٣ هـ . (١)

ولد بحماه ونشأ بها وسمع على قاضيها أحمد بن عبد الرحمن المرداوى وغيره من الشيوخ ، وقد ولى القضاء فى حماه .

ورحل مرارا الى كل من الشام والقاهرة .

وأجاز له ابن رجب وغيره ـ وله مصنفات كثيرة منها : عقد الدرر واللالى فى فضل الشهور والأيام والليالى على نمط كتاب شيخه ابن رجب المعروف بـ " لطائف المعارف " ومنها : كتاب فى المتباينات .

توفى رحمه الله فى شهر المحرم سنة ٨٤٢ هـ (٢)

٢ — ابن اللحام :

علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن عباس بن فتيان البعلى ثم الدمشقى الحنبلى المعروف بابن اللحام ، وهى نسبة الى حرفة أبيه .

ولد بعد الخمسين وسبعمائة ببعلبك ونشأ بها فى كفالة خاله لكون أبيه مات وهو صغير . (٣)

---

(١) الضوء اللامع (١/٢٤٩) وشذرات الذهب (٧/٢٥٢) .

(٢) المنهج الأحمد ورقة (٤٩١) والسحب الوبلة (٥٠ ، ٥١) .

(٣) انباء الغمر (٢/١٧٤) والرد الوافر (١٨٥) والضوء اللامع (٥/٣٢٠) .

حبب إليه طلب العلم فرحل إلى دمشق وتتلمذ على ابن رجب وغيره ، ودرس وأفتى ، ووعظ بالجامع الأموى فى حلقة ابن رجب بعده .

ألف مصنفات مفيدة منها : القواعد الأصولية .

توفى رحمه الله فى سنة ٨٠٣ هـ بمصر ، وقد جاوز الخمسين . (١)

٣ ـ ابن سعيد الحنبلي:

شمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد بن العز المقدسى الدمشقى الحنبلى ، قاضى مكة . ولد سنة احدى وسبعين وسبعمائة بكفر لبد من جبل نابلس ، ونشأ بها وحفظ القرآن ثم انتقل الى دمشق وقرأ فيها على ابن رجب وابن اللحام وغيرهم . (٢)

قال السخاوى رحمه الله : كان اماما عالما كثير الاستحضار لفروع مذهبه ، مليح الخط ، دينا ساكنا منجمعا عن الناس مديما للمطالعة مع كبر سنه ، متواضعا حسن الخلق عفيفا نزها محمود السيرة فى قضائه ، وله تصانيف منها : الشافى والكافى فى مجلد ، وكشف الغمة بتيسير الخلع لهذه الأمة فى مجلد لطيف ، والمسائل المهمة فيما يحتاج اليه العاقد فى الخطوب المدلهمة ، وسفينة الأبرار الجامعة للآثار والأخبار ، فى المواعظ والآداب فى ثلاث مجلدات . (٣)

توفى رحمه الله بمكة ليلة الخميس رابع عشر صفر سنة ٨٥٥ هـ . (٤)

---

(١) المنهج الأحمد ورقه (٤٧٧) والجوهر المنضد (٨١ ـ ٨٣) ، وشذرات الذهب (٧/ ٣١) .

(٢) الضوء اللامع (٦/ ٣٠٩) والجوهر المنضد (١٤٥) والمنهج الأحمد ورقه (٤٩٤) .

(٣) الضوء اللامع (٦/ ٣٠٩) .

(٤) شذرات الذهب (٧/ ٣٨٦) والسحب الوابلة (٣٤٥) .

المبحث الســـادس
ثقافته ومؤلفاتـــه

تنوعت مؤلفات الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى وآثاره العلمية فهو اضافة الى ما ذكرنا من الأفذاذ الذين درسوا عليه وأسهم فى بناء علومهـــم وثقافتهم ، قد خلف العديد من المؤلفات التى شملت كثيرا من العلـــوم الاسلامية فى التفسير والفقه والحديث والتاريخ والعقيدة والوعظ وغيرها ، وهى تشير الى علو همته وترفع من مكانته .

وقد أجمع المترجمون له على أنها مؤلفات نفيسة ومفيدة .

قال ابن فهد رحمه الله : له المؤلفات السديدة والمصنفات المفيدة (١)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : صنف شرح الترمـــذى فأجاد فيه فى نحو عشرة أسفار ، وشرح قطعة كبيرة من البخارى ... واللطائف فى وظائف الأيام بطريق الوعظ وفيه فوائد ، والقواعد الفقهيـــة أجاد فيها وقرأ القرآن بالروايات ... (٢)

وقال النعيمى رحمه الله تعالى : له تصانيف شتى مفيدة . (٣)

وقال ابن العماد الحنبلى : له مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة . (٤)

وقد كان لابن رجب رحمه الله تعالى اسلوب متميز فى كتاباته فهـــو يجمع بين وضوح العبارة وسهولة الأسلوب .

يقول الدكتور / محمد بن حمود الوائلى فى وصف اسلوب ابن رجـــب

---

(١) لحظ الالحاظ لابن فهد (ص ١٨١) .

(٢) الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٩) وانباء الغمر (٣/ ١٧٦) .

(٣) الدارس فى تاريخ المدارس (٢/ ٧٧) .

(٤) شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩) .

في كتبه ورسائله: "تميزت كتابات ابن رجب بوضوح الإسلوب وطلاوة العبارة وحسن استقامة اللفظ كل ذلك مع عمق التفكير والغوص في المعاني ، وابن رجب متأثر بثقافة عصره لذا رأيناه يذهب الى السجع حينا ويدعه حينا متمسكا بعبارات الفقهاء والمحدثين ، يستوي في ذلك كتبه الكبيرة وكتبه الصغيرة." (١)

ويقول الاستاذ بشير عيون في وصف اسلوب ابن رجب أيضا :

"ولابن رجب إسلوب سهل طبع سلس ، تراه يتناول موضوعه عادة بالتحليل والتقصي والاسهاب ، وقد يستطرد أحيانا ولكن استطراده ممتع لا يمل منه ، وتراه أحيانا يعمد إلى السجع وبعض المحسنات اللفظية ، ويظهر أن ذلك كان شائعا في عصره ، ولكنه لا يلتزم ذلك ، بل نراه أحيانا أخرى يتحلل من قيود السجع لينطلق متحدثا بأسلوب الفقهاء أو المحدثين أو الباحثين وهو كثير الاستشهاد بالآيات والأحاديث والحكم والأبيات الشعرية في كتاباته." (٢)

وقد قمت بتتبع وحصر لمصنفاته فبلغت (٦٧) مصنفا بين كتاب كبير ورسالة صغيرة فألفيتها ذات قيمة كبيرة ، ولم تقتصر على ميدان واحد ، بل وجدتها تنتظم ساحة واسعة من العلوم المختلفة .

وقد قسمت الكلام على مؤلفات ابن رجب وآثاره العلمية إلى قسمين :

القسم الأول : فيه بيان اسماء مؤلفات ابن رجب رحمه الله تعالى التي ذكرها هو في كتبه أو نسبها اليه المترجمون له .

القسم الثاني : فيه بيان باسماء مؤلفات نسبت الى ابن رجب وهي اما ليست له أو أنها أفردت من بعض كتبه ونسبت اليه ولم يؤلفها هو استقلالا .

---

(١) ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة (ص ١٣٣).

(٢) انظر مقدمة كتاب اختيار الأولى لابن رجب تحقيق بشير محمد عيون .

القسم الأول : مؤلفات ابن رجب التى ذكرها فى كتبه أو نسبها اليه المترجمون له ، وقد رتبتها على حروف المعجم مع بيان المطبوع منها والمخطوط والاشارة الى مكان النسخة الخطية حسب الامكان لما لم يطبع منها وهـــى كالتـــالى :

١ ـ الأحاديث والآثار المتزائدة فى أن طلاق الثلاث واحدة ذكرهـــا ابن عبدالهادى .(١)

وقد استفاد من هذا الكتاب ابن عبدالهادى فى كتابه : سيرالحارث فى الطلاق الثلاث ، وهو كتاب مطبوع بمطبعة السنة المحمديـــة بمصر سنة ١٩٥٣ م.

٢ ـ أحكام الخواتيم وما يتعلق بها .

طبع مرتين آخرها طبعة مطابع الرحاب بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٧هـ بتحقيق الدكتور محمد بن حمود الوائلى .

٣ ـ اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأالأعلى : طبع مراراوآخرها طبعة مكتبة دار الأقصى بالكويت سنة ١٤٠٦ هـ بتحقيق / جاســـم فهيد الدوسرى .

٤ ـ اختيار الابرر سيرة أبى بكر وعمر : ويوجد مختصر له مخطـــوط فى برلين برقم ٩٦٩٠

٥ ـ ازالة الشنعة عن الصلاة بعد النداء يوم الجمعة : ذكره ابن عبدالهادى.(٢)

---

(١) الجوهر المنضد (ص ٥٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٥٠).

٦ ـ الاستخراج لأحكام الخراج : طبع عدة طبعات آخرها طبعة مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٠٩ هـ بتحقيق / جندى محمود شلاش الهيتي .

٧ ـ الاستغناء بالقرآن فى تحصيل العلم والايمان : ذكره ابن رجب رحمه الله تعالى فى نزهة الاسماع فى السماع (١) وفى الخشوع فى الصلاة . (٢) وذكره ابن عبد الهادى (٣) وحاجي خليفة (٤) وصاحب كتاب هدية العارفين (٥) وهو أصل كتاب ابن عبد الهادى "هداية الانسان الى الاستغناء بالقرآن" وهو مخطوط ، وتوجد له صورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم ٢٢٠٦

٨ ـ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس : وهو مطبوع بمطبعة الامام بمصر سنة ١٣٦٣ هـ .

٩ ـ الاستيطان فيما يعتصم به العبد من الشيطان ذكره ابن حميد . (٦)

١٠ـ اعراب أم الكتاب : ذكره ابن عبد الهادى . (٧)

١١ـ اعراب البسملة : ذكره ابن عبد الهادى . (٨)

---

(١) نزهة الاسماع فى السماع (ص ٨٤) .

(٢) الخشوع فى الصلاة (ص ٢٩) .

(٣) الجوهر المنضد (ص ٥١) .

(٤) كشف الظنون (١/٧٩) .

(٥) هدية العارفين (٥/٥٢٧) .

(٦) السحب الوابلة (١٩٨) .

(٧) الجوهر المنضد (ص ٥٠) .

(٨) المصدر السابق (ص ٥٠) .

١٢ـ الالمام في فضائل بيت الله الحرام : ذكره اسماعيل باشا في ايضاح المكنون [١] .

١٣ـ أهوال القبور وأحوال أهلها الى النشور : طبع مرتين آخرها بتحقيق / أبو هاجر محمد السعيد زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

١٤ـ أهوال القيامة : ذكره ابن العماد [٢] وابن عبدالهادى [٣] .

١٥ـ الايضاح والتبيان في طلاق الغضبان : ذكره ابن عبدالهادى [٤] .

١٦ـ البشارة العظمى في أن حظ المؤمن من النار الحمى : مخطوط ويوجد له نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود المركزية تحت رقم ٩/١٨١٧

١٧ـ التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار : وقد طبع عدة مرات منها طبعة بتحقيق / محمد حسن الحمصى ـ دار الرشيد ـ دمشق سنة ١٤٠٣ هـ .

١٨ـ تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الاطفال : طبع بتحقيق وليد الفريان في مجلة الافتاء عدد ٢٣ بتاريخ ١٤٠٩ هـ .

١٩ـ تعليق الطلاق بالولادة : مخطوط باستانبول برقم ٥٣١٨

---

(١) ايضاح المكنون (١/١٢٢) .
(٢) شذرات الذهب (٦/٣٣٩) .
(٣) الجوهر المنضد (ص ٥٠) .
(٤) المصدر السابق (ص ٥٠) .

٢٠ـ تفسير سورة الاخلاص : طبع مرتين منها طبعة بتحقيق / محمد ابن ناصر العجمي ـ الدار السلفية ـ الكويت سنة ١٤٠٧ هـ .

٢١ـ تفسير سورة الفاتحة : ذكره ابن عبدالهادى .(١)

٢٢ـ تفسير سورة النصر : طبع مرتين آخرها بتحقيق : محمد بن ناصر العجمى ـ الدار السلفية ـ الكويت سنة ١٤٠٧ هـ .

٢٣ـ جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : وقد طبع مرارا ، وقد قام الدكتور / محمد الأحمدى أبو النور بتحقيقه ولكنه لم يتمه وهو كتاب عظيم النفع جدير بالعناية والاهتمام من قبل الباحثين وطلاب العلم .

٢٤ـ الحكم الجديرة بالاذاعة من قول النبى صلى الله عليه وسلم " بعثت بالسيف بين يدى الساعة " ـ طبع سنة ١٣٤٩هـ بمطبعة المنار .

٢٥ـ حماية الشام بمن فيها من الأعلام : ذكره ابن حميد .(٢)

٢٦ـ الخشوع فى الصلاة : وهو كتاب الذل والانكسار للعزيز الجبار وقد طبع مرارا آخرها بتحقيق / على حسن على عبدالحميد ـ دار عمار .

وقد وهم بعض من ترجموا لابن رجب حيث جعلوا هذا الكتاب كتابين لاختلاف العنوان وعند التحقيق تبين أنهما كتاب واحد .

---

(١) الجوهر المنضد (ص ٥٠).

(٢) السحب الوابلة (١٩٨).

٢٧ــ ذم الخمر وشاربها : طبع بالمركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض سنة ١٤٠٨ هـ بتحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان .

٢٨ــ ذم قسوة القلب : مخطوط ، وتوجد نسخة له فى مكتبة جامعة الملك سعود المركزية برقم (٨/١٨١٧) .

٢٩ــ الذيل على طبقات الحنابلة : طبع مرارا منها طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٣٠ــ الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة : ذكره ابن عبد الهادى.(١)

٣١ــ كتاب السليب : ذكره ابن عبد الهادى.(٢)

٣٢ــ سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : طبع بالرياض سنة ١٣٧٨هـ

٣٣ــ شرح حديث " ان أغبط أوليائى عندى " : مخطوط ، وتوجد نسخة منه بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٥٣١٨

٣٤ــ شرح حديث أبى الدرداء " من سلك طريقا يلتمس فيه علما " : طبع مرارا ، منها طبعة مكتبة الخافقين ــ دمشق سنة ١٤٠٢ هـ ، تحقيق / محمد الخيمى .

٣٥ــ شرح حديث شداد بن أوس " اذا كنز الناس الذهب والفضة يوجد له نسخة خطية بمكتبة جامعة الملك سعود المركزية بالرياض تحت رقم (٨/١٨١٧) .

---

(١) الجوهر المنضد (ص ٥٠) .
(٢) المصدر السابق (ص ٥٠) .

٣٦- شرح حديث عمار بن ياسر " اللهم بعلمك الغيب " : طبع بتحقيق ابراهيم بن محمد العرف - مكتبة السوادي - جدة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ .

٣٧- شرح حديث " لبيك اللهم لبيك " : مخطوط ، وتوجد له نسخة خطية بمكتبة الملك سعود المركزية بالرياض برقم (١٨١٧/١) .

٣٨- شرح حديث " ما ذئبان جائعان " ويسمى أيضا " ذم الجاه والمال طبع مرارا آخرها بالكويت - الدار السلفية - سنة ١٤٠١ هـ ، بتحقيق بدر البدر .

٣٩- شرح حديث " مثل الاسلام " : مخطوط ، وتوجد نسخة له في المكتبة السليمانية بتركيا برقم ٥٣١٨

٤٠- شرح حديث " يتبع الميت ثلاث " طبع بدار طيبة بالرياض سنة ١٤٠٨ هـ بتحقيق / سعد بن عبدالرحمن الحمدان .

٤١- شرح جامع الترمذي : وهو يقع في نحو عشرين مجلدا كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر (١) وهو من الكتب المهمة ولعلة احترق في الفتنة التي وقعت في الشام عندما دخل التتار دمشق سنة (٨٠٣ هـ) وما وقع فيها من الفساد على يد تيمورلنك كما ذكر ذلك ابن قاضي شهبة (٢) .
ولم يوجد من هذا الكتاب الا شرح علل الترمذي وقد طبع عدة مرات أحدها بتحقيق / نور الدين عتر سنة ١٣٩٨ هـ - دار الملاح دمشق ، ويوجد أيضا عشر ورقات مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق وهي من كتاب اللباس .

---

(١) الدرر الكامنة (٤٢٩/٢) وانباء الغمر (١٧٦/٣) .
(٢) تاريخ ابن قاضي شهبة (٤٨٨/٣/أ) .

٤٢ــ شرح المحرر : ذكره ابن عبدالهادى .(١)

٤٣ــ شرح مولدات ابن الحداد : ذكره حاجى خليفة .(٢)

٤٤ــ صدقة السر وبيان فضلها : طقبع بتحقيق / الوليد بن محمد الفريان بمجلة عالم الكتب ، المجلد السابع ، العدد الأول .

٤٥ــ صفة النار وصفة الجنة : ذكره ابن عبدالهادى .(٣)

٤٦ــ غاية النفع فى شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع : طبع مرارا آخرها طبعة مكتبة السوادى ــ جدة سنة ١٤٠٨ هـ ، بتحقيق : ابراهيم بن محمد العرف .

٤٧ــ فتح البارى بشرح صحيح البخارى : قال عنه ابن ناصر الدين الدمشقى :" وشرح من أول صحيح البخارى الى الجنائز شرحا نفيسا ".(٤) ويوجد لهذا الكتاب نسختان :

١ ــ نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق بسوريا برقم ٩٤١٤

٢ ــ نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣٨٩

وكلا النسختين نـقصتان فالأولى تبدأ من باب الغسل من كتاب الطهارة وتنتهى بكتاب السهو فى الصلاة .

والثانية تبدأ من أول كتاب مواقيت الصلاة ، وتنتهى بكتاب صلاة الكسوف .

وفى كل منهما سقط فى مواضع متعددة .

---

(١) الجوهر المنضد (ص ٥١) .

(٢) كشف الظنون (١٩١١/٢) .

(٣) الجوهر المنضد (ص ٤٩) .

(٤) الرد الوافر (ص ١٠٦) .

٤٨ــ الفرق بين النصيحة والتعبير : طبع بتحقيق / نجم عبد الرحمن خلف دار ابن القيم ــ الدمام .

٤٩ــ فضائل الشام : مخطوط ، وتوجد نسخة منه في المكتبة البلدية بالاسكندرية برقم ١٠٨ / تاريخ ، ويقوم الآن بتحقيقه الأخ / محمد بن ناصر العجمي كما أفادني بذلك شخصيا .

٥٠ــ فضل علم السلف على علم الخلف : طبع مرارا منها طبعة الدار السلفية بالكويت سنة ١٤٠٧ بتحقيق / محمد بن ناصر العجمي .

٥١ــ قاعدة في هلال ذي الحجة : مخطوط ، وتوجد نسخة منه في مكتبة جامعة الملك سعود المركزية بالرياض برقم (١٨١٧ / ٣) .

٥٢ــ القواعد الكبرى في الفروع : وهو ما يسمى بالقواعد الفقهية ، وهو كتاب عظيم ، وقد استكثره عليه من لا يعرف قدره قال ابن عبد الهادي: "وكتاب القواعد الفقهية مجلد كبير ، وهو كتاب نافع من عجائب الدهر حتى أنه استكثر عليه ، حتى زعم بعضهم أنه وجد قواعد مبددة لشيخ الاسلام ابن تيمية فجمعها ، وليس الأمر كذلك ، بل كان رحمه الله تعالى فوق ذلك" (١).

وقد طبع عدة مرات منها طبعة بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ ــ الطبعة الخيرية ــ ولكن جميع الطبعات لا تخلو من السقط والتحريف والتصحيف ، وهو جدير بأن يعنى به ويطبع طبعة علمية محررة ومحققة .

٥٣ــ القول الصواب في تزويج أمهات أولاد الغياب : مخطوط ، وتوجد نسخة منه في مكتبة جامعة الملك سعود المركزية بالرياض برقم (١٨١٧ / ٤) .

---

(١) الجوهر المنضد (ص ٤٩) .

٥٤ـ كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة : وهو شرح حديث " بدأ الاسلام غريبا ... " طبع مرارا منها طبعة بتحقيق / بدر البدر ـ دار الارقم ـ الكويت سنة ١٤٠٤ هـ .

٥٥ـ الكشف والبيان عن حقيقة النذور والايمان : ذكره ابن رجب (١) وابن حميد (٢) .

٥٦ـ كلمة الاخلاص وتحقيق معناها : طبع مرارا ، آخرها فى دمشق سنة ١٣٩٧ هـ بتحقيق / زهير الشاويش .

٥٧ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف : طبع مرارا منها طبعة دار الجيل ـ بيروت .

٥٨ـ المحجة فى سير الدلجة : طبع بتحقيق / يحيى مختار غزاوى دار البشائر الاسلامية ـ بيروت .

٥٩ـ مختصر سيرة عمر بن عبد العزيز : طبع بالرياض سنة ١٣٧٨ هـ .

٦٠ـ مختصر فيما روى عن أهل المعرفة والحقائق فى معالم الظالم السارق حققه / الوليد بن عبد الرحمن الفريان ونشره فى مجلة البحوث الاسلامية ، العدد السادس عشر .

٦١ـ مسألة الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وقبل الصلاة : ذكره ابن حميد (٣)

٦٢ـ مشيخة ابن رجب : قال ابن حجر : وخرج لنفسه مشيخة مفيدة (٤).

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٧١) .

(٢) السحب الوابلة (١٩٧) .

(٣) المصدر السابق (١٩٨) .

(٤) الدرر الكامنة (٢ / ٤٢٩) .

٦٣- منافع[1] الامام أحمد : ذكره ابن عبد الهادى[2] .

٦٤- نزهة الأسماع فى مسألة السماع : طبع مرتين منها طبعة بتحقيق/ الوليد بن عبد الرحمن الفريان سنة ١٤٧٠ هـ - الناشر: دار طيبة بالرياض .

٦٥- نور الأقتباس فى مشكاة وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس وهو شرح حديث " احفظ الله يحفظك " : طبع مرارا ولكن احسن الطبعات وأكملها ، طبعة مكتبة دار الأقصى بالكويت سنة ١٤٠٦ هـ بتحقيق / محمد بن ناصر العجمى .

٦٦- وجوب إخراج الزكاة على الفور : وقد حققه الأخ عادل الجهنى وقدمه موضوعا لمادة البحث فى السنة الرابعة من كلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٩ هـ .

٦٧- وقعة بدر : ذكره ابن حميد[3] .

القسم الثانى : ويشتمل على الكتب التى تنسب لابن رجب وهى اما ليست له أو شى مأخوذة من بعض كتبه ولم يؤلفها هو استقلالا .

١ - كتاب مختصر شعب الايمان : ينسب لابن رجب وممن نسبه لابن رجب جندى محمود شلاش الهيتى فى مقدمة كتاب الاستخراج لابن رجب

---

(١) لعله مناقب الامام أحمد .
(٢) الجوهر المنضد (ص ٥١) .
(٣) السحب الوابلة (١٩٨) .

حينما قام بتحقيقه والحقيقة ان هذا وهم لأن الكتاب هو مختصر شعب الايمان للقزويني وقد قارنت بينهما فوجدت أنهما شيء واحد، اضافة إلى أنني لم أجد أحدا ممن ترجم لابن رجب نسب هذا الكتاب إليه ، وهذا الكتاب المنسوب لابن رجب توجد صورة له في مكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم ٦٦٦ .

٢ ـ أسباب المغفرة : وهو مطبوع بتحقيق / أشرف بن عبد المقصود وهو مأخوذ من كتاب جامع العلوم والحكم .

٣ ـ بغية الانسان في وظائف رمضان : المكتب الاسلامي سنة ١٤٠٥هـ وهو مأخوذ من كتاب لطائف المعارف .

٤ ـ مجالس في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : دار ابن كثير ـ دمشق الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ تحقيق / ياسين السواس ومحمود الأرناؤوط وهو مأخوذ من كتاب لطائف المعارف .

المبحث السابع
عقيدته ومذهبه

أ) عقيدته :

تتضح عقيدة ابن رجب رحمه الله تعالى من خلال هذا الموضوع بشكل عام الا انني رأيت أن اعطى صورة اجمالية عن عقيدته فهو رحمه الله سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث يقول بما قال به الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة المشهورون من أئمة السلف الصالح رحمهم الله تعالى الذين كانوا لا يألون جهدا في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة ، والذين يؤمنون بأسماء الله وصفاته التي ثبتت بكتاب الله سبحانه وتعالى ، وشهد بها له رسوله عليه الصلاة والسلام كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولاتمثيل.

والحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى كباقي أئمة السلف رحمهم الله تعالى لم يشغل نفسه بحشو المتفلسفة والمتكلمين من أمثال الجهميةوالمعتزلة والاشاعرة ومن ماثلهم وسار على نهجهم ، وانما كان رحمه الله تعالى حريصا كل الحرص على اعتماد منهج السلف الصالح في جميع أبواب العقيدة ، وكلامه في ثنايا مؤلفاته أكبر شاهد على هذا .

ولم يكن ابن رجب رحمه الله تعالى على معتقد السلف فحسب بل كان من الدعاة اليه .

وسوف أشير إلى نبذة من أقواله التي تدل على معتقده.

١ — يقول رحمه الله تعالى : ... والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك البتة . (١)

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ٣٣) .

٢ ـ ويقول رحمه الله تعالى أيضا فى شرحه لحديث أختصام الملأ الأعلى " ... وأما وصف النبى صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بما وصفه به فكل ما وصف النبى صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل فهو حق وصدق يجب الايمان والتصديق به كما وصف الله عز وجل به نفسه مع نفى التمثيل عنه ... "(١)

ومما يدل على عقيدته السلفية أيضا نقده لبعض علماء الحنابلة الذين كان لهم شهرة كبيرة ومع ذلك كان عندهم ميل الى التأويل فى بعض كلامهم كابن الجوزى ، يقول ابن رجب رحمه الله تعالى وهو يذكر الوجوه التى تؤخذ على ابن الجوزى ومنها ـ أى من الوجوه التى تؤخذ عليه : " وهو الذى من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من ميله إلى التأويل فى بعض كلامه ، واشتد نكرهم عليه فى ذلك .

ولا ريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختلف ، وهو وان كان مطلعا على الأحاديث والآثار فى هذا الباب ، فلم يكن خبيرا بحل شبهة المتكلمين وبيان فسادها .

وكان معظما لأبى الوفاء بن عقيل(٢) يتابعه فى أكثر ما يجد فى كلامه

---

(١) اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص ٤٠ ، ٤١)

(٢) أبو الوفاء على بن عقيل بن عبد الله البغدادى الحنبلى ، من أئمة الحنابلة ، له مؤلفات عديدة منها : الفنون فى شتى العلوم فى أربعمائة جزء ، اتهم ببعض أراء المبتدعة ، ويقال انه رجع وتاب ، توفى سنة ٥١٣ هـ .
سير أعلام النبلاء (١٩ / ٤٤٣) والذيل على طبقات الحنابلة (١ / ١٤٢) .

وان كان قد رد عليه فى بعض المسائل ، وكان ابن عقيل بارعا فى الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب فى هذا البـــاب وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له فى هذا التلون (١) .

ومراد ابن رجب أن ابن الجوزى يتبع ابن عقيل فى ارائه ، لأن ابن عقيل ليس هو شيخه المباشر ، فابن الجوزى ولد قبل وفاة ابن عقيل بسنة .

٢) مذهبـــه :

وأما مذهبه فهو على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالـى لأن البيئـــــــة التى عاش فيها والعلماء الذين تلقى العلم عنهـم من علماء الحنابلة .

وقد كانت له يد مشكورة فى المذهب الحنبلى حيث الف فيه كتابـه " القواعد الفقهية " سلك فيه مسلك أهل الترجيح والأختيار فى المذهـب وقد كان هذا الكتاب مرجعا لمن جاء بعده من العلماء ، اضافة إلى أنه الف كتابا ترجم فيه لعلماء الحنابلة وهو ذيل على طبقات الحنابلة الذى ألفـــه العلامة ابن أبى يعلى (٢) رحمه الله تعالى ، ومع ذلك فكون ابن رجب رحمه الله تعالى درس المذهب الحنبلى وتعلم المسائل منه الا أن ذلك لم يحمله على التعصب المذموم الذى حدا ببعض من ينتسب إلى العلم إلى تقديم المذهـب

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٤١٤) .

(٢) الامام العلامة أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء القاضى أبو يعلى البغدادى الحنبلى له ردود على الأشعرية والكراميـــة وغيرهم ، ومن مؤلفاته " طبقات الحنابلة " توفى سنة ٥٢٦ هـ . ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٧٦) والمنهج الأحمد (٢/ ٢٧٥)، وشذرات الذهب (٤/ ٧٩) .

على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن رحمه الله تعالى يندد بغيره على حين أنه حين استوت له المعرفة ، وبلغ مرحلة النضج كان يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة اللذين هما أصل الدين وملاكه ، واليهما المرجع في المسائل الشرعية .

بل إنه رحمه الله تعالى ذكر في بعض مؤلفاته أن الأصل الجامع والمرجع والحكم هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهما مقدمان على قول كل أحد كائن من كان اذا تبين مخالفة القول لهما ، وأقواله الدالة على هذه المعاني كلها كثيرة منها قوله رحمه الله تعالى عند قوله صلى الله عليه وسلم : " ... وان أفتاك المفتون ... " (١) يعني أن ما حاك في صدر الانسان فهو اثم ، وان أفتاه غيره بأنه ليس باثم فهذه مرتبة ثانية وهو أن يكون الشيء مستنكرا عند فاعله دون غيره ، وقد جعله أيضا اثما وهذا انما يكون اذا كان صاحبه ممن شرح صدره للايمان ، وكان المفتي يفتي له بمجرد الظن أو ميل الى هوى من غير دليل شرعي ، فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي ، فالواجب على المستفتي الرجوع اليه وان لم ينشرح له صدره وهذا كالرخصة الشرعية مثل الفطر في السفر والمرض وقصر الصلاة في السفر ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال ، فهذا لا عبرة به .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يأمر أصحابه بما لا تنشرح به صدور بعضهم فيمتنعون من قبوله ، فيغضب من ذلك كما أمرهم بفسخ الحج

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الامام أحمد (٤/١٩٤) عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه ، وقال ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذا الحديث : وهذا اسناد جيد .
جامع العلوم والحكم (٢/٢٥٠) وقد تكلم رحمه الله عن روايات وطرق هذا الحديث في الموضع المذكور .

إلى العمرة ، فكرهه من كرهه منهم ، وكما أمرهم بنحر هديهم والتحلل من عمرة الحديبية فكرهوه ، وكرهوا مفاوضته قريشا على أن يرجع من عامه ، وعلى أن من أتاه منهم يرده إليهم .

وفي الجملة فما ورد النص به فليس للمؤمن إلا طاعة الله ورسوله كما قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (١)

وينبغي أن يتلقى ذلك بانشراح الصدر والرضا ، فإن ما شرعه الله ورسوله يجب الإيمان والرضا به والتسليم له كما قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٢)

وأما ما ليس فيه نص من الله ورسوله ، ولا عمن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة ، فاذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالايمان المنشرح صدوره بنور المعرفة واليقين منه شيء ، وحك في صدره بشبهة موجودة ، ولم يجد من يفتي فيه بالرخصة الا من يخبر عن رأيه ، وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه بل هو معروف باتباع الهوى ، فهنا يرجع المؤمن الى ما حاك في صدره وان أفتاه هؤلاء المفتون" (٣)

ويقول رحمه الله تعالى أيضا مبينا أن المقصود هو اظهار الحق مهما خالف أقوال الرجال ، وهذا من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، يقول : فرد المقالات الضعيفة ، وتبين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ، ليس هو مما يكرهه العلماء ، بل مما يحبونه

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٦) .

(٢) سورة النساء آية (٦٥) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٢٥٩) .

ويمدحون فاعله ، ويثنون عليه فلا يكون داخلا في باب الغيبة بالكلية ، فلو فرض أن أحدا يكره اظهار خطئه المخالف للحق ، فلا عبرة بكراهته لذلك ، فان كراهة اظهار الحق اذا كان مخالفا لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة ، بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين له سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته ، وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم ، وذلك هو الدين كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما بيان خطأ من اخطأ من العلماء قبله اذا تأدب في الخطاب وأحسن الرد والجواب فلا حرج عليه ولا لوم يتوجه اليه . . . وقد بالغ الأئمة الورعون في انكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء وردها أبلغ الرد كما كان الامام أحمد ينكر على أبي ثور (١) وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها ، ويبالغ في ردها عليهم ، هذا كله حكم الظاهر ، وأما في باطن الأمر ، فان كان مقصوده في ذلك مجرد تبيين الحق ، ولئلا يغتر الناس بمقالات من أخطأ في مقالاته ، فلا ريب أنه مثاب على قصده ، ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم . . . وأما مراد الراد بذلك اظهار عيب من رد عليه وتنقصه وتبيين جهله وقصوره في العلم ونحو ذلك كان محرما سواء كان رده لذلك في وجه من رد عليه أو في غيبته ، وسواء كان في حياته أو بعد موته ، وهذا داخل فيما ذمه الله تعالى في كتابه وتوعد عليه في الهمز واللمز ودخل أيضا في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته" (٢)

---

(١) أبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الامام الحافظ ، قال الخطيب : كان أبو ثور يتفقه أولا بالرأي ويذهب الى قول العراقيين ، حتى قدم الشافعي فاختلف اليه ورجع عن الرأي الى الحديث ، توفي سنة ٢٤٠ هـ الجرح والتعديل (٢ / ٩٧) وتاريخ بغداد (٦ / ٦٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٤٢٤) وأبو داود : كتاب الأدب ـ باب في الغيبة (٥ / ١٩٤) والترمذي : كتاب الأدب ـ باب ما جاء في تعظيم المؤمن (٤ / ٣٧٨) .

===

وهذا كله فى حق العلماء المقتدى بهم فى الدين ، فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء ، وليس منهم ، فيجوز بيان جهلهم واظهار عيوبهم تحذيرا من الاقتداء بهم ، ومن عرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله فانه يجب أن يعامل بالاكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين ... ومن تبعهم باحسان ، ومن عرف أنه أراد برده عليهم التنقيص والذم ، واظهار العيب ، فانه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة .(١)

وهذا كله يدل على حرصه رحمه الله تعالى على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما .

=== وقال : هذا حديث حسن غريب ، والطبرانى فى الكبير (١١ / ١٨٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٩٤) رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير (ص ٣٢ — ٣٦) .

المبحث الثامن
مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

لقد أثنى على ابن رجب رحمه الله تعالى كثير من العلماء وأشادوا بفضله ومكانته العلمية ، وشهدوا له بالحفظ وسعة العلم والمعرفة والانصراف عن الدنيا والاقبال على العلم وذلك لتمكنه في علوم كثيرة ، فاستحق بذلك ثناء العلماء عليه ، وتقديرهم له ، وأقوال العلماء التى سأذكر تبين مكانته العلمية بين علماء عصره :

وصفه تلميذه علاء الدين ابن اللحام فقال : شيخنا الامام العلامة الأوحد الحافظ شيخ الاسلام ، مجلى المشكلات ، وموضح المبهمات ... (١)

وقال أيضا : شيخنا الامام العالم الحافظ بقية السلف الكرام ، وحيد عصره ، وفريد دهره شيخ الاسلام زين الدين ... (٢)

وقال ابن حجي : أتقن الفن ، وصار أعرف أهل عصره بالعلل ، وتتبع الطرق ، وكان لا يخالط أحدا ولا يتردد الى أحد ... تخرج به غالب أصحابنا الحنابلة بدمشق . (٣)

وقال ابن فهد المكي : الامام الحافظ الحجة ، والفقيه العمدة ، أحد العلماء الزهاد ، والأئمة العباد ، مفيد المحدثين ، واعظ المسلمين ... وكان رحمه الله تعالى اماما ورعا زاهدا مالت القلوب بالمحبة اليه ، وأجمعت الفرق عليه ، كانت مجالس تذكيره الناس عامة نافعة وللقلوب صادعة . (٤)

(١ ، ٢) الجوهر المنضد (ص ٤٩) .

(٣) انباء الغمر (٣/١٧٦) .

(٤) لحظ الألحاظ (ص ١٨٠ ، ١٨١) .

وقال ابن ناصر الدين : كان أحد الائمة الحفاظ الكبار والعلماء الزهاد الأخيار.(١)

وقال أيضا : الشيخ الامام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة ، واعظ المسلمين ومفيد المحدثين ...(٢)

وقال الحافظ ابن حجر : مهر في فنون الحديث أسماء ورجالا وعللا وطرقا واطلاعا على معانيه ...(٣)

وقال أيضا : الشيخ المحدث الحافظ ... أكثر من المسموع وأكثر من الاشتغال حتى مهر ...(٤)

وقال ابن عبد الهادي : الشيخ الامام ، أوحد الأنام ، قدوة الحفاظ جامع الشتات والفضائل ... الفقيه الزاهد البارع الأصولي المفيد المحدث .(٥)

وقال برهان الدين ابن مفلح : الشيخ العلامة الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة .(٦)

وقال ابن قاضي شهبة : الشيخ الامام العلامة الحافظ شيخ الحنابلة وفاضلهم ، أوحد المحدثين ...(٧)

---

(١) التبيان لبديعة البيان ورقه (١٥٩) .

(٢) الرد الوافر (ص ١٠٦) .

(٣) انباء الغمر (٣/١٧٦) .

(٤) الدرر الكامنة (٢/٤٢٨ ، ٤٢٩) .

(٥) الجوهر المنضد (ص ٤٦ ، ٤٧) .

(٦) المقصد الأرشد ورقه (١٦١) .

(٧) تاريخ ابن قاضي شهبة ورقه (١٤٠/أ) وأنظر الجوهر المنضد (٤٧) .

وقال العليمي : الشيخ الامام العالم العامل العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة زين الملة والشريعة والدنيا والدين شيخ الاسلام وأحد الاعلام واعظ المسلمين مفيد المحدثين جمال المصنفين كان أحد الأئمة الحفاظ الكبار والعلماء الزهاد الأخيار . (١)

وقال السيوطي : الامام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ . (٢)

وقال النعيمي : الشيخ العلامة الحافظ الزاهد شيخ الحنابلة . (٣)

وقال ابن العماد الحنبلي : الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب . (٤)

وقال مرعي بن يوسف الكرمي : الشيخ الامام العلامة الزاهد القدوة الحافظ العمدة الثقة الحجة واعظ المسلمين ، مفيد المحدثين ... أحد الأئمة الزهاد والعلماء العباد ... (٥)

ونختم ذلك بقول صاحب الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء :
هو الامام الأصولي المحدث الفقيه الواعظ الشهير كان اماما في العلوم له مصنفات كثيرة . (٦)

وهكذا تظهر لنا هذه الأقوال والتي نقلناها من علماء كبار عاصروا ابن رجب أو تتلمذوا عليه أو قرأوا مؤلفاته ، تظهر المنزلة الرفيعة التي تبوأها ابن رجب رحمه الله تعالى بين علماء عصره .

---

(١) المنهج الأحمد ورقه (٤٧٠) .
(٢) طبقات الحفاظ (ص ٥٤٠) .
(٣) الدارس في تاريخ المدارس (٢ / ٧٦) .
(٤) شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩) .
(٥) الشهادة الزكية (ص ٤٩) .
(٦) التاج المكلل (ص ٣٢٥) .

الباب الثاني :-

أثر ابن رجب في توضيح عقيدة السلف في التوحيد وأنواعه ونواقضه .

الباب الثاني

أثر ابن رجب في توضيح عقيدة السلف في التوحيد وأنواعه ونواقضه

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : تعريف التوحيد وبيان أنواعه والعلاقة بينها .

الفصل الثاني : توحيد الربوبية .

الفصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الرابع : توحيد الألوهية .

الفصل الخامس : نواقض التوحيد .

الفصل الأول

تعريف التوحيد، وبيان أنواعه والعلاقة بينها.

الفصل الأول
تعريف التوحيد وبيان أنواعه والعلاقة بين هذه الأنواع

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : تعريف التوحيد لغة .

المبحث الثانى : تعريف التوحيد شرعا .

المبحث الثالث : أنواع التوحيد .

المبحث الرابع : العلاقة بين أنواع التوحيد .

المبحث الأول

تعريف التوحيد لغة

التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدا أي جعله واحدا ، وكلمة التوحيد مصدر الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه وهي تعني الوحدة والانفراد .

قال ابن فارس (١) : الواو والحاء والدال أصل واحد ، يدل على الانفراد من ذلك الوحدة ، وهو واحد قبيلته ، اذا لم يكن فيهم مثله . (٢)

وقال الجوهري (٣) : الوحدة الانفراد ، تقول رأيته وحده . (٤)

وقال الراغب (٥) الاصفهاني : الوحدة الانفراد ، والوحدة في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة ، ثم يطلق على كل موجود حتى انه ما من عدد الا ويصح أن يوصف به ، فيقال عشرة واحدة ، ومائة واحدة ، وألف واحد .

---

(١) هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي اللغوي الأديب من تصانيفه : مقاييس اللغة ، والمجمل ، توفي سنة ٣٩٥ هـ معجم الأدباء (٤ / ٨٠) ووفيات الأعيان (١ / ١١٨) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦ / ٥٨) .

(٣) هو اسماعيل بن حماد الجوهري ، صاحب كتاب " الصحاح " في اللغة توفي سنة ٣٩٦ هـ .
معجم الأدباء (٦ / ١٥١) وبغية الوعاة (١ / ٤٤٦) .

(٤) الصحاح (٢ / ٥٤٧) .

(٥) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الاصبهاني ، المعروف بالراغب ، اشتهر في عصره وكان من المتكلمين ، له كتب في الاعتقاد والتفسير منها : المفردات في غريب القرآن ، توفي سنة ٥٠٢ هـ سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٢٠) وبغية الوعاة (٢ / ٢٩٧)

وقال : وأحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى .(١)

وقال ابن الأثير(٢): فى أسماء الله تعالى : الواحد هو الفـــرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر .(٣)

وقال أبو هلال العسكرى(٤): ... والواحد يفيد الانفراد فى الذات أو الصفة ... وتقول : الله واحد تريد أن ذاته منفردة عن المثـــل والشـبه .(٥)

وقال أيضا : الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد يفيد أنه فـارق غيره ممن شاركه فى فن من الفنون ، ومعنى من المعانى كقولك فارق فـــلان أوحد دهره فى الجود والعلم تريد أنه فوق أهله فى ذلك .

وقال أيضا : ... والوحدانية تفيد نفى الأشكال والنظراء ولا يستعمل فى غير الله ...(٥)

---

(١) المفردات (ص ٥١٤) .

(٢) أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانـــى الجزرى قرأ الحديث والعلم والأدب ، وكان ورعا ذا بر واحسان ، له مؤلفات كثيرة مفيدة ومنها : النهاية فى غريب الحديث ، وجامع الأصول ، توفى سنة ٦٠٦ هـ .
معجم الأدباء (٦/٢٣٨) والعبر (٣/١٤٣) وبغية الوعـــاة (٢/٢٧٤) .

(٣) النهاية لابن الأثيـــر (٥/١٥٩) .

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكرى ، عالم بالأدب له مؤلفات منها : الفروق اللغوية ، توفى سنة ٣٨٢ هـ
معجم الأدباء (٨/٢٥٨) .

(٥) الفروق اللغوية (ص ١١٤ ، ١١٥) .

وقال الزجاج (١) : وقال بعض أصحاب المعانى : الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط ، والأحد : يفيده بالذات والمعانى وعلى هذا جاء فى التنزيل : (قل هو الله أحد) (٢) .

أراد : المنفرد بوحدانيته فى ذاته وصفاته تعالى الله علوا كبيرا (٣) .

فالله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الذى انفرد بذاته وصفاته مع عدم المثيل والنظير .

وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذا فى تفسيره لسورة الأخلاص حيث قال : وأحد اسم من أسماء الله يسمى الله به ، ولا يسمى به غيره من الأعيان به ، فلا يسمى شئ من الأشياء أحدا فى الاثبات الا فى الأعداد المطلقة ، وانما يسمى به فى النفى ، وما أشبهه من الاستفهام ، والنهى ، والشرط ، كقوله تعالى : (ولم يكن له كفوا أحد) (٤) وقوله (هل تحس منهم من أحد) (٥) وقوله (فلا تدعو مع الله أحدا) (٦) وقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) (٧) ونحوه .

والأحد : هو الواحد فى الهيته وربوبيته (٨) .

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن سرى بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة له كتب منها : تفسير اسماء الله الحسنى ، توفى سنة ٣١١ هـ .
معجم الأدباء (١/ ٤٧) .

(٢) سورة الاخلاص آيه (١) .

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص ٥٧) .

(٤) سورة الاخلاص من آية (١) .

(٥) سورة مريم آية (٩٨) .

(٦) سورة الجن آية (١٨) .

(٧) سورة التوبة آية (٦) .

(٨) تفسير سورة الاخلاص (٨٧ — ٨٩) وما بعدها .

ثم طرح ابن رجب رحمه الله تعالى استفسارا ، وأجاب عليه حيث قال

سؤال : قوله " الله أحد " ولم يقل الأحد كما قال الصمد ؟

جوابه : أن الصمد يسمى به غير الله ... فأتى فيه بالألف واللام ليدل على أنه سبحانه هو المستحق لكمال الصمدية ، فان الألف واللام تأتى لاستغراق الجنس تارة ، ولاستغراق خصائص أخرى كقوله : زيد هو الرجل أى الكامل فى صفات الرجولة ، فكذلك قوله (الله الصمد)[١] أى الكامل فى صفات الصمدية ، وأما الأحد فلم يتسم به غير الله ، فلم يحتج فيه إلى الألف واللام.[٢]

هذه هى أقوال أهل اللغة التى تبين المعنى اللغوى لكلمة التوحيد ونخلص منها إلى أن المعنى اللغوى لكلمة التوحيد يدور حول شئ واحد ألا وهو الوحدة والانفراد بالشئ ، والله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك ولا مثيل ولا نظير له فى ذلك كما قال تعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد)[٣]

---

(١) سورة الاخلاص آية (٢) .

(٢) تفسير سورة الاخلاص (ص ٨٩) .

(٣) سورة الاخلاص .

المبحث الثاني
تعريف التوحيد شرعا

مما سبق في التعريف اللغوي يتبين لنا أن الله تبارك وتعالى واحد في ذاته ، وأسمائه وصفاته ، وربوبيته وألوهيته .

فعلى هذا فتوحيد الله معناه علم العبد واعترافه واعتقاده بتفرد الرب تبارك وتعالى بصفات الكمال وأنه لا شريك له واعتقاد أنه هو وحده الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون ، وله الكمال المطلق ، وأنه ذو الألوهية على خلقه أجمعين ، فهو المستحق للعبادة دون سواه .

قال السفاريني [١] رحمه الله تعالى في تعريف التوحيد : وهو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا ، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ، ولا تشبه صفاته الصفات ، ولا تنفك عن الذات ، ولا يدخل أفعاله الاشتراك فهو الخالق دون سواه .[٢]

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [٣] رحمه الله :

---

(١) محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي ، محدث ، أصولي ، له تصانيف كثيرة منها : البحور الزاخرة في أمور الآخرة ، ومنها : لوامع الأنوار ، توفي سنة ١١٨٨ هـ .
مختصر طبقات الحنابلة للشطي (١٤٠) ومعجم المؤلفين لكحالة (٢٦٢/٨) .

(٢) لوامع الانوار البهية (٥٧/١) .

(٣) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الفقيه المحدث ، من أئمة الدعوة المجاهدين ، وكان آية في العلم ، وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ، له مؤلفات مفيدة نافعة منها : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، قتل سنة ١٢٣٣ هـ رحمه الله تعالى .
هدية العارفين (٤٠٨/١) وعلماء نجد خلال ستة قرون (٢٩٣/١) وعنوان المجد في تاريخ نجد (٢١٢/١) .

سمى دين الاسلام توحيدا ، لأن مبناه على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد فى ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد فى ألوهيته وعبادته لا ند له .(١)

وقد دلت الآيات الكثيرة فى كتاب الله سبحانه وتعالى على هذه المعانى كلها .

فقد دل قوله تعالى : (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ...)(٢) الآية ، على أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والرزق والاماتة والاحياء دون سواه فلا يتوجه الى أحد سواه فى جلب نفع أو دفع ضر لأن من سواه عاجزون عن فعل شىء من ذلك ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية أى لا يقدر أحد منهم على فعل شىء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والاماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله : (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .(٣)

ودل قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)(٤) على افراد الله عز وجل بالعبادة وحده دون سواه فلا يصرف شىء من العبادات لغيره عز وجل

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٢ ، ٣٣) .
(٢) سورة الروم آية (٤٠) .
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٥) .
(٤) سورة آل عمران آية (٦٤) .

قال ابن جرير الطبري (١) رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية

قل يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والانجيل ، تعالوا : هلموا الى كلمة سواء ، يعني الى كلمة عدل بيننا وبينكم ، والكلمة العدل : هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره ، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا . . . ". (٢)

ودل قوله تعالى (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٣) على تفرد الرب عز وجل بذاته واسمائه وصفاته التي لا نظير ولا مثيل له فيها ، فذاته لا تشبه ذوات المخلوقين وكذلك أسماؤه وصفاته كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٤)

والآيات الدالة على هذه المعاني كثيرة جدا ، وسيأتي ان شاء الله تعالى مزيد من ايضاح ذلك في الفصول القادمة.

---

(١) الامام العلم أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري . قال الذهبي : " كان ثقة ، صادقا ، حافظا ، رأسا في التفسير ، اماما في الفقه والاجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفا بالقراءات وباللغة وغير ذلك " ، له مصنفات مفيدة منها : جامع البيان في تفسير القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك ، وغيرهما ، توفي سنة ٣١٠ هـ تاريخ بغداد (٢ / ١٦٢) وسير اعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧) ومعرفة القراء الكبار (١ / ٢٦٤) وغاية النهاية (٢ / ١٠٦) .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢) .

(٣) سورة الحشر الآيات (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) .

(٤) سورة الشورى آية (١١) .

المبحث الثالث
أنواع التوحيد

ان المتتبع للقرآن الكريم يجده من أوله الى آخره يقرر العقيدة الصحيحة ويبينها ويوضحها خير بيان وايضاح .

فسور القرآن الكريم متضمنة لجميع أنواع التوحيد .

وعلماء الاسلام رحمهم الله تعالى قسموا التوحيد الى اقسام ، وذلك استنباط منهم من نصوص الكتاب والسنة .

وهذه الأقسام منهم من يجعلها قسمين كالحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى ومنهم من يجعلها ثلاثة أقسام وعلى هذا درج أكثر العلماء ، ومنهم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى ، ومنهم من يجعلها أربعة أقسام.(١)

والحقيقة أن نصوص الكتاب الكريم ، والسنة الشريفة ، لم يرد فيها تصريح بتقسيم التوحيد الى أقسام ، لكن هذه النصوص تضمنت هذا التقسيم الذى قسم العلماء التوحيد اليه ، لأن المتتبع لهذه النصوص يجد قسماً منها يتحدث عن أفعال الله تبارك وتعالى من الاحياء والاماتة والخلق والرزق وانزال المطر وجلب النفع ودفع الضر ، وغيرها ، وهو ما يسميه العلماء توحيد الربوبية .

وقسم آخر من النصوص يتحدث عن بيان أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التى اتصف بها الله تبارك وتعالى التى لا مثيل ولا نظير ولا شبيه له فيها وهو ما يسميه العلماء توحيد الاسماء والصفات .

وقسم آخر من النصوص يبين وجوب اخلاص العمل لله عز وجل ، وافراده بالعبادة دون سواه ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وهو ما يسميه العلماء توحيد الالهية أو توحيد العبادة .

---

(١) انظر مقدمة كتاب التوحيد لابن منده ، تحقيق الدكتور / على بن ناصر فقيهى .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى : وغالب سور القرآن ، بل كل سورة فى القرآن فهى متضمنة لنوعى التوحيد ، بل نقول قولا كليا : ان كل آية فى القرآن فهى متضمنة للتوحيد ، شاهدة به ، داعية اليه .

فان القرآن : اما خبر عن الله ، واسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو التوحيد العلمى الخبرى ، واما دعوة الى التوحيد الارادى الطلبى ، واما أمر ونهى ، والزام بطاعته فى نهيه وأمره ، فهى حقوق التوحيد ومكملاته ، واما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، واما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال ، وما يحل بهم فى العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه . (١)

والخلاصة أن انواع التوحيد لا تخرج عن هذه الأنواع الثلاثة :

١ — توحيد الله بأفعاله كالرزق والاحياء والاماتة وغيرها من أفعاله تبارك وتعالى وهو ما يسمى بتوحيد الربوبية .

٢ — توحيد الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى التى ليس له فيها نظير ولا شبيه ولا مثيل عز وجل ، وهو ما يسمى بتوحيد الأسماء والصفات .

٣ — توحيد الله بأفعال العباد وهو صرف جميع أنواع العبادة له وحده دون سواه ، وهو ما يسمى بتوحيد الألوهية .

والحقيقة ان تقسيم العلماء رحمهم الله تعالى التوحيد الى هذه الاقسام انما هو عبارة عن تفسير وتوضيح وشرح لنصوص كتاب الله سبحانه وتعالى

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٩ ، ٤٥٠) .

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخلاف الذى بينهم فى تقسيم التوحيد وبيان أنواعه خلاف لفظى ، لأنهم جميعا يتفقون على أن انواع التوحيد لا تخرج عن هذه الأنواع الثلاثة السابقة الا أن الذين جعلوه نوعين جعلوا توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، نوعا واحدا ، وسموه توحيد المعرفة والاثبات ، وجعلوا توحيد الألوهية نوعا مستقلا والذين قسموه الى أربعة أنواع جعلوا التوحيد فى الأسماء نوعا والتوحيد فى الصفات نوعا منفردا بالاضافة الى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

وهناك من يجعل النوع الرابع : هو توحيد المتابعة (١) للنبى صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى انواع التوحيد الثلاثة المشهورة .

وقد تحدث ابن رجب رحمه الله تعالى فى مؤلفاته عن أنواع التوحيد وبينها وأوضحها ، وهو ما سأتحدث عنه ان شاء الله تعالى فى الفصول القادمة لأبين ما لابن رجب رحمه الله تعالى من أثر فى توضيح هذه الأنواع .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٢١٧) وكتاب القول المفيد فى أدلة التوحيد للعبدلى (ص٢٠) .

المبحث الرابع
العلاقة بين انواع التوحيد

بعد أن عرفنا فيما سبق حقيقة التوحيد وأنواعه التى هى توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، يحسن بنا أن نعرف العلاقة بين هذه الأنواع ، وصلتها ببعضها ، وهل هى متلازمة فى الوجود بمعنى أن بعضها لا يوجد بدون الآخر ؟ أم أنها غير متلازمة ، وهل يغنى اعتقادُ بعضها فقط أم لابد من اعتقاد جميعها .

والحقيقة أن بينها علاقة متينة ، وصلة قوية

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، لأنه من اعترف بأن الله عز وجل هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ، وأنه رب كل شئ ومليكه يحتم عليه ذلك أن يخلص العبادة لله عز وجل بجميع أنواعها لأنه تبارك وتعالى ذو الألوهية المستحق للعبادة وحده دون سواه ، لأن جميع الأمور بيده ، فلا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، ولا هادى لمن أضل ، ولا ضال لمن هدى سواه عز وجل ، ولهذا نجد الآيات الواردة فى القرآن الكريم فى توحيد الربوبية تحث وترشد الى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة ما سواه ، وعدم صرف أى نوع من أنواع العبادة لغيره عز وجل ، كما قال عز وجل (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم ، والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا ، والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (١) .

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية : شرع

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢) .

تبارك وتعالى في بيان وحدانية الوهيته ، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده باخراجهم من العدم الى الوجود ، واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشا أي مهدا كالفراش مقررة موطأة مثبتةبالرواسى الشامخات ، والسماء بناء ، وهو السقف كما قال في الآية الأخرى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) (١)

(وأنزل من السماء ماء) والمراد به السحاب ههنا في وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقا لهم ، ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ، ومن أشبه آية بهذه آية قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) (٢) ومضمونه أنه الخالق الرزاق مالك الدار وساكنيها ، ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ، ولا يشرك به غيره ، ولهذا قال (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وفى الصحيحين (٣) عن ابن مسعود قال : قلت : يارسول الله ، أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك .... " الحديث. (٤)

وقد أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى هذا المعنى حيث قال :

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٢).

(٢) سورة غافر آية (٦٤).

(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (٥/١٤٨).

وصحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان اعظمها بعده (١/٩٠).

(٤) تفسير ابن كثير (١/٥٧).

....فان من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه واحيائه واماتته فى الدنيا ، وبمغفرة ذنوبه فى الآخرة ، مستحق أن يفرد بالألوهية والعبادة والسؤال والتضرع والاستكانة قال الله عز وجل (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون) (١) (٢) ...

وقال أيضا رحمه الله تعالى : ... وتحقيق هذا يقتضى انقطاع العبد عن التعلق بالخلق وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضر ، وخوفهم من ايصال ضر أو منع نفع ، وذلك يستلزم افراد الله سبحانه بالطاعة والعبادة أيضا ... وأن تقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا (٣) ....

وقال أيضا رحمه الله تعالى : ... فاذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر وبالعطاء والمنع أوجب ذلك افراده بالطاعة والعبادة ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا ، كما يوجب ذلك أيضا افراده سبحانه بالاستعانة به ، والطلب منه (٤) ...

فمن أقر بتوحيد الربوبية ولم يقر بتوحيد الألوهية ، فان ذلك لا ينفعه شيئا ، لأن المشركين كانوا مقرين بهذا النوع من التوحيد كما ذكر الله تبارك وتعالى ذلك فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة .

منها قوله تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) (٥) .

---

(١) سورة الروم آية (٤٠) .
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨٤) .
(٣) نور الاقتباس (ص ٨٠) .
(٤) المرجع السابق (ص ٧٩) .
(٥) سورة يونس آية (٣١) .

ومنها قوله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون)(١) وغيرها من الآيات ومع هذا لم ينفعهم هذا الاعتراف ، لأنهم لم يوحدوا الله تبارك وتعالى بالعبادة كما قال عز وجل (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)(٢) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)(٣).

اذا من اعترف بتوحيد الربوبية يلزمه أن يخلص العبادة لله وحده دون سواه ، ومن لم يفعل ذلك فان اقراره بتوحيد الربوبية لا ينفعه شيئا كما لم ينفع المشركين من قبل .

وأما توحيد الألوهية الذى يسمى توحيد العبادة ، ويسمى أيضا بتوحيد القصد والطلب ، فانه متضمن لتوحيد الربوبية ، ومعنى كونه متضمنا له أن توحيد الربوبية داخل فى ضمن توحيد الألوهية لأن من عبد الله وحده لا شريك له ، وأخلص العبادة له لابد أن يكون قد اعتقد بأن الله رب كل شيء ومليكه ، وانه لا رب سواه ولا مالك غيره ، فهو يعبده لأنه يعلم أنه مستحق للعبادة دون سواه .

ولذلك نجد الآيات الكثيرة تبين أن الالهة التى عبدها المشركون من دون الله ليس بيدها شيء ، وأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا فهى لا تملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

---

(١) سورة المؤمنون من آية (٨٤ الى ٨٩).

(٢) سورة يوسف آية (١٠٦).

(٣) سورة الزمر آية (٣).

ومن تلك الآيات قوله تعالى : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون) (١)

وقال تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون) (٢).

فهذه الآيات تبين للمشركين أن آلهتهم التى يعبدون من دون الله غير مستحقة العبادة ، لأن الذى يستحق العبادة هو من بيده الخلق والرزق والاحياء والاماتة ، والضر ، والنفع ، وهو الله سبحانه وتعالى وحده

فتوحيد الألوهية لا يصح بدون توحيد الربوبية لأن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا فى عبادته لكنه مع ذلك اعتقد أن لغير الله تأثير فى شئ من دفع ضر أو جلب نفع أو تصرف فعبادته لا تغنى عنه شيئا يقول ابن أبى العز (٣) رحمه الله تعالى : التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية (٤).

---

(١) سورة النحل آية (٢٠).

(٢) سورة النحل آية (٧٣).

(٣) هو علي بن علي بن محمد بن أبى العز الحنفى الدمشقى ، عالم فقيه تولى القضاء بدمشق ثم بالديار المصرية ، واستفاد من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم كثيرا ، له كتب مفيدة نافعة منها : شرح العقيدة الطحاوية ، والاتباع ، توفى سنة ٧٩٢ هـ رحمه الله تعالى .
الدرر الكامنة (٣/٨٧) وشذرات الذهب (٦/٣٢٦)

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٢).

وأما توحيد الأسماء والصفات فانه مستلزم للنوعين الماضيين لأن من اعترف بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وأنه لا نظير ولا شبيه ولا مثيل له في ذلك ، يلزمه أن يعترف بأنه رب واحد لا شريك له ويلزمه أيضا أن يخلص العبادة له وحده دون سواه .

كما أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الاسماء والصفات ، لأن من أخلص العبادة لله وحده يعتقد أن الله واحد في اسمائه وصفاته مع عدم المثيل والنظير والشبيه له في ذلك ، والا فلا معنى لعبادته بدون ذلك .

وبهذا يتبين أن التوحيد الصحيح هو الاتيان بأنواع التوحيد كلها لأنها مرتبطة بعضها ببعض ، ولا يتحقق التوحيد الصحيح الا بها جميعها. وهو ما جاءت به الآيات الكثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى وجاءت به السنة النبوية .

وهذا ما قرره علماء السلف رحمهم الله تعالى .

يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى : وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى ، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ، واليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم الى آخرهم ... (١)

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في معرض كلامه من أنواع التوحيد : ... وهي متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر ، فما ذاك الا أنه لم يات به على وجه الكمال المطلوب ... (٢)

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية (ص ٢٧) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٩٣) .

الفصل الثاني :

توحيد الربوبية

الفصل الثانى
توحيد الربوبية

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : تعريفه لغة .

المبحث الثانى : تعريفه شرعاً .

المبحث الثالث : دلائل توحيد الربوبية :

١ ـ دلالة الفطرة .

٢ ـ دلالة النعم .

٣ ـ دلالة خلق السموات والأرض .

٤ ـ دلالة خلق النبات .

المبحث الأول
تعريف توحيد الربوبية لغة

الربوبية مصدر من رب يرب ربابة وربوبية .

قال الراغب الاصفهاني : الربوبية مصدر يقال في الله عز وجل ، والربابة تقال في غيره . (١)

قال الجوهري : رب كل شيء : مالكه .

والرب : اسم من أسماء الله عز وجل ، ولا يقال في غيره الابالاضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك .

قال الحارث بن حلزة (٢) :

وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء

والرباني : المتأله العارف بالله تعالى ، وقد قال سبحانه : (كونوا ربانيين) (٣) وربيت القوم : سستهم ، أي كنت فوقهم .

قال أبو نصر : وهو من الربوبية ، ومنه قول صفوان : لأن يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن .

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ١٨٤) .

(٢) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي ، شاعر جاهلي ، من أهل بادية العراق ، وهو أحد أصحاب المعلقات .
طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١/١٥١) والشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٢٠٣) .

(٣) سورة آل عمران آية (٧٩) .

ورب الضيعة ، أى أصلحها وأتمها .

ورب فلان ولده يربه ربا ، وتربيه ، بمعنى أى رباه .[١]

وقال الراغب الأصفهانى أيضا : الرب فى الأصل التربية وهو انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام ، ويقال ربه ورباه وربيه ....

ولا يقال الرب مطلقا الا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور)[٢] وعلى هذا قوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا)[٣] وبالاضافة يقال له ولغيره نحو قوله (رب العالمين)[٤] و (ربكم ورب آبائكم الأولين)[٥] .

ويقال : رب الدار ورب الفرس لصاحبهما ...[٦]

وقال ابن منظور:[٧] رب كل شيء مالكه ومستحقه .

وقيل : صاحبه .

ويقال : فلان رب هذا الشيء أى ملكه له .

---

(١) الصحاح (١/ ١٣٠) .

(٢) سورة سبأ آية (١٥) .

(٣) سورة آل عمران آية (٨٠) .

(٤) سورة الفاتحة (٢) .

(٥) سورة الدخان آية (٨) .

(٦) المفردات فى غريب القرآن (ص ١٨٤) .

(٧) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم الأنصارى الافريقى المعروف بابن منظور ، أديب لغوى ، شارك فى علوم كثيرة ، له مصنفات كثيرة منها : لسان العرب ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، توفى سنة ٧١١هـ .
بغية الوعاة (١/ ٢٤٨) وحسن المحاضرة (١/ ٢١٩) وشذرات الذهب (٦/ ٢٦) .

وكل من ملك شيئا ، فهو ربه ، يقال هو رب الدابة ، ورب الدار وفلان رب البيت ...[١]

ويطلق الرب فى اللغة على معان عدة ، قال ابن الأثير : الرب يطلق فى اللغة على المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربى ، والقيم ، والمنعم ، ولا يطلق غير مضاف الا على الله تعالى ، واذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا ، وقد جاء فى الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير .[٢]

وقد ورد فى الحديث لفظ الرب مضافا الى غير الله تعالى كما فى صحيح مسلم عن رافع بن خديج أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر رب الأرض أن يزرعها أو يزرعها .[٣]

وأما قوله تعالى (اذكرنى عند ربك)[٤] فكما قال ابن الأثير رحمه الله تعالى (... فانه خاطبه على المتعارف عندهم ، وعلى ماكانوا يسمونهم به ، ومثله قول موسى عليه السلام للسامرى (وانظر إلى الهك)[٥] أى الذى اتخذته الها .

فأما الحديث فى ضالة الابل (حتى يلقاها ربها)[٦] فإن البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة ، فهى بمنزلة الأموال التى يجوز اضافة مالكيها إليها وجعلهم أربابا لها .[٧]

---

(١) لسان العرب (١ / ٣٩٩) .
(٢) النهاية لابن الأثير (٢ / ١٧٩) .
(٣) صحيح مسلم كتاب البيوع ، باب كراء الأرض بالطعام (٣ / ١١٨١) .
(٤) سورة يوسف آية (٤٢) .
(٥) سورة طه آية (٩٧) .
(٦) جزء من حديث أخرجه البخارى (٣ / ٧٩) ومسلم (٣ / ١٣٤٨) من حديث خالد الجهنى أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن ضالة الابل فقال " مالك ومالها ؟ معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها " .
(٧) النهاية لابن الأثير (٢ / ١٧٩) .

وخلاصة القول : أن الله سبحانه وتعالى هو مالكنا ، وهـــو سيدنا ومصلحنا وهو المطاع عز وجل ، والعباد كلهم له مملوكون تبـــارك وتعالى .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : فاسم الرب له الجمع الجامـــع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه ، والقادر عليه ، لا يخرج شـــيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته ، وتحت قهره .(١)

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٤) .

المبحث الثـــانى
تعريف توحيد الربوبية شـــرعا

يقصد بتوحيد الربوبية الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده هـو رب كل شئ ومليكه ، وهو الخالق الرزاق المحيي المميت الضار النافـــع المعطي المانع المتصرف فى هذا الكون بمشيئته المطلقة ، وليس له شريــك فى شئ من تلك الخصائص والصفات .

وربوبية الله على خلقه تعنى تفرده سبحانه فى خلقهم وملكهم ، وتدبير شؤونهم ، فلا شريك له فى الخلق ، ولا شريك له فى تصريف الأمور ولا يتـم شئ فى هذا الوجود صغير أو كبير الا باذنه تعالى وبمشيئته .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ... فتوحيــــد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شئ سواه باحداث أمر من الأمور بـل ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن . (١)

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذا المعنى فقال فـــى معرض شرحه لحديث* وصية ابن عباس : ... ثم ذكر بعد هذا كله الأصل الجامع الذى يبنى عليه هذه المطالب ، وهو تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر والنفع ، والعطاء والمنع ، وأنه لا يصيب العبد من ذلك كله الا ما سبـــق تقديره وقضاؤه له ، وأن الخلق كلهم عاجزون عن ايصال نفع أو دفع ضر غير مقدر فى الكتاب السابق ، وتحقيق هذا يقتضى انقطاع العبد عن التعلـــق بالخلق ، وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضر ، وخوفهـــم من ايصال ضر أو منع نفع ، وذلك يستلزم افراد الله سبحانه بالطاعــــــة والعبادة ... (٢)

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١٠/ ٣٣١) .
(٢) نور الاقتباس (ص ٨٠) .
(*) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣) وقال أحمد: إسناده صحيح ، حديث رقم (٢٦٦٩) وأخرجه الترمذى : كتاب صفة القيامة (٤/ ٦٦٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر طرق هذا الحديث والكلام عليها فى مقدمة كتاب نور الاقتباس /تحقيق محمد العجمى

وقال رحمه الله تعالى أيضا : فانه اذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر أو نفع أو ضر ، وان اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد شيئا البتة علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع والمعطي والمانع ، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل ، وافراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال وافراده أيضا بالعبادة والطاعة لأن المعبود انما يقصد بعباده تجلب المنافع ودفع المضار ، ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد مالا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئا . وأيضا فكثير ممن لا يحقق الايمان في قلبه يقدم طاعة مخلوق على طاعة الله رجاء نفعه أو دفعا لضره ، فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر وبالعطاء والمنع أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا كما يوجب ذلك أيضا افراده سبحانه بالاستعانة به ، والطلب منه ... (١)

وقال رحمه الله تعالى عند قوله صلى الله عليه وسلم : " ماشئت كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بك ، انك على كل شيء قدير "(٢) قال : فتبرأ من حوله وقوته ومشيئته بدون مشيئة الله وحوله وقوته واقراره بقدرته على كل شيء ، فإن العبد عاجز عن كل شيء الا ما قواه عليه ربه ، ففي هذا الكلام افراد الرب بالحول والقوة والقدرة والمشيئة ، فإن العبد غير قادر على ذلك كله إلا ما يقدره عليه مولاه وهذا نهاية توحيد الربوبية . (٣)

---

(١) نور الاقتباس (ص ٧٨ ، ٧٩) .

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٥/ ١٩١) والحاكم (١ / ١٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٣) شرح حديث زيد بن ثابت " لبيك اللهم لبيك " ورقة (٥) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا وهو يتكلم عن معنى لاحول ولا قوة الا بالله : ... فان تحقيق هذه الكلمة يقتضي تفويض الأمور الى الله ، وأنه لا يكون الا ماشاء ، والايمان بذلك يذهب الهم والغم ... (١)

وقد أوضح الله تبارك وتعالى هذا النوع من التوحيد أوضح بيان ، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من ذكره أو الاشارة اليه .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : وقد دل القرآن على هذا الأصل وهو تفرد الله سبحانه بالعطاء والمنع في مواضع كثيرة جدا كقوله تعالى : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده) (٢)

وقوله تعالى : (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ...) الآية . (٣)

وقوله تعالى : (قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (٤)

وقوله تعالى حاكيا عن نبيه نوح ـ عليه السلام ـ لقومه (إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ، فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم) . (٥)

---

(١) نور الاقتباس (ص ٨٣ ، ٨٤) .

(٢) سورة فاطر آية (٢) .

(٣) سورة يونس آية (١٠٧) .

(٤) سورة الزمر آية (٣٨) .

(٥) سورة يونس آية (٧١) .

وقوله تعالى حاكيا عن نبيه هود ـ عليه السلام ـ (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ....) (١) (٢)

ومن الآيات التى دلت على هذا النوع من التوحيد مما لم يذكره ابن رجب رحمه الله تعالى قوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون) (٣)

وقوله تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون ، أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (٤)

وقال تعالى (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) (٥)

---

(١) سورة هود من آية (٥٤ الى ٥٦) .

(٢) نور الاقتباس (ص ٨١) .

(٣) سورة يس آية (٨٢ ، ٨٣) .

(٤) سورة النمل من آية (٦٠ الى آية ٦٤) .

(٥) سورة السجدة آية (٢٧) .

وقوله تعالى : (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)(١) ٠

وهكذا نجد الآيات الكثيرة التى تبين تفرد الرب تبارك وتعالى بتوحيد الربوبية ، سواء كان على وجه الاجمال أوعلى وجه التفصيل فكلها تبين أن الامور كلها بيد الله عز وجل ، وأن كل ما يحدث فى الكون من صغير وكبير انما هو بقدرته ومشيئته عز وجل ٠

وهذا يقتضى من العبد التعرف على ربه عز وجل وخشيته ومحبته وخوفه ورجائه اذ لا صلاح له ولا سعادة الا بذلك لأن معرفة العبد ربه من أهم المهمات وأعظم الواجبات التى يجب على العبد معرفتها ، ولا تنفع الطاعة ما لم تكن معها معرفة وتقوى ٠

وقد أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى هذا المعنى فقال : فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه (٢) ٠

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أنه لا سبيل الى معرفة الله تعالى إلا بالعلم النافع وهو ماجاءت به الرسل ونزلت به الكتب من عند الله تبارك وتعالى فقال : ... فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته فى الآخرة ، الا بالعلم النافع الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، فهو الدليل عليه ، وبه يهتدى فى ظلمات الجهل والشبه والشكوك ، ولهذا سمى الله كتابه نورا يهتدى به فى الظلمات

---

(١) سورة الحديد آية (١٧) ٠

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٨١ ، ١٨٢) ٠

قال الله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ (١) ... (٢)

كما بين أيضا رحمه الله تعالى أن معرفة الله تبارك وتعالى وخشيته ومحبته والأنس به جنة معجلة فى الدنيا ، وهذه الجنة لا تحصل الا لمن دله علمه عليها وهو العلم النافع الذى تكون نهايته دخول الجنة،وأما من لم يتعلم العلم النافع الذى هو معرفة الله وخشيته فإنه يحرم جنة الدنيا المعجلة ونهايته فى الآخرة والعياذ بالله العذاب الأليم وما ذلك الا بسبب عدم الانتفاع بالعلم الذى تعلمه فقال رحمه الله تعالى : اعلم أن فى الدنيا جنة معجلة وهى معرفة الله ومحبته والأنس به والشوق الى لقائه وخشيته وطاعته ، والعلم النافع يدل على ذلك ، فمن دله علمه على دخول الجنة المعجلة فى الدنيا دخل الجنة فى الآخرة ، ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة فى الآخرة ، ولهذا كان أشد الناس عذابا فى الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وهو من أشد الناس حسرة يوم القيامة ، حيث كان معه آلة يتوصل بها الى أعلى الدرجات وأرفع المقامات ، فلم يستعملها الا فى التوصل الى أخس الأمور وأدناها وأحقرها فهو كمن معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها ببعرة أو شىء مستقذر ، ولا ينتفع به ، فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه بل أقبح ... (٣)

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى فى حديث وصية ابن عباس عن معرفة العبد لربه ، وذكر أن معرفة العبد لربه على نوعين حيث

---

(١) سورة المائدة آية (١٥) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٣/١٠٩) .

(٣) كتاب لطائف المعارف (ص ١٩١) .

قال رحمه الله تعالى : ... فمعرفة العبد لربه نوعان :

أحدهما : المعرفة العامة ، وهى معرفة الاقرار به ، والتصديق والايمان ، وهى عامة للمؤمنين .

والثانى : معرفة خاصة تقتضى ميل القلب الى الله بالكلية والانقطاع اليه ، والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه ، والهيبة له ، وهذه المعرفة الخاصة هى التى يدور حولها العارفون كما قال بعضهم : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها ، وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قيل له : وما هو؟ قال : معرفة الله عز وجل ".(١)

كما ذكر رحمه الله تعالى أن معرفة الله لعبده نوعان فقال : ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان :

معرفة عامة : وهى علمه تعالى بعباده ، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه ، كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه).(٢)

وقال تعالى : (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض ، واذا أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ...)(٣)

والثانى : معرفة خاصة : وهى تقتضى محبته لعبده وتقريبه اليه واجابة دعائه ، وانجاءه من الشدائد ، وهى المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه : "... ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢ / ٩٠ ، ٩١).

(٢) سورة ق آية (١٦).

(٣) سورة النجم آية (٣٢).

حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ،ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه "(١) الى أن قال " وفى الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة فى حال رخائه عامله الله باللطف والاعانة فى حال شدته "(٢)

وقال أيضا رحمه الله تعالى عند قوله صلى الله عليه وسلم : " تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ".

يعنى أن العبد اذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه فى حال رخائه ، فقد تعرف بذلك الى الله ، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة ، فعرفه ربه فى الشدة ، ورعى له تعرفه اليه فى الرخاء ، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة ، وهذه المعرفة خاصة تقتضى قرب العبد من ربه ومحبته له واجابته لدعائه .(٣)

وقد بين الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى مراتب معرفة الله تعالى فقال : من الناس من يعرف الله بالجود والافضال والاحسان ،ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز ، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام ، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة ، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء ، ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللطف ، ومنهم من يعرفه بالقهر والملك ، ومنهم من يعرفه باجابة دعوته ، واغاثة لهفته وقضاء حاجته .

وأعم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه ، فانه يعرف ربا قد اجتمعت له صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، منزه عن المثال ، برىء من النقائص والعيوب

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ، باب التواضع (٧ / ١٩٠) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) .

(٣) المصدر السابق (٢ / ٩٠) .

له كل اسم حسن وكل وصف كمال ، فعال لما يريد ، فوق كل شيء ، ومع كل شيء ، وقادر على كل شيء ، ومقيم لكل شيء ،آمر ،ناه، متكلم بكلماته الدينية والكونية ، أكبر من كل شيء ، وأجمل من كل شيء ، أرحم الراحمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين ، فالقرآن أنزل لتعريف عباده به وبصراطه الموصل اليه ، وبحال السالكين بعد الوصول اليه .(١)

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى أن أفضل العلم وأحسنه هو العلم بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته التي تجعل العبد يزداد خشية ومحبة واجلالا لله عز وجل ، فقال : ... فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته واجلاله وعظمته والتبتل اليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه .

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه ، وما يحبه من عباده من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة .

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين ، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره ، وبالعكس .(٢)

---

(١) الفوائد (ص ٢٣٣) .

(٢) شرح حديث أبي الدرداء (ص ٤١) .

المبحث الثالث
دلائل توحيد الربوبية

ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أن كل ما فى الكون من مخلوقات دليل على تفرد الرب تبارك وتعالى بالربوبية على خلقه أجمعين حيث قال: كل مافى الدنيا يدل على صانعه ، ويذكر به ، ويدل على صفاته ، فما فيها من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه ، وفضله واحسانه ، وجوده ، ولطفه .

وما فيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة باسه وبطشه وقهره وانتقامه .

واختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد وليل ونهار وغير ذلك يدل على انقضائها ، وزوالها ... (١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى : وفى القرآن شئ كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته ، وقدرته ، وجلاله ، وكماله ، وكبريائه ، ورأفته ، ورحمته وبطشه ، وقهره ، وانتقامه الى غير ذلك من صفاته العلى وأسمائه الحسنى ، والندب الى التفكر فى مصنوعاته الدالة على كماله ، فان القلوب مفطورة على محبة الكمال ، ولا كمال فى الحقيقة الا له سبحانه وتعالى (٢)

فالتفكر والتأمل فى الكون الكبير بسماواته وأرضه وانسانه وحيوانه ونباته وجماده بكل ما فيها من عجائب فيه دلالة تهدى الانسان الى ربه وتسوقه الى الحق والخير ولذلك يقول القائل :

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد (٣)

---

(١) لطائف المعارف (ص ٣٢٣) .

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص ٢٤) .

(٣) البيت من شعر أبى العتاهية .
انظر : أبو العتاهية أشعاره وأخباره (ص ١٠٤) .

والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تحث على النظر والتدبر والتأمل فى آيات الله تبارك وتعالى المحسوسة المشاهدة التى يراها كل أحد صغيرا وكبيرا وذكراً أو أنثى بل جميع الناس على مختلف مستوياتهم لتكون دليلا لهم على وحدانية الله تبارك وتعالى وأنه هو الاله الحق الذى يستحق العبادة دون سواه .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : واذا تأملت ما دعا الله سبحانه فى كتابه عباده إلى التفكر فيه أوقعك على العلم به ، سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه ، وعدله ورضاه ، وغضبه وعقابه فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكر فى آياته . (١)

ومن تلك الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت) (٢)

ومن ذلك قوله تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله ، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين) (٣) وغيرها من الآيات التى ترشد وتلفت الانظار الى التفكر الى هذا الكون وما فيه من مخلوقات عظيمة تدل على عظم خالقها ، وأنه المستحق للعبادة دون سواه .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٣٧) .

(٢) سورة الغاشية آية (١٧ - ٢٠) .

(٣) سورة لقمان آية (١٠ ، ١١) .

والأدلة والبراهين الدالة على عظمة الله تبارك وتعالى لا تعد ولا تحصى ولذلك يقول الله تبارك وتعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (١)

وسأقتصر على بيان وايضاح بعض الدلائل التي تدل على توحيد الربوبية وهي الدلائل التي تعرض لها وذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى في مؤلفاته وهي الدلائل الآتية :

١ ـ دلالة الفطرة .

٢ ـ دلالة النعم .

٣ ـ دلالة خلق السموات والأرض .

٤ ـ دلالة خلق النبات .

١ ـ دلالة الفطرة :

فطر الله تبارك وتعالى الخلق على توحيده وعبادته ، فما من مولود يولد والا ويولد على توحيد الله عز وجل كما جاءت بذلك النصوص الكثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذه الدلالة فقال عند شرحه لحديث " البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في نفسك " (٢)

قال : ... وهذا يدل على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله ، وركز في الطباع محبة ذلك ، والنفور من ضده ويدخل هذا في قوله في حديث عياض بن حمار : " اني خلقت عبادى حنفاء مسلمين

---

(١) سورة فصلت آية (٥٣) .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم : كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والاثم (٤/ ١٩٨٠) .

فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، فحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا" (١)

وقوله : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء" قال أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله) (٢) ... " (٣)

ولهذا سمى الله ما أمر به معروفا ، وما نهى عنه منكرا ، فقال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ...) (٤)

وقال تعالى فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم : (ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث) (٥).

وأخبر أن قلوب المؤمنين تطمئن بذكره ، فالقلب الذى دخله نور الايمان وانشرح به وانفسح سكن للحق ، واطمأن به ، ويقبله وينفر من الباطل ويكرهه ولا يقبله . (٦)

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى أهمية التربية والتعليم ،

---

(١) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤ / ٢١٩٧) .

(٢) سورة الروم آية (٣٠) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب التفسير ، باب " لا تبديل لخلق الله " (٦ / ٢٠) .
ومسلم : كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤ / ٢٠٤٧) .

(٤) سورة النحل آية (٩٠) .

(٥) سورة الاعراف آية (١٥٧) .

(٦) جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٥٤) .

فبين أن الله سبحانه وتعالى فطر خلقه على معرفته والايمان به ، ولكن البيئة التى يعيش الانسان فيها ، والتربية التى يتربى عليها والتعليم الذى يتعلمه ، كلها لها دور كبير فى استمرار المولود على ما فطر عليه وهو دين الاسلام أو الانحراف عنه لأن شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض فى تزيين الشبهات والشهوات التى تبعد العبد عن هذه الفطرة السليمة .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى عند شرحه للحديث القدسى :

" ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى . . . "(١) وقوله : " كلكم ضال إلا من هديته " قد ظن بعضهم أنه معارض لحديث عياض بن حمار عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : (خلقت عبادى حنفاء) وفى رواية " مسلمين فاجتالتهم الشياطين "(٢) وليس كذلك ، فان الله خلق بنى آدم وفطرهم على قبول الاسلام ، والميل إليه دون غيره ، والتهيؤ لذلك ، والاستعداد له بالقوة ، ولكن لابد للعبد من تعليم الاسلام بالفعل ، فانه قبل التعلم جاهل لا يعلم شيئا كما قال عز وجل : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)(٣)

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ووجدك ضالا فهدى)(٤)

والمراد وجدك غير عالم بما علمك من الكتاب والحكمة كما قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا)(٥)

---

(١) هذا جزء من حديث قدسى طويل أخرجه مسلم : كتاب البر والصلة والأداب ـ باب تحريم الظلم (٤/١٩٩٤) من حديث أبى ذر .

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥٣) .

(٣) سورة النحل آية (٧٨) .

(٤) سورة الضحى آية (٧) .

(٥) سورة الشورى آية (٥٢) .

فالانسان يولد مفطورا على قبول الحق ، فان هداه الله تعالى سبب له من يعلمه الهدى ، فصار مهديا بالفعل بعد أن كان بالقوة ، وان خذله الله قيض له من يعلمه ما يغير فطرته كما قال صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... (١) (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا عند قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٣) قال : " فأمره باقامة وجهه وهو اخلاص قصده وعزمه وهمه للدين الحنيف وهو الدين القيم وهو فطرة الله التى فطر العباد عليها ، فان الله ركز فى قلوب عباده كلهم قبول توحيده والاخلاص له ، وانما يغيرهم عن ذلك تعليم من علمهم الخروج عنه " . (٤)

٢ ـ دلالة نعم الله تبارك وتعالى :

أنعم الله تبارك وتعالى على عباده بنعم كثيرة ظاهرة وباطنة لا تعد ولا تحصى منها نعمة السمع والبصر ، ونعمة الخلق والايجاد وغيرها من النعم كما قال تعالى : (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار ، والافئدة قليلا ما تشكرون) (٥) وقال تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) . (٦)

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٥٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ١٨٥ ، ١٨٦) .

(٣) سورة الروم آية (٣٠) .

(٤) فتح البارى ورقة (١٤) .

(٥) سورة المؤمنون آية (٧٨) .

(٦) سورة النحل آية (٥٣) .

ومن نعم الله تبارك وتعالى علينا انزال الامطار من السماء لتنبت الاشجار وتخرج الثمار كما قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا ، كذلك الخروج) (١)

فالنعم الكثيرة التى أنعم الله بها علينا تبارك وتعالى تدل على تفرده بالخلق والرزق والاحياء والاماتة والضر والنفع ، وأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة دون سواه .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل سلامى من الناس عليه صدقة . . ." (٢) الحديث .

قال : ومعنى الحديث أن تركب هذه العظام ، وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون ذلك شكرا لهذه النعمة .

قال الله تعالى : (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك) (٣)

وقال الله تعالى : (قل هو الذى أنشأكم ، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ماتشكرون) (٤).

---

(١) سورة ق من آية (٩ - ١١).

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الصلح ، باب فضل الاصلاح بين الناس (٣/ ١٧١) ومسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢/ ٦٩٩).

(٣) سورة الانفطار آية (٦، ٧، ٨).

(٤) سورة الملك آية (٢٣).

وقال : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار ، والافئدة ، لعلكم تشكرون) (١) .

وقال : (ألم نجعل له عينين ، ولسانا ، وشفتين) (٢)

قال مجاهد (٣) : هذه نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر (٤)

إلى أن قال رحمه الله تعالى : والمقصود أن الله تعالى أنعم على عباده بما لا يحصونه كما قال تعالى : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (٥) وطلب منهم الشكر ، والرضا به منهم (٦) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : فإذا وفّق الله عبده للشكر على نعمه الدنيوية بالحمد أو غيره من أنواع الشكر ، كانت هذه النعمة خيرا من تلك النعم وأحب الى الله عز وجل ، فان الله يحب المحامد ، ويرضى عن عبده أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها ، والثناء بالنعم والحمد عليها وشكرها عند أهل الجود والكرم أحب اليهم من أموالهم فهم يبذلونها طلبا للثناء ، والله عز وجل أكرم الأكرمين وأجود الأجودين فهو يبذل نعمه لعباده ويطلب منهم الثناء بها ،وذكرها منهم ،والحمدعليها

---

(١) سورة النحل آية (٧٨) .

(٢) سورة البلد آية (٨ ، ٩) .

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي شيخ القراء والمفسرين قال ابن سعد :"مجاهد ثقة فقيه عالم كثير الحديث"، توفى سنة ١٠٢ هـ . سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩) والبداية والنهاية (٩/٢٣٢) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري فى تفسيره (٣٠/١٩٩) من قول قتادة ، وكذا عزاه السيوطى فى الدر المنثور (٨/٥٢١) لقتادة .

(٥) سورة إبراهيم آية (٣٤) .

(٦) جامع العلوم والحكم (٢/٢٢٧ — ٢٣٢) .

ويرضى منهم بذلك شكرا عليها ، وان كان ذلك كله من فضله عليهم ، وهو غير محتاج الى شكرهم ، لكنه يحب ذلك من عباده حيث كان صلاح العبد وفلاحه ، وكماله فيه ، ومن فضله سبحانه أنه نسب الحمد والشكر اليهم ، وان كان من أعظم نعمه عليهم ، وهذا كما أنه أعطاهم ما أعطاهم من الأموال ، واستقرض منهم بعضه ، ومدحهم باعطائه ، والكل ملكه ، ومن فضله ولكن كرمه أقتضى ذلك .(١)

٣ ـ دلالة خلق السموات والأرض :

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : وانما يعبد الله سبحانه بعد العلم به ومعرفته ، ولذلك خلق السموات والأرض ، وما فيهما للاستدلال بهما على توحيده وعظمته كما قال تعالى : (الله الذى خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شئ قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شئ علما)(٢)(٣) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : ... وأخبر سبحانه وتعالى أنه انما خلق السموات والأرض ، ونزل الأمر لنعلم بذلك قدرته وعلمه فيكون دليلا على معرفته ، ومعرفة صفاته كما قال تعالى : (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما)(٢)(٤) .

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

(٢) سورة الطلاق آية (١٢) .

(٣) أستنشاق نسيم الأنس (ص ٤٥) .

(٤) شرح حديث أبى الدرداء (ص ١١١) .

فخلق السموات والأرض من أعظم الآيات الواضحة الدالة على ربوبية الله تبارك وتعالى ، لأن السموات جعلها الله سقفا محفوظا تتألف من سبع سموات ، وفيها من مخلوقات الله العجيبة مالا يعلمه الا الله ، فهي تسير بنظام دقيق بلا اختلاف ، ولا خلل لأن الله تبارك وتعالى هو الذى يسيرها بقدرته وحكمته كما قال تعالى : (الذى خلق سبع سموات طباقا ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) (١) .

كما أن الذى أقامها وأمسكها بلا عمد نراها وهى بعيدة المدى انما هو الخالق القادر على كل شئ المستحق للعبادة وحده دون سواه يقول المولى تبارك وتعالى : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا) (٢) .

ويقول عز وجل : ((خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) (٣)

وبهذا لفت الله سبحانه وتعالى عباده الى النظر فى السموات والتفكر فى خلقها فقال عز وجل : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت) (٤) .

و خلق الأرض وما فيها من جبال وأحجار وأشجار وأنهار وبحار وغيرها من مخلوقات الله تعالى الظاهرة والباطنة التى ينتفع بها الانسان

---

(١) سورة الملك آية (٤) .
(٢) سورة فاطر آية (٤١) .
(٣) سورة لقمان آية (١٠) .
(٤) سورة الغاشية آية (١٧ ، ١٨) .

في حياته ، فانها لأدلة واضحة على عظم خلق الله عز وجل وابداع صنعه وقد نبه الله تباركه وتعالى عباده على ذلك فقال عز وجل : (وفي الأرض آيات للموقنين) (١) .

فخلق السموات والأرض من أعظم دلائل الربوبية كما قال تعالى : (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢) وقال تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) (٣) .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى المعرضين عن التفكر في خلق السموات والأرض وما أودعه عز وجل فيهما من مخلوقات فقال عز وجل : (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) (٤) .

وقال عز وجل : (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (٥) .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عند هذه الآية : يخبر الله تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات ، والجميع مسخرات ، وكم في الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق وجنات وجبال راسيات ، وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطمات ، وقفار شاسعات وكم من أحياء وأموات ، وحيوان ونبات وثمرات متشابهة ومختلفات في الطعوم

---

(١) سورة الذاريات آية (٢٠) .
(٢) سورة غافر آية (٥٧) .
(٣) سورة يونس آية (١٠١) .
(٤) سورة الأنبياء آية (٣٢) .
(٥) سورة يوسف آية (١٠٥) .

والروائح والألوان والصفات فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات المتفرد بالدوام والبقاء ، والصمدية للأسماء والصفات وغير ذلك . (١)

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى مبينا عظم خلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات عظيمة عجيبة تدل دلالة واضحة على عظم خالقها ومبدعها وهو الله تبارك وتعالى الذى أحكم وأحسن كل شىء خلقه عز وجل .

فقال عن السماء : (فتأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات فى علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها بحيث لا تصعد علوا كالنار ، ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ولا عمد تحتها ولا علاقة فوقها ، بل هى ممسوكة بقدرة الله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ثم تأمل استواءها واعتدالها فلا صدع فيها ، ولا فطر ولا شق ولا أمت ولا عوج ثم تأمل ما وضعت عليه من هذا اللون الذى هو أحسن الألوان وأشدها موافقة للبصر وتقوية له . (٢)

وقال عن الأرض : واذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت ، رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها ، خلقها سبحانه فراشا ومهادا وذللها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها فى حوائجهم وتصرفاتهم ، وأرساها بالجبال ، فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم ، ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها ، وطحاها فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء ، وكفاتا للأموات تضمهم فى بطنها إذا ماتوا ، فظهرها وطن للأحياء ، وبطنها وطن للأموات ، وقد أكثر تعالى من ذكر الأرض فى كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر فى خلقها ... (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٩٤) .
(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٦٠) .
(٣) المرجع السابق (١/٢٥١ ، ٢٥٢) .

٤ ـ دلالة خلق النبات :

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : تدقيق النظر والفكر في حال النبات يستدل به المؤمن على عظمة خالقه وكمال قدرته ورحمته فتزداد القلوب هيمانا في محبته ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (١)

زمان الربيع كله واعظ يذكر بعظمة موجده وكمال قدرته ويشوق الى طيب مجاورته في دار كرامته ...

سبحان من سبحت المخلوقات بحمده ، فملأ الأكوان تحميده وأفصحت الكائنات ، والشهادة بوحدانيته ، فوضح توحيده يسبحه النبات جمعه وفريده ، والشجر عتيقه وجديده ... (٢)

فلو نظر الانسان الى عالم النبات وما فيه من عجائب مخلوقات الله لادرك عظمة الخالق تبارك وتعالى ، ولقاده ذلك الى افراده بالعبادة دون سواه .

فلو نظرنا الى الحبة تكون في باطن الأرض فتنمو ويخرج ساقها شاقا لنفسه طريقا بين التراب ثم تكبر شيئا فشيئا حتى تكون شجرة ثم تخرج الثمرة ويؤتى أكلها في حينها باذن الله عز وجل .

---

(١) سورة الأنعام آية (٩٩) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٣٣٠ ، ٣٣١) .

ولو نظرنا الى البساتين ، وما تخرجه باذن الله تعالى من ثمـــار مختلفة لرأينا العجب العجاب في صنع الله فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد اشار الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى الى ذلك وأوضحـــه وبينه ، فقال : هـذا عود شجر الكرم يكون يابسا طول الشتاء ثم اذا جاء الربيع دب فيه الماء واخضر . . . ، ثم يخرج الحصرم (١) فينتفع الناس بـه حامضا ، ويتناولون منه طبخا واعتصارا ثم ينقلب حلوا فينتفع الناس به حلـــوا رطبا ويابسا ، ويستخرجون منه ما ينتفعون بحلاوته طول العام ، ومـــــا يأتدمون بحمضه ، وهو نعم الادام .

فهذه التنقلات توجب للعاقل الدهش والتعجب من صنع صانعـــه وقدرة خالقه ، فينبغي أن يفرغ عقله للتفكر في هذه النعم والشكر عليها .

وأما الجاهل فيأخذ العنب فيجعله خمرا فيغطي به العقل الـــذي ينبغي أن يستعمل في الفكر والشكر حتى ينسى خالقه المنعم عليه بهـــــذه النعم كلها ، فلا يستطيع بعد الشكر أن يذكره ويشكره بل ينسى من خلقـــه ورزقه ، فلا يعرفه في شكره بالكلية ، وهذه نهاية كفران النعم . (٢)

فالنبات وما فيه من عجائب من الآيات الكبيرة والدلائل العظيمة على عظم خالقه وموجده وأنه المستحق للعبادة دون سواه وقد ورد في القـــرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن المقصود الأول من هذه النباتات انما هـــــو للدلالة على معرفة عظمة خالقه وكمال قدرة موجده .

---

(١) الحصرم : أول العنب ، ولا يزال العنب مادام أخضر حصرمـــا ، وهو حامض .
الصحاح (٥/١٩٠٠) ولسان العرب (١٢/١٣٧) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٣٣١) .

ومن ذلك قوله تعالى : (إن الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون) (١) .

ومنها قوله تعالى : (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٢) .

ومنها قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير) (٣) .

وقد بين الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم أن اختلاف النباتات فى الطعم رغم الاتحاد فى التربة والماء من العلامات الكبرى لمن تأمل وعقل وتدبر ، قال تعالى : (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) (٤) .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى ، والعنب الأبيض والأسود ، بعضها حلو ، وبعضها حامض ، وبعضها أفضل من بعض مع اجتماعها على شراب واحد ... (٥)

وقال تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب) (٦) .

---

(١) سورة الانعام آية (٩٥) .
(٢) سورة النحل آية (١٠ ، ١١) .
(٣) سورة الحج آية (٦٣) .
(٤) سورة الرعد آية (٤) .
(٥) تفسير الطبرى (١٣ / ٩٨) .
(٦) سورة الزمر آية (٢١) .

وقال تعالى : (هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب) (١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله جل جلاله : (هو الذى يريكم آياته) أى يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه فى خلقه العلوى والسفلى من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها (وينزل لكم من السماء رزقا) وهو المطر الذى يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد ، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء (وما يتذكر) أى يعتبر ويتفكر فى هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها " الا من ينيب " أى من هو بصير منيب الى الله تبارك وتعالى (٢) .

وقال محمد الأمين الشنقيطى (٣) رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية (ذكر جل وعلا فى هذه الآية الكريمة ، أنه جل وعلا هو الذى يرى خلقه آياته ، أى الكونية القدرية ليجعلها علامات لهم على ربوبيته ، واستحقاقه العبادة وحده ، ومن تلك الآيات الليل والنهار والشمس والقمر كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) (٤) الآية .

---

(١) سورة غافر آية (١٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٧٣) .

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى الجكنى ، العلامة الأصولى المفسر اللغوى ، طلب العلم وحفظ القرآن وهو صغير ، ودرس مختلف علوم الشريعة ، وكان من كبار العلماء ، توفى سنة ١٣٩٣ هـ .
مقدمة أضواء البيان (١ / ٣ — ٦٤) حيث ترجمه تلميذه عطيه محمد سالم .
علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب (١٦١ — ١٨١) والمستدرك على معجم المؤلفين لكحالة (ص ٦٠٧) .

(٤) سورة فصلت آية (٣٧) .

ومنها السموات والأرضون . وما فيها ، والنجوم ، والرياح ، والسحاب والبحار والأنهار ، والعيون والجبال والأشجار ، وآثار قوم هلكوا ، كما قال تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، الى قوله : لآيات لقوم يعقلون) (١).

وقال تعالى : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) (٢).

وقال تعالى : (إن فى السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) (٣)

وقال تعالى : (إن فى اختلاف الليل والنهار ، وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون) (٤).

وما ذكره جل وعلا فى آية المؤمن ، من أنه هو الذى يرى خلقه آياته بينه وزاده ايضاحا فى غير هذا الموضع ، فبين أنه يريهم آياته فى الآفاق وفى أنفسهم ، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق ، كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٥) (٦)...

والذى نخلص اليه مما تقدم أن هذه الدلالات والآيات دليل واضح على أن لهذا الكون إلها قادرا حكيما يتصرف فيه كيف شاء بيده الخلق والأمر وهو الله سبحانه وتعالى المستحق للعبادة دون سواه .

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٤) .
(٢) سورة آل عمران آية (١٩٠) .
(٣) سورة الجاثية آية (٣) .
(٤) سورة يونس آية (٦) .
(٥) سورة فصلت آية (٥٣) .
(٦) أضواء البيان (٧/ ٧٤ ، ٧٥) .

الفصل الثالث:

توحيد الأسماء والصفات

الفصل الثالث

توحيد الاسماء والصفات

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : تعريف توحيد الاسماء والصفات .

المبحث الثاني : مذهب السلف في اسماء الله وصفاته وترجيح ابن رجب له

المبحث الثالث : أدلة توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الرابع : بيانه أن السلف أعلم ومذهبهم أسلم وأحكم .

المبحث الخامس : بيانه أن سورة الاخلاص فيها صفة الرحمن .

المبحث السادس : بيانه أن الاشتراك في الاسم لايقتضي الاشتراك في المسمى

المبحث السابع : ذكر جملة من الصفات التي ذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى :

١ ـ صفة العلم .

٢ ـ صفة الغنى .

٣ ـ صفة المعية .

٤ ـ صفة المجيء والاتيان .

٥ ـ صفة النزول .

المبحث الثامن : شبه حول صفة النزول والرد عليها .

المبحث التاسع : رده على المخالفين لمذهب السلف من المعطلة والمشبهة

المبحث العاشر : تنزيه الله سبحانه وتعالى من نسبة الولد اليه .

المبحث الحادي عشر : علم الكلام وكلام ابن رجب عليه .

المبحث الأول
تعريف توحيد الأسماء والصفـــات

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في الكتاب والسنة وذلك باثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف (١) لألفاظها أو معانيها ولا تعطيلها (٢) بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل . ولا تكييفها (٣) بتحديد كنهها أو إثبات كيفية معينة لها ولا تمثيلها (٤) أو تشبيهها (٥) بصفات المخلوقين وانما إثبات يليق بجلاله وعظمته وكبريائه عز وجل كما قال تبارك وتعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (٦) .

---

(١) التحريف هو : تغيير ألفاظ أسماء الله الحسنى وصفاته العلى أو تغيير معانيها الى معان باطلة لا يدل عليها الكتاب والسنة.
فالتحريف اللفظي مثل نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) ليكون التكلم من موسى .
والتحريف المعنوى كتحريف معنى اليدين المضافتين الى الله عز وجل الى القوة والنعمة ونحو ذلك .

(٢) التعطيل هو : انكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو انكار بعضهـا .

(٣) التكييف هو أن يقال بأن الصفة على هيئة كذا أو كيفية معينة .

(٤) التمثيل هو اثبات مثيل للشيئ .

(٥) التشبيه هو اثبات مشابه للشيئ
والفرق بين التمثيل والتشبيه أن التمثيل يقتضى المماثلة والمساواه من كل وجه والتشبيه يقتضى المشابهة في أكثر الصفات .
استقيت هذه التعاريف من : التحفه المهدية لابن مهدى (ص ٢٥٩)
وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص ٥٤ ، ٥٥) .

(٦) سورة الشورى آية (١١) .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى هـذا المعنى في مواضع مختلفة من مؤلفاته من ذلك قوله رحمه الله تعالى : وأعلم أن التسبيح والتحميد فيه اثبات صفات الكمال ، ونفي النقائص والعيوب .(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا في شرحه لحديث اختصام الملأ الأعلى (٢) " ... وأما وصف النبي صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بما وصفه به ، فكل ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل به فهو حق وصدق ، ويجب الايمان والتصديق به ، كما وصف الله عز وجل به نفسه مع نفي التمثيل عنه ... (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا في تفسيره لسورة الاخلاص : ... وحقيقة الكفؤ هو المساوي والمقاوم ، فلا كفو له تعالى في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في اسمائه ، ولا في أفعاله ، ولا في ربوبيته ولا في آلهيته .(٤)

---

(١) تفسير سورة النصر (ص ٤٧) .

(٢) حديث طويل أخرجه أحمد (١/٣٦٨ ، ٥/٢٤٣) والترمذي (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل وحديث عبد الله بن عباس أوله : " احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة في صلاة الصبح " وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : فاذا أنا بربي - عز وجل - في أحسن صورة - فقال : يامحمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري رب قال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري رب ، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري ، وتجلى لي كل شيء وعرفت " .
قال الترمذي عقب حديث معاذ : هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن اسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال : حسن صحيح .
وقد أفرده ابن رجب رحمه الله تعالى بشرح مستقل في كتاب اسمه " اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى " .

(٣) اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص ١١) .

(٤) تفسير سورة الاخلاص (ص ١٠٢) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا فى تفسيره لسورة الاخلاص : . . . فقد تضمنت هذه السورة العظيمه اثبات صفات الكمال ، ونفى النقائص والعيوب من خصائص المخلوقين من التولد والمماثلة .(١)

وقال أيضا : . . . وتضمنت اثبات جميع صفات الكمال باثبات الأحدية فالصمدية تثبت الكمال النافى للنقائص ، والأحدية تثبت الانفراد بذلك ، فان الأحدية تقتضى انفراده بصفاته وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته ، والصمدية اثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقدمها فان السيد الذى يصمد اليه لا يكون الا متصفا بجميع صفات الكمال التى استحق لأجلها أن يكون صمدا وأنه لم يزل كذلك ولا يزال ، فان صمديته من لوازم ذاته لا تنفك عنه بحال.(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ان الله تعالى هو السلام، لأنه القدوس المبرأ من الآفات والنقائص كلها ،وذلك واجب له لذاته ، ومنه تطلب السلامة لعباده ، فانهم محتاجون الى السلامة من عقابه وسخطه وعذابه . . ."(٣)

فتوحيد الاسماء والصفات هو افراد الله تعالى بأسمائه وصفاته دون تشبيه أو تحريف أو تعطيل .

يقول السفارينى رحمه الله تعالى : " توحيد الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم نفيا واثباتا فيثبت له ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه .(٤)

---

(١) تفسير سورة الاخلاص (ص ٩٧) .

(٢) تفسير سورة الاخلاص (ص ٩٥ ، ٩٦) .

(٣) فتح البخارى فى شرح البخارى ورقه (١٩٩) .

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/١٢٩) .

وقال سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى :

" توحيد الأسماء والصفات وهو الاقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه الحي القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، وأنه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، الى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى ".(١)

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ١٩).

المبحث الثاني

مذهب السلف في أسماء الله وصفاته وموقف ابن رجب منه

ان مذهب السلف في أسماء الله وصفاته هو مذهب وسط بين الجافية والغالية ، بين المعطلة من الجهمية (١) والمعتزلة (٢) ومن سلك مسلكهم من الخوارج (٣) ،

---

(١) هي احدى الفرق المنحرفة عن المنهج القويم ، نسبة الى الجهم بن صفوان الذي قال : بالاجبار والاضطرار الى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به ، وزعم أيضا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ونفى اسماء الله تعالى — وصفاته .
الملل والنحل (١/٨٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ٦٨) والبرهان في معرفة عقائد اهل الاديان (ص ٣٤) والفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢١١) .

(٢) هي احدى الفرق المنحرفة عن الطريق المستقيم مؤسسها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، سموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري ، وقيل لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة ، وقيل غير ذلك ، من عقائدهم اثبات الاسماء وانكار جميع الصفات ، ومنها أن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وفي الآخرة خالد مخلد في النار الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١١٤) والبرهان في معرفة عقائد أهل الاديان (ص ٤٩) .

(٣) الخوارج سموا بهذا الاسم لخروجهم على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونزلوا بأرض يقال لها حروراء فسموا بالحرورية ، من عقائدهم تكفير أصحاب الكبائر في الدنيا والآخرة ، كما يقولون بالخروج على أئمة الجور ، وهم يكفرون عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم جميعا . الفصل في الملل والنحل (٢/١١٣) الملل والنحل الشهرستاني (١/١١٤) والمقالات (١/٥٦) والفتاوى (٣/٢٧٩) .

والاشاعرة[١] وغيرهم من الذين يلحدون فى أسماء الله وصفاته ، ويعطلون حقائق ما وصف الله به نفسه عز وجل ، حتى شبهوه سبحانه وتعالى بالعدم والموات وبين الممثلة من الكرامية وغلاة الرافضة[٢] الذين يضربون الله عز وجل الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات ، وكلا المذهبين مجانب للصواب

---

(١) الاشاعرة : هم المنتسبون لأبى الحسن الاشعرى الذين هم على مذهبه قبل أن يرجع الى معتقد أهل السنة والجماعة ، وهم فى الجملة لا يثبتون من الصفات الا سبعا لأن العقل دل على اثباتها ، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية رغم ورود النصوص فيها من الكتاب والسنة ولو اتبعوا الحق وانصفوا لرجعوا إلى منهج أهل السنة والجماعة كما رجع إليه من ينتسبون إليه وهو أبو الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى .
الملل والنحل (١/ ١٣٨) والفتاوى (٦/ ٥١) ودعوة التوحيد للعلامة محمد خليل هراس رحمه الله (٢٣٠) .

(٢) الرافضة : هم جماعة غلاة الشيعة ، سموا بذلك لرفضهم امامة زيد ابن على حينما توجه الى قتال هشام بن عبد الملك فقال أصحابه : تبرأ من الشيخين حتى نكون معك فقال : لا بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما فقالوا اذا نرفضك ، ولهم فرق متعددة ، والغلاة منهم هم المجسمة الذين يشبهون الله عز وجل بخلقه ولهم الهشامية الذين ينتسبون إلى فرقتين فرقة تنتسب إلى هشام بن الحكم الرافضي ، والفرقة الأخرى تنتسب إلى هشام بن سالم الجواليقي .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٤) والمقالات (١/ ٨٩)
رسالة فى الرد على الرافضة لابى حامد المقدسى (ص ٦٥-٦٨) ، الفرق بين الفرق ص (٦٥) .

والمذهب الصحيح الذى لا معدل عنه لكل من يريد السير على الصراط المستقيم هو مذهب السلف الذين يؤمنون بأسماء الله وبما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الجلال والكمال حقيقة على الوجه الذى يليق بكمال الله تعالى ، وجلاله وعزته وعظمته .

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات لا يجوز ولا يليق أن يوصف بها سبحانه وتعالى .

وهم فى ذلك يعتمدون على الأدلة الواردة فى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل على حد قوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(١) وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد)(٢) :

وقد سلك ابن رجب رحمه الله تعالى المنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة وأوضحه وبينه ، ومما قاله فى تقرير هذا المسلك قوله : وكلمة السلف وأئمة أهل الحديث متفقة على أن آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة كلها تمر كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، قال أبو هلال :(٣) سأل رجل الحسن(٤) عن شىء من صفة الله عز وجل فقال :

---

(١) سورة الشورى آية (١١) .

(٢) سورة الاخلاص آية (٤) .

(٣) محمد بن سليم أبو هلال الراسبي البصرى — مولى بنى اسامة بن لؤى قال أبو داود : أبو هلال ثقة ، أخرج له البخارى تعليقا والأربعة توفى سنة ١٦٧ هـ .
الجرح والتعديل (٧ / ٢٧٣) وتهذيب التهذيب (٩ / ١٩٥) .

(٤) الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد — مولى زيد بن ثابت — كان سيد أهل زمانه علما وعملا ، وكان من أعلم الناس بالحلال والحرام ، وقد عرف بالزهد والشجاعة ، توفى سنة ١١٠ هـ .
أخبار القضاة (٢ / ٣) وسير أعلام النبلاء (٤ / ٥٦٣) وتهذيب التهذيب (٢ / ٢٦٣) .

أمروها بلا مثال . وقال وكيع :(١) أدركت اسماعيل بن أبي خالد(٢) وسفيان(٣) ومسعر(٤) يحدثون بهذه الاحاديث ولا يفسرون شيئا . وقال الأوزاعي(٥) :

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى الامام الحافظ ، محدث العراق ، قال الامام أحمد فيه : كان وكيع بن الجراح امام المسلمين في وقته توفي سنة ١٩٧ هـ .
تاريخ بغداد (٤٦٦/١٣) وسير أعلام النبلاء (١٤٠/٩) وطبقات المفسرين للداودي (٣٥٧/٢) .

(٢) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي ، مولاهم ، البجلي ، تابعي كوفي ثقة ثبت ، قال العجلي : كوفي تابعي ، ثقة وكان رجلا صالحا ، سمع من خمسة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة ١٤٦ هـ .
الثقات للعجلي (٦٤) وتهذيب الكمال للمزي (٦٩/٣) .

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، أمير المؤمنين في الحديث ، من أئمة المسلمين وأعلام الدين مع الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد ، توفي سنة ١٦١ هـ .
التاريخ الكبير (٩٢/٤) وتذكرة الحفاظ (٢٠٣/١) وتهذيب التهذيب (١١١/٤) .

(٤) مسعر بن كدام – بكسر أوله وتخفيف ثانيه – بن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي ، ثقة ثبت فاضل ، قال يحيى بن سعيد : ما رأيت أحدا أثبت من مسعر ، توفي سنة ١٥٥ هـ
الثقات للعجلي (٤٢٦) والجرح والتعديل (٣٦٨/٨) ومشاهير علماء الأمصار (١٦٩) وسير أعلام النبلاء (١٦٣/٧) .

(٥) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي ، عالم أهل زمانه ، كان صاحب سنة واتباع ، وله مذهب مستقل في الفقه عمل به فقهاء الشام والاندلس مدة ، وقد عرف بالزهد والخشوع ، توفي سنة ١٥٧ هـ
الجرح والتعديل (١٨٤/١) وتذكرة الحفاظ (١٧٨/١) وسير اعلام النبلاء (١٠٧/٧) .

سئل مكحول[١] والزهري[٢] عن تفسير هذه الأحاديث ؟ فقالا : أمروها كما جاءت . وقال الوليد بن مسلم :[٣] سألت الأوزاعي ومالكا وسفيان وليثا[٤] عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة والقرآن ؟ فقالوا : امروها بلا كيف

---

(١) مكحول بن عبد الله الدمشقي يكنى أبا عبد الله ، من سبي كابل ، عالم أهل الشام ، قال أبو حاتم : ما بالشام أحد أفقه من مكحول توفي سنة ١١٣ هـ ، وقيل غير ذلك .
وفيات الأعيان (٥/٢٨٠) وسير أعلام النبلاء (٥/١٢٥) .

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، أبو بكر الامام العلم الحافظ ، كان فقيها محدثا ، كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق " عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه ، توفي سنة ١٢٤ هـ .
وفيات الأعيان (٣/٣١٧) وسير أعلام النبلاء (٥/٣٢٦) وشذرات الذهب (١/١٦٢) .

(٣) الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية ـ الامام الحافظ ، عالم أهل الشام ، قال ابن سعد : ثقة كثير الحديث والعلم ، توفي سنة ١٩٥ هـ .
التاريخ الكبير (٨/١٥٢) وسير اعلام النبلاء (٩/٢١١) وشذرات الذهب (١/٣٤٤) .

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث ، الامام الحافظ ، عالم الديار المصرية ، كان فقيها كثير العلم صحيح الحديث مع الورع والفضل ، توفي سنة ١٧٥ هـ .
سير اعلام النبلاء (٨/١٣٦) وتهذيب التهذيب (٨/٤٥٩) .

وقال ابن عيينه (١) : ما وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره ليس لأحد أن يفسره الا الله عز وجل ، وكلام السلف في مثل هذا كثير جدا (٢) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : "وأما السلف وأئمة أهل الحديث فعلى الطريقة الأولى وهي الايمان بجميع ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أثبته له مع نفي التمثيل والكيفية عنه كما قاله ربيعة (٣) ومالك وغيرهما من أئمة الهدى في الاستواء ، وقد روى عن أم سلمة أم المؤمنين (٤) وقال مثل ذلك غيرهم من العلماء في النزول ،

---

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، المحدث كان من الحفاظ المتقنين ، قال الشافعي : ما رأيت أحدا أحسن تفسيرا للحديث منه ، توفي سنة ١٩٨ هـ .
الجرح والتعديل (١/ ٣٢) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤) وتهذيب التهذيب (٤/ ١١٧) .

(٢) فتح الباري ورقة (١٧٣) .

(٣) ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ القرشي ، أبو عثمان المشهور بربيعة الرأي ، الامام الفقيه ، مفتي المدينة وعالم زمانه ، كان ذا فطنة وسنة ، قال ابن معين : ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ١٣٦ هـ .
سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٥٨) وشذرات الذهب (١/ ١٩٤) .

(٤) قول أم سلمة في الاستواء الذي أشار اليه ابن رجب أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٧) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (ص ٨١) والذهبي في العلو (ص ٦٥) من طريق الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) سورة طه آية (٥) قالت : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والاقرار به ايمان ، والجحود به كفر" قال الذهبي : هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الامام وأبي جعفر الترمذي ، فأما عن أم سلمة فلا يصح " ==

وكذلك القول في سائر الصفات ، والله سبحانه وتعالى الموفق ". (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... وأما طريقة أئمة أهل الحديث وسلف الأمة فهي اقرار النصوص وامرارها كما جاءت ، ونفي الكيفية عنها والتمثيل . ومن قال الظاهر منها غير مراد ، قيل له : الظاهر ظاهران ظاهر يليق بالمخلوقين ويختص بهم فهو غير مراد ، وظاهر يليق بذي الجلال والاكرام فهو مراد ، ونفيه تعطيل ، ولقد قال بعض أئمة الكلام والفلسفة من شيوخ الصوفية الذين يحسن بهم المتكلمون الظن : ان المتكلمين بالغوا في تنزيه الله عن مشابهة الأجسام فوقعوا في تشبيهه بالمعاني ، والمعاني محدثة كالأجسام ، فلم يخرجوا عن تشبيهه بالمخلوقات .

وهذا كله انما أتى من ظن أن تفاصيل معرفة الجائز على الله والمستحيل عليه يوجد من أدلة العقول ولا يوجد مما جاء به الرسول ، وأما أهل العلم والايمان فيعلمون أن ذلك كله متلقى مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن ما جاء به من ذلك عن ربه فهو الحق الذي لا مزيد عليه ، ولا عدول عنه ، وأنه لا سبيل الى تلقي الهدى الا منه ، وأنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله الصحيحة ما ظاهره كفر أو تشبيه أو مستحيل ، بل كل ما أثبته الله لنفسه أو اثبته له رسوله فانه حق وصدق يجب اعتقاد ثبوته مع نفي التمثيل عنه فكما أن الله ليس كمثله شيء في ذاته ، فكذلك في صفاته

=== وقال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد ذكر قول الامام مالك في الاستواء : وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا ومرفوعا ، ولكن ليس اسناده مما يعتمد عليه .

مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥) .

(١) فتح الباري ورقه (١٧٥) .

وما أشكل فهمه من ذلك فانه يقال فيه ما مدح الله الراسخين من أهل العلم انهم يقولونه عند المتشابهات : آمنا به كل من عند ربنا ، وما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى متشابه الكتاب أنه يرد الى عالمه ، والله يقول الحق ويهدى السبيل . (١)

هكذا كان السلف الصالح رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين ومن سلك سبيلهم كانوا متفقين على هذا المنهج ، كلمتهم واحدة ، لم يقابلوا الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية بالتأويل والتحريف ولم يعارضوها بعقولهم بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالاجلال والتعظيم ، ولم يتكلم أحد منهم فى شىء من أمور الدين الا تبعا لما قاله الله عز وجل ، ولما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول محمد بن الحسن (٢) رحمه الله تعالى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا . (٣)

---

(١) فتح البارى ورقه (١٧٣/أ) .

(٢) محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى ، فقيه العراق وصاحب أبى حنيفة صنف الجامع الكبير والجامع الصغير وغيرهما ، توفى سنة ١٨٩ هـ . وفيات الأعيان (١٨٤/٤) وسير أعلام النبلاء (١٣٤/٩) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٣٢/٢) واثبات صفة العلو لابن قدامة (ص ١١٧) .

ويقول شيخ الاسلام أبو عثمان الصابوني (١) رحمه الله تعالى مبينا عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تبارك وصفاته : " أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون لله جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عزوجل : (يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (٢) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين ، تحريف المعتزلة الجهمية ، أهلكهم الله ، ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف ومن عليهم بالتعريف ، والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٣) .

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل ، أبو عثمان الصابوني مقدم أهل الحديث في بلاده ، كان على منهج أهل السنة ويلقب بشيخ الاسلام ، توفي سنة ٤٤٩ هـ .
... ير أعلام النبلاء (١٨ / ٤٠) وتهذيب تاريخ دمشق (١ / ٣١٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١ / ١٠٧) وشذرات الذهب (٣ / ٢٨٢) .

(٢) سورة ص آية (٧٥) .

(٣) سورة الشورى آية (١١) .

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة ، والقدرة والعزة والعظمه والارادة ، والمشيئة والقول والكلام ، والرضا والسخط والحياة والمحبة* والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى ، وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ، ولا تكييف له ، ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويجرونه على الظاهر ، ويكلون علمه الى الله تعالى ..."(١)

وقال حافظ المغرب ابن عبد البر(٢) رحمه الله تعالى " أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة ، واما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص ٧٥ ، ٧٦) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد .

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر ، من كبار حفاظ الحديث ، يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ ، له مؤلفات عظيمه منها " التمهيد " ، والاستيعاب ، قال الذهبي كان في أصول الديانة على مذهب السلف ، ولم يدخل في علم الكلام ، توفي سنة ٤٦٣ هـ وفيات الأعيان (٧/ ٦٦) وسير أعلام النبلاء (١٨ / ١٥٣) وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٤٣١) .

* هذه اللفظة لم ترد في نصوص الكتاب والسنة ، والسلف دائما يتقيدون بما ورد في الكتاب والسنة .

القائلون بما نطق به كتاب الله ، وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة والحمد لله ".(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فأما الأول وهو التوحيد في الصفات ، فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها اثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما أثبته من الصفات من غير الحاد ، لا في أسمائه ولا في آياته ، فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في اسمائه وآياته كما قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون).(٢)

وقال تعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم)(٣) الآية فطريقتهم تتضمن اثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٤) ففي قوله (ليس كمثله شيء) رد للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله (وهو السميع البصير) رد للالحاد والتعطيل.(٥)

هذا هو منهج السلف في معرفتهم لربهم عن طريق معرفة أسمائه

---

(١) التمهيد (٧/١٤٥).

(٢) سورة الاعراف آية (١٨٠).

(٣) سورة فصلت آية (٤٠).

(٤) سورة الشورى آية (١١).

(٥) الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام (ص ٤).

وصفاته التى اتصف بها كما جاءت به الأدلة فى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن هذا هو المنهج القويم وهو الصواب الذى يجب على كل مسلم اتباعه والأخذ به ، ولا يجوز العدول عنه والأخذ بما سواه .

فقال رحمه الله تعالى : والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات ، وأحاديثها ، كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك البتة خصوصا الامام أحمد ، ولا خوضا فى معانيها ، ولا ضرب مثل من الأمثال لها ، وان كان بعض من كان قريبا من زمن أحمد فيهم من فعل شيئا من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل (١) فلا يقتدى به فى ذلك ، انما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك (٢) ومالك والثورى

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشر البلخى ، اشتهر بالتفسير قال ابن المبارك : "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة". وذكر كل من ترجم له أنه اشتهر عنه القول بالتجسيم، وذهب ابن تيمية رحمه الله تعالى الى أن مارمى به من التشبيه والتجسيم ليس بصحيح ، وانما هذا قاله اعدائه من النفاة كالجهمية وغيرهم ، فنسب القول إليه بالتشبيه ، وهو منه برئ ، والله أعلم بالصواب ، توفى بالعراق سنة ١٥٠ هـ .
تاريخ بغداد (١٣/ ١٦٠) ومنهاج السنة (٢/ ٦١٨) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١) .

(٢) عبدالله بن المبارك أبو عبدالرحمن الحنظلى مولاهم المروزى ، الحافظ شيخ الاسلام ، عالم زمانه ، وأمير الأتقياء فى وقته ، قال ابن معين : ذاك أمير المؤمنين فى الحديث ، توفى سنة ١٨١ هـ .
حلية الأولياء (٨/ ١٦٢) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨) وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢) .

والأوزاعى ، والشافعى ، وأحمد ، وإسحاق (١) وأبى عبيد (٢) ونحوهم (٣) ..

فابن رجب رحمه الله تعالى كما اتضح من قوله هذا يرى أن منهج السلف هو المنهج الذى يجب الأخذ به وعدم العدول عنه لأنه منهج يعتمد على الكتاب والسنة ، وهو يتركز على الأسس الآتية :

١ ـ الاثبات .

٢ ـ التنزيه .

٣ ـ عدم ادراك الكيفية .

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمى ثم الحنظلى المروزى ، المعروف بابن راهويه ، نزيل نيسابور ، سيد الحفاظ وشيخ المشرق فى زمانه قال الامام أحمد عنه ، لا أعرف لاسحاق فى الدنيا نظيرا ، وقال النسائى فيه : أحد الأئمة ، ثقة مأمون ، توفى سنة ٢٣٨ هـ .
سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٥٨) والبداية والنهاية (١٠ / ٢٢١) .

(٢) القاسم بن سلام بن عبدالله أبو عبيد الامام الحافظ ، اشتغل بالحديث والأدب والفقه ، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن له تصانيف كثيرة منها غريب الحديث والأمثال والأموال ، توفى سنة ٢٢٤ هـ .
طبقات الحنابلة لأبى يعلى (١ / ٢٥٩) وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٠) والنجوم الزاهرة (٢ / ٢٤١) وبغية الوعاة (٢ / ٢٥٣) .

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٣٩ ، ١٤٠) .

١ ـ الاثبــات :

أما الاثبات فان السلف يعتقدون ما دل عليه صريح الكتاب وصحيح السنة من اسماء الله تعالى وصفاته ، ويثبتونها على ما يليق بجلاله مع اعتقادهم أنها دالة على معان ثابتة كاملة فى نفس الامر ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

وقد روى عن كثير من السلف ما يدل على أن مذهبهم هو الاثبات وقد ذكرت جملة من أقوالهم فى أول هذا المبحث وهى تدل على أن السلف يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن ذاته وأسمائه وصفاته ولا يفرقون بين الذات والصفات كما فعلت الجهمية والمعتزلة ، كما أنهم لا يفرقون بينها ، فيثبتون البعض وينكرون الآخر كما فعلت الأشاعره ومن نحا نحوهم .

وكلامهم فى الاثبات يرتكز على أمرين :

١ ـ القول فى الصفات كالقول فى الذات ، فان الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى أسمائه وصفاته ، ولا فى أفعاله ، فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات .

فان قيل كيف استوى على عرشه ؟

يقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عن الكيفية بدعة ، كما أجاب ربيعة ومالك وغيرهم رحمهم الله تعالى وان قيل : كيف ينزل ربنا ؟

يقال : كيف هو فى ذاته ؟

فاذا قال : لا أعلم كيفيته ، قيل له ، لا نعلم كيفية نزوله ، اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع له ، وتابع له ، فكيف تطالبنى بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله

وأنت لا تعلم كيفية ذاته .

واذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال ، لا يماثلها شيء ، فسمعه وبصره وكلامه ، ونزوله ، واستواءه ثابت في نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين ، وبصرهم ، وكلامهم ، واستواءهم ونزولهم .

وهذا كلام لازم لهم في العقليات ، وفي تأويل السمعيات ، فان من أثبت شيئا ، ونفى شيئا بالعقل ، الزم اذا فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبته .

ولو طولب بالفرق بين المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا .

٢ — القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر ، فان من أثبت بعض الصفات كالحياة والقدرة ، والارادة ، ويجعل ذلك كله حقيقة وينكر المحبة والرضا والغضب ويجعل ذلك مجازا .

يقال له : ما الفرق بين ما أثبته وما نفيته ؟

بل القول في أحدهما كالقول في الآخر .

فان قال : ان ارادة الله مثل ارادة الخلق قيل : فكذلك رضاؤه ومحبته وهذا هو التمثيل .

وان قال : ان له ارادة تليق به كما أن للمخلوق ارادة تليق به ، قيل له : فكذلك له محبة تليق به ، وللمخلوق محبة تناسب حاله وكذلك سائر الصفات كالرضا والغضب .

فان قال : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، يقال له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة فان قال : هذه ارادة المخلوق ، قيل : هذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزم القول

في بقية الصفات ، فيجب أن يؤخذ الكل ، أو يقال في الكل بما يقال في البعض .(١)

وقد جمع بين هذين الأصلين الامام أحمد رحمه الله تعالى في قوله : انما التشبيه أن تقول يد كيد أو وجه كوجه ، فأما اثبات يد ليست كالأيدى ، ووجه ليس كالوجوه ، فهو اثبات ذات ليست كالذوات ، وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالاسماع والابصار ، وليس الا هذا المسلك ، أو مسلك التعطيل المحض ، أو التناقض الذى لا يثبت لصاحبه قدم في النفي ، ولا في الاثبات .(٢)

الثاني : التنزيه :

أما التنزيه فان السلف يعتقدون أن الله لا يشبهه شئ لا في ذاته ولا في اسمائه وصفاته ، ولا في أفعاله ، فمن شبه الله بخلقه ، وألحد في اسمائه وصفاته ، وجحد ما وصف الله به نفسه ، فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه أو ما وصف الله به رسوله تشبيها أو تمثيلا كما قال تعالى : (ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير)(٣) كما أنهم ينفون عنه سبحانه ــ كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم اعتقادا بأن المراد من النفي هو اثبات كمال ضده ، وليس النفي المحض ، لأن النفي المحض لا يقصد به المدح الا اذا تضمن اثبات كمال ضد ذلك المنفي ، فكل ما أوجب نقصا أو حدوثا ، فان الله منزه عنه حقيقة .

قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى : " لله أسماء وصفات لا يسع

---

(١) الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام مع تصرف يسير (ص ١٥ــ٢١) .
(٢) الصواعق المرسلة على الجهميه والمعطلة (١/١١٧) .
(٣) سورة الشورى آية (١١) .

أحدا ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر ، فنثبت هذه الصفات ، وننفي عنه التشبيه كما نفي عن نفسه فقال : (ليس كمثله شيء) (١) .

وقال شيخ الاسلام ابن خزيمة (٢) رحمه الله تعالى عند كلامه على صفة الوجه لله عز وجل : فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة ، واليمن ، والعراق والشام ومصر مذهبنا : أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عزربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون ، لأن مالا صفة له عدم تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذى وصف بها نفسه فى محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (٣) .

وعمدة السلف رحمهم الله تعالى فى هذه القاعدة قوله تعالى (هل تعلم له سميا) (٤) .

---

(١) طبقات الحنابلة (١ / ٢٨٣) حيث ساقه المؤلف باسناده الى الشافعى وذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٣ / ٤٠٧) .

(٢) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمى النيسابورى الامام الحافظ الحجة ، كان سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث له مصنفات مفيدة منها : كتاب التوحيد ، كتاب صحيح ابن خزيمة توفى سنة ٣١١ هـ .
الجرح والتعديل (٧ / ١٩٦) وسير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٦٥) ، وشذرات الذهب (٢ / ٢٦٢) .

(٣) التوحيد لابن خزيمة (١ / ٢٦) .

(٤) سورة مريم آية (٦٥) .

وقوله تعالى : (ليس كمثله شئ) (١) .

وقوله تعالى : (فلا تضربوا لله الامثال) (٢) .

وغيرها من الآيات التى أخبر الله فيها بأنه منزه عن الكفء والمثل والند والشبيه ، لأنه تبارك وتعالى موصوف بصفات الكمال الذى لا نقص فيه منزه عن صفات النقص مطلقا ، ومنزه عن أن يماثله غيره فى صفات كماله .

الثالث : قطع الأطماع عن ادراك الكيفية والكنه :

لأن ادراك الكيفية مستحيل وليس فى امكان البشر الاحاطة بذاته سبحانه وتعالى لقوله عز وجل (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) (٣) .

فمعرفة الكيفية لا سبيل بالوقوف عليه ، فلابد من اليأس من ادراكها لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنهم لا يحيطون به علما ، لأن هذا أمر غيبى والأمور الغيبية لا تدرك كيفياتها بالعقل .

والواجب الذى كلفنا به وأمرنا باعتقاده هو الالتزام بما جاءت به الأدلة الشرعية ، ونهينا عن تجاوز ذلك والخوض فيما لا علم لنا به ، ولا يمكننا ادراكه والوقوف على حقيقته وكيفيته ، وهذا أصل معروف عند السلف رحمهم الله تعالى ، فانهم يقرون بكل ما جاء فى كتاب الله أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بلا كيف ولا مثيل .

---

(١) سورة الشورى آية (١١) .

(٢) سورة النحل آية (٧٤) .

(٣) سورة طه آية (١١٠) .

قال ابن قتيبة (١) رحمه الله تعالى : وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها ، فنؤمن بالرؤية والتجلي ، وأنه يعجب وينزل من السماء ، وأنه على العرش استوى ، وبالنفس واليدين من غير أن نقول بكيفية أو بحد ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت (٢) .

وقال ابن قدامة المقدسي (٣) رحمه الله تعالى : ... وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ، كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غيره تعرض لتأويله (٤) .

---

(١) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد في بغداد سنة ٢١٣ هـ ، كان على مذهب السلف رحمهم الله تعالى ، له مؤلفات مفيدة منها : مشكل الحديث ، ومنها الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية ، قال الخطيب : كان ثقة دينا فاضلا . وقال الذهبي : كان رأسا في علم اللسان العربي ، والأخبار وأيام الناس ، مات سنة ٢٧٦ هـ .
تاريخ بغداد (١٠ / ١٧٠) وسير اعلام النبلاء (١٢ / ٢٩٦) وبغية الوعاة (٢ / ٦٣) .

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص ٢٤٣) .

(٣) أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، ولد سنة ٥٤١ هـ كان عالم الشام في زمانه قال ابن النجار : كان امام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقة حجة نبيلا ، غزير الفضل ، نزها ، ورعا عابدا ، على قانون السلف ، عليه النور والوقار . من مؤلفاته في العقيدة : لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد ، وذم التأويل ، مات سنة ٦٢٠ هـ بدمشق .
التكملة في وفيات النقلة للمنذري (٣ / ١٠٧) وسير أعلام النبلاء (٢٢ / ١٦٥) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ١٣٣) وشذرات الذهب (٥ / ٨٨) .

(٤) لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد (ص ١٠) .

وقال الخطيب البغدادي (١) رحمه الله تعالى : أما الكلام في الصفات ، فإن ما روى منها في السنن والصحاح مذهب السلف رضى الله عنهم اثباتها واجراؤها على ظاهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها ، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله ، فاذا كان معلوما أن اثبات رب العالمين عز وجل انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف ، فكذلك اثبات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف ... ونقول انما وجب اثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفى التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٢) وقوله عز وجل (ولم يكن له كفوا أحد) (٣) (٤) فلا طريق للعلم بذاته وصفاته وأسمائه عز وجل إلا بالخبر عنه سبحانه لما بلغنا ذلك رسول الهدى صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك فاننا لا نعلم عن ذاته وأسمائه وصفاته الا ما جاء به الخبر ، فعلينا أن نقف عند الحد الذى جاء به الخبر من غير سؤال عن كيفية ذلك ، ولا بحث عن كنهها لأنه ليس

---

(١) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد البغدادى الحافظ المحدث المؤرخ ، ولد سنة ٣٩٢ هـ ، قال الذهبى : أحد الأئمة الأعلام وصاحب التواليف المنتشرة فى الاسلام . له مصنفات كثيرة من أشهرها : تاريخ بغداد ، مات سنة ٤٦٣ هـ .
العبر للذهبى (٢/ ٣١٤) ووفيات الأعيان (١/ ٩٢) وشذرات الذهب (٣/ ٣١١) .

(٢) سورة الشورى آية (١١) .

(٣) سورة الاخلاص آية (٤) .

(٤) ذم التأويل لابن قدامة (ص ١٥) وذكره الذهبى فى تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٢) .

بوسعنا ولا من حقنا أن نتكلم فيما لا نعلم ، ولذلك أثر عن كثير من السلف أنهم قالوا عند ما سئلوا عن كيفية استواء الله عز وجل : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . (١)

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا وأن السؤال عنه بدعة .

ولذلك كان اعتقاد السلف فى هذا الباب اثباتا بريئا من التمثيل وتنزيها خاليا من التعطيل على حد قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٢)

والله الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) تقدم ص (١٧٧)

(٢) سورة الشورى آية (١١) .

المبحث الثالث
أدلة توحيد الأسماء والصفات

بينت فيما سبق من مباحث هذا الفصل تعريف توحيد الأسماء والصفات ومنهج السلف الصالح فيه وما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى فيه والتي ملخصها : وجوب الايمان بما ثبت لله عز وجل من الاسماء الحسنى والصفات العلى اثباتا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه ، ونفى جميع النقائص والعيوب عنه عز وجل .

وقد وردت أدلة كثيرة فى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك كله .

فمن الآيات قوله تعالى : (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، وهو العلى العظيم) (١) .

ومنها قوله تعالى : (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد) (٢)

ومنها قوله تعالى : (انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (٣)

ومنها قوله تعالى : (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٤) .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٥) .
(٢) سورة البروج من آية (١٤ الى آية ١٦) .
(٣) سورة يس آيه (٨٢) .
(٤) سورة الحشر آيه (٢٣ ، ٢٤) .

ومنها قوله تعالى : (سبح لله مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم ، هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض ،وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعلمون بصير له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور ، يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وهو عليم بذات الصدور) (١)

ومنها قوله تعالى : (ألم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان ، ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام ، ان الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) (٢)

ومنها قوله تعالى : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) (٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية : وقوله (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد

---

(١) سورة الحديد من آيه (١ الى آية ٦).
(٢) سورة آل عمران من آية (١ الى آية ٦).
(٣) سورة الاسراء آية (١١١).

ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ولم يكن له ولى من الذل) أى ليس بذليل فيحتاج الى أن يكون له ولى أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الاشياء وحده لا شريك له ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له .
قال مجاهد فى قوله (ولم يكن له ولى من الذل) لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد (وكبره تكبيرا) أى عظمة وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا .(١)

والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وكلها دالة على أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وله الكمال المطلق فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له .

وأما الأحاديث التى وردت فى اثبات اسماء الرب الحسنى وصفاته العلى فهى كثيرة جدا لا تقل عن أحاديث الصلاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك من مسائل الأحكام .

ومنها : حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو من الليل : اللهم لك الحمد انت رب السماوات والأرض لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ، ومن فيهن ، لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ، قولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق ، والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت ، أنت الهى لا اله لى غيرك .(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٦٩) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق (٨/١٦٧) .

وحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال أرأيتم ما انفق منذ خلق السماوات والأرض فانه لم يغض ما في يده ، وقال عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع .(١)

وحديث عبدالله بن مسعود أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ان الله يمسك السماوات على اصبع والأرضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ، والخلائق على اصبع ، ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ : (وما قدروا الله حق قدره)(٢) قال عبدالله : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له .(٣)

قال البغوي(٤) رحمه الله تعالى : والاصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل ، وكذلك كل ماجاء به الكتاب أو السنة من هذا

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) (٨/١٧٣) .

(٢) سورة الزمر آية (٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي (٨/١٧٤) .

(٤) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه المحدث المفسر ، قال الذهبي : كان على منهاج السلف ، وله القدم الراسخ في التفسير ، والباع المديد في الفقه ، له مصنفات مفيدة منها : شرح السنة ، توفي سنة ٥١٦ هـ .
سير اعلام النبلاء (١٩/٤٣٩) وطبقات المفسرين للداوودي (١/١٦١) .

القبيل فى صفات الله تعالى ، كالنفس ، والوجه ، والعين ، واليد ، والرجل ، والاتيان ، والمجيء ، والنزول الى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش ، والضحك والفرح ... فهذه ونظائرها صفات الله تعالى ورد بها السمع يجب الايمان بها وامرارها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل مجتنبا عن التشبيه ، معتقدا أن البارى سبحانه وتعالى لا يشبه شيئا من صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق ، قال الله سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) (٢).

وعن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : " إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفى رواية أبى بكر : النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بَصَرُهُ من خلقه " (٣).

وعن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة " (٤).

---

(١) سورة الشورى آية (١١).

(٢) شرح السنة (١/١٦٨ - ١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ، باب قوله عليه السلام " ان الله لا ينام ... (١/١٦١).

(٤) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم (٨/٢٠٢) ومسلم : كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/٧٠٣).

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول ، فيقول : أنا الملك ، أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر ".(١)

وعن جرير قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة ـ يعني البدر ـ فقال : " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون(*) في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)(٢)

قال إسماعيل :(٣) افعلوا لا تفوتنكم .(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التهجد : باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (٢/٤٧) ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه (١/٥٢٢)

(٢) سورة ق آية (٣٩).

(٣) هو إسماعيل بن أبي خالد ، تقدمت ترجمته .

(٤) أخرجه البخاري : كتاب مواقيت الصلاة : باب فضل صلاة العصر (١/١٣٨) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/٤٣٩).

(*) لا تضامون : يروى بالتشديد والتخفيف للميم ، فالتشديد معناه لا ينضم بعضكم إلى بعض ، وتزدحمون وقت النظر إليه ـ ويجوز فتح التاء وضمها ـ ومعنى التخفيف لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض ، والضيم الظلم . النهاية لابن الأثير (٣/١٠١).

وان تقرب الى بشبر تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة)[١] .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن ماجاء فى هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التى تثبت صفات الله تبارك وتعالى أنها تثبت من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل بل على الوجه الذى يليق بجلال الله وعظمته ، ومن فهم من هذه الأحاديث تشبيها أو حلولا فانما فهمه بسبب جهله وعدم معرفته بربه ، والله ورسوله بريئان من ذلك .

قال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعضا من هذه الأحاديث التى ذكرتها : ... ومن فهم شيئا من هذه النصوص تشبيها أو حلولا أواتحادا فانما أتى من جهله ، وسوء فهمه عن الله عز وجل وعن رسوله ، والله ورسوله بريئان من ذلك كله ، فسبحان من ليس كمثله شىء وهو السميع البصير[٢] .

وقال رحمه الله تعالى أيضا فى شرحه للحديث القدسى : وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ...[٣] ... فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى ومحا ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شىء من نفسه وهواه ، ولا ارادة الا لما يريده منه مولاه ، فحينئذ لا ينطق العبد الا بذكره ، ولا يتحرك الا بأمره ، فان نطق نطق بالله ،

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) (٨/١٧١) ومسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/٢٠٦١) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٨٩) .

(٣) تقدم تخريجه (ص١٤٣) .

وان سمع سمع به ، وان نظر نظر به وان بطش بطش به ، فهذا هـــو المراد بقوله " كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر بـــه ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ومن أشار الى غير هذا فانما يشير الى الالحاد من الحلول ، والاتحاد ، والله ورسوله بريئـــان منـــه ... "(١)

(١) جامع العلوم والحكم (٣/١٦٧ ، ١٦٨).

المبحث الرابع
بيانه أن السلف أعلم وأن مذهبهم أسلم وأحكم

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : "... وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم ، فمنهم من نطق في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ، ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله .

ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين ، وهذا يلزم منه ما قبله لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم ، فاذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله ، كان أعلم ممن كان أقل منهم قولا بطريق الأولى ، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم ، وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضا فان هؤلاء كلهم أقل كلاما ممن جاء بعدهم .

وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح ، واساءة الظن بهم ، ونسبته لهم الى الجهل وقصور العلم ، ولا حول ، ولا قوة الا بالله ، وقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة رضي الله عنهم : انهم أبر الأمة قلوبا وأعمقها علوما وأقلها تكلفا ..." (١)

وفي هذا اشارة الى أن من بعدهم أقل علوما وأكثر تكلفا . وقال ابن مسعود أيضا : "انكم في زمان كثير علماؤه ، قليل خطباؤه ، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه ، كثير خطباؤه". (٢)

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص ٣٦٨) .

(٢) أخرجه أبو خيثمة في العلم (ص ١٣٥) والبخاري في الادب المفرد (ص ٢٦٧) وصححه الحافظ في الفتح (١٠ / ٥١٠) .

فمن كثر علمه وقل قوله فهو ممدوح ، ومن كان بالعكس فهو مذموم .(١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى : " . . . فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام ، وكثرة الجدال ، والخصام ، والزيادة والبيان ، على مقدار الحاجة ، لم يكن عيا ولا جهلا ، ولا قصورا ، وانما كان ورعا وخشية لله ، واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع .

وسواء فى ذلك كلامهم فى أصول الدين ، وفروعه ، وفى تفسير القرآن والحديث ، وفى الزهد ، والرقائق ، والحكم ، والمواعظ ، وغير ذلك مما تكلموا فيه .

فمن سلك سبيلهم ، فقد اهتدى ، ومن سلك غير سبيلهم ، ودخل فى كثرة السؤال ، والبحث ، والجدال ، والقيل والقال ، فان اعترف لهم بالفضل ، وعلى نفسه بالنقص ، كان حاله قريبا . . .

وإن ادّعى لنفسه الفضل ، ولمن سبقه النقص والجهل ، فقد ضل ضلالا مبينا ، وخسر خسرانا عظيما . . .(٢)

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن السلف رضى الله عنهم كانوا أهل نظر ودراية ، وأنهم كانوا أسلم وأحكم وأعلم فى أصول الدين وفروعه بل فى كل قضية من قضايا هذا الدين الحنيف .

وهو بهذا يرد رحمه الله تعالى على قول بعض المتأخرين الذين يقولون : أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم .

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٤٦) .

(٢) المرجع السابق (ص (١٦١) .

يقول البيجوري :[1] وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، لما فيها من مزيد الايضاح والرد على الخصوم ، وهي الأرجح ، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى .[2]

ولا شك أن هذا فهم سقيم من هؤلاء المتكلمين لأنهم ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالألفاظ في القرآن والحديث من غير فقه لذلك .

وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات ، فجمع هذا القائل بقوله هذا بين الجهل بطريقة السلف ، وتنقيصهم ، وبين تفضيل طريقة الخلف ورفع مكانتهم .

والحقيقة أن الأمر ليس كما حكاه البيجوري وغيره لأن السلف رحمهم الله تعالى في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى ، وفي غاية التعظيم له ، والخضوع والتسليم لأمره ، وهم أعلم الأمة بنصوص الكتاب والسنة وأبلغهم في فهم معانيها على حسب مراد الله ورسوله .

فكيف يكون الخلف أعلم وأحكم بأسماء الله وصفاته من هؤلاء الذين هم ورثة الأنبياء والمرسلين ، وهم أعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الأنبياء فضلا عن بقية الأمم الذين لم يكن لهم كتاب .

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري ، شيخ الجامع الأزهر في وقته ، كان على المذهب الشافعي في الفقه ، والمذهب الأشعري في العقيدة ، له عدة مؤلفات منها : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ، توفي سنة ١٢٧٧ هـ .
الاعلام (١/ ٧١) ومعجم المؤلفين (١/ ٨٤) .

(٢) تحفة المريد (ص ٩١) .

فالحق ما ساروا عليه ، والعلم ما بينوه وأوضحوه ، وما عدا ذلك فهو علم لا منفعة فيه ، وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذا فقال فأفضل العلوم فى تفسير القرآن ومعانى الحديث ، والكلام فى الحلال والحرام ما كان مأثورا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، الى أن ينتهى الى زمن أئمة الاسلام المشهورين المقتدى بهم ، فضبط ما روى عنهم فى ذلك أفضل العلم ، مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه ، وما حدث بعدهم من التوسع لا خير فى كثير منه الا أن يكون شرحا بكلام يتعلق بكلامهم .

وأما ماكان مخالفا لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه وفى كلامهم فى ذلك كفاية وزيادة ، فلا يوجد فى كلام من بعدهم من حق الا وهو فى كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة ، ولا يوجد فى كلام من بعدهم من باطل الا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله .

ويوجد فى كلامهم من المعانى البديعة ، والمآخذ الدقيقة مالا يهتدى اليه من بعدهم ، ولا يلم به .

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فانه ذلك الخير كله ، مع ما يقع فى كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم .(١)

وبهذا يتبين لنا صحة الموقف الذى اتخذة ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان حال السلف وصحة منهجهم فى أمور الدين كلها .

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٤٧ ، ١٤٨) .

المبحث الخامس

بيانه أن سورة الاخلاص فيها صفة الرحمن

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : فهذه السورة هي نسب الرحمن وصفته ، وهي التي أنزلها الله في نفي ما أضاف اليه المبطلون من تمثيل ، وتجسيم ، واثبات أصل وفرع ، فدخل فيها ما يقوله من يقوله من المشركين ، والصابئة (١) وأهل الكتاب ومن دخل فيهم من منافقي هذه الأمة من تولد الملائكة أو العقول ، أو النفوس أو بعض الأنبياء ، أو غير الأنبياء ودخل فيها ما يقوله من يقوله من المشركين وأهل الكتاب من تولده عن غيره كالذين قالوا في المسيح أنه الله ، والذين يقولون في الدجال : أنه الله ، والذين يقولون ذلك في علي وغيره.

ودخل ما يقوله من يقول من المشركين وأهل الكتاب من اثبات كفو له في شيء من الأشياء ، مثل من يجعل له بتشبيهه ، أو تجسيمه كفوا له ، أو يجعل له بعبادة غيره كفوا ، أو يجعل له باضافة بعض خلقه الى غيره كفوا ، فلا كفو له في شيء من صفاته ، ولا في ربوبيته ولا في آلهيته .

---

(١) الصابئة : الصابيء في اللغة هو التارك لدينه الذي شرع له الى دين غيره . والصابئة : أمة كبيرة ، وهم القوم الذين بعث فيهم ابراهيم عليه السلام ، هم أهل دعوته ، وكانوا بحران ، فهي دار الصابئة وهم على قسمين : صابئة حنفاء ، وصابئة مشركين والمشركون منهم هم الذين يعبدون الكواكب والبروج ويعظمونها ويصورونها في هياكلهم .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٩٠) والملل والنحل (٢ / ٥) واغاثة اللهفان (٢ / ٢٤٥) .

فتضمنت هذه السورة تنزيهه ، وتقديسه ، عن الأصول والفروع ، والنظراء ، والأمثال .[1]

ويقول أيضا رحمه الله تعالى : فقد تضمنت هذه السورة العظيمة اثبات صفات الكمال ، ونفى النقائص ، والعيوب من خصائص المخلوقين من التولد والمماثلة .[2]

ويقول أيضا رحمه الله تعالى : فهذه السورة تتضمن انفراده ووحدانيته وأنه منقطع النظير ، وأنه انما نزه عن أن يكون من أجناس المخلوقات ، لان أفراد كل جنس من هذه الأجناس متكافئة متماثلة ، فالذهب يكافئ الذهب والانسان يكافئ الانسان ويزاوجه ، ولهذا قال تعالى : (ومن كل شئ خلقنا زوجين) .[3]

فما من مخلوق الا وله كفو ، هو زوجه ، ونظيره ، وعدله ، ومثيله فلو كان الحق من جنس شئ من هذه الأجناس ، لكان له كفو وعدل ، وقد علم انتفاؤه بالشرع والعقل .[4]

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى معنى قوله صلى الله عليه وسلم " قل هو الله أحد " تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها[5] فقال : ويستدل به على أن المراد بكونها تعدل ثلث القرآن أجره وثوابه ، كما يستدل بحديث أبى الدرداء[6] على أنها جزء التوحيد من القرآن ،

---

(١) تفسير سورة الاخلاص (ص ١٠٠ ، ١٠١) .

(٢) المصدر السابق (ص ٩٧) .

(٣) سورة الذاريات آية (٤٩) .

(٤) تفسير سورة الاخلاص (ص ١٠٠) .

(٥) أخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة (ص ٤٢٨) .

(٦) سيأتى لفظه وتخريجه (ص ٢٠٩) .

وأنه ثلاثة أجزاء : توحيد وتشريع وقصص .(١)

فهذه السورة العظيمة هي صفة الرحمن سبحانه وتعالى وكل سور القرآن هي صفة الرحمن سبحانه وتعالى لأنها كلامه عز وجل ، وكلامه من صفاته تبارك وتعالى ولكن هذه السورة تميزت بأنها خالصة لذكر أوصاف الرحمن جل جلاله .(٢)

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فضائل هذه السورة العظيمة فقال : أما فضائلها فكثيرة جدا :

منها : أنها صفة الرحمن ، وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه : لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخبروه أن الله يحبه ".(٣)

ومنها : أن حبها يوجب محبة الله ، لهذا الحديث المذكور آنفا ، ومنه قول ابن مسعود : " من كان يحب القرآن فهو يحب الله ".(٤)

---

(١) تفسير سورة الاخلاص (ص ٨٠).

(٢) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لفضيلة الشيخ / عبدالله الغنيمان (ص ٦١).

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب ماجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى (٨/١٦٣) ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) (١/٥٥٧).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/١٤٢).

ومنها : أن حبها يوجب دخول الجنة ... روى مالك عن عبيد الله ابن عبد الرحمن (١) عن عبيد بن حنين (٢) قال : سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فسمع رجلا يقرأ : (قل هو الله أحد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجبت ، قلت : وما وجبت ؟ قال : الجنة " . وأخرجه النسائى والترمذى وقال : حسن صحيح لا نعرفه الا من حديث مالك (٣) .

ومنها : أنها تعدل ثلث القرآن ففى صحيح البخارى من حديث أبى سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها ، فلما أصبح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ـ وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" (٤)

---

(١) عبيد الله بن عبد الرحمن ، يقال اسم جده السائب بن عمير ، صدوق من السادسة ، رواه له الترمذى والنسائى ومالك .
الجرح والتعديل (٥/٣٢٣) وتهذيب التهذيب (٧/٣٠) وتقريب التهذيب (٢٢٦) .

(٢) عبيد بن حنين المدنى أبو عبد الله ، ثقة فاضل ، قليل الحديث ، مات سنة ١٠٥ هـ .
تهذيب التهذيب (٧/٦٣) وتقريب التهذيب (٢٢٨) .

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ (١/٢٠٨) وأحمد فى المسند (٢/٣٠٢) والترمذى : كتاب فضائل القرآن ، باب ماجاء فى سورة الاخلاص ٥/١٦٨) والنسائى : كتاب الافتتاح : باب الفضل فى قراءة (قل هو الله أحد) (٢/١٧١) والحاكم فى المستدرك : كتاب فضائل القرآن (١/٥٦٦) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد .
وقال أحمد شاكر رحمه الله فى تعليقه على المسند (١٥/١٦٥) : إسناده حسن .

(٤) أخرجه البخارى ، كتاب التوحيد ، باب ماجاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٨/١٦٤) .

وفي صحيح مسلم ... عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ قالوا : نعم قال : إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء . فقل هو الله أحد ثلث القرآن ".(١)

ومنها : أن قراءتها تكفي من الشر ، وتمنعه ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قرأها مع المعوذتين ، ومسح ما استطاع من جسده .(٢)

وروى أبو داود (٣) والترمذي (٤) والنسائي (٥) من طريق معاذ بن عبدالله بن خبيب (٦) عن أبيه (٧)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) (١/٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري : فضائل القرآن ، باب فضل المعوذات (٦/١٠٦).

(٣) سنن أبو داود : كتاب الأدب ، باب ماذا يقول اذا أصبح (٥/٣٢١).

(٤) سنن الترمذي : كتاب الدعوات (٥/٥٦٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٥) سنن النسائي : كتاب الاستعاذة (٨/٢٥٠).

(٦) معاذ بن عبدالله بن خبيب الجهني المدني ، صدوق ، ربما وهم ، من الرابعة ، روى له البخاري في الأدب المفرد ، وأصحاب السنن الأربعة .
تقريب التهذيب (٣٤٠).

(٧) هو عبدالله بن خبيب الجهني ، مدني له صحبة ، روى له البخاري في الادب المفرد ، وأصحاب السنن الأربعة .
أسد الغابة (٣/١٥٠) والإصابة (٢/٢٩٤) وتقريب التهذيب (١٧٢).

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : قل (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثا تكفيك كل يوم " وصححه الترمذى ...

ومنها : أن الدعاء بها مستجاب ، ففى السنن الأربعة عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يصلى يدعو ويقول : اللهم انى أسألك بأنى أشهد أن لا اله الا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، قال : " والذى نفسى بيده لقد سأله باسمه الأعظم ، الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب (١) (٢)

هذه بعض فضائل هذه السورة العظيمة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عظم هذه السورة وعظم ما اشتملت عليه ، فهى سورة خالصة لذكر أوصاف الرحمن تبارك وتعالى .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٥/ ٣٦٠) وأبو داود : كتاب الصلاة باب الدعاء (٢/ ١٦٧) والترمذى : كتاب الدعوات ، باب جامع الدعوات (٥/ ٥١٥) وابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم (٢/ ١٢٦٧) والحاكم : كتاب الدعاء (١/ ٥٠٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) تفسير سورة الاخلاص (ص ٧١ — ٨٣) .

المبحث السادس
بيانه أن الاشتراك في الاسم لا يقتضي الاشتراك في المسمى

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : ... "وحرم التسمي بأسمائه المختصة به كالله والرحمن والرب .

وانما يجوز التسمية به مضافا الى غير من يعقل ، وكذلك الجبار والمتكبر والقهار ، ونحو ذلك كالخلاق والرزاق والدائم ، ومنه ملك الملوك .

وقد جعل ابن عقيل التسمية بهذا مكروهة .

قال ابن عقيل : "كل ما انفرد به الله كالله والرحمن والخالق لا يجوز التسمي به ، وكلما وجد معناه في الآدمي ، فان كان يوجد تكبرا ، كالملك العظيم والأعظم ، وملك الملوك والجبار فمكروه" .

والصواب الجزم بتحريمه ، فأما ما يتسمى به المخلوقون من أسمائه كالسميع والبصير والقدير والعليم والرحيم ، فان الاضافة قاطعة الشركة ، وكذلك الوصفية ، فقولنا : زيد سميع بصير لا يفيد الا صفة المخلوق . وقولنا : الله سميع بصير يفيد صفته اللائقة به ، فانقطعت المشابهة بوجه من الوجوه .

ولهذا قال تعالى : (هل تعلم له سميا) (١) وفيه قولان :

أحدهما : نفي التسمية .

والثاني : نفي المساواة ، وقد نفى سبحانه عن نفسه المثلية بقوله : (ليس كمثله شيء) (٢) ونفى عنه العدل والتسوية بقوله : (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (٣) وقوله : (قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) (٤) ونفى عنه النـــد

---

(١) سورة مريم آية (٦٥) .
(٢) سورة الشورى آيه (١١) .
(٣) سورة الانعام آيه (١)
(٤) سورة الشعراء آيه (٩٦ـ٩٨) .

بقوله : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (١) وقوله (أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا) (٢) .

وفى الحديث : " أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك " (٣).

وقال للذى قال له : "ماشاء الله وشئت أجعلتنى لله ندا ؟

وفى رواية " أجعلتنى لله عدلا ؟ " (٤) (٥).

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن الاتفاق فى الاسم لا يلزم منه المشابهة والاتفاق فى المسمى لأن لله سبحانه وتعالى أسماء تليق بجلاله وكماله ، وللعبد منها ما يناسب ضعفه وعجزه وذلك مثل الحياة والعلم والقدرة والسمع، والبصر والكلام وغيرها والاضافة توضح المقصود وتبينه .

فاذا قلنا : حياة الله ، وقدرة الله ، وكلام الله ونحو ذلك فهذا كله يوصف به الله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وكماله ، ولا يماثل صفات المخلوقين .

واذا قلنا : علم العبد ، وقدرة العبد ، وكلام العبد ، فهذا كله مخلوق يناسب ضعف العبد وعجزه .

وهذا كله قد أوضحه ابن رجب رحمه الله تعالى وبينه فى كلامه السابق ، وهو ما عليه سلف هذه الامة وائمتها رحمهم الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢) .

(٢) سورة فصلت آية (٩) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٣١) .

(٤) أخرجه أحمد (٢٥٣/٣) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأخرجه ابن ماجه : كتاب الكفارات ، باب النهى أن يقال ماشاء الله وشئت (٦٨٤/١) والطبرانى فى الكبير (٢٤٤/١٢) .

(٥) تفسير سورة الاخلاص (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

يقول الامام البغوى رحمه الله تعالى مبينا ذلك : وأسماء الله تعالى لا تشبه اسماء العباد ، لأن أفعال الله تعالى مشتقة من اسمائه ، وأسماء العباد مشتقة من أفعالهم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : " يقول الله سبحانه وتعالى : أنا الرحمن ، خلقت الرحم واشتققت لها من اسمى ".(١)

فبين أن أفعاله مشتقة من اسمائه ، فلا يجوز أن يحدث له اسم بحدوث فعله ، ولا يعتقد فى صفات الله تعالى أنها هو ولا غيره ، بل هى صفات له أزلية ، لم يزل جل ذكره ، ولا يزال موصوفا بما وصف به نفسه ، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته ، هو الأول والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شئ عليم .(٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : واذا كان من المعلوم بالضرورة أن فى الوجود ما هو قديم واجب لنفسه ، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم ، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ، ولا يلزم من اتفاقهما فى مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا ، بل وجود هذا يخصه ، ووجود هذا يخصه ، واتفاقهما فى اسم عام لا يقتضى تماثلهما فى مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتخصيص ، والتقييد ولا فى غيره فلا يقول عاقل إذا قيل ان العرش شئ موجود ، وان البعوض شئ موجود

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٣٩) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأبو داود : كتاب الزكاة ، باب فى صلة الرحم (٢/٣٢٢) ، والترمذى : كتاب البر ، باب فى قطيعة الرحم (٤/٣١٥) وقال حديث صحيح .

(٢) شرح السنة (١/١٧٩ ، ١٨٠).

أن هذا مثل هذا ، لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود ، لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق ، واذا قيل : هذا موجود ، وهذا موجود ، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره ، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما .

ولهذا سمى الله نفسه بأسماء ، وسمى صفاته بأسماء ، وكانت تلك الأسماء مختصة به اذا أضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الأسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده ـ عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة والتخصيص ، اتفاقهما ، ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص ، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الاضافة والتخصيص وقد سمى الله نفسه حيا فقال : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (١)

وسمى بعض عباده حيا فقال : (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) (٢) وليس هذا الحي مثل هذا الحي ، لأن قوله " الحي " اسم لله مختص به ، وقوله (يخرج الحي من الميت) اسم للحي المخلوق مختص به ، وانما يتفقان اذا أطلقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين ، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخالق ، ولابد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته ، يفهم منها مادل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دل عليه بالاضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى . (٣)

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٥) .

(٢) سورة يونس آية (٣١) .

(٣) الرسالة التدمرية (ص ٨ ، ٩) .

(٢١٧)

المبحث الرابع

- ذكر جملة من الصفات التي ذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى

وفيما يلي سأذكر جملة من صفات الله عز وجل مع ذكر كلام ابن رجب رحمه الله تعالى عليهـا :

أولا : صفة العلم :

وهي صفة من صفات الله الذاتية ، قال ابن رجب رحمه الله تعالى لا ريب أن علم الله عز وجل قديم أزلي ، لم يزل عالما بما يحدثه من مخلوقاته (١)

فالعلم صفة من صفات ذاته تعالى فهو عالم بعلم قائم بذاته قديم أزلي لازم لنفسه المقدسة ، وهو سبحانه العليم المحيط بكل شيء ، يعلم الكليات والجزئيات ولا تخفى عليه خافية ، يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

ومن الأدلة على اتصافه تعالى بالعلم قوله تعالى (والله بكل شيء عليم) (٢)

وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (٣) .

وقال تعالى (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) (٤) .

وقوله تعالى : (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) (٥) .

---

(١) لطائف المعارف (ص ٧٩ ، ٨٠) .

(٢) سورة التغابن آية (١١) .

(٣) سورة الأنعام آية (٥٩) .

(٤) سورة التغابن آية (٤) .

(٥) سورة الحديد آية (٤) .

وقال تعالى : (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه) (١)

وقال تعالى : (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) (٢)

والآيات الواردة في كتاب الله الدالة على أن الله تبارك وتعالى متصف بصفة العلم مما لا يكاد أن يحصى الا بعد جهد لكثرتها .

كما دل على اثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم :

منها : ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من مولود يولد الا على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا : يارسول الله أفرأيت من يموت منهم وهو صغير . قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ". (٣)

ومعنى الحديث كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا . (٤)

ومنها : ما رواه البخاري ومسلم في قصة الخضر مع موسى عليه السلام التي ورد فيها قول الخضر : ياموسى إنك على علم من علم الله علمكه الله

---

(١) سورة النساء آية (١٦٦) .

(٢) سورة الطلاق آية (١٢) .

(٣) تقدم تخريجه (ص١٥٣) .

(٤) شفاء العليل (ص٦٧) .

لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه " الى أن قال : " فركبا في السفينة قال : ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى : ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره ".(١)

ومنها : حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ".(٢)

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تدل على إثبات صفة العلم لله عز وجل ، وأنه تبارك وتعالى قد علم في الأزل جميع ما هو خالق كما علم جميع احوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هم منهم من أهل النار ، وعلم سبحانه وتعالى عدد أنفاسهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ، ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه تبارك وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، فله عز وجل العلم المطلق بجميع الأشياء جملة وتفصيلا ، سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير ، باب (واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين)(٥ / ٢٣٠) ومسلم : كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر (٤ / ١٨٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الاستسقاء ، باب لا يدري متى يجيء المطر الا الله (٢ / ٢٣) ومسلم : كتاب الايمان (١ / ٤٠) من حديث أبي هريرة .

ثانيا : صفة الغنى :

صفة الغنى من صفات الله تعالى الذاتية ، قال ابن رجب رحمه الله تعالى : وقوله " ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . . . "(١) يعنى أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعا ولا ضرا ، فإن الله تعالى فى نفسه غنى حميد ، لا حاجة له بطاعة العباد ، ولا يعود نفعها إليه ، إنما هم ينتفعون بها ، ولا يتضرر بمعاصيهم ، وانما هم يتضررون بها .

قال تعالى : (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ، إنهم لن يضروا الله شيئا)(٢) .

وقال تعالى : (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا)(٣)

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته : " ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ولا يضر الا نفسه ، ولا يضر الله شيئا "(٤) .

وقال الله عز وجل : (وإن تكفروا فإن لله مافى السموات والأرض وكان الله غنيا حميدا)(٥) .

وقال تعالى حاكيا عن موسى : (وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد)(٦)

---

(١) هذا جزء من حديث قدسى طويل تقدم تخريجه (ص ١٥٤) .

(٢) سورة آل عمران آيه (١٧٦) .

(٣) سورة آل عمران آية (١٤٤) .

(٤) هذا جزء من حديث ما يسمى بخطبة الحاجة ، وقد تقدم تخريجه (ص ١) .

(٥) سورة النساء آية (١٣١) .

(٦) سورة إبراهيم آية (٨) .

وقال : (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) .[1]

وقال : (لن ينال الله لحومها ، ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم)[2]

والمعنى أنه تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم أن يعصوه ، ولهذا يفرح بتوبة التائبين ...

هذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم اليه ، وأنه انما يعود نفعها اليهم دونه ، ولكن هذا من كمال جوده واحسانه الى عباده ومحبته لنفعهم ، ودفع الضر عنهم ، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا اليه ، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيره وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده .[3]

وقال رحمه الله تعالى أيضا عند قوله صلى الله عليه وسلم : "ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ولو كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا "[4]

قال : هو اشارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق ، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء ، قلوبهم على قلب أتقى رجل منهم ، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين ، ولو كان الجن والانس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم .

---

(١) سورة آل عمران آية (٩٧) .

(٢) سورة الحج آية (٣٧) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/١٨٩ ، ١٩٠) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٥٤) .

فإنه سبحانه الغنى بذاته عمن سواه ، وله الكمال المطلق فى ذاته وصفاته وأفعاله فملكه ملك كامل ، لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أى وجه كان . . . الى أن قال : ان جميع الخلق لو كانوا على صفة أكمل خلقه من البر والتقوى لم يزد ذلك فى ملكه شيئا ، ولا قدر جناح بعوضة ، ولو كانوا على صفة أنقص خلقه من الفجور لم ينقص ذلك من ملكه شيئا . فدل على أن ملكه كامل على أى وجه كان ، لا يزاد ولا يكمل بالطاعة ولا ينقص بالمعاصى ولا تؤثر فيه شيئا » (١) .

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن من صفات الله تبارك وتعالى صفة الغنى المطلق من جميع الوجوه ، وأنه سبحانه وتعالى هو الغنى الحميد الذى بيده خزائن السموات والأرض وأنه سبحانه هو الذى يغنى جميع خلقه لأنهم جميعا مفتقرون اليه فى كل شىء فى وجودهم وقيامهم وقعودهم وحركاتهم ، وسكناتهم ، وفى كل شأن من شؤون حياتهم .

كما أوضح رحمه الله تعالى أن الله تبارك وتعالى قيوم السموات والأرض بيده كل شىء ، وهو على كل شىء قدير ، فلا تزيده طاعة مطيع ، ولا تنقصه معصية عاص لأنه غنى عن خلقه أجمعين ، فهو سبحانه وتعالى له الغنى المطلق الكامل ، وهو متصف بصفة الغنى المطلق من جميع الوجوه فلا يتطرق اليه نقص بوجه من الوجوه ، لأن غناه تبارك وتعالى من لوازم ذاته فلا يحتاج الى أحد بحال من الاحوال ، بل العباد كلهم محتاجون اليه مفتقرون اليه ليس لهم غنا عنه بأية حال من الأحوال .

وهذا كله مما دلت عليه الآيات فى كتاب الله تعالى ومما جاءت به الأحاديث فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٤ ، ١٩٥) .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى فى معرض كلامه بعضا من الآيات الدالة على ذلك .

ومن الآيات التى تدل على أثبات هذه الصفة لله تعالى مما لم يذكره ابن رجب رحمه الله تعالى قوله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد)(١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية : يخبر تعالى بغناه عما سواه ، وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتذللها بين يديه فقال تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى : هم محتاجون اليه فى جميع الحركات والسكنات ، وهو تعالى الغنى عنهم بالذات ، ولهذا قال عز وجل (والله هو الغنى الحميد) أى : هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له ، وهو الحميد فى جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه "(٢).

وأما الأحاديث الدالة على هذه الصفة فكثيرة جدا :

منها ماذكره ابن رجب رحمه الله تعالى فى معرض كلامه السابق .

ومنها حديث عائشة رضى الله عنها قالت : شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى ، ووعد الناس يوما يخرجون فيه ، فقالت عائشة : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدأ حاجب الشمس ، فقعد على المنبر فكبر صلى الله عليه وسلم وحمد الله عز وجل ، ثم قال : " إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان(٣) زمانه عنكم ، وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ملك يوم الدين

---

(١) سورة فاطر آية (١٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥٧٧/٣) .

(٣) ابان زمانه : وقت زمانه ، وابان كل شئ بالكسر والتشديد : وقته وحينه الذى يكون فيه . لسان العرب (٤/١٣) .

لا اله الا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا اله الا أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ".(١)

ثالثا : صفة المعية :

معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة واجماع السلف وهى معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أى مخلوق لمخلوق لقوله تعالى عن نفسه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٢) وهى تنقسم الى قسمين :

١ ـ معية عامة : وهى معية تقتضى علمه سبحانه وتعالى بجميع خلقه واحاطته بهم مؤمنهم وفاجرهم ، فلا تخفى عليه منهم خافية فى الأرض ولا فى السماء ، لأنه تبارك وتعالى قد احاط بكل شيء علما وهذا النوع من المعية من الصفات الذاتية .

ومن الأدلة التى تدل على هذا قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)(٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية : أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار(٤) الجميع فى علمه على السواء

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة ، باب رفع اليدين فى الاستسقاء (١/٦٩٣) وقال : هذا حديث غريب اسناده جيد ، أهل المدينة يقرؤون (ملك يوم الدين) وان هذا الحديث حجة لهم .

(٢) سورة الشورى آية (١١).

(٣) سورة الحديد آية (٤).

(٤) القفار : بكسر القاف ، مفردها قفر وهى الأرض التى لا ماء فيها ولا نبات . الصحاح (٢/٧٩٧).

وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم.[(١)]

ومن نصوص الكتاب أيضا التي تدل على هذا النوع من المعية قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا).[(٢)]

ومنها : قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ...)[(٣)] الآية

وقوله تعالى : (... ولا يستخفون من الله وهو معهم)[(٤)]

الى غير ذلك من الآيات الدالة على قربه سبحانه وتعالى من عباده وأنه عز وجل على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط.

٢ - المعية الخاصة : وهي المعية التي تقتضي النصر والتوفيق والتأييد والحفظ من الله عز وجل لعباده المؤمنين المتقين وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، وهذا النوع من المعية من الصفات الفعلية .

ومن النصوص الدالة على هذا النوع قوله تعالى : (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).[(٥)]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٤).

(٢) سورة المجادلة آية (٧).

(٣) سورة يونس آية (٦١).

(٤) سورة النساء آية (١٠٨).

(٥) سورة النحل آية (١٢٨).

ومنها : قوله تعالى فى قصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضى الله عنه : (اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)(١) .

ومنها : قوله تعالى لموسى وهارون : (اننى معكما أسمع وأرى)(٢) إلى غير ذلك من الآيات التى تدل على أنه سبحانه وتعالى مع عباده المتقين الطائعين يحفظهم وينصرهم ويدافع عنهم .

كما دل على هذا النوع أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم :

منها : حديث أبى موسى قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " أيها الناس أربعوا على أنفسكم انكم ليس تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم " وفى لفظ : "والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلة أحدكم "(٣) .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى صفة المعية وأقسامها ، وعرف كل قسم منها وذكر ما يدل عليه من نصوص الكتاب والسنة .

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى : وقوله صلى الله عليه وسلم : "احفظ الله تجده أمامك "(٤) معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه فى جميع الأحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده ،

---

(١) سورة التوبة آية (٤٠) .

(٢) سورة طه آية (٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/ ٢٠٧٦) .

(٤) سبق تخريجه (ص ١٤١) .

فانه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهو تعالى مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون ...

وهذه هى المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة فى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم ...) (١)

فان المعية الخاصة تقتضى النصر والتأييد والحفظ والاعانة ...

وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لأبى بكر وهما فى تلك الحال : " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " (٢) .

فهذا غير المعنى المذكور فى قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) (٣) فان ذلك عام : لكل جماعة .

ومن هذا المعنى الخاص الحديث الالهى وقوله فيه : " ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به يده التى يبطش بها ورجله التى يمشى به " (٤).

الى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على قرب الرب سبحانه ممن أطاعه واتقاه ، وحفظ حدوده وراعاه " (٥).

وقال رحمه الله تعالى أيضا وهو يتكلم عن المعية فى مرتبة الاحسان " وقد دل القرآن على هذا المعنى فى مواضع متعددة كقوله تعالى :

---

(١) سورة الحديد آية (٤) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب التفسير ، باب قوله : (ثانى اثنين اذ هما فى النار) (٥/٢٠٤) .

(٣) سورة المجادلة آية (٧) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٤٨) .

(٥) نور الاقتباس (ص ٥٢ ، ٥٣) .

(وهو معكم أينما كنتم)[١] وقوله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) ...[٢] الى أن قال رحمه الله تعالى " ومن فهم شيئا من هذه النصوص تشبيها أو حلولا أو اتحادا فانما أتى من جهله وسوء فهمه عن الله عز وجل وعن رسوله ، والله ورسوله بريئان من ذلك كله ، فسبحان من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ".[٣]

وقال رحمه الله تعالى أيضا بعد أن ذكر بعض النصوص التى تدل على المعية " فهذا كله يدل على أن قرب الله من خلقه شامل لهم ، وقربه من أهل طاعته فيه مزيد خصوصيه كما أن معيته مع عباده عامة حتى ممن عصاه قال تعالى : (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول).[٤]

ومعيته مع أهل طاعته خاصة فهو سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ...

فالمعية العامة تقتضى التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه .

والمعية الخاصة تقتضى حسن الظن باجابته ورضاه وحفظه وصيانته فكذلك القرب ، وليس هذا القرب تقرب الخلق المعهود منهم كما ظنه من ظنه من أهل الضلال ، وانما هو قرب ليس يشبه قرب المخلوقين كما أن الموصوف به ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ...[٥]

---

(١) سورة الحديد آيه (٤).

(٢) سورة البقرة آية (١٨٦).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٨٨ ، ٨٩).

(٤) سورة النساء آية (١٠٨).

(٥) فتح البارى شرح البخارى ورقه (٢٣).

فقد بين رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن نصوص المعية بنوعيها لا تفيد مخالطة ولا ممازجة ولا حلولا ولا تشبيها ، بل هى معية اطلاع وعلم واحاطة فى المعية العامة وتزيد المعية الخاصة بأنها معية نصر وموالاة وحفظ وتأييد وتسديد .

ومن فهم من هذه النصوص معانى أخرى لا تليق بكمال الله وجلاله فانما ذلك بسبب جهله وسوء فهمه لأن معية الله سبحانه وتعالى وقربه ليست كقرب الاجسام بعضها ببعض ، فهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقد رد ابن رجب رحمه الله تعالى على الذين فسروا المعية بتفسير لا يليق بالله عز وجل وهم الذين يقولون : ان الله بذاته فى كل مكان ، وهم الحلولية (١) من الجهمية ومن نحا نحوهم .

فقال رحمه الله تعالى : ولم يلز أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها فيستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده واحاطته بهم وقربه من عابديه

---

(١) الحلولية : هم الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حل فى مخلوقاته كما يحل الماء فى الاناء ، وأنه تعالى بذاته فى كل مكان ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وأول من أظهر ذلك فى الاسلام الروافض ، فإنهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم والقول بالحلول هى عقيدة غلاة الصوفية والفلاسفة كابن عربى وابن سبعين والحلاج والتلمسانى وغيرهم .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٣) ومجموع الفتاوى (٢/١١٢) .

واجابته لدعائهم فيزدادون به خشية لله وتعظيما واجلالا ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه ، ثم حدث بعدهم من قل ورعه وانتكس فهمه وقصده ، وضعفت عظمة الله وهيبته فى صدره وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته فى كل مكان كما يحكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، تعالى الله عما يقولون علوا كبير .

وهذا شىء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضى الله عنهم وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم منهم فى حديث عائشة (١) المتفق عليه ،

---

(١) حديث عائشة هو ما رواه البخارى ومسلم وغيرهم عنها رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيبتغون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) سورة آل عمران آية (٧)

قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذى سمى الله ، فاحذروهم " .

البخارى : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى (منه آيات محكمات) (١٦٦/٥) ومسلم : كتاب العلم ، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه (٢٠٥٣/٤) .

وتعلقوا أيضا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم)(١) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم)(٢)

فقال من قال من علماء السلف حينئذ انما أراد أنه معهم بعلمه وقصدوا بذلك ابطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن ...

وحكى ابن عبد البر(٣) وغيره اجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم)(١) أن المراد علمه ، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال أنه تعالى بذاته في كل مكان .

وزعم بعض من تحذلق(٤) أن ما قاله هؤلاء الأئمة خطأ لأن علم الله صفة لا تفارق ذاته ، وهذا سوء ظن منه بأئمة الاسلام ، فانهم لم يريدوا ما ظنه بهم ، وانما أرادوا أن علم الله متعلق بما في الأمكنة كلها ، ففيها معلوماته لا صفة ذاته كما وقعت الاشارة في القرآن الى ذلك بقوله تعالى : (وسع ربنا كل شيء علما)(٥) وقوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)(٦) وقوله (ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم ...)(٧) .....(٨)

---

(١) سورة الحديد آية (٤) .

(٢) سورة المجادلة آية (٧) .

(٣) انظر التمهيد (٧/١٣٨ ، ١٣٩) .

(٤) يقال حذلق الرجل وتحذلق إذا أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده . لسان العرب (١٠/٤١) .

(٥) سورة الاعراف آية (٨٩) .

(٦) سورة غافر آية (٧) .

(٧) سورة الحديد آية (٤) .

(٨) فتح البارى ورقه (٢٥) .

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن معية الله تعالى لا تقتضي المخالطة والممازجة كما يزعم أهل الضلال لأن السلف رحمهم الله تعالى أجمعوا على أن المراد هو معهم بعلمه ، وهذا هو المأثور عن الصحابة والتابعين وهو ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة .

وبهذا يتبين أن موقف ابن رجب رحمه الله تعالى من اثبات معية الله تعالى موافق لما جاءت به نصوص الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها .

ومعية الله عز وجل لا تنافي ما ثبت لله تعالى من علوه على خلقه واستوائه على عرشه لأن الله تعالى قد ثبت له العلو المطلق .

صفة العلو وأدلة ثبوتها من السمع والعقل والفطرة :

فالعلو صفة من صفات الله تعالى الذاتية التي لا تنفك عنه ، وقد دل على ثبوتها : السمع والعقل والفطرة .

وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله تعالى عال على كل شيء .

أما من الكتاب فقوله تعالى (فالحكم لله العلي الكبير) [١] وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) [٢] وقوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى) [٣] وقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور) [٤] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على علو الله تعالى .

---

(١) سورة غافر آية (١٢) .

(٢) سورة الرعد آية (٩) .

(٣) سورة الأعلى آية (١)

(٤) سورة الملك آية (١٦) .

وأما الأحاديث فكثيرة أيضا وقد بلغت مبلغ التواتر (١) ومنها :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ". (٢)

ومنها حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : " ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ". (٣)

ومنها حديث الجارية التي سألها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم " أين الله " ؟ قالت : في السماء ، قال من أنا ؟ قالت : رسول الله قال : اعتقها ، فإنها مؤمنة ". (٤)

---

(١) انظر حكاية التواتر في كتاب اثبات صفة العلو لابن قدامة (ص ٤١) والعلو للذهبي (ص ١٦) واجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٩٨) وقد ذكر ابن أبي العز رحمه الله تعالى في شرح الطحاوية (ص ٣٢٢) عشرين نوعا من الأدلة على اثبات صفة العلو لله عز وجل ثم قال : " وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت افرادها لبلغت نحو ألف دليل ، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله ، هيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك ".

(٢) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) (٨/ ١٧٧) .

(٣) تقدم تخريجه (ص١٩٧) .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب المساجد (١/ ٣٨١) .

ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الذهب الذي بعث به علي بن أبي طالب من اليمن الى المدينة قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحا ومساءا ".(١)

فهذه الأحاديث وغيرها مما هو بمعناها تدل دلالة واضحة على علو الله سبحانه وتعالى .

وأما من الاجماع : فقد أجمع سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم باحسان على أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه .

وقد ذكر هذا الاجماع غير واحد منهم .

من ذلك ما قاله أبو عمرو الطلمنكي(٢) رحمه الله تعالى " وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم)(٣) ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء ".(٤)

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب المغازي ، باب في بعث علي بن أبي طالب (١١٠/٥) ومسلم : كتاب الزكاة (٧٤٢/٢) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي الحافظ عالم أهل قرطبة ، وصاحب التصانيف ، كان خبيرا بعلوم القرآن ، وكان على منهج أهل السنة والجماعة ، يقول الذهبي رأيت له كتابا في السنة في مجلدين عامته جيد ، توفي سنة ٤٢٩هـ سير اعلام النبلاء (٥٦٦/١٧) وغاية النهاية في طبقات القراء (١٢٠/١) وشذرات الذهب (٢٤٣/٣) .

(٣) سورة الحديد آية (٤) .

(٤) مجموع الفتاوى (٢١٩/٣) واجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٤٢) .

وأما من العقل:

فان كل عقل صحيح صريح يدل على علو الله سبحانه وتعالى علـى خلقه ، لأن العلو صفة كمال ، والسفل صفة نقص ، والله تعالى موصوف بالكمال المطلق من جميع الوجوه ، ومنزه عن جميع صفات النقص ، فدل العقل على اتصاف الله عز وجل بصفة العلو من وجوه :

١ ـ العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين ، اما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات ، واما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر .

٢ ـ أنه لما خلق العالم ، فاما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته والأول باطل .

أما أولا : فبالاتفاق .

وأما ثانيا : فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والثاني يقتضي كون العالم واقعا خارج ذاته ، فيكون منفصلا فتعينت المباينة ، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم ، وغير منفصل عنه غير معقول .

٣ ـ أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول ، فيكون موجودا اما داخله واما خارجه ، والأول باطل فتعين الثاني فلزمت المباينة .(١)

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ثلاثين دليلا عقليا على اثبات صفة العلو لله عز وجل .(٢)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢٥) .

(٢) انظر الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعطلة (٤/١٢٧٩) .

وأما ثبوته بالفطرة :

فان الله تعالى فطر الخلق كلهم على الايمان به وعلى علوه لأنه ما من داع يدعو ربه الا ويجد في نفسه ضرورة بالاتجاه الى العلو من غير تعليم معلم .

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة الا من اجتالته الشياطين والاهواء يقول ابن عبد البر رحمه الله تعالى : ومن الحجة في أنه سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم اذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء ونصبوا ايديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه الى أكثر من حكايته لأنه اضطراري لم يخالفهم فيه أحد ولا أنكره عليهم مسلم ".[(١)]

وهناك حكاية مشهورة تبين الاستدلال بالفطرة على علو الله على خلقه وهي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني[(٢)] حضر مجلس أبي المعالي الجويني[(٣)] فذكر العرش وقال : كان الله ولا عرش ونحو ذلك ،

---

(١) التمهيد (١٣٤/٧) .

(٢) هو الشيخ الامام الحافظ الزاهد أبو جعفر محمد بن الحسين بن محمد الهمداني ، من أئمة أهل الأثر ، توفي سنة ٥٣١ هـ .
سير أعلام النبلاء (١٠١/٢٠) وشذرات الذهب (٩٧/٤) .

(٣) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، امام الحرمين أبو المعالي ، أحد الأعلام ، شافعي المذهب ، له مؤلفات كثيرة منها الارشاد في أصول الدين ، والشامل في أصول الدين .
كان من ائمة الاشاعرة ، ولكنه رجع الى مذهب السلف في آخر حياته توفي سنة ٤٧٨ هـ .
تبيين كذب المفترى (ص٢٧٨) وطبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥) والعبر (٣٣٩/٢) وشذرات الذهب (٣٥٨/٣) .

وقام اليه الشيخ أبو جعفر فقال : ياشيخ دعنا من ذكر العرش — يعنى لأن ذلك انما جاء في السمع — وأخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا ، فانه ما قال عارف قط يا الله الا وجد من قلبه ضرورة لطلب العلو لا يتلفت يمنة ولا يسرة ، قال : فضرب أبو المعالى على رأسه وقال : حيرنى الهمدانى ، حيرنى الهمدانى .

فأخبر هذا الشيخ عن كل من عرف الله تعالى أنه يجد فى قلبه حركة ضرورية الى العلو اذا قال يا الله .

وهذا يقتضى أن فى فطرتهم وخلقتهم العلم بأن الله فوق .(١)

هذه بعض الأدلة(٢) التى تدل على اثبات هذه الصفة العظيمة لله تبارك وتعالى وهى صفة العلو ذكرتها بمناسبة الجمع بين صفة المعية وصفة العلو وأنه لا تناقض ولا تنافى بين علو الله تعالى واستوائه على عرشه وبين معيته سبحانه وتعالى للوجوه التالية :

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٤ / ٦١) والعلو للذهبى (ص ١٨٨) وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٢٥) .

(٢) من أراد مزيدا من الأدلة والايضاح فى هذه الصفة فليراجع :

أ — مجموع الفتاوى (٥/١٣٦) وما بعدها .

ب — اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم

جـ — اثبات صفة العلو لابن قدامة .

د — العلو للعلى الغفار للذهبى .

١ ـ أن الله تعالى قد جمع بينهما لنفسه فى كتابه العظيم فى قوله تعالى : (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .(١) فدل ذلك على عدم التناقض بينهما اذ لو كانا متناقضين لم يجمع القرآن بينهما لأنه منزه عن التناقض .

٢ ـ أن اجتماع المعية والعلو ممكن فى حق المخلوق الضعيف، كما يقال : مازلنا نسير والقمر معنا .

ومن المعلوم أن المخلوق فى الأرض والقمر فى السماء ولا يعد ذلك تناقضا ، فاذا امكن اجتماع ذلك فى حق المخلوق ففى حق الخالق المحيط بكل شئ أولى .

٣ ـ أنه لو فرض أن اجتماع العلو والمعية ممتنع فى حق المخلوق فان ذلك لا يلزم فى حق الخالق العظيم لأنه عز وجل ليس كمثله شئ فى ذاته واسمائه وصفاته وأفعاله .

وبهذا يتضح أن الله تبارك وتعالى عال على خلقه مستو على عرشه وهو مع ذلك مع عباده وقريب منهم سبحانه وتعالى لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .(٢)

---

(١) سورة الحديد آية (٤) .

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل هراس (ص ١٢٣ ـ ١٢٥) وفتح البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٧٧ ، ٧٨) .

رابعا : صفة المجيء والاتيان

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : ومن جملة صفات الله التي يؤمن بها وتمر كما جاءت عندهم قوله تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا) (١) ونحو ذلك مما دل على اتيانه ومجيئه يوم القيامة ، وقد نص على ذلك أحمد واسحاق وغيرهما ، وعندهما أن ذلك من أفعال الله الاختيارية التي يفعلها بمشيئته واختياره ... وقد ذكر حرب الكرماني (٢) أنه أدرك على هذا كل من أخذ عنه العلم في البلدان ، وسمى منهم أحمد واسحاق والحميدي (٣) وسعيد بن منصور (٤) وكذلك ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه المسمى بالابانة (٥)، وهو من أجل كتبه ، وعليه يعتمد العلماء وينقلون

---

(١) سورة الفجر آية (٢٢) .

(٢) حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني ، أبو محمد ، رجل جليل ، نقل عن الامام أحمد مسائل كتبها بخطه ، وكان السلطان قد جعله على أمر الحكم وغيره في البلد ، توفي سنة ٢٨٠ هـ .
الجرح والتعديل (٣/٢٥٣) وطبقات الحنابلة (١/١٤٥) وسير اعلام النبلاء (١٣/٢٤٤) .

(٣) عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي المكي ، الامام الحافظ الفقيه ، المحدث ، صاحب المسند ، قال عنه الامام أحمد : الحميدي عندنا امام ، توفي سنة ٢١٩ هـ .
الجرح والتعديل (٥/٥٦) وسير اعلام النبلاء (١٠/٦١٦) وتهذيب التهذيب (٥/٢١٥) .

(٤) سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي ، ابو عثمان الحافظ الامام ، شيخ الحرم صاحب السنن ، كان ثقة صادقا ومن أوعية العلم وأئمة الحديث ، توفي سنة ٢٢٧ هـ .
التاريخ الكبير (٣/٥١٦) والجرح والتعديل (٤/٦٨) وسير أعلام النبلاء (١٠/٥٨٦) .

(٥) انظر الابانة لأبي الحسن الأشعري (ص٦٠) .

منه كالبيهقي [١] وأبي عثمان الصابوني وأبي القاسم ابن عساكر [٢] وغيرهم [٣] ...

وقال رحمه الله تعالى أيضا في شرحه لحديث الرؤية الذي فيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " فيأتيهم الله عز وجل فيقول : أنا ربكم ... " الحديث [٤]

يقول : وقد دل القرآن على ما دل عليه الحديث في مواضع كقوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) [٥]

وقال : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) [٦] وقال : (وجاء ربك والملك صفا صفا) [٧]

ولم يتأول الصحابة ولا التابعون شيئا من ذلك ولا أخرجوه من مدلوله ، بل روى عنهم ما يدل على تقريره والايمان به وامراره كما جاء .

---

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، الحافظ العلامة ، كتب الحديث وحفظه من صباه ، وصنف تصانيف كثيرة منها : شعب الايمان ، توفي سنة ٤٥٨ هـ .
سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٦٣) وشذرات الذهب (٣ / ٣٠٤) .

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، الامام الحافظ المتقن ، له مصنفات عظيمة منها : تاريخ دمشق الكبير ، توفي سنة ٥٧١ هـ .
البداية والنهاية (١٢ / ٣١٢) .

(٣) فتح الباري ورقه (١٧٣) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٩٨) .

(٥) سورة البقرة آية (٢١٠) .

(٦) سورة الانعام آية (١٥٨) .

(٧) سورة الفجر آية (٢٢) .

وقد روى عن الامام أنه قال فى مجيئه : هو مجئ أمره ، وهذا مما تفرد به حنبل[1] عنه ، فمن أصحابنا من قال : وهم حنبل فيما روى ، وهو خلاف مذهبه المعروف والمتواتر عنه ، وكان أبو بكر الخلال[2] وصاحبه لا يثبتان ما تفرد به عن أحمد رواية ، ومن متأخريهم من قال . هو رواية عنه بتأويل كل ما كان من جنس المجئ والاتيان ونحوهما ، ومنهم من قال : انما قال ذلك الزاما لمن ناظره فى القرآن ، فانهم استدلوا على خلقه بمجئ القرآن فقال : انما يجئ ثوابه لقوله (وجاء ربك) أى كما تقولون أنتم فى مجئ الله أنه مجئ أمره ، وهذا أصح المسالك فى هذا المروى ، وأصحابنا فى هذا على ثلاث فرق : فمنهم من يثبت المجئ والاتيان ويصرح بلوازم ذلك فى المخلوقات ، وربما ذكروه عن أحمد من وجوه لا تصح أسانيدها عنه ، ومنهم من يتأول ذلك على مجئ أمره ، ومنهم من يقر ذلك ويمره كما جاء ولا يفسره ويقول هو مجئ واتيان يليق بجلال الله وعظمته سبحانه ، وهذا هو الصحيح عن أحمد ومن قبله من السلف وهو قول اسحاق وغيره من الأئمة ، وكان السلف ينسبون تأويل هذه الآيات والأحاديث الصحيحة الى الجهمية ، لأن جهما وأصحابه أول من اشتهر عنهم

---

(١) حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيبانى ، أبو على ابن عم الامام أحمد حافظ محدث ، له مسائل عن الامام أحمد ، توفى سنة ٢٧٣ هـ .
سير اعلام النبلاء (١٢ / ٥١) وشذرات الذهب (٢ / ١٦٣) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال ، من كبار الحنابلة مفسر عالم بالحديث واللغة له كتب مفيده منها : كتاب السنة ، توفى سنة ٣١١ هـ .
طبقات الحنابلة (٢ / ١٢) والبداية والنهاية (١١ / ١٦٦) .

أن الله سبحانه وتعالى منزه عما دلت عليه هذه النصوص بأدلة العقول التي سموها أدلة قطعية هي المحكمات وجعلوا ألفاظ الكتاب والسنة هي المتشابهات ، فعرضوا ما فيها على تلك الخيالات ، فقبلوا ما دلت على ثبوته بزعمهم ، وردوا ما دلت على نفيه بزعمهم ، ووافقهم على ذلك سائر طوائف أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم ، وزعموا أن ظاهر ما يدل عليه الكتاب والسنة تشبيه وتجسيم وضلال ، واشتقوا من ذلك لمن آمن بما أنزل الله على رسوله أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، بل هي افتراء على الله ينفرون بها عن الايمان بالله ورسوله ، وزعموا أن ما ورد في الكتاب والسنة من ذلك مع كثرته وانتشاره من باب التوسع والتجوز وأنه يحمل على مجازات اللغة المستبعدة ، وهذا من أعظم أبواب القدح في الشريعة المحكمة المطهرة وهو من جنس حمل الباطنية[1] نصوص الأخبار من الغيوب كالمعاد والجنة والنار على التوسع والمجاز[2] دون الحقيقة ، وحملهم نصوص الأمر

---

(١) الباطنية : سموا بذلك لأنهم يقولون : أن للنصوص ظاهرا وباطنا ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة منها : القرامطة والحزمية والاسماعيلية والمزدكية والنصيرية ، وهم يعتقدون أن الاله لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو معلوم ولا مجهول ، ويقولون : إنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق ، يرجع إليه في تأويل الظواهر واتفقوا على إنكار القيامة ، وهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٧٦) والفرق بين الفرق (ص ٢٨١) والرد على الرافضة للمقدسي (ص ١٤١) .

(٢) يطلق لفظ المجاز في اصطلاح كثير من المتأخرين على ما هو قسيم الحقيقة ، فانهم قسموا الكلام الى حقيقة ومجاز .

فالحقيقة عندهم هي : اللفظ المستعمل فيما وضع له .

والمجاز : هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة .

===

. . . .

= = = وقيل غير ذلك من التعاريف .
انظر : المستصفى في علم الأصول للغزالي (ص ٢٦٨) والأحكام للآمدي (١ / ٢٦) .
وهذه المسألة وقع فيها الخلاف بين العلماء بين مثبت وناف .
والحقيقة أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث قصد به التوصل إلى نفي صفات الكمال عن الله عز وجل ، والا فالأئمة رحمهم الله تعالى وأهل القرون الثلاثة المفضلة لم يتكلموا بهذا الاصطلاح بالمعنى الذي قصده المبتدعة ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين بالعلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم ، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ، ولكن لم يعن بالمجاز ماهو قسيم الحقيقة ، وانما عنى بمجاز الآية مايعبر به عن الآية . . . والغالب أنه – أي المجاز – كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين . . . وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز لا في القرآن ولا غيره كأبي إسحاق الاسفرائيني . . . إلى أن قال رحمه الله : " فلا مجاز في القرآن بل وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف ، والخلف فيه على قولين ، وليس النزاع فيه لفظيا ، بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا . . . "
الايمان (ص ٨٤) ومابعدها ، وانظر رسالة في الحقيقة والمجاز لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٢٠ / ٤٠٠ – ٤٩٩) ورسالة منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والأعجاز للعلامة محمد الأمين الشنقيطي .

والنهى على مثل ذلك ، وهذا كله مروق عن دين الاسلام ، ولم ينه علماء السلف الصالح وأئمة الاسلام كالشافعى وأحمد وغيرهما عن الكلام وحذروا عنه إلا خوفا من الوقوع فى مثل ذلك ، ولو علم هؤلاء الأئمة أن حمل النصوص على ظاهرها كفر لوجب عليهم تبيين ذلك ، وتحذير الأمة منه ، فإن ذلك من تمام نصيحة المسلمين ، فكيف ينصحون الأمة فيما يتعلق بالأحكام العملية ويدعون نصيحتهم فيما يتعلق بأصول الاعتقادات ، هذا من أبطل الباطل.(١)

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن من صفات الله الفعلية صفة المجىء والاتيان ، وهى من الصفات التى ثبتت فى كتاب الله العزيز وبأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ودرج علماء السلف على نقلها والايمان بها واقرارها وامرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه .

وقد ساق ابن رجب رحمه الله تعالى الآيات التى دلت على هذه الصفه .

كما بين رحمه الله تعالى أيضا فى كلامه السابق أن تعطيل الصفات وتشبيهها بصفات المخلوقين من فعل أهل الضلال والزيغ الذين ضلوا عن الطريق المستقيم ، نسأل الله السلامة والعافية .

خامسا : صفة النزول إلى السماء الدنيا

المقصود بصفة النزول هو اثبات أن الله عز وجل ينزل فى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ، كما ورد ذلك فى الأخبار ، فالواجب اثبات ذلك على حقيقته من غير تحريف ولا تكييف .

---

(١) فتح البارى ورقه (١٧٢ ، ١٧٣).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن قرب الله سبحانه وتعالى من عباده " وليس هذا القرب تقرب الخلق المعهود منهم كما ظنه من ظنه من أهل الضلال ، وانما هو قرب ليس يشبه قرب المخلوقين كما أن الموصوف به ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وهكذا القول في أحاديث النزول الى سماء الدنيا فانه نوع من قرب الرب من داعيه وسائليه ومستغفريه وقد سئل عنه حماد بن زيد [1] فقال : هو في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء ومراده أن نزوله ليس هو انتقال من مكان الى مكان كنزول المخلوقين وقال حنبل : سألت أبا عبدالله ينزل الله الى سماء الدنيا ؟ قال : نعم قلت : نزوله بعلمه أو بماذا ؟ قال : اسكت عن هذا مالك ولهذا ، امض الحديث على ما روى بلا كيف ولا حد الا ما جاءت به الاثار وجاء به الكتاب قال الله تعالى : (فلا تضربوا لله الأمثال) [2] ينزل كيف شاء بقدرته وعلمه وعظمته احاط بكل شيء علما ، لا يبلغ قدره واصف ، ولا ينأى عنه هرب هارب عز وجل .

ومراده أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق بل هو نزول يليق بقدرته وعظمته وعلمه المحيط بكل شيء ، والمخلوقون لا يحيطون به علما ، وانما ينتهون إلى ما أخبرهم به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله ، فلهذا اتفق السلف

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الحافظ الثبت ، قال يحيى بن معين : ليس أحد أثبت من حماد بن زيد ، وقال الامام أحمد فيه : حماد بن زيد من أئمة المسلمين ، توفي سنة ١٧٩ هـ . سير أعلام النبلاء (٧/٤٥٦) والبداية والنهاية (١٠/١٩٨) .

(٢) سورة النحل آية (٧٤) .

الصالح على امرار هذه النصوص كما جاءت من غير زيادة ولا نقص ، وما أشكل فهمه منها وقصر العقل عن ادراكه وكل الى عالمه ".(١)

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى هذا الكلام أن صفة النزول من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وحكمته والتى يجب اثباتها لله تبارك وتعالى وأن نزوله سبحانه وتعالى نزولا يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف، ولا تعطيل كما هو منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى اثبات صفة النزول لله تعالى منها :

حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول : (من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له) " رواه البخارى ومسلم .(٢)

ومنها : حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة ، وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول (ما أراد هؤلاء) " رواه مسلم .(٣)

---

(١) فتح البارى شرح البخارى ورقة (٢٣) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٩٨) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الحج : باب فى فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (٩٨٣/٢) .

قال الآجرى (١) رحمه الله تعالى : باب الايمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ، ثم قال : الايمان بهذا واجب ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول : كيف ينزل ؟ ولا يرد هذا الا المعتزلة وأما أهل الحق فيقولون : الايمان به واجب بلا كيف لأن الاخبار قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ، والذين نقلوا الينا هذه الأخبار ، هم الذين نقلوا الينا الاحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وكما قبل العلماء منهم ذلك ، كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا : من ردها فهو ضال خبيث يحذرونه ويحذرون منه . (٢)

وقال ابن خزيمة رحمه الله تعالى عند ذكره لأحاديث النزول نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما فى هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ، لأن المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل ، والله جل وعلا لم يترك ، ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة اليه من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية ، اذ النبى صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول ، وفى هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذى أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه ينزل اليه اذ محال فى لغة العرب أن يقول :

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجرى ، قال الذهبى : كان عالما عاملا صاحب سنة واتباع ، له مصنفات كثيرة منها : كتاب الشريعة وأخلاق العلماء ، توفى سنة ٣٦٠ هـ .
تاريخ بغداد (٢ / ٢٤٣) وتذكرة الحفاظ (٣ / ٩٣٦) .

(٢) الشريعة للآجرى (ص ٣٠٦) .

نزل من أسفل الى أعلى ومفهوم فى الخطاب أن النزول من أعلا الى أسفل.(١)

فالسلف يؤمنون بنزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ويثبتونه اثباتا يليق بجلاله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ويصدقون الاحاديث التى وردت فى ذلك ، والتى بلغت حد التواتر كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ان نزول الرب تبارك وتعالى الى سماء الدنيا قد تواترت الاخبار به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة ، وهذا يدل على أنه كان يبلغه فى كل موطن ومجمع ، فكيف تكون حقيقته محالا وباطلا ، وهو صلى الله عليه وسلم يتكلم بها دائما ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة .(٢)

وهنا سؤال : وهو أنه اذا أثبتنا لله تعالى نزوله حقيقة فهل يخلو منه العرش أو لا يخلو ؟ .

الصواب ما عليه السلف الصالح رحمهم الله فى هذا من أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو منه العرش مع نزوله الى السماء الدنيا ، لأن نزوله سبحانه وتعالى ليس كنزول المخلوقين بل هو منزه عن ذلك تبارك وتعالى .

وهذا هو جواب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على هذا السؤال حيث ذكر الأقوال فى هذه المسألة ورجح الثالث منها فقال : والقول الثالث – وهو الصواب – وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها ، أنه لا يزال فوق العرش ، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله الى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه ، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة .(٣)

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٨٩ ، ٢٩٠).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعطلة (٢/ ٢٢١) .

(٣) شرح حديث النزول (٦٦) ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٦ ، ٤١٥).

المبحث الثامن
شبهة والرد عليها

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى في معرض كلامه على التنجيم ومايجره على أهله من البلاء والمصائب قال : وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث ثلث الليل الآخر ، وقال : ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام قبح هذا الاعتراض ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه ، بل بادروا الى عقوبته ، والحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين ... (١)

فابن رجب رحمه الله تعالى يرد بهذا الكلام على الذين يؤولون أحاديث النزول وينكرونها محتجين بشبهة واهية وهي قولهم : ان ثلث الليل يختلف باختلاف البلاد مما يلزم منه أن يكون الله تبارك وتعالى دائما نازلا ، لأن الثلث مستمر طيلة أربع وعشرين ساعة نظرا لاختلاف المطالع والمغارب .

ولا شك أن هذا الاعتراض اعتراض قبيح يدل على جهل من قال به بنصوص الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

لأن أهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل نزولا يليق بجلاله وعظمته لا نزولا كنزول الخلق ، لأن الخلق اذا فعلوا ذلك يلزم منه هذا الاعتراض لأن ذلك من لوازمهم اذا فعلوا شيئا من ذلك أما الرب تبارك وتعالى فهو ممتنع في حقه لأنه منزه عما يكون من صفات المخلوقين الضعفاء ، فنزول الله تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ٢٣) .

كما جاءت بذلك الأدلة .

ومن أول النزول ، وحرف نصوص الكتاب والسنة الواردة فى هـذه الصفة بمثل هذه الحجة الواهية فقد اخطأ حيث ظن أن أفعال الله تبارك وتعالى وصفاته كأفعال الخلق وصفاتهم فشبه الله عز وجل بخلقه ووقع فيما فر منه وجمع بين التعطيل والتشبيه .

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على هذه الشبهة فقال : " وهذا الذى ذكروه انما يصح اذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح الى الأرض ، وهو يشبه قول من قال : يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته ".(١)

ويقول أيضا رحمه الله تعالى رادا على هذه الشبهة : " وهذا انما قالوه لتخيلهم من نزوله ما يتخيلونه من نزول أحدهم ، وهذا عين التمثيل ، ثم انهم بعد ذلك جعلوه كالواحد العاجز منهم الذى لا يمكنه أن يجمع من الأفعال ما يعجز غيره عن جمعه ، وقد جاءت الأحاديث بأنه يحاسب خلقه يوم القيامة كل منهم يراه مخليا به ويناجيه لا يرى أنه متخل لغيره ولا مخاطب لغيره ".

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : " إذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله : حمدنى عبدى ، واذا قال : (الرحمن الرحيم) قال الله : أثنى على عبدى "(٢) فكل من الناس يناجيه والله تعالى يقول لكل منهم ذلك ، ولا يشغله شأن عن شأن ...

ومن مثل مفعولاته التى خلقها بمفعولات غيره فقد وقع فى تمثيل

---

(١) شرح حديث النزول لابن تيمية (ص ١٠٦) .

(٢) هذا جزء من حديث قدسى أخرجه مسلم : كتاب الصلاة (١/٢٩٦) .

المجوس القدرية[1] فكيف بمن مثل أفعاله بنفسه أو صفاته بفعل غيره وصفته

---

(١) المجوس : هم الذين يعبدون النار ، لأنهم يعتقدون أنها أعظم شيء في الدنيا ويسجدون للشمس اذا طلعت وينكرون نبوة آدم ، ونوح عليهما السلام ، وقالوا : لم يرسل الله عز وجل الا رسولا واحدا ، لا ندرى من هو ، ويقولون باثبات أصلين النور والظلمة .

وقد نشأت المجوسية في بلاد الفرس .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٨٦) والرد على الرافضة (ص ١٣٤) والملل والنحل (١ / ٢٣٣) والبرهان في عقائد أهل الأديان (ص ٩٠) .

والقدرية : سموا بذلك لقولهم في القدر ، وهم يزعمون أن العبد يخلق فعله ، وأن أفعال العباد مقدرة لهم على جهة الاستقلال ، والمتقدمون منهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها ، ومنهم معبد الجهني وهم الذين كفرهم السلف .

وأما المتأخرون منهم فهم يثبتون العلم وينازعون في مرتبة الخلق ، ومن أشهر فرقهم المعتزلة .

والقدرية هم مجوس هذه الأمة كما أطلق ذلك عليهم السلف ، وقد وردتآثار بتسمية القدرية مجوس هذه الأمة ، وبعض هذه الآثار مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما أخرجه أحمد (٢ / ١٢٥) وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب القدر (٥ / ٦٦) وابن ماجه في سننه : المقدمة (١ / ٣٥) وابن أبي عاصم في السنة (١ / ١٤٤ ، ١٤٥).
وجميع هذه الروايات ضعفها ائمة الحديث ولكن يعضد بعضهابعضا

ووجه تسمية القدرية بمجوس هذه الأمة أنهم حين قالوا بأن الله تعالى لم يخلق الشر ولم يقدره اضطروا الى القول بأن الانسان هو خالق أفعاله كما تزعم المعتزلة فهم بهذا أشبهوا المجوس بقولهم أن الله اله الخير والنور ، والشر والظلمة لهما خالق آخر غيره بزعمهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

===

يقال لهؤلاء أنتم تعلمون أن الشمس جسم واحد ، وهي متحركة حركة واحدة متناسبة لا تختلف ، ثم انه بهذه الحركة الواحدة تكون طالعة على قوم وغاربة عن آخرين ، وقريبة من قوم وبعيدة من آخرين فيكون عند قوم عنها ليل ، وعند قوم نهار ، وعند قوم شتاء ، وعند قوم صيف ، وعند قوم حر ، وعند قوم برد . فاذا كانت حركة واحدة يكون عنها ليل ونهار في وقت واحد لطائفتين ، وشتاء وصيف في وقت واحد لطائفتين فكيف يمتنع على خالق كل شيء الواحد القهار أن يكون نزوله الى عباده ونداه اياهم في ثلث ليلهم وان كان مختلفا بالنسبة اليهم وهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يحتاج أن ينزل على هؤلاء ، ثم ينزل على هؤلاء ، بل في الوقت الواحد الذي يكون ثلثا عند هؤلاء وفجرا عند هؤلاء يكون نزوله الى سماء هؤلاء الدنيا وصعوده* عن سماء هؤلاء الدنيا ، فسبحان الله الواحد القهار (سبحان ربك رب العزة كما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) (١)

وبهذا يتبين بطلان هذه الشبهة وقبحها ، وهذا معلوم بالضرورة من دين الاسلام ، وأنه لا يصدر الا من المخالفين المكذبين ومن سار على طريقهم كما بين ذلك ابن رجب رحمه الله تعالى وقبله شيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم من سلف هذه الأمة عليهم رحمة الله تعالى .

=== الفرق بين الفرق (١١٤) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٥٠) ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٥٨ ، ٤٣٠) ولوامع الأنوار البهية (١/ ٣٠٢ — ٣٠٦) .

(١) بيان تلبيس الجهمية لشيخ الاسلام ابن تيمية (٢/ ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

* هذه اللفظة لم يرد ذكرها في الكتاب والسنة ، والأولى عدم وصف الله عز وجل بذلك .

المبحث التاســـع
رده على المخالفين لمذهب السلف من المعطلة والمشبهـــة

بينت فيما سبق مذهب السلف الصالح رحمهم الله تعالى ، وهوما درج عليه الصحابة رضى الله عنهم والتابعون من بعدهم إلا أن هناك طوائـــف وفرقا نبتت ونشأت على خلاف هذا المنهج القويم والطريق السليم وهو منهج أهل السنة والجماعة ، وهذه الفرق منها من أفرط فى النفى حتى شبهـــوه سبحانه وتعالى بالعدم وهم المعطلة ، والبعض الآخر منها بالغوا فـــى الاثبات حتى شبهوه عز وجل بالمخلوقات وهم المشبهة .

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : أتانا من المشرق رأيان خبيثـــان جهم معطل ومقاتل مشبه ". (١)

وهذان المذهبان ــ أعنى مذهب المعطلة والمشبهة ــ كل مذهب منهما يضم فرقا وطوائف .

فأما المعطلة فانهم أنقسموا الى ثلاثة أقسام :

فمنهم من جحد الأسماء وأنكر الصفات وهم الجهمية .

ومنهم من أثبت الأسماء وأنكر الصفات ، وهم المعتزلة .

ومنهم من أثبت الاسماء ، وفرق بين الصفات ، فأثبت البعض ، وأنكر الآخر ، وهم الأشاعرة ومن نحا نحوهم .

وكل واحد من هؤلاء يعطلون حقائق مانعت الله به نفسه ، ويشتركـــون فى تأويل نصوص الكتاب والسنة ، ويجعلون قوله تعالى (ليس كمثله شئ) (٢)

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/١٦٤) .

(٢) سورة الشورى آيه (١١) .

مستندا لهم في رد الأحاديث الصحيحة الثابتة ، فكلما جاءتهم آية أو حديث تخالف قواعدهم وآراءهم ، وما وضعته عقولهم وأفكارهم ، فان كانت هذه النصوص قابلة للتأويل والتحريف أولوها وحرفوها ، وان لم تكن قابلة ردوها وأنكروها ورموها وراء ظهورهم ، وهم ما بين مقل ومكثر في التأويل والتعطيل وهم مع ذلك يستدلون على ماذهبوا اليه بقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) (١) تلبيسا منهم وتشكيكا لمن هو أعمى قلبا منهم ، وتحريفا لمعنى نصوص الكتاب والسنة عن مواضعه .

وقد بنوا مذهبهم على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم فقالوا ان اثباتها يقتضي التشبيه والتمثيل بالمخلوقين ، ولذلك أولوها وحرفوا معانيها زاعمين أن ذلك لأجل التنزيه فوقعوا في شر مما فروا منه وهو تشبيه المولى تبارك وتعالى بالمعدومات والجمادات فشبهوا الله سبحانه وتعالى في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله ، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات ، فهم شبهوا أولا وعطلوا ثانيا .

وأما المشبهة فهم الذين أثبتوا اسماء الله تعالى وصفاته وغلوا في الاثبات الى حد أن شبهوه بالمخلوقات وجعلوا صفاته سبحانه وتعالى من جنس صفاتهم لأنهم يظنون أن لا حقيقة لها الا هذا .

والشبهة التي أدت بالمشبهة الى التشبيه والتمثيل هي أنهم يقولون كما ذكر ذلك ابن القيم الجوزية رحمه الله عنه : " محال أن يخاطبنا الله بما لا نعقله ، ثم يقول : (لعلكم تعقلون) (٢) (لعلكم تتفكرون) (٣)

---

(١) سورة الشورى آية (١١) .

(٢) سورة البقرة آية (٧٣) .

(٣) سورة البقرة آية (٢١٩) .

(ليدبروا آياته)(١)(٢).

ويقولون أيضا أنه لا يوجد شيء معقول في الموجودات سوى الجسم والعرض ويستحيل أن يكون الله سبحانه وتعالى عرضا فيجب أن يكون جسما .

واحتجوا على قولهم هذا بآيات من كتاب الله تعالى فيها ذكر العين والوجه واليد وغيرها (٣).

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي (٤).

ومن هؤلاء المشبهة الكرامية (٥) ومن سار على منهجهم من طوائف الرافضة وغيرهم (٦).

---

(١) سورة ص آية (٢٩).

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢ / ٤٢٥).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٢ / ٢٧٧).

(٤) رسالة الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١٧٧).

(٥) الكرامية : هي احدى فرق المرجئة وسموا بذلك نسبة الى محمد بن كرام من أهل سجستان ، وهم يثبتون صفات الله تعالى إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه ، ولهم في الايمان قول منكر حيث زعموا أن الايمان هو الاقرار والتصديق دون القلب ، والمنافقون عندهم مؤمنون .
انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٧) والفرق بين الفرق (٢٠٢) ورسالة في الرد على الرافضة لابن حامد المقدسي (١٦٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٠٣).

(٦) مقالات الاسلاميين (١ / ٢٨٣) ومجموع الفتاوى (٦ / ٥١) والملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٠٥) والفرق بين الفرق (٢١٥).

وأصحاب هذا المنهج لا شك أنهم منحرفون عن المنهج السليم ، وضالون عن الصراط المستقيم ، لأنهم جمعوا في قولهم بين التشبيه والتعطيل أما تشبيههم فظاهر وهو تشبيه الخالق بالمخلوق ، وأما التعطيل فمن وجوه ثلاثة :

١ — أنه عطل نفس النص الذى أثبت الصفة حيث صرفه عن مقتضى مايدل عليه ، فان النص دال على اثبات صفة تليق بالله لا على مشابهة الله لخلقه .

٢ — أنه اذا شبه الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب حيث شبه الرب الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص .

٣ — انه اذا شبه الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل على نفي مشابهة الله لخلقه مثل قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١)
وقوله تعالى : (ولم يكن له كفوا أحد) (٢) (٣) ...

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذين المذهبين وبين أنهما من البدع التى اتفق السلف على تضليل قائليها فقال : " ومن ذلك أعني محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ، ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول ... وانقسم هؤلاء الى قسمين :

أحدهما : من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة : لو رؤى لكان جسما ، لأنه لا يرى الا في جهة .

---

(١) سورة الشورى آيه (١١) .
(٢) سورة الاخلاص آية (٤) .
(٣) انظر التحفه المهديه لابن مهدى (ص ١٨٥) وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (ص ٩٧) .

وقولهم : لو كان له كلام يسمع لكان جسما ، ووافقهم من نفى الاستواء فنفوه لهذه الشبهة ، وهذا طريق المعتزلة والجهمية .

وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم ، وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن انتسب الى السنة والحديث من المتأخرين .

والثاني : من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر ورد على أولئك كما هي طريقة مقاتل بن سليمان ، ومن تبعه كنوح بن أبي مريم (١) وتابعهم طائفة من المحدثين قديما وحديثا ، وهو مسلك الكرامية فمنهم من أثبت لاثبات هذه الصفات الجسم اما لفظا واما معنى ، ومنهم من أثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة . (٢)

وقال رحمه الله تعالى في معرض كلامه عن الخوارج وتكفيرهم للامة واستباحة دمائهم وأموالهم :

« وأصعب من ذلك ما حدث من الكلام في ذات الله وصفاته ، مما سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون لهم باحسان :

١ — فقوم نفوا كثيرا مما أورد في الكتاب والسنة من ذلك ، وزعموا أنهم فعلوا تنزيها لله عما تقتضيه العقول بتنزيهه عنه ، وزعموا أن لازم ذلك لمستحيل على الله عز وجل .

---

(١) نوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي ، يعرف بالجامع لجمعه العلوم، ولكن كذب في الحديث، قال ابن المبارك : كان يضع ، توفي سنة ١٧٣ هـ .
ميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٠) وتقريب التهذيب (ص ٣٦٠) .

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٣٨ ، ١٣٩) .

وقالوا نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل طريقتنا اثبات حقائق الأسماء والصفات ، ونفي مشابهة المخلوقات (١) .

=== وليس هو حقاً ولا هدى ، وانما المراد منها تخويف العامة وجمهور الناس وانتفاعهم بها ليستقيموا على الصراط المستقيم .

وهم ينقسمون الى قسمين : غلاة وغير غلاة .

ومن أهل التخييل من يجعل الاعمال من صلاة وزكاة وصوم وغيرها تخييلات ورموز يأمر بها العامة دون الخاصة .

وقولهم فساد يدل على فساده الشرع والعقل والحس .

الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ص ٢٠) والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ٤١٨) .

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ٢٥٢) .

المبحث العاشـــــر
تنزيه الله سبحانه وتعالى من نسبة الولد اليـــه

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " واذا كان منزها عن أن يخرج منه مادة الولد التي هي أشرف المواد فلأن ينزه عن خروج مادة غير الولد أولى ، فمن اثبت لله ولدا فقد شتمه ، وقد ثبت في صحيح البخاري عـــن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله عز وجل : كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأمــا تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عــلى من اعادته ، وأما شتمه اياي فقوله : " اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحــد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد ". (١)

وفي صحيح البخاري أيضا عن ابن عباس عن النبي صلى اللـــه عليه وسلم قال : " قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشمتني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياي ، فزعم أني لا أقدر أن اعيده كما كان ، وأما شتمه اياي فقوله : لي ولد ، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا ". (٢)

وقد رد الله على من زعم أنه لا يعيد الخلق ، وعلى من زعم أن له ولداً كما تضمنه هذا الحديث في قوله : و(ويقول الانسان أءذا ما مــت لسوف أخرج حيا) إلى قوله (لقد جئتم شيئا إدا) (٣)

---

(١)صحيح البخاري:كتاب التفسير ، باب تفسير سورة (قل هو الله أحد) (٦/ ٩٥) .

(٢)صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب قوله (الله الصمد) (٦/ ٩٥) .

(٣) سورة مريم من آية (٦٦ إلى ٨٩) .

وفى صحيح البخارى أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم " . . . (١) (٢)

فنسبة الولد الى الله سبحانه وتعالى فرية عظيمة قال بها اليهود والنصارى والمشركون من العرب ، ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وغيرهم فاليهود المغضوب عليهم زعموا أن عزيرا ابن الله ، والنصارى الضالون زعموا أن المسيح ابن الله ، ومشركوا العرب زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وقد رد الله تبارك وتعالى هذه المزاعم كلها فى القرآن الكريم ، وبيّن بطلانها بنفى الولد وتنزهه عن ذلك تبارك وتعالى .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق بطلان هذه الفرية ، وذكر بعض الأدلة التى وردت فى الرد على هذا الزعم الباطل لأن هذا القول قول عظيم فى القبح والبشاعة والنكارة ، فالله سبحانه وتعالى الواحد الأحد الفرد الصمد المستغنى عن جميع خلقه وهم محتاجون إليه ، قهر الأشياء كلها فدانت له وذلت وخضعت .

---

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٨/ ١٦٥) وأخرجه مسلم أيضا : كتاب صفات المنافقين - باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل (٤/ ٢١٦٠)
كلهم من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

(٢) تفسير سورة الاخلاص (ص ٥٨ ، ٥٩) .

وقد أنذر الله تبارك وتعالى جميع الطوائف التي تنسب اليه الولد بالوعيد الشديد والتهديد الأكيد قال تعالى : (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون إلا كذبا)(١)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية :
" يقول تعالى ذكره ويحذر أيضا محمد القوم (الذين قالوا اتخذ الله ولدا) من مشركي قومه وغيرهم ، بأس الله وعاجل نقمته ، وآجل عذابه على قيلهم ذلك "(٢).

ونفي الولد عن الله سبحانه وتعالى يجب اعتقاد ثبوت ضده لله على الوجه اللائق بجلاله لأن النفي المحض عدم محض فهو ليس بشيء وليس في النفي المجرد اثبات صفة كمال ، ولهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنا لاثبات المدح والكمال، والمدح الذي تضمنه نفي الولد عن الله اثبات انه الأحد سبحانه المنفرد بذاته يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتا ، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال لأن النفي المحض عدم محض ، والعدم المحض ليس بشيء ، وما ليس بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا ، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال ، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنا لاثبات مدح كقوله : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)

---

(١) سورة الكهف آية (٤، ٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/١٩٣).

إلى قوله (ولا يؤوده حفظهما) [١] فنفى السِنَة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام ، فهو مبين لكمال أنه الحى القيوم ، وكذلك قوله (ولا يؤوده حفظهما) أى لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها . [٢]

وأرى من المناسب أن اذكر هنا فائدة لها صلة بهذا المبحث ذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى فى تفسيره لسورة الاخلاص حيث قال :

سؤال : نفى سبحانه الولادة قبل التولد ، والتولد أسبق وقوعا من الولادة فى حق من هو متولد ؟

وجوابه : أن الولادة لم يدعها أحد فى حقه سبحانه ، وانما ادعوا أنه ولد ، فلذلك قدم نفيه لأن المهم المحتاج الى نفيه .

سؤال آخر : كيف نفى أن يكون مولودا ولم يعتقده أحد ؟

جوابه : من وجهين .

احدهما : أنهم سألوا عمن ورث الدنيا ، ولمن يورثها ، وهذا يشعر بأن منهم من اعتقد ذلك .

والثانى : أنه نفى عن نفسه سبحانه خصائص آلهة المشركين فان منهم من عبد المسيح ، ومنهم من عبد العزيز وهما مولودان ، ومنهم من عبد الملائكة والعجل وهى متولدات ، وقد تقدم أن نفى الولادة تدل على نفى المتولد بطريق الأولى . [٣]

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٥) .

(٢) الرسالة التدمرية ص (٢٢) .

(٣) تفسير سورة الاخلاص (ص ٦١ ، ٦٢) .

المبحث الحادى عشر

علم الكلام وكلام ابن رجب عليه

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم هدى وشفاء للناس كما قال تعالى : (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) (١) وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) (٢) وقال تعالى : (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٣)

فبين الله سبحانه وتعالى أن هذا الكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هدى للناس يهتدون به الى الطريق القويم كما قال تعالى : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (٤) ويخرجون به من الظلمات الى النور كما قال تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) (٥).

فمن تمسك بهذا الكتاب وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم المفسرة المبينة له فهو غنى عن كل فكر ومنهج ، لأن الله سبحانه وتعالى قد اكمل الدين كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم) (٦).

وقد علم الصحابة رضى الله عنهم قدر هذا الكتاب العظيم فتمسكوا به وانكبوا عليه علما وعملا وتعليما ، وهكذا التابعون لهم باحسان ولم يعرف

---

(١) سورة البقرة آية (١ ، ٢).
(٢) سورة فصلت آية (٤٤).
(٣) سورة النحل آيه (٦٤).
(٤) سورة الاسراء آيه (٩).
(٥) سورة البقرة آيه (٢٥٧).
(٦) سورة المائدة آيه (٣).

عن أحد منهم أنه تكلم بشيء من الطرق الكلامية ولا المسائل الفلسفية . (١)

وبعد انتهاء عصر الصحابة رضي الله عنهم ظهر ما يسمى بعلم الكلام وهو الجدال في الأمور الاعتقادية بالعقل بسبب الابتعاد عن الكتاب والسنة والتأثر بالأفكار والديانات القديمه ، وازداد الأمر سوءاً في عهد المأمون (٢) بعد أن عربت كثير من الكتب اليونانية والرومانية الى العربية (٣)

وقد قام أئمة الدين وأعلام الهدى بذم علم الكلام وبالغوا في ذمه وذم أهله وتضليلهم ، ومنعوا من مجالستهم ومحادثتهم ومجادلتهم ، وأمروا بهجرهم ، والبعد عنهم ، وأجمعوا على أنه من العلوم المحدثة المبتدعة التي كان لها أكبر الأثر في تفريق المسلمين وتشتيت وحدتهم .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : " روى . . . ذم الكلام وأهله عن مالك وأبي حنيفة وأبي يوسف (٤)

---

(١) انظر الخطط للمقريزي (٢ / ٣٥٦) وصون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام (ص ١٤) .

(٢) المأمون أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي أحد خلفاء بني العباس ، قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ، وأمر بتعريب كتبهم ، ودعا إلى القول بخلق القرآن وحمل الناس عليه ، وكان يجل أهل الكلام ويتناظرون في مجلسه ، توفي سنة ٢١٨ هـ .
تاريخ بغداد (١٠ / ١٨٣) وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٧٢) ، وشذرات الذهب (٢ / ٣٩) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١١ / ٣٣٦) والتعريفات للجرجاني (١٨٥) .

(٤) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي تلميذ أبي حنيفة ، عالم ، فقيه ، محدث ، قال يحيى بن معين : ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث ، ولا أحفظ ، ولا أصح رواية من أبي يوسف ، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٨٢ هـ .

===

ومحمد وابن مهدي [١] وأبي عبيد والشافعي والمزني [٢] وابن خزيمة ،
وذكر ابن خزيمة النهي عنه عن مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأبي
حنيفة وصاحبيه وأحمد واسحاق وابن المبارك ويحيى بن يحيى [٣]

=== تاريخ جرجان للسهمي (٤٨٧) وتذكرة الحفاظ (٢٩٢/١) ، والجواهر المضيئة (٢٢٠/٢) .

(١) هو الامام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري ، وقيل الأزدي ، من أعلم الناس بالحديث وعلومه .
قال علي بن المديني : لو أخذت ، فحلفت بين الركن والمقـــام لحلفت بالله أني لم أر أحدا قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي ، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٩٨ هـ .
حلية الأولياء (٩ / ٣ - ٦٣) وتاريخ بغداد (٢٤٠/١٠) ، وتهذيب التهذيب (٢٧٩/٦) وشذرات الذهب (٣٥٥/١) .

(٢) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المزني المصري ، تلميذ الشافعي ، الامام الزاهد ، العابد ، قال الذهبي : كـــان مجاب الدعوة ، ذا زهد وتأله ، أخذ عنه خلق من العلماء ، توفي سنة ٢٦٤ هـ .
طبقات الشافعية للسبكي (٩٣/٢) وسير اعلام النبلاء (٤٩٢/١٢) وطبقات الشافعية لابن هداية (٢٠) .

(٣) يحيى بن يحيى بن كثير الليثي ، أبو محمد ، رحل الى المشرق ، وسمع من مالك بن أنس وغيره ، وكان من أكابر الصحابة ، وكان مالك يسميه عاقل الأندلس ، واليه انتهت رئاسة الفقه في الاندلس ، توفي سنة ٢٣٤ هـ رحمه الله تعالى .
جذوة المقتبس (٣٨٢) وترتيب المدارك (٣٧٩/٣) ووفيـــات الاعيان (١٩٤/٥) .

ومحمد بن يحيى الذهلي [١] وروى السلمي [٢] أيضا النهي عن الكـــلام وذمه عن الجنيد [٣] وابراهيم الخواص [٤] فتبين بذلك أن النهي عـــن الكلام اجماع من أئمة الدين من المتقدمين من الفقهاء وأهل الحديث ، والصوفية ، وأنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد واسحاق وأبي عبيد وغيرهم من أئمة المسلمين ...". [٥]

---

(١) محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد أبو عبدالله الذهلي النيسابوري الامام الحافظ .
قال ابن أبي حاتم : امام من أئمة المسلمين ، وثّقه أبي ، وسمعته يقول : هو امام أهل زمانه . توفي سنة ٢٥٨ هـ .
الجرح والتعديل (٨/ ١٢٥) وطبقات الحنابلة (١/ ٣٢٧) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٣٠) .

(٢) محمد بن الحسين بن محمد ابو عبدالرحمن السلمي نسبة الى قبيلة سليم ، شيخ خراسان وكبير الصوفية ، قال الذهبي : وللسلمـــي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف ، وفـــي الجملة ، ففي تصانيفه احاديث وحكايات موضوعه ، توفي سنـــة ٤١٢ هـ .
تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٨) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٨) .

(٣) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي ، شيخ الصوفية ، لـــم ير في زمانه مثله في العفة والعزوف عن الدنيا ، توفي سنة ٢٩٨ هـ تاريخ بغداد (٧/ ٢٤١) وشذرات الذهب (٢/ ٢٢٨) .

(٤) إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص ، من أهل سر من رأى ، قال الخطيب : أحد شيوخ الصوفية ، وممن يذكر بالتوكل وكثـــرة الاسفار الى مكة وغيرها ، توفي سنة ٢٩١ هـ .
تاريخ بغداد (٦/ ٧ — ١٠) .

(٥) فتح الباري ورقه (١٧٣) .

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن علم الكلام الذى اعتمد عليه المتكلمون من العلوم المذمومة التى فتحت باب شر عظيم على المسلمين فى دينهم لأن المتكلمين جاءوا بقضايا منطقية وفلسفية زعموا أنها حجج قطعية وقضايا مسلمة لا تغير ولا تبدل .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان هذا : " . . . فأما الدخول مع ذلك فى كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض وقل من دخل فى شئ من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم ، كما قال أحمد : لا يخلو من نظر فى الكلام الا تجهم .

وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام ، وان ذبوا عن السنة .

وأما ما يوجد فى كلام من أحب الكلام المحدث ، واتبع أهله من ذم من لا يتوسع فى الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الى الحشو ، والى انه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه ، فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه . (١)

كما بين رحمه الله تعالى أن سكوت السلف رحمهم الله تعالى عن الكلام والجدال ليس جهلا وعجزا منهم ولكنهم سكتوا عن علم ومعرفة ودراية وتعظيم وخشية لله تعالى . فقال : " فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلا ولا عجزا ولكن سكتوا عن علم وخشية لله وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم باختصاصه بعلم دونهم ، ولكن حبا للكلام وقلة ورع . . . الى أن قال رحمه الله تعالى : " وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا ، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه فى مسائل

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٤٩) .

الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك ، وهذا جهل محض .

وانظر الى اكابر الصحابة وعلمائهم كأبى بكر ، وعمر ، وعلي ، ومعاذ ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت كيف كانوا ... وكذلك كلام التابعين اكثر من كلام الصحابة ، والصحابة أعلم منهم ، فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ، ولكنه نور يقذف فى القلب يفهم به العبد الحق ، ويميز به بينه وبين الباطل . (١)

وقد تنوعت عبارات السلف فى التحذير من الكلام وأهله من ذلك قول الامام مالك رحمه الله تعالى : الكلام فى الدين أكرهه ؟ ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام فى رأى جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام الا فيما تحته عمل ، فأما الكلام فى دين الله وفى الله عز وجل ، فالسكوت أحب الى لأنى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين الا فيما تحته عمل . (٢)

وقال أيضا رحمه الله تعالى : " لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون ، كما تكلموا فى الأحكام والشرائع ، ولكنه باطل يدل على باطل . (٣)

وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : " رأيى ومذهبى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويجلسوا على الجمال ويطاف بهم فى العشائر والقبائل وينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام . (٤)

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٤٣ ، ١٤٤) .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (ص ٣٦٤) .

(٣) شرح السنة للبغوى (١/ ٢١٧) .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٩/ ١١٦) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ، والله ما توهمته قط ، ولأن يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه الله بالكلام " (١) .

وقال الامام أحمد رحمه الله تعالى : "إنه لا يفلح صاحب كلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام الا وفى قلبه دغل. (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " لا يفلح صاحب كلام أبدا علماء الكلام زنادقة " (٣) .

فهذه بعض اقوال ائمة الاسلام ، الذين شهد لهم بالفضل والعلم فى علم الكلام ، وهم أدرى به من غيرهم لأنهم اطلعوا على حقيقته ، وعلموا نتيجته ، وعاصروا اصحابه وعرفوهم عن قرب ، بل أن السلف لم يكتفوا بالتحذير من علم الكلام وأصحابه بالقول ، بل ألفوا فيهم مؤلفات تبين ماهم عليه من الضلال ، وتحذرهم منه ، وممن ألف فى ذلك الخطابى (٤) ألف كتاب الغنية عن الكلام وأهله (٥) ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى مناقب الشافعى (١/ ٤٥٣) وابن عساكر فى تبيين كذب المفترى (ص ٣٣٦) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص ٣٦٥) .

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص ٨٣) .

(٤) أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستى الخطابى الامام الحافظ اللغوى الفقيه المحدث ، له تصانيف مفيدة منها : معالم السنن و ، وغريب الحديث ، توفى سنة ٣٨٨ هـ .
سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣) وشذرات الذهب (٣/ ١٢٧) .

(٥) مخطوط فى المكتبة الظاهرية بدمشق وتوجد له صورة فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية .

وأبو إسماعيل الهروى (١) ألف كتابه المشهور بذم الكلام (٢) .

كما اتبعوا القول بالعمل فقد أمر الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح (٣) بانتزاع مدرسة معروفة من أبى الحسن الآمدى (٤) وقال : أخذها منه أفضل من أخذ عكا (٥) .

---

(١) شيخ الاسلام الامام الحافظ أبو اسماعيل عبد الله بن محمد بن على ابن محمد الأنصارى الهروى ، كان مظهرا للسنة داعيا اليها صنف ذم الكلام والأربعين فى دلائل التوحيد وغيرها من الكتب المفيدة النافعة ، توفى رحمه الله تعالى سنة ٤٨١ هـ .
طبقات الحنابلة (٢/٢٤٧) وسير اعلام النبلاء (١٨/٥٠٣) ، والبداية والنهاية (١٢/١٤٥) .

(٢) توجد له نسخة فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية ، ويقوم أحد طلبة الدراسات العليا بتحقيق جزء منه لنيل درجة الماجستير .

(٣) أبو عمرو الامام الحافظ عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكردى الشافعى ، كان من كبار الأئمة ، وقد أفتى وجمع وألف كتبا كثيرة فى علوم الحديث والفقه ومن أشهرها ما يعرف بمقدمة ابن الصلاح ، توفى سنة ٦٤٣ هـ .
تذكرة الحفاظ (٤/١٤٣٠) والبداية والنهاية (١٣/١٦٠) ، والنجوم الزاهرة (٦/٣٥٤) .

(٤) أبو الحسن على بن محمد بن سالم الثعلبى سيف الدين الآمدى ، أصولى متكلم ، كان حنبليا ثم انتقل الى مذهب الشافعى ، اشتغل بفنون المعقول ، صنف كتاب الاحكام فى أصول الأحكام ، ولباب الألباب وغيرها ، توفى سنة ٦٣١ هـ .
طبقات الشافعية للسبكى (٨/٣٠٦) والبداية والنهاية (١٣/١٣٤) وشذرات الذهب (٥/١٤٤) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/٥٢) .

ولا يفهم من موقف السلف من علم الكلام أنهم ينهون عن الأدلة العقلية فلا يعطونها أى وزن أو قيمه ، بل ان من طالع كتبهم ونظر في أقوالهم ، تبين له أنهم لم ينكروا الاستدلال بالادلة العقليه على المطالب الآلهية اذا كانت صحيحة ، وانما نهوا وذموا ما خالف الكتاب والسنة .(١)

كما أنهم لم يذموا علم الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ العرض(٢) وغير ذلك ، ولكن لأن المعانى التى يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم فى الأدلة والأحكام ما يجب النهى عنه لاشتمال هذه الالفاظ على معان مجملة فى النفى والاثبات .(٣)

وهكذا كان علماء السلف كلهم ملتزمين بما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يتجاوزونه الى غيره ، ويرون أن فيه الصلاح والهدى والخير والسعاده فى الدنيا والاخرة ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقل الى ربه عز وجل حتى كمل هذا الدين ، فكل ما تحتاج اليه أمته من أمور الدين قد بينه عليه الصلاة والسلام بيانا شافيا ، ولم يترك لأحد مقالا فيما للمسلمين إليه حاجه من أمور دينهم ، ولم يروعنه صلى الله عليه وسلم فى علم الكلام شيء مما يدل دلالة واضحة على أنه بدعة وضلالة .

يقول ابن عقيل رحمه الله : " وقد أفضى الكلام بأهله الى الشكوك

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٧/١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٦) .

(٢) العرض : الموجود الذى يحتاج فى وجوده الى موضع أى محل يقوم به كاللون المحتاج فى وجوده إلى جسم يحله ويقوم به . التعريفات للجرجانى (ص ١٤٨) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/٤٤) .

وكثير منهم الى الالحاد ، تشم رائحة الألحاد من فلتات كلام المتكلمين". (١)

هذا مع أن بطون الكتب حفظت لنا نصوصا كثيرة فى تراجع من اشتغل بعلم الكلام رغم أنهم أمضوا السنوات الطوال بحثا وتفكيرا وتأملا فيه ، رغم ذلك عادوا فى آخر حياتهم الى ماعليه السلف ، وأوصوا بالبعد عن علم الكلام مما يدل دلالة واضحة على بطلان هذا العلم وما يؤدى اليه من الحيرة والاضطراب ، ورجوع من اشتغلوا بعلم الكلام عنه ووصاياهم بالبعد عنه والتمسك بما عليه السلف أمر لا ينكره الا من هو مكابر ومعاند وغير مريد للحق لأن اعترافاتهم وأقوالهم مسطرة ومنثورة فى كتبهم التى ألفوها فى آخر حياتهم ، وتناقلها العلماء من بعدهم مستدلين بها على صحة منهج السلف وفساد مذهب المتكلمين .

أخرج الخطيب البغدادى بسنده أن الوليد بن أبان الكرابيسى (٢) لما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى ؟ قالوا : لا ، قال : فتتهموننى ، قالوا : لا ، قال : فانى أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا : نعم ، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فانى رأيت الحق معهم". (٣)

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزى (ص٨٥) .

(٢) الوليد بن أبان الكرابيسى ، معتزلى ، من علماء الكلام ، من أهل البصرة ، له مقالات فى الاعتزال ، مات سنة (٢١٤هـ) .
تاريخ بغداد (١٣/٤٤١) وسير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٨) ، والنجوم الزاهرة (٢/٢١٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١٣/٤٤١) وتلبيس ابليس لابن الجوزى (ص٨٤) والنجوم الزاهرة (٢/٢١٠) .

وكان أبو المعالي الجويني امام الحرمين يقول : " لقد جلت أهل الاسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد ، والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فان لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الاخلاص فالويل لابن الجويني (١) .

وكان يقول لأصحابه : ياأصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به .

وممن اشتهر عنه الرجوع الى مذهب السلف وذم علم الكلام أبو الفتح الشهرستاني (٢) حيث أخبر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين الا الحيرة والندم ، وكان ينشد

لعمري لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر الا واضعا كف حائر * على ذقن أوقارعا سن نادم (٣)

وهؤلاء الذين ذكرت مقالاتهم أتيت بهم للمثال والا فهناك غيرهم الكثير والكثير من علماء الكلام الذين تبين لهم أن علم الكلام نهايته الحيرة

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص٨٤ ، ٨٥) ومجموع الفتاوى (٤ / ٧٣) والروض الباسم لابن الوزير (٢ / ١٤) .

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني من كبار أئمة الأشاعرة ، له مؤلفات كثيرة منها : الملل والنحل ، نهاية الأقدام في علم الكلام ، توفي سنة ٥٤٨ هـ .
وفيات الأعيان (٤ / ٢٧٣) والعبر (٣ / ٧) وشذرات الذهب (٤ / ١٤٩) .

(٣) أنظر درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٥٩) وشرح العقيدة الطحاوية (ص٢٢٨) والروض الباسم لابن الوزير (٢ / ١٥) .

والاضطراب ، وأن الخير كل الخير فيما عليه سلف هذه الامة عليهم رحمة الله تعالى .

وأخيرا فإن رجوع هؤلاء الأئمة إلى مذهب السلف الصالح واعترافهم بالحيرة والاضطراب بسبب البعد عن منهج القرآن والسنة لعبرة لطالب الحق ، فإن هؤلاء العلماء كلهم قد درسوا علم الكلام ، وأفنوا فيه سنوات ، وخدعوا ببريقه حينا من الزمن، ولكنهم رجعوا في النهاية إلى عقيدة السلف الصالح ، العقيدة الصافية التي مصدرها كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا عبرة وعظة لمن لا يزال يسلك مسلك الخلف وهو مسلك أهل الكلام على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم عله يتوب ويرجع عما هو عليه كما رجع هؤلاء لينال بذلك رضى الله تعالى عليه ، وليختتم عمره بالحسنى .

الفصل الرابع:

توحيد الألوهية

الفصل الرابـــع
توحيـــد الألوهيـــة

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث :

تمهيـــــــــد .

المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : بيان معنى لا اله الا الله وفضلها وشروطها ،

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : بيان معنى كلمة اله .

المطلب الثاني : معنى لا اله الا الله .

المطلب الثالث : فضل لا اله الا الله .

المطلب الرابع : الجمع بين أحاديث تدل على أنه يحرم على النار من قال لا اله الا الله وأخرى تدل على أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله .

المطلب الخامس : شروط الانتفاع بـ (لا اله الا الله) .

المبحث الثالث : ذكر بعض أنواع العبادة .

تعريف العبادة .

من انواع العبادة :

الدعاء .

الخوف .

التوكل .

الاستعانة .

الخشوع .

المحبة .

المبحث الرابع : بيانه أن العبادة لا تقبل الا بشرطين .

تمهيـــــد :

خلق الله سبحانه وتعالى آدم بيده ثم أنزله إلى هذه المعمـورة وأسبغ عليه نعما كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وزوده بالعقل والسمع والارادة حتى يتمكن بواسطتها ادراك ما يلقى اليه من أوامر الله عز وجل ونواهيه ، ثم ارسل الله سبحانه وتعالى الى ذريته من بعده رسلا من جنسهم يبلغون دين الله ، وأنزل عليهم كتبا تعرفهم بخالقهم وموجودهم وبأمره ونهيه ووعده ووعيده ، وقد شاء الله سبحانه وتعالى بحكمته وارادته أن تكون أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم ورسولهم خاتم الانبياء والرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه كتابا تبيانا لكل شيء ، وناسخا لما قبلـه من الكتب ومهيمنا عليها وهو القرآن الكريم ، وقد ضمنه الله سبحانه وتعالى بيان الغاية العظمى والمقصد الأساسي الذى من أجله خلقهم وأوجدهم في هذه الأرض واستخلفهم فيها الا وهو عبادته سبحانه وتعالى واخلاص العبادة له وحده والبراءة من كل معبود سواه وهو ما يسمى بتوحيد العبادة فهو أول واجب على العباد ، وهو أصل الدين وأساس شرائع الاسلام ، وهو من الدين بمثابة الروح من الجسد ، وهو التوحيد الذى بعث الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم الى آخرهم ، فكان كل رسـول يفتتح دعوته لقومه بتوحيد الألوهية كما قال تعالى (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)(١) .

وقد وردت أدلة كثيرة فى الكتاب والسنة توجب على العباد أن يفردوا الله بتوحيد العبادة ، ويخصوه بها وحده دون سواه .

ولهذا اهتم علماء الاسلام من السلف الصالح رحمهم الله تعالى

---

(١) سورة الاعراف آيه (٥٩) .

بهذا النوع من التوحيد وبينوه وأوضحوه لما له من أهمية كبيرة وعاقبة حميدة ومنهم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى حيث اعتنى بهذا النوع من التوحيد وبينه وأوضحه واهتم به اهتماما كبيرا ، وسوف يتبين هذا كله ان شاء الله تعالى في المباحث القادمة التي تشمل على أقواله في ذلك ، ولا ريب أن هذا النوع من التوحيد جدير بالعناية والاهتمام بل هو أهم الأمور التي يجب العناية والاهتمام بها .

المبحث الأول
تعريف توحيد الألوهيـــة

توحيد الألوهية هو ما يعبر عنه بتوحيد العبادة أو توحيد الطلب والقصد أسماء لمسمى واحد وهو افراد الله سبحانه وتعالى بأفعال عباده التي تعبدهم بها بجميع انواعها باطنها وظاهرها من الصلاة والزكـــاة والصيام والحج والنحر والنذر والمحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبـــة والرهبة والدعاء وغير ذلك من انواع العبادة التي تعبد الله بها خلقـــه وشرعها لهم .

وبمعنى آخر أي صرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له ، فلا يدعى من دونه أحد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن صرف شيئا منهـــا لغير الله فهو كافر مشرك كما قال تبارك وتعالى (قل ان صلاتي ونسكـــي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (١)

وهذا النوع من التوحيد هو غاية توحيد الربوبية والأسماء والصفات فانهما وسيلة اليه وهو الذي من أجله خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وانزلت الكتب وحصل الجدال وشرع الجهاد ، وبه افترق الناس الى مؤمنين وكفار ، وهو معنى قول لا اله الا الله .

وقد وردت آيات كثيره في كتاب الله سبحانه وتعالى توجب علـــى العباد أن يفردوا الله سبحانه وتعالى بتوحيد العبادة ويخصوه بهـــا وحده دون سواه .

بل ان الأمر بالعبادة هو أول أمر في كتاب الله سبحانه تعـــالى وهو قوله عز وجل (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (٢)

---

(١) سورة الانعام آيه (١٦٢) .
(٢) سورة البقرة آية (٢١-٢٢) .

ومن الآيات الدالة على وجوب عبادة الله تعالى قوله تعالى
(قل انى أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين
قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني ،
فاعبدوا ماشئتم من دونه ، قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) (١) .

وقال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) (٢) .

وقال تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٣) .

وقال تعالى (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (٤) .

فهذه الآيات الكريمة تقرر أن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة بجميع أنواعها الاعتقادية والقولية والعملية ، وليس لأحد سواه كائنا من كان أي شيء من أنواع العبادة .

وكما جاءت آيات الكتاب الكريم مبينة لهذا النوع من التوحيد وآمرة به كذلك جاءت السنة المشرفة موضحة ومبينة له وآمرة به .

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله عز وجل ، فاذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فاذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم

---

(١) سورة الزمر آية (١١—١٥) .
(٢) سورة الاسراء آية (٢٣) .
(٣) سورة النساء آية (٣٦) .
(٤) سورة الزمر آية (٦٦) .

فاذا أطاعوا بها ، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم ". (١)

ومنها حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معاذ أتدرى ماحق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ". (٢)

فهذه الاحاديث تدل على وجوب اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذا النوع من التوحيد وبين أن الغاية العظمى والمقصد الاساسى الذى من أجله خلق الله الخلق وأوجدهم فى هذه الأرض هو عبادته سبحانه وتعالى واخلاص العبادة له وحده والبراءة من كل معبود سواه .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : ان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبدوه ، ويعرفوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد ، باب ماجاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى (٨/١٦٤) .
ومسلم : كتاب الايمان ، باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام (١/٥١) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب ، باب ماجاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى (٨/١٦٤) .
ومسلم : كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (١/٥٨) .

على عظمته وكبريائه ليهابوه ، ويخافوه خوف اجلال ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التى أعدها لمن عصاه ، ليتقوه بصالح الأعمال ، ولهذا كرر سبحانه وتعالى فى كتابه ذكر النار ، وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال والاغلال . . . وغير ذلك مما فيها من الأهوال والفظائع والعظائم ودعا عباده بذلك الى خشيته وتقواه ، والمسارعة الى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، واجتناب ما نهى عنه ويكرهه ويأباه ، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب ، وكذلك السنة الصحيحة التى هى مفسرة ومبينة لمعانى الكتاب ، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والايمان من الصحابة والتابعين لهم باحسان ، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والاخبات وأن ذلك هو الذى رقاهم الى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات ، من شدة الاجتهاد فى الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال المكروهات فضلا عن المحرمات (١) .

ويقول أيضا رحمه الله تعالى : " فان الله تعالى خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٢) " (٣) .

ويقول رحمه الله تعالى أيضا : فان الله تعالى خلق الخلق كلهم لعبادته كما قال : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٢) وأرسل

---

(١) التخويف من النار (ص ٦ ، ٧) .

(٢) سورة الذاريات آية (٥٦) .

(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص ٣) .

الرسل كلهم للدعوة الى توحيده وطاعته كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (١) ولما أهبط آدم وزوجته وأسكنهما في الأرض أخذ عليهما أن من أطاعه من ذريتهما واتبع رسله كان من السعداء ، ومن أعرض عن ذلك كان من الأشقياء كما قال تعالى : (قلنا أهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٢) وقال تعالى : (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (٣) (٤) ...

فقد أوضح ابن رجب رحمه الله في كلامه السابق أن الحكمة التي من أجلها خلق الله تبارك وتعالى الجن والانس هي عبادته سبحانه وتعالى وحده دون سواه .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٥) قال : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي اليهم ... ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب ، وأخبر أنه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم " (٦) .

---

(١) سورة الانبياء آيه (٢٥) .
(٢) سورة البقرة آيه (٣٨) .
(٣) سورة طه آيه (١٢٣) .
(٤) الاستخراج لاحكام الخراج (ص ١٤٩ — ١٥٠) .
(٥) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٦) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٨) .

المبحث الثانى
بيان معنى لا اله الا الله وفضلها وشروطهـــــا

وفيــه عدة مطالب :

المطلـــــب الأولـــ
بيـــان معـنى كلمـة الـــــه

اله فى اللغة معناه : عبد

والاله : هو المعبود

يقال اله يأله بالفتح فيهما بمعنى عبد يعبد .

قال ابن فارس : الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبـــــد فالاله الله تعالى ، وسمى بذلك لأنه معبود ، ويقال : تأله الرجل اذا تعبـــــد . (١)

وقال الزجاج : معنى قولنا " اله " انما هو الذى يستحق العبادة وهو تعالى المستحق لها دون سواه . (٢)

وقال ابن جرير الطبرى : أله بمعنى عبد ، والاله مصدره من قول القائل : آله الله فلان إلاهة كما يقال : عبدالله فلان عبادة . (٣)

وقال الفيروز أبادى : (٤) أله يأله الهة وتألها كعبد يعبـــــد عبادة وتعبدا . (٥)

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١) .

(٢) تفسير اسماء الله الحسنى (ص٢٦) .

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى (٥٤/١) .

(٤) هو مجد الدين أبوالطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الفيروزأبادى اللغوى ، الأديب ، ولى قضاء اليمن ، وكان من العلماء الفضلاء ، له مصنفات كثيرة منها " القاموس المحيط ، وبصائر ذوى التمييز " توفى ٨١٧ هـ .
بغية الوعاة (٢٧٣/١) وشذرات الذهب (١٢٦/٧) والبـــدر الطالع (٢٨٠/٢) .

(٥) بصائر ذوى التمييز (١٤/٢) .

بهذا يتضح لنا أن لفظة (اله) مأخوذة من التألـه وهو التعبد ومعناه المعبود المطاع سواء كان بحق أو بغير حق ، فكل ما عبد بأى نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جمادا فهو اله عند عابده كما قال تعالى (فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك ومازادوهم غير تتبيب)(١) .

ولكن هذا اللفظ غلب على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى يقول الزمخشرى(٢) : والاله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق ...(٣)

وأما لفظ الجلالة (الله) فلا يطلق الا على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى ، فهو مختص به عز وجل ولا يطلق على غيره(٤) .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن الاله الحق الذى يجب أن يطاع فلا يعصى هو الله سبحانه وتعالى فقال : " الاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ، ومحبة وخوفا ورجاء ، وتوكلا عليه ، وسؤالا منه ودعاءا له ، ولا يصلح ذلك كله الا الله عز وجل "(٥) .

---

(١) سورة هود آيه (١٠١) .

(٢) محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى ، أبو القاسم ، كبير المعتزلة ، وهو رأس فى البلاغة والعربية والمعانى والبيان ، وهو داعية الى الاعتزال ، له مؤلفات أظهر فيها هذا المذهب منها : الكشاف فى التفسير ، توفى سنة ٥٣٨ هـ .
الأنساب (٦/٢٩٧) ووفيات الأعيان (٥/١٦٨) وبغية الوعاة (٢/٢٧٩) .

(٣) الكشاف (١/٣٦) .

(٤) انظر لسان العرب (١٣/٤٦٩) .

(٥) كلمة الاخلاص (ص٢٣) .

وقال أيضا رحمه الله تعالى : فان الاله هو المعبود الذى يطاع فلا يعصى خشية واجلالا ومهابة ومحبة ورجاء وتوكلا ودعاء ، والمعاصى قادحة كلها فى هذا التوحيد ، لأنها اجابة لداعى الهوى وهو الشيطان قال الله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه)(١).

كما أشار رحمه الله تعالى الى أن الاله قد يطلق على الهوى المتبع فقال : وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع(٢).

قال الله تعالى : (أفرأيت من اتخذ الهه هواه)(١) قال : هو الذى لا يهوى شيئا الا ركبه ،

وقال قتادة :(٣) هو الذى كلما هوى شيئا ركبه ، وكلما اشتهى شيئا أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى(٤) . . . ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة(٥) تعس عبد الخميصة(٦) تعس وانتكس

---

(١) سورة الجاثية آيه (٢٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ١٢٩) .

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى أبو الخطاب البصرى الحافظ ، المحدث المفسر ،كان من أوعية العلم ، وممن يضرب به المثل فى قوة الحفظ ، توفى سنة ١١٨ هـ رحمه الله تعالى .
الجرح والتعديل (٧ / ١٣٣) ووفيات الأعيان (٤ / ٨٥) وسير أعلام النبلاء (٥ / ٢٦٩) .

(٤) أخرجه بنحوه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٥ / ١٥٠) .

(٥) القطيفة : هى كساء له خمل : أى الذى يعمل لها ويهتم بتحصيلها
النهاية لابن الأثير (٤ / ٨٤) .

(٦) الخميصة : هى ثوب خز أو صوف معلم ،وقيل لا تسمى خميصة الا أن تكون سوداء معلمة ، وكانت من لباس الناس قديما ، وجمعها الخمائص
النهاية لابن الأثير (٢ / ٨٠ ، ٨١) .

واذا شيك [١] فلا انتقش " [٢] فدل هذا على أن كل من أحب شيئا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ، ووالى لأجله ، وعادى لأجله ، فهو عبده ،وكان ذلك الشيء معبوده والهه .

ويدل عليه أيضا أن الله تعالى سمى طاعة الشيطان فى معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى : (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان) [٣] وقال تعالى حاكيا عن خليله ابراهيم عليه السلام لأبيه : (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا) [٤] فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ،ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن . [٥]

فالتفسير الصحيح لكلمة الاله هو المألوه والمعبود المطاع ،ولا معبود بحق الا الله سبحانه وتعالى .

وبهذا يتبين لنا خطأ المتكلمين ومن سار على نهجهم الذين يفسرون الاله بأنه الخالق والقادر على الاختراع ، أو شبه ذلك من معانى الربوبية فجعلوا الالوهية بمعنى الربوبية .

---

(١) شيك : أى اذا أصابته شوكة لا يقدر على انتقاشها ،وهو اخراجها بالمنقاش .
النهاية لابن الاثير (٢/ ٥١٠) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الجهاد ، باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله (٤/ ٢٢٢) .

(٣) سورة يس آيه (٦٠) .

(٤) سورة مريم آيه (٤٤) .

(٥) كلمة الاخلاص (ص ٢٥ — ٢٧) .

وهذا التفسير لا شك أنه تفسير خاطئ مخالف للغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، ويؤدى الى اغفال حقيقة التوحيد الذى من أجله أرسلت الرسل وانزلت الكتب وخلق الله الخلق الا وهو توحيد العبادة الذى ضل فيه كثير من الناس خصوصا فى هذا العصر .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أن معنى الاله هو المعبود المطاع فيقول : وهذا كثير جدا فى كلام العلماء ، وهو اجماع منهم أن الاله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم فى معنى الاله أنه الخالق أوالقادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ، ويظنون أنهم اذا قالوها بهذا المعنى ، فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله . . . وما شعروا أن اخوانهم من كفار العرب يشاركونهم فى هذا الاقرار ، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ، ويعبدونه بأنواع من العبادات . . . فان قيل : فما الجواب من قول من قال : بأن معنى الاله القادرعلى الاختراع ونحو هذه العبارة ؟

قيل الجواب من وجهين :

أحدهما أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة ، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا .

الثانى : على تقدير تسليمه ، فهو تفسير باللازم للاله الحق ، فان اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع ، ومتى لم يكن كذلك ، فليس باله حق وان سمي الها ، وليس مراده أن من عرف أن الاله هو القادر

على الاختراع فقد دخل فى الاسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتـــــــاح دار السلام ، فان هذا لا يقوله أحد ، لأنه يستلزم أن يكون كفـــــار العرب مسلمين ، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطـئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية .(١)

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٧٦ — ٨١) .

المطلب الثانـــي
معنى لا اله الا اللــــــه

بعد ما تبين لنا في المبحث الاول معنى الاله وأن المعنـــى الحق (للاله) هو المعبود والمطاع اذكر ما قاله ابن رجب رحمه اللــه في معنى لا اله الا الله حيث قد بين معناها بياناً شافيا .

فقال رحمه الله تعالى : معنى لا اله الا الله لا يؤله غيره حبـــا ورجاء وخوفا وطاعة ، فاذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبـــة لغير ما يحبه الله ، ولا كراهة لغير ما يكرهه ومن كان كذلك لم تنبعـــث جوارحه الا بطاعة الله . (١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى : فإن تحقق القلب بمعنى لا الـــه الا الله وصدقه فيها واخلاصه بها ، يقتضي أن يرسخ فيه تأله الله وحـده اجلالا وهيبة ومخافة ومحبة ورجاء وتعظيما وتوكلا ويمتلئ بذلك ، وينتفـي عنه تأله ما سواه من المخلوقين ، ومتى كان كذلك لم يبق فيه محبة ولا ارادة ولا طلب لغير ما يريدالله ويحبه ويطلبه ، وينتفي بذلك من القلب جميـــع اهواء النفوس وارادتها ووسواس الشيطان . (٢)

ويقول أيضا : لا يصح تحقيق معنى قول لا اله الا الله الا لمن لم يكن في قلبه اصرار على محبة ما يكرهه الله ، ولا على ارادة ما لا يريده الله ، ومتى كان في القلب شيء من ذلك كان ذلك نقصا في التوحيد . (٣)

ف(لا اله الا الله) تعني افراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحـده لا شريك له ، والبراءة من كل معبود سواه ، فهي كلمة الاخلاص وعنوان التوحيد ولا يتم ايمان أي عبد بدون تحقيق معناها والعمل بمدلولها .

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣ / ١٦٨) .
(٢) المصدر السابق (٢ / ١٤٦) .
(٣) المصدر السابق (٢ / ١٤٧) .

المطلب الثالث

فضل لا إله إلا الله

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : كلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقاؤها ، فلنذكر بعض ما ورد فيها :

١ – فهي كلمة التقوى كما قال عمر رضي الله عنه من الصحابة ، وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ... ولأجلها خلق الخلق كما قال تعالى : (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)(١) ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)(٢) ، وقال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله إلا أنا فاتقون)(٣) .

٢ – ... وهي ثمن الجنة ... وجاء مرفوعا : ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة "(٤) .

٣ – وهي نجاة من النار : سمع النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنا يقول :

---

(١) سورة الذاريات آية (٥٦) .

(٢) سورة الأنبياء آيه (٢٥) .

(٣) سورة النحل آيه (٢) .

(٤) أخرجه أحمد (٥/٢٣٣) وأبو داود : كتاب الجنائز ، باب التلقين (٣/٤٨٦) والحاكم (١/٣٥١) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

" أشهد أن لا اله الا الله " فقال : " خرج من النـــار " اخرجه مسلم .(١)

٤ ـ وهي توجب المغفرة : وفي المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومـا : " أرفعوا أيديكم وقولوا : لا اله الا الله فرفعنا أيدينا ساعـة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني بها الجنـة وانك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : أبشروا فان الله قـد غفر لكم ".(٢)

٥ ـ وهي أحسن الحسنات : قال أبو ذر : قلت يارسول اللـه علمني بعمل يقربني من الجنة ، ويباعدني من النار ، قال :" اذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فانها عشر أمثالها ، قلت يارسول الله لا اله الا الله من الحسنات ؟ قال : هي أحسن الحسنات ".(٣)

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة ، باب الامساك عن الاغارة على قوم في دار الكفر اذا سمع فيهم الأذان (١/٢٨٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٢٤) قال الهيثمي في المجمع (١٠/٨١) رواه أحمد وفيه راشد ابن داود وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد (٥/١٦٩) والبيهقي في الاسماء والصفات (ص١٣٣) وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير (١/٣١) والألبـاني في سلسلة الاحاديث الصحيحة (٣/٣٦١) .

٦ — ... وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث السجـــلات والبطاقة(١) وقد خرجه أحمد ، والنسائي ، والترمذي أيضا من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ — وهي التي تخرق الحجب حتى تصل الى الله عز وجل : وفـــي الترمذي ... عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وســـلم

---

(١) حديث البطاقة هو حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله سيخلــص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول له ، أتنكر مـــن هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يارب، فيقول : أفلك عذر ، فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى ان لــك عندنا حسنة ، فانه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا الــه الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مـــع هذه السجلات ، فقال : انك لا تظلم ، قال : فتوضـــع السجلات في كفه والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلـــت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء ".

أخرجه أحمد (٢/٢١٣) وابن ماجه : كتاب الزهد ، بـــاب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٢/١٤٣٧) والترمذي : كتاب الايمان ، باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا الــه الا الله (٥/٢٤) وقال : هذا حديث حسن غريب . والحاكـــم (١/٥٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجـــاه ووافقه الذهبي .

" ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر ". (١)

٨ — وهى التى ينظر الله الى قائلها ، ويجيب دعاءه ، خرج النسائى (٢) فى كتاب " اليوم والليلة " من حديث رجلين من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" ما قال عبد قط لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه لسانه ، الا فتق له (أبواب) السماء ، حتى ينظر الله الى قائلها ، وحق لعبد نظر الله اليه أن يعطيه سؤاله " .

٩ — وهى الكلمة التى يصدق الله قائلها : كما أخرج النسائى والترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قال العبد : لا اله الا الله والله أكبر، صدقه ربه ، وقال : لا اله الا أنا وأنا أكبر ، واذا قال : لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، يقول الله : لا اله الا أنا وحدى لا شريك لي ، واذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد قال الله : لا اله الا أنا ، لي الملك ولى الحمد ، واذا قال : لا اله الا الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، قال الله : لا اله الا أنا ، ولا حول ولا قوة الا بي

---

(١) سنن الترمذى كتاب الدعوات (٥/ ٥٧٥) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .
وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٤٧) والألبانى كما فى صحيح الجامع (٢/ ٩٨٧) .

(٢) عمل اليوم والليلة (ص ١٥٠) ، ورجال إسناده ثقات إلا محمد بن عبد الله بن ميمون ، ويعقوب بن عاصم ، قال ابن حجر فى كل منهما " مقبول " .. انظر تقريب التهذيب ص (٣٠٦) ، (٣٨٦)

وكان يقول : " من قالها في مرضه ، ثم مات لم تطعمه النار ".(١)

١٠- وهي أفضل ما قاله النبيون كما ورد في دعاء يوم عرفة .(٢)

١١- وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع : " أفضل الذكر لا اله الا الله "....(٣)

---

(١) أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات ، باب ما يقول العبد اذا مرض (٤٩٢/٥) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب فضل لا اله الا الله (١٢٤٦/٢) وابن حبان كما في موارد الظمآن (٥٧٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٥١) والحاكم (٥/١) وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي .

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم " أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفه : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير " أخرجه مالك في الموطأ (٤٢٢/١) والترمذي : كتاب الدعوات ، باب في دعاء يوم عرفة (٥٧٢/٥) والبغوي في شرح السنة (١٥٧/٧) وقال الألباني بعد أن ذكر هذا الحديث وما له من شواهد : وجملة القول : أن الحديث ثابت بمجموع هذه الشواهد . سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨/٤) .

(٣) أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات ، باب ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة (٤٦٢/٥) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب فضل الحامدين (١٢٤٩/٢) والحاكم (٤٩٨/١) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

١٢ـ وهى أفضل الاعمال وأكثرها تضعيفا ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزا من الشيطان : كما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، فى يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مئة حسنة ، ومحي عنه مئة سيئة ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ". (١)

وفيهما أيضا عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل " ... (٢)

١٣ـ ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة ، ويدخل من أيها شاء كما فى حديث عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء ، وقد خرجه مسلم . (٣)

(١ ، ٢) صحيح البخارى : كتاب الدعوات ، باب فضل التهليل (٧/ ١٦٧) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/ ٢٠٧١) .

(٣) صحيح مسلم كتاب الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (١/ ٢١٠) ولفظه : " ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبد الله ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، ويدخل من أيها شاء ".

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء "... (١)

١٤- ومن فضائلها أن أهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فانهم لابد أن يخرجوا منها : وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : " لا اله الا الله"... (٢)(٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : ... فأما كلمة التوحيد فانها تهدم الذنوب وتمحوها محوا ، ولا تبقى ذنبا ولا يسبقها عمل وهي تعدل عتق الرقاب الذى يوجب العتق من النار ... ومن قالها مخلصا من قلبه حرمه الله على النار ". (٤)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الأنبياء ، باب قوله عز وجل " يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) (١٣٩/٤) وصحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٥٧/١) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٢٠٢/٨) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٤/١) .

(٣) كلمة الاخلاص (ص ٥٢) وما بعدها بتصرف يسير .

(٤) لطائف المعارف (ص ٢٢٨) .

هذه بعض فضائل لا اله الا الله التي ذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى ، ولو تتبعنا فضائل هذه الكلمة لصارت في مجلد كبير ، فهي سند متين ومستمسك قوي لمن جاء يوم القيامة بها مستكملا لشروطها وعاملا بمقتضاها .

المطلب الرابع

الجمع بين أحاديث تدل على أنه يحرم على النار من قال لا اله الا الله ، وأخرى تدل على أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله

سبق في المبحث السابق بيان فضائل كلمة التوحيد لا إله الا والتي دلت عليها الأحاديث الكثيرة الواردة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا أن بعض هذه الأحاديث ظاهرها التعارض في مدلولاتها وهي كما يلي :

١ ـ أحاديث تدل على أن من أتى بالشهادتين يحرم على النار ومنها حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه أنه قال عند موته : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار ".(١)
فيؤخذ من هذا الحديث وما جاء في معناه من الاحاديث أن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ".

٢ ـ أحاديث تدل على أنه من قال : لا إله إلا الله يخرج من النار ومنها حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ... "(٢) الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٥٨/١) .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١٦/١) ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٢/١) .

فظاهر هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث يدل على أن من يقول لا اله الا الله يدخل النار بسبب ذنوبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة وهو يتعارض مع ظاهر أحاديث القسم الأول التي تدل على أن الله حرم على النار من قال لا اله الا الله .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذه المسألة فقال رحمه الله بعد أن ذكر جملة من هذه الأحاديث التي ظاهرها التعارض " وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة يطول ذكرها .

وأحاديث هذا الباب نوعان :

أحدهما : مافيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها .

الثاني : ما فيه أنه يحرم على النار .(١)

ثم ذكر رحمه الله تعالى بعد ذلك أجوبة(٢) أهل العلم في هذه الأحاديث وهي تتلخص في الأقوال التالية :

١ - منهم من حمل الأحاديث التي فيها أنه يحرم على النار ، على أن المراد بالتحريم تحريم الخلود فيها أو على نار يخلد فيها أهلها وهي ماعدا الدرك الأعلى ، فان الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، ورحمة أرحم الراحمين ، وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذا القول بعد أن ذكر النوع الثاني من أنواع هذه الأحاديث وهو : ما فيه أنه يحرم على النار قال : وهذا قد حمله بعضهم على الخلود

---

(١) كلمة الاخلاص (ص ١٢) .

(٢) انظر هذه الاجوبة في كلمة الاخلاص (ص ١٢ — ٢١) وفي جامع العلوم والحكم (٢/١٤٢ — ١٤٦) .

فيها ، أو على نار يخلد فيها أهلها وهى ماعدا الدرك الأعلى فأما الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، وبرحمة أرحم الراحمين وفي الصحيحين ان الله تعالى يقول : وعزتى وجلالي لأخرجن من النار من قال لا اله الا الله ". . . .(١) أ.هـ.

٢ - قول الذين قالوا أن هذه الاحاديث وما فى معناها ، كانت قبل نزول الفرائض والحدود وممن قال بهذا الزهرى والثورى وغيرهما وهؤلاء منهم من يقول ان هذه الأحاديث منسوخة ، وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذا وبين أنه قول بعيد فقال " وقد ذهب طائفة الى أن هذه الأحاديث المذكورة أولا وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود ومنهم الزهرى والثورى وغيرهما ، وهذا بعيد جدا ، فان كثيرا منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود ، وفى بعضها أنه كان فى غزوة تبوك ، وهى فى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

وهؤلاء منهم من يقول فى هذه الاحاديث انها منسوخة ومنهم من يقول : هى محكمة ، ولكن ضم اليها شرائط ، ويلتفت هذا الى أن الزيادة على النص : هل هى نسخ أم لا ؟ والخلاف فى ذلك بين الاصوليين مشهور ، وقد صرح الثورى وغيره بأنها منسوخة ، وأنه نسخها الفرائض والحدود" أ.هـ.

قلت : وقد ضعف ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى القولين السابقين ووصفها بأنها تأويلات مستكرهة مخالفة لما هو معلوم بالاضطرار

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٩٧).

من دين الاسلام فقال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض الأحاديث الواردة في الشهادتين : " وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس ، حتى ظنها بعضهم [illegible] [illegible] قبل ورود الأوامر والنواهي [illegible] وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال : المعنى لا يدخلها خالدا ، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة ، فان الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط ، فان هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار " اهـ (١)

٣ ــ قول من قال أن ذلك خاص بمن قال : لا اله الا الله وتاب توبة نصوحا ، فلم يأت بذنوب تنقص توحيده وتذهب بكماله ومات على ذلك فانه يدخل الجنة ابتداء ، ومن كان خلاف ذلك فهو تحت المشيئة وهو قول الامام البخاري رحمه الله تعالى وجماعة من أهل العلم. فقد قال الامام البخاري رحمه الله تعالى بعد أن ذكر حديث أبي ذر (٢) " هذا عند الموت أو قبله اذا تاب وندم وقال :

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٣٠).

(٢) حديث أبي ذر في الصحيحين ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق (قالها ثلاثا) ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر ". أخرجه البخاري ، كتاب اللباس ، باب الثياب البيض (٧ / ٤٣) ومسلم : كتاب الايمان (١ / ٩٥).

لا اله الا الله ... ويؤكد ذلك ما قاله فى كتاب الجنائز حيث قال : باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله ...[1]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : قيل أشار بهذا ـ أى البخارى ـ الى ما رواه أبو داود والحاكم ... عن معاذ بن جبل قال [illegible]

[illegible]

وقال فى موضع آخر : وحاصل ما أشار إليه ـ أى البخارى ـ أن الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التى أشير اليها فى الحديث[4] فانه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء ... وأما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة ، فظاهر الحديث أنه أيضا داخل فى ذلك ، لكن مذهب أهل السنة أنه فى مشيئة الله تعالى ، ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت فى كتاب الايمان فان فيه " ومن أتى شيئا من ذلك فلم يعاقب به فأمره الى الله تعالى ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه "[5] وهذا المفسر مقدم على المبهم[6] .

---

(١) صحيح البخارى (٢/ ٦٩) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٩١) .

(٣) فتح البارى لابن حجر (٣/ ١٠٩) .

(٤) تقدم الحديث بالصفحه السابقة .

(٥) أخرجه البخارى كتاب الايمان (١/ ١٠) ومسلم كتاب الحدود (٣/ ١٣٣٣) من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه :

" بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا ..." الحديث .

(٦) فتح البارى لابن حجر (١٠/ ٢٨٣) .

ولم يشر ابن رجب رحمه الله تعالى الى هذا القول فى معرض ذكره لأجوبة أهل العلم فى هذه المسألة .

٤ — ومنهم من قال ان الشهادتين سبب لدخول الجنة ولكن لابد من العمل لأن لا اله الا الله شى المفتاح والأعمال هى الأسنان ، ولا فائدة من مفتاح لا أسنان له ،وكذلك لا تفيد لا اله الا الله الا مع الأعمال الصالحة ، وممن قال بهذا القول الحسن البصرى ووهب بن منبه (١) رحمهم الله تعالى .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان هذا القول :" وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن لا اله الا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتض لذلك ، ولكن المقتضى لا يعمل عمله الا باجتماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه ،وهو الأظهر .

---

(١) وهب بن منبه بن كامل بن سيج الأنبارى الصنعانى ، أبو عبدالله التابعى ، الثقة ، له معرفة بأخبار الأوائل وخاصة الاسرائيليات ولى قضاء صنعاء وكان ذا عبادة وزهد ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيه : " كان ممن يأخذ عن أهل الكتاب ، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة ، توفى سنة ١١٤ هـ .

تذكرة الحفاظ (١/٥٣) والبداية والنهاية (٩/٢٧٦) ، ومجموع الفتاوى (١٣/٣٤٥) وتهذيب التهذيب (١١/١٦٦).

قيل للحسن : إن ناسا يقولون : من قال لا اله الا الله دخل الجنة ؟ فقال : من قال : لا اله الا الله ، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة . وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح الا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، والا لم يفتح لك" أ.هـ (*)

وقد رجح ابن رجب رحمه الله تعالى هذا القول ويدل على ترجيحه لذلك قوله السابق " وهو الأظهر" كما يدل على ذلك قوله عقب هذا القول أيضا " ويدل على صحة هذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلا قال : يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال : " تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم ". (١)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلا قال : يارسول الله دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال : " تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان" ، فقال الرجل : والذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا شيئا ، ولا أنقص منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا ". (٢)

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الأدب ، باب فضل صلة الرحم (٧ / ٧٢) ومسلم كتاب الايمان ، باب بيان الايمان الذي يدخل به الجنة (١ / ٤٣).

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ، باب بيان الايمان الذي يدخل الجنة (١ / ٤٤).

(*) ذكره البخاري في صحيحه معلقا (٢ / ٦٩).

... فاذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترفع عمن أدى الشهادتين مطلقا ، بل يعاقب باخلاله بحق من حقوق الاسلام ، فكذلك عقوبة الآخرة . (١)

٥ — وهو قول الذين قالوا ان هذه الاحاديث المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر والتي تفيد بأن ذلك لمن يقولها بصدق ويقين واخلاص .

قال ابن رجب رحمه الله : وقالت طائفة : هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق واخلاص ، واخلاصها وصدقها يمنع الاصرار على معصيته " أ.هـ (٢)

وابن رجب رحمه الله تعالى قد شرح هذا القول مما يدل على أنه يرجحه أيضا بل انه يعتبره قولا موافقا للذى قبله حيث يقول : ولعل الحسن أشار بكلامه الذى حكيناه عنه من قبل الى هنا فان تحقق القلب بمعنى : لا اله الا الله ، وصدقه فيها ، واخلاصه بها ، يقتضى أن يرسخ فيه تأله الله وحده اجلالا وهيبة ومخافة ومحبة ورجاء وتعظيما وتوكلا ، ويمتلىء بذلك وينتفى عنه تأله ما سواه من المخلوقين ، ومتى كان كذلك لم يبق فيه محبة ولا ارادة ولا طلب لغير ما يريد الله ويحبه ويطلبه ، وينتفى بذلك من القلب جميع اهواء النفوس ، وارادتها ووسواس الشيطان ... الى أن قال رحمه الله : " فتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم " من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار " (٣) وأن من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه فى قولها

---

(١) كلمة الاخلاص (ص ١٥ ، ١٩) .
(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ١٤٤) .
(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٩٩) .

فان هذه الكلمة اذا صدقت طهرت القلب من كل ماسوى الله ، فمن صدق في قول : لا إله إلا الله لم يحب سواه ، ولم يرج إلا إياه ، ولم يخش إلا الله ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم يبق له بقية من ايثار نفسه وهواه ، ومتى بقي في القلب أثر لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها " (١) .

والقولان الأخيران هما أحسن ما قيل في معنى هذه الأحاديث وهما في الحقيقة متفقان لا اختلاف بينهما ، وهما اللذان مال اليهما ابن رجب ورجحهما لأن من قال لا اله الا الله بصدق واخلاص ويقين يقتضي ذلك منه فعل الطاعات واجتناب المحرمات .

وهذا ما رجحه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى حيث قال بعد أن ذكر جملة من الاحاديث الواردة في ذلك : " وأحسن ما قيل في معناها ماقاله شيخ الاسلام وغيره : ان هذه الأحاديث انما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة ، وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه ، غير شاك فيها بصدق ويقين ، فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح الى الله جملة ، فمن شهد أن لا اله الا الله خالصا من قلبه ، دخل الجنة ، لأن الاخلاص هو انجذاب القلب الى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا ، فاذا مات على تلك الحال نال ذلك ... وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث ، فانه اذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا ، فان كمال اخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب اليه من كل شيء ، فاذا لا يبقى في قلبه ارادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله ، وهذا هو الذي يحرم من النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك ، فان هذا الايمان ، وهذه التوبة

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٥ - ١٤٨) .

وهذا الاخلاص ، وهذه المحبة وهذا اليقين لا يتركون ذنبا الا يمحى كما يمحو الليل النهار ، فاذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصلا ، فيغفر له ويحرم على النار ، وان قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك ، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات ، فيرجع بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه ، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته على حسناته ومات مصرا على ذلك ،فانه يستوجب النار وان قال : لا اله الا الله وخلص بها من الشرك الأكبر ، لكنه لم يمت على ذلك ،بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده فانه في حال قولها كان مخلصا لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والاخلاص فأضعفته ، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك بخلاف المخلص المستيقن ، فان حسناته لا تكون الا راجحة على سيئاته ،ولا يكون مصرا على سيئة ، فان مات على ذلك دخل الجنة وانما يخاف على المخلص أن يأتي بسيئات راجحة تضعف ايمانه ، فلايقولها باخلاص ويقين مانع من جميع السيئات.(١)

فقول لا اله الا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ولكن لابد للسبب من وجود شروطه وانتفاء موانعه وهو ما سيتضح في المبحث القادم ان شاء الله تعالى .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٨٦-٨٩) ولمزيد من التفاصيل عن هذه الاحاديث وأقوال العلماء فيها . انظر شرح مسلم للنووي (١/ ٢١٧) وما بعدها ، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ١١٠).

المطلب الخامس

شروط الانتفاع بـ (لا اله الا الله)

رأيت من المناسب أن أذكر في هذا المبحث الشروط[١] التي ذكرها العلماء رحمهم الله للانتفاع بقول لا اله الا الله ، والحصول على ثوابها والفضل الذى ورد فيها والتي تبين أن هذا الفضل لا يحصل بمجرد اللفظ بهذه الكلمة بدون هذه الشروط التى استنبطها العلماء رحمهم الله تعالى من الكتاب والسنة وهى :

١ ـ العلم بمعنى هذه الكلمة المراد منها نفيا واثباتا ، المنافى للجهل كما قال الله تبارك وتعالى : (فاعلم أنه لا اله الا الله)[٢] وقال تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)[٣].

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة"[٤].

٢ ـ اليقين المنافى للشك أى باستيقان القلب بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما ، وانتفاء الشك المعارض له ، لأن الايمان لابد أن يكون عن علم يقين لا علم الظن كما قال تعالى :

---

(١) لخصت هذه الشروط من : معارج القبول (١/ ٣٧٨) والجامع الفريد (ص ٣٥٦) والكواشف الجلية عن معانى الواسطية (ص٢٩)

(٢) سورة محمد آية (١٩).

(٣) سورة آل عمران آية (١٨).

(٤) اخرجه مسلم : كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٥٥).

(إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) [١] وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) [٢] فاشترط في صدق ايمانهم با[illegible] كونهم لم يشكوا كما أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما الا دخل الجنة " [٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : " من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة " [٤] فمن نطق بالشهادة موقنا بأنه لا يستحق العبادة سوى الله سبحانه وتعالى وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله الى الناس كافة ، وأن ما جاء به حق لا شك فيه ، كان من أهل الجنة عاجلا أو آجلا .

ثالثا : القبول لما اقتضته هذه الكلمة (لا إله إلا الله) من إفراد الله بالعبادة ، ونفيها عمن سواه ، فلا يرد شيئا مما دلت عليه لميل في نفسه أو مجاملة لغيره ، وقد ذكر الله تبارك وتعالى لنا من أنباء ما قد سبق من انجائه لمن قبلها ، وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى : (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين) [٥].

---

(١) سورة الزخرف آيه (٨٦) .

(٢) سورة الحجرات آيه (١٥) .

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١ / ٥٦) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١ / ٦٠) .

(٥) سورة الروم آية (٤٧) .

وقال تعالى : (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) (١) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا [illegible] منها [illegible] إنما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت مثل من فقه فى دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به " (٢) .

الرابع : الانقياد لما تضمنته هذه الكلمة ظاهرا وباطنا قال تعالى :
(ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) (٣)

وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٤) .

قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية : يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له

---

(١) سورة يونس آيه (١٠٣) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب العلم : باب فضل من علم وعلم (١ / ٢٨) ومسلم : كتاب الفضائل ، باب بيان مقثل ما بعث النبى صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (٢٢٨٢) .

(٣) سورة لقمان آيه (٢٢) .

(٤) سورة النساء آية (٦٥) .

باطنا وظاهرا ، ولهذا قال : " ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " أى : اذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم فلا يجدون فى أنفسهم حرجا مما حكمت به ، وينقادون له فى الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد فى الحديث " والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " (١)(٢).

فتمام الانقياد وغايته أن تكون رغبة العبد وفق ما تضمنته كلمة (لا اله الا الله) وتبعا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خامسا : الصدق بقولها وبما دلت عليه ، صدقا ينبع من قلب منافيا للكذب ، قال تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) (٣)

جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " فى قوله تعالى" (والذى جاء بالصدق) أى : يقول : من جاء بلا اله الا الله وصدق به " يعنى رسوله . (٤)

---

(١) هذا الحديث ذكره النووى رحمه الله تعالى فى الاربعين النوويه وهو الحديث الحادى والأربعون وقال : حديث حسن صحيح ، رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح ، وعقب ابن رجب رحمه الله تعالى على هذا القول بقوله : قلت تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه ، ثم قال بعد ذكر هذه الوجوه : وأما معنى الحديث من الاوامر والنواهى وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه ، وقد ورد فى القرآن بمثل هذا فى غير موضع . جامع العلوم والحكم (٣ / ٢٢٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٠) .

(٣) سورة الزمر آيه (٣٣) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٤ / ٣) والبيهقى فى الاسماء والصفات (ص ١٣٥) .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية كل من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسله ، والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به ، وأن يقال الصدق : هو القرآن وشهادة أن لا اله الا الله ، والمصدق به : المؤمنون بالقرآن ، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه .(١)

فمن شهد أن لا اله الا الله صادقا من قلبه فقد أبعد نفسه عن النار كما جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مامن أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار ".(٢)

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن المؤمنين فهم الذين حققوا قول : لا إله إلا الله وأخلصوا في قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا الى غير الله محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا ، وهم الذين صدقوا في قول : لا إله إلا الله ، وهم عباد الله حقا ، فأما من قال : (لا إله إلا الله) بلسانه ، ثم اطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله).(٣)

(ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)(٤)(٥) ....

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (٤١/١).

(٣) سورة القصص آيه (٥٠).

(٤) سورة ص آيه (٢٦).

(٥) كلمة الاخلاص (ص ٢٧ ، ٢٨).

سادسا : الاخلاص لله تعالى فى قولها ، والسلامة مما ينافى مضمونها من الشرك وغيره قال تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (١) وقال تعالى : (ألا لله الدين الخالص) (٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "... أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه ". (٣)

وعن عتبان بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله عز وجل ". (٤)

فالاخلاص أساس فى الأعمال والأقوال فعلية كانت أو تركية لأن له أثر كبير فى عاجل أمر المؤمن وآجله .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : والاخلاص هو أساس الأعمال التى لا تثبت الأعمال الا عليه . (٥)

سابعا : المحبة لهذه الكلمة وما دلت عليه واقتضته محبة سالمة من المعارضة ، ومن لوازم ذلك محبة أهلها العاملين بها ، وبغض ومعاداة

---

(١) سورة البينة آية (٥) .

(٢) سورة الزمر آيه (٣) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث (١ / ٣٣)

(٤) أخرجه مسلم : كتاب المساجد ، باب الرخصة فى التخلف عن الجماعة بعذر (١ / ٤٥٦) .

(٥) اختيار الأولى (ص ٩٥) .

من لم يكن من أهلها من المشركين وغيرهم والبراءة منهم قال تعالى :
(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله)(١)

وقال تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) . . . الآية(٢)

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار .(٣)

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :
" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "(٤)

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله والمحبة الصحيحة تقتضى المتابعة والموافقة فى حب المحبوبات ، وبغض المكروهات .(٥)

---

(١) سورة البقرة آيه (١٦٥) .

(٢) سورة المجادلة آيه (٢٢) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الايمان ، باب حلاوة الايمان (١ / ١٠) ومسلم : كتاب الايمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان (١ / ٦٦) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الايمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان (١ / ٩) ومسلم : كتاب الايمان : باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الاهل والولد والوالد والناس أجمعين .

(٥) جامع العلوم والحكم (٣ / ٢٢٣) .

فمن حقق معنى لا اله الا الله بهذه الشروط السابقة فقد نجا وسلك الطريق المستقيم واستحق ثوابها وما ورد فيها من فضل .

وقد نظم حافظ الحكمي (١) رحمه الله تعالى هذه الشروط في أبيات فقال :

ولشروط سبعة قد قيدت * وفي نصوص الوحي حقا وردت
فانه لم ينتفع قائلها * بالنطق الا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول * والانقياد فادر ما أقول
والصدق والاخلاص والمحبة * وفقك الله لما أحبه (٢)

---

(١) هو الشيخ العلامة حافظ أحمد الحكمي ، عالم سلفي ، من منطقة تهامة ، ولد سنة ١٣٤٢ هـ بقرية السلام بالقرب من جيزان ، كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم ، له مؤلفات مفيدة منها معارج القبول ، توفي سنة ١٣٧٧ هـ وعمره ٣٥ سنة رحمه الله تعالى .

الاعلام (٢/ ١٥٩) والمستدرك على معجم المؤلفين (ص ١٨٣)

(٢) معارج القبول (١/ ٣٧٧ ، ٣٧٨) .

المبحث الثالث
ذكر بعض أنواع العبادة

تنوعت عبارات السلف رحمهم الله تعالى في تعريف العبادة ولكن أشمل تعريف لها هو تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال : " العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين ، والمملوك من الآدميين ، والبهائم ، والدعاء والذكر ، والقراءة و وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله ، والانابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف لعذابه ، وأمثال ذلك هي من العبادات لله ".(١)

ومن هذا التعريف الجامع لمعنى العبادة التي هي حق الله على عباده يتبين لنا أن جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله وسبحانه وتعالى ويرضاها داخلة في مسمى العبادة ، وفي هذا رد على الفهم الخاطئ الذي يتصوره بعض الناس من أن العبادة محصورة في أركان الاسلام الخمسة مما جعلهم يذكرون الله تعالى ، ويعرفونه في الصلوات الخمس وبقية أركان الاسلام ، وينسونه فيما عدا ذلك من شؤون حياتهم الأمر الذي جعلهم يصرفون كثيرا من أنواع العبادة لغيره ، ويتهاونون بأمره ونهيه .

---

(١) العبودية (ص ٤) .

ولا شك أن هذا فهم خاطىء مخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن كل أمر يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة فهو داخل تحت مسمى العبادة التي يجب اخلاصها لله وحده دون سواه كما هو واضح في تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية السابق رحمه الله تعالى .

ولكثرة أنواع العبادة فاني سأقتصر على ذكر جملة من أنواع العبادة .

وكلام ابن رجب رحمه الله تعالى عليها . وسأبدأ بذكر الدعاء لأن الدعاء هو العبادة (١) كما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ ـ من أنواع العبادة : الدعاء :

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : " ومن أنواع العبادات التي يظهر فيها الذل والخضوع لله عز وجل الدعاء قال الله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) (٢)

وقال تعالى : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ...) (٣) (٤) .....

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٧١) وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢/١٦١) والترمذي : كتاب الدعوات ، باب الدعاء مخ العبادة (٥/٤٥٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢/١٢٥٨) ، والحاكم (١/٤٩٠) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٢) سورة الاعراف آية (٥٥) .

(٣) سورة الأنبياء آية (٩٠) .

(٤) الخشوع في الصلاة (ص ٣٠) .

فالدعاء نوع من أنواع العبادة بل هو أعظمها ولبها ومخها .

وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تحث على الدعاء وتأمر به وترغب فيه : منها قوله تعالى : (وقال ربكم أدعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (١) .

ومنها قوله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) (٢)

ومنها قوله تعالى : (وادعوه خوفا وطمعا) (٣) الى غير ذلك من الآيات التي تدل على أهمية الدعاء وتجعله من أعظم انواع العبادات .

وقد حذر الله تبارك وتعالى من دعاء غيره فقال عز وجل : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءا وكانوا بعبادتهم كافرين) (٤)

وقال عز وجل : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) (٥)

وأما الأحاديث التي تحث على الدعاء وترغب فيه فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) سورة غافر آية (٦٠) .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٦) .

(٣) سورة الاعراف آية (٥٦) .

(٤) سورة الإحقاف آية (٥ ، ٦) .

(٥) سورة فاطر آية (١٣ ، ١٤) .

" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له ... " الحديث . (١)

ومنها حديثه الآخر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس شيء أكرم على الله من الدعاء " . (٢)

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تحث على الدعاء وتأمر به وترغيب فيه .

والدعاء الذى أمر الله به عباده فى كتابه الكريم نوعان ، وكل أمر فى القرآن والسنة بالدعاء لا يخرج عن هذين النوعين وهما :

١ ــ دعاء العبادة : وهو التقرب الى الله تعالى بأنواع العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج ونذر وذبح وغيرها من أنواع العبادات وذلك طمعا فى رحمته وخوفا من عقابه عز وجل .

٢ ــ دعاء المسألة : وهو طلب الداعى من الله عز وجل حصول ما ينفعه ودفع ما يضره ، ومن يملك الضر والنفع هو المعبود حقا وهو الله سبحانه وتعالى لأنه بيده الضر والنفع وهو على كل شيء قدير ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) . (٣)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٦٢) والترمذى : كتاب الدعوات ، باب ماجاء فى فضل الدعاء (٥/٤٥٥) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢/١٢٥٨) ، والطبرانى فى الصغير (٢/٤٧) والحاكم (١/٤٩٠) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

(٣) سورة يونس آية (١٠٦) .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند قوله تعالى :

(ادعوا ربكم تضرعا وخفية ،إنه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين) (١)

هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعى الدعاء : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، فإن الدعاء فى القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما ، وهما متلازمان ، فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعى ، وطلب كشف ما يضره ودفعه ، وكل من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر .

ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه مالا يملك ضرا ولا نفعا وذلك كثير فى القرآن كقوله تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) (٢) وقال : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) (٣) فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدى ، فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم وهذا كثير فى القرآن يبين تعالى أن المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة ، فاعلم أن النوعين متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة .

وعلى هذا فقوله : (واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) (٤) يتناول نوعى الدعاء ، وبكل منهما فسرت الآية قيل : أعطيه اذا سألنى .

---

(١) سورة الاعراف آيه (٥٥، ٥٦) .

(٢) سورة يونس آيه (١٠٦) .

(٣) سورة يونس آيه (١٨) .

(٤) سورة البقرة آية (١٨٦) .

وقيل : أثيبه إذا عبدني .

والقولان متلازمان ، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعا ، فتأمله فانه موضوع عظيم النفع ، وقل من يفطن له ، وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعدا ، فهي من هذا القبيل" (١) .

فالدعاء هو روح العبادة ومخها كما ورد بذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " الدعاء هو العبادة " (٢) .

وهو أعظم أنواع العبادة وأجلها ولذلك كان أقوى وسائل القرب الى الله تعالى ، وأفضل ما يتقرب به العبد الى مولاه .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى مبينا ذلك : " واعلم أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين ، لأن السؤال فيه اظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على رفع هذا الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار ، ولا يصلح الذل والافتقار الا لله وحده لأنه حقيقة العبادة " (٣) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وقوله صلى الله عليه وسلم " إذا سألت فاسأل الله " (٤) أمر بافراد الله عز وجل بالسؤال ونهى عن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٠ ، ١١) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣١٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (١٨١) .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٤/٢٨٨) والترمذي : أبواب صفة القيامة (٥/٣١٩) وقال : حديث صحيح .

سؤال غيره من الخلق ، وقد أمر الله تعالى بسؤاله فقال : (واسألوا الله من فضله ...) (١)

وأعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلا وشرعا ، وذلك من وجوه متعددة :

منها : أن السؤال فيه بذل لماء الوجه وذلة للسائل ، وذلك لا يصلح الا لله وحده ، فلا يصلح الذل الا له بالعبادة والمسألة ، وذلك من علامات المحبة الصادقة ...

وهذا الذل وهذه المحبة لا تصلح الا لله وحده ، وهذا هو حقيقة العبادة التي يختص بها الاله الحق ...

ولهذا المعنى كان عقوبة من أكثر المسألة بغير حاجة أن يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم . كما ثبت ذلك في الصحيحين (٢) لأنه أذهب عز وجهه وصيانته وماءه في الدنيا فأذهب الله من وجهه في الآخرة جماله وبهاءه الحسي فيصير عظما بغير لحم ، ويذهب جماله وبهاؤه المعنوي فلا يبقى له عند الله وجاهه .

ومنها : أن في سؤال الله عبودية عظيمة لأنها اظهار للافتقار اليه ، واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج ، وفي سؤال المخلوق ظلم ، لأن المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه ، ودفع الضر عنها ، فكيف

---

(١) سورة النساء آيه (٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثرا (٢ / ١٣٠) ومسلم : كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس (٢ / ٧٢٠) ولفظه عندهما : " ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم " .

يقدر على ذلك لغيره ، وسؤاله اقامة له مقام من يقدر ، وليس هو بقادر ، ويشهد بهذا المعنى الحديث الذى فى صحيح مسلم عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " قال الله تعالى : (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا غمس فى البحر ...) (١) .

فكيف يسأل الفقير العاجز ويترك الغنى القادر ؟ ان هذا لأعجب العجب .

ومنها : أن الله يحب أن يسأل ويغضب على من لا يسأله فانه يريد من عباده أن يرغبوا اليه ويسألوه ويدعوه ويفتقروا اليه ، ويحب الملحين فى الدعاء ، والمخلوق غالبا يكره أن يسأل لفقره وعجزه ...

ومنها : أن الله تعالى يستدعى من عباده سؤاله ، وينادى كل ليلة : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ (٢) وقد قال الله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان) (٣) .

فأى وقت دعاه العبد وجده سميعا قريبا مجيبا ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب ، وأما المخلوق فانه يمتنع بالحجاب والأبواب ويعسر الوصول اليه فى أغلب الأوقات ... (٤)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٥٤) .

(٢) كما جاء ذلك فى حديث النزول ، وقد سبق تخريجه (ص ١٩٨)

(٣) سورة البقرة آيه (١٨٦) .

(٤) نور الاقتباس (ص ٦٠) وما بعدها .

فقد بين ابن رجب رحمه الله في كلامه السابق أن الالتجاء الى الله تبارك وتعالى وسؤاله وحده لا شريك له هو المتعين على كل انسان لأنه هو الضار النافع الذى بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير .

أما المخلوق الضعيف فانه محتاج الى من يسأله ويعينه فكيف يسأل ويطلب مما يدل دلالة واضحة على أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل كما قال تعالى : (وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) (١) .

فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده الى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وهو أن يدعوه وحده دون سواه ووعدهم بأن يستجيب لهم كما توعد من استكبر عن دعائه وسؤاله بأن يكون من أهل العذاب الذين سيدخلون جهنم وهم ذليلون حقيرون .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية يقول تعالى ذكره : ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعونى ، يقول : أعبدونى وأخلصوا لى العبادة دون من تعبدون من دونى من الأوثان والأصنام وغير ذلك " استجب لكم ، يقول : أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم .

وقوله : (إن الذين يستكبرون عن عبادتى) يقول : ان الذين يتعظمون عن إفرادى بالعبادة وافراد الألوهية لى (سيدخلون جهنم داخرين) بمعنى : صاغرين (٢) .

---

(١) سورة غافر آيه (٦٠) .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى (٢٤ / ٧٨ ، ٧٩) .

فالله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يدعوه ويتقوه ويطيعوه وقد فتح بابه للطالبين ، وحث على دعائه فى كتابه المبين كما فى الآية السابقة وكما فى قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) (١) لأن دعاء العبد لربه سبحانه وتعالى من مقتضيات العبودية لما فى الدعاء من الذل والافتقار الذى لا ينبغى أن يكون الا لله تعالى .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن ما يطلبه العبد من ربه عز وجل من الحاجات على نوعين :

فقال رحمه الله تعالى : " اعلم أن الحاجات التى يطلبها العبد من الله نوعان :

أحدهما : ما علم أنه خير محض كسؤاله خشيته من الله عز وجل وطاعته وتقواه وسؤاله الخير والاستعاذة به من النار فهذا يطلب من الله تعالى بغير تردد ، ولا تعليق بالعلم والمصلحة لأنه خير محض ، ومصلحة حاصلة فلا وجه لتعليقه بشرط وهو معلوم الحصول ، وكذلك لا يعلق بمشيئة الله عز وجل لأن الله يفعل ما يشاء ولا مكره له ولا فائدة لتعليقه بمشيئته ولكن يجزم المسألة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " لا يقل أحدكم اللهم أغفر لى ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له " أخرجاه (٢) من حديث أنس وأبى هريرة بمعناه .

وفى رواية مسلم " ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة فان الله

---

(١) سورة الاعراف آيه (١٨٠) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الدعوات ، باب ليعزم المسألة فانه لا مكره له (٧/١٥٣) ومسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب العزم بالدعاء ولا يقل ان شئت (٤/٢٠٦٣) .

لا يتعاظمه شيء ". (١)

وفي رواية للبخاري " إن الله لايتعاظمه شيء ويفعل ما يشاء ولا مكره له ". (٢)

النوع الثاني : مالا يعلم أنه خيرة للعبد أم لا كالموت والحياة والغنى والفقر والولد والأجل وكسائر حوائج الدنيا التي تجهل عواقبها فهذه لا ينبغي أن يسأل الله منها الا ما يعلم منه الخيرة للعبد ، فان العبد جاهل بعواقب الأمور وهو مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره ، فينبغي له أن يسأل حوائجه ممن هو عالم قادر ، ولهذا شرعت الاستخارة في الأمور الدنيوية كلها وشرع أن يقول الداعي في استخارته : " اللهم استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ثم يقول : اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر ويسميه خير لي في ديني ودنياي ..." (٣)

وكذلك في هذا الدعاء يسأل الله بعلمه الغيب وقدرته على الخلق ومما يعلم الخيرة من موت أو حياة .

وقد تضمن الدعاء الذي في هذا الحديث (٤) النوعين معا

---

(١) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء ، باب العزم بالدعاء ولا يقل ان شئت (٢٠٦٣/٤) .

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والارادة (١٩٣/٨) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التهجد ، باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى (٥١/٢) .

(٤) يقصد به حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات : " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ماعلمت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب

===

فانه لما سأل الموت والحياة قيد ذلك بما يعلم الله أن فيه الخيرة لعبده ، ولما سأل الخشية وما بعدها مما هو خير صرف جزم به ولم يقيده بشئ. (١)

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أن للدعاء آدابا يجب على العبد أن يتحلى به لأنها سبب في استجابة الدعاء فقال " وقوله " ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث اغبر يمد يديه الى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك " (٢) قال : " هذا الكلام أشار فيه صلى الله عليه وسلم الى آداب الدعاء والى الاسباب التى تقتضى الاجابة وما يمنع الاجابة ... (٣)

وقد ذكر أسباب اجابة الدعاء ومنها :

١ — حضور القلب واخلاصه لله عز وجل يقول ابن رجب رحمه الله تعالى في بيان ذلك : " ومن أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الاجابة من الله تعالى كما خرجه الترمذى من حديث أبى هريرة عن

= والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين ".
أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤) والنسائى (٣/ ٥٥) والحاكم (١/ ٥٢٤).

(١) شرح حديث عمار بن ياسر (ص ١٣ — ١٥).
(٢) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم : كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/ ٧٠٣).
(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٥٢).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، وان الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاهي " (١)(٢) . . .

٢ — رفع اليدين الى السماء قال رحمه الله تعالى في بيان ذلك قوله " يمد يديه الى السماء " وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها اجابته ، وفي حديث سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى حيّ كريم يستحي اذا رفع الرجل اليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين " خرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (٣) . . .

---

(١) أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات (٥/٥١٦) وقال : حديث غريب ، والحاكم : (١/٤٩٣) وقال : هذا حديث مستقيم الاسناد ، ورواه أحمد (٢/١٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٤٩٢) رواه أحمد واسناده حسن . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٤٨) رواه أحمد واسناده حسن .

(٢) جامع العلوم والحكم (٣/٢٣٢) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/٤٣٨) وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب الدعاء (١/٣٤٢) والترمذي : كتاب الدعوات (٥/٥٥٦) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب رفع اليدين في الدعاء (٢/١٢٧١) والحاكم (١/ ٤٩٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/١٤٣) : وسنده جيد .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه (١) ورفع يديه يوم بدر يستنصر الله على المشركين حتى سقط رداؤه عن منكبيه (٢) (٣) ...

٣ — الالحاح في الدعاء يقول ابن رجب رحمه الله تعالى في بيان ذلك : " الالحاح على الله عز وجل بتكرير ذكر ربوبيته ، وهو من أعظم ما يطلب به اجابة الدعاء (٤)

كما ذكر رحمه الله تعالى موانع اجابة الدعاء فقال : " أما ما يمنع اجابة الدعاء ، فقد أشار صلى الله عليه وسلم الى أنه التوسع في الحرام أكلا وشربا ولبسا وتغذية وقد سبق حديث ابن عباس ... أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد :

---

(١) يدل عليه حديث أنس رضي الله عنه قال : " أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه " أخرجه البخاري : كتاب الدعوات ، باب رفع الأيدي في الدعاء (١٥٤/٧).

(٢) يشير الى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض " فمازال يهتف بربه ، مادا يديه ، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ... " الحديث أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر (١٣٨٤/٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٥٣/١ ، ٢٥٤).

(٤) المصدر السابق (٢٥٣/١) ومابعدها .

" أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة "[١] فأكل الحرام وشربه ولبسه والتغذى به سبب موجب لعدم اجابة الدعاء .

وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الاجابة أيضا وكذلك ترك الواجبات .[٢]

وكذلك من الموانع ترك الدعاء استبطاء للاجابة لأنه مخالف للرجاء وحسن الظن بالله لما فى ذلك من قطع الرجاء فى الله واليأس من اجابته للدعاء ، وهذا خلاف المأمور به من حسن الظن بالله وبسعة رحمته وجوده وقد دل على هذا ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من مؤمن ينصب وجهه لله ، يسأله مسألة الا أعطاه اياها اما عجلها له فى الدنيا ، واما ادخرها له فى الآخرة ، مالم يعجل يقول قد دعوت ، ودعوت فلا يستجاب لي ".[٣]

يقول ابن رجب رحمه الله فى بيان هذا : ولهذا نهى العبد أن يقول فى دعائه : اللهم اغفر لى ان شئت ، ولكن ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له ، ونهى أن يستعجل ، ويترك الدعاء لاستبطاء الاجابة ، وجعل ذلك من موانع الاجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من اجابة الدعاء ـ ولو طالت المدة ـ فانه سبحانه يحب الملحين فى الدعاء .[٤]

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير (٢/١٣١) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٢٩١) وفيه من لم أعرفهم .

(٢) جامع العلوم والحكم (١ / ٢٥٨) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الدعوات ، باب يستجاب للعبد مالم يعجل (٧ / ١٥٣) ومسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب بيانه أنه يستجاب للداعى مالم يعجل (٤ / ٢٠٩٥) .

(٤) جامع العلوم والحكم (٣ / ٢٣٢) .

وهناك آداب وموانع أخرى سبب فى اجابة الدعاء ولكنى اقتصرت على ما ذكره ابن رجب رحمه الله تعالى خشية الاطالة ولذلك يجب على الداعى أن يستكمل آداب الدعاء ويبتعد عن موانعه فانه أحرى أن يستجاب له

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : والدعاء سبب مقتض للاجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه .

وقد تتخلف الاجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه .(١)

والدعاء له فوائد عظيمة على العبد منها أنه يدفع البلاء كما ثبت ذلك بالادلة الصحيحة .

قال ابن رجب : فالصدقة تمنع وقوع البلاء بعد انعقاد أسبابه ، وكذلك الدعاء ، وفى الحديث " إن البلاء والدعاء يلتقيان بين السماء والأرض فيعتلجان الى يوم القيامة " خرجه البزار والحاكم .(٢)

وخرج الترمذى من حديث سلمان مرفوعا : لا يرد القضاء الا الدعاء ".(٣)

وقال ابن عباس : " لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر ".

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣/٢٣٢) .

(٢) أخرجه البزار : كتاب الادعية ، باب إن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان كما فى كشف الاستار (٣٧/٤) والحاكم : كتاب الدعاء (٤٩٢/١) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه الترمذى : كتاب القدر : باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء (٤٤٨/٤) وقال : هذا حديث حسن غريب .

وعنه قال : الدعاء يدفع القدر وهو إذا دفع القدر فهو من القدر، وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الأدوية والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال : " هي من قدر الله تعالى ". (١)

وكذلك قال عمر رضي الله عنه لما رجع من الطاعون فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال عمر : نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ". (٢)

فإن الله تعالى قدر المقادير ويقدر ما يدفع بعضها قبل وقوعه ، وكذلك الاذكار المشروعة تدفع البلاء.

وفي حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " من قال حين يصبح ويمسي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يصبه بلاء "... (٣)(٤)

---

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٤٢١) والترمذي : كتاب القدر ، باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئا (٤ / ٤٠٠) وابن ماجه : كتاب الطب ،باب ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء (٢ / ١١٣٧) والحاكم (٤ / ١٩٩) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب ما ذكر في الطاعون (٧ / ٢١)

(٣) أخرجه أحمد (١ / ٦٢) وأبو داود : كتاب الأدب ،باب ماذا يقول اذا أصبح (٥ / ٣٢٤) والترمذي : كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء اذا أصبح واذا أمسى (٥ / ٤٦٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل اذا أصبح واذا أمسى (٢ / ١٢٧٢) والحاكم (١ / ٥١٤) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٤) لطائف المعارف (ص ٧٦) .

فدعاء العبد المؤمن إن كان وفق الآداب السابقة لا يرد إن شاء الله تعالى ، وقد يحصل للداعي تأخيرا للاجابة ، وقد يعوض بما هو خير .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : ومن رحمة الله تعالى بعبده أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا ، فيصرفها عنه يعوضه خيرا منها ، إما أن يصرف عنه بذلك سوءا أو يدخرها له في الآخرة ، أو يغفر له بها ذنبا كما في المسند والترمذي من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ". (١)

وفي المسند وصحيح الحاكم (٢) عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها ، قالوا : إذاً نكثر ، قال : الله أكثر ". (٣)

---

(١) أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات ، باب ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة (٥/ ٤٦٢) وقال الألباني : حديث حسن . صحيح الجامع (٢ / ٩٩١).ولم أجده في المسند من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٣ / ١٨) والترمذي : كتاب الدعوات ، باب في انتظار الفرج وغير ذلك (٥/ ٥٦٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، والحاكم (١/ ٤٩٣) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي ، ومالك في الموطأ : كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء (١/ ٢١٧).

(٣) يعني المستدرك .

فالعبد إذا دعا الله سبحانه وتعالى ولم يكن فى دعوته اعتداء حصل له المطلوب أو مثله .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فالدعوة التى ليس فيها اعتداء ، يحصل بها المطلوب أو مثله ، وهذا غاية الاجابة ، فإن المطلوب بعينه قد يكون ممتنعا ، أو مفسدا للداعى أو لغيره ، والداعى جاهل لا يعلم مافيه من المفسدة عليه والرب قريب مجيب ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، والكريم الرحيم إذا سئل شيئا بعينه وعلم أنه لا يصلح للعبد اعطاه نظيره كما يصنع الوالد بولده إذا طلب منه ماليس له ، فإنه يعطيه من ماله نظيره ، ولله المثل الأعلى ". (١)

والذى نخلص إليه مما سبق أن دعاء الله سبحانه وتعالى والالتجاء اليه من أعظم أنواع العبادة ، فلا يجوز أن يصرف لغيره عز وجل لأنه حق من حقوق الله تبارك وتعالى على عباده ، لأنه بالدعاء يظهر ذل العبودية ويعرف العبد به ربه ، وهذا هو المقصود من جميع العبادات ، وذلك أن العبد حينما يدعو ربه عز وجل فإنه يدعوه وهو يعلم من نفسه أنه محتاج إلى ما يطلبه من ربه عز وجل ، ويعلم من نفسه أنه لا يحصل على مراده إلا بعون الله تبارك وتعالى له على ذلك ، لأن الله عز وجل يسمع دعاءه ، ويعلم حاجته وهو القادر تبارك وتعالى على تحقيق حاجته فهو الرب الرحيم الذى طلب من عباده أن يدعوه ووعدهم بالاجابة ، ومن هنا كان المقصود من جميع التكاليف الشرعية معرفة ذل العبودية وعزة الربوبية والدعاء يتحقق فيه الامران ، ولهذا لا يجوز أن يدعى غيره من المخلوقين أيا من أنواع الدعاء ، ومن فعل ذلك فهو مشرك بالله العظيم .

---

(١) الحسنة والسيئة (ص ١١٩) .

٢ ــ الخــــوف

الخوف عبادة لا يستحقها الا الله تبارك وتعالى لأنه وحده القادر على جلب النفع للعبد ، ودفع الضر عنه ، وقد تعبد الله به جميع عباده من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين وسائر عباده المؤمنين كما ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) (١)

وقال تعالى : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) . (٢)

وقال تعالى : (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) . (٣)

فالخوف عبادة من أجل العبادات لا يجوز صرفها الا لله تبارك وتعالى وقد أمر الله تبارك وتعالى باخلاصه له في آيات كثيرة قال تعالى : (إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (٤)

وقال تعالى : (فلا تخشوا الناس واخشون) (٥)

وقال تعالى : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين) (٦)

---

(١) سورة النحل آيه (٥٠) .
(٢) سورة الأحزاب آيه (٣٩) .
(٣) سورة المؤمنون آيه (٥٧ ــ ٦١) .
(٤) سورة آل عمران آيه (١٧٥) .
(٥) سورة المائدة آية (٤٤) .
(٦) سورة الأعراف آيه (٥٦) .

وكما دل القرآن على أن الخوف عبادة يجب إخلاصها لله تعالى كذلك دلت السنة على أن الخوف لا يكون الا من الله ، ولا يصرف لأحد سواه ، فلا خوف ولا خشية الا منه جل وعلا ومن تلك الاحاديث حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : صنع النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .(١)

وفى رواية أخرى عنها رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " والله انى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى ".(٢)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلا فيمن سلف ، أو قبلكم آتاه الله مالا وولدا ـ يعنى أعطاه ـ قال : فلما حضر قال لبنيه : أى أب كنت لكم قالوا : خير أب قال : فانه لم يبتئر(٣) عند الله خيرا ـ فسرها قتادة لم يدخر ـ وان يقدم على الله يعذبه فانظروا فإذا مت فأحرقونى حتى إذا صرت فحما فاسحقونى ، أو قال فاسهكونى ، ثم إذا كان ريح عاصف فأذرونى فيها ،

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الاعتصام بالسنة ـ باب ما يكره من التعمق والتنازع (٨ / ١٤٥) ومسلم : كتاب الفضائل ، باب علمه صلى الله عليه وسلم (٤ / ١٨٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الصيام ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (٢ / ٧٨١) .

(٣) يبتئر من بأرت الشئ وابتأرته اذا خبأته وادخرته ومعنى لم يبتئر خيرا : أى لم يقدم لنفسه خبيئة خير ولم يدخر .
النهاية لابن الأثير (١ / ٨٩) .

فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوا فقال الله عز وجل ـ كن فاذا رجل قائم ، ثم قال أى عبدى ما حملك على ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فرق[(١)] منك ، فما تلافاه أن رحمه الله .[(٢)]

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يارسول الله قول الله تعالى : (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة)[(٣)] أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق ، قال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه .[(٤)] إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على أن الخوف عبادة جليلة لا يستحقها الا الله عز وجل .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذا النوع من العبادة وأشار الى بعض جوانبه فقال رحمه الله تعالى فى بيان القدر المطلوب من الخوف بحيث يكون باعثا على الالتزام بالأوامر والانتهاء عن النواهى مقترنا بالرجاء وحسن الظن بالله تعالى : القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فان زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس

---

(١) الفرق : الخوف والفزع ، يقال : فرق يفرق فرقا أى خاف يخاف خوفا النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٣٨) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق ـ باب الخوف من الله (٧/ ١٨٥) .

(٣) سورة المؤمنون (آيه (٦٠) .

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢٠٥) والترمذى : كتاب التفسير ، باب ومن سورة المؤمنون (٥/ ٣٢٧) وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب التوقى فى العمل (٢/ ١٤٠٤) والحاكم : (٢/ ٣٩٤) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

على التشمير فى نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات ، والتبسط فى فضول المباحات ، كان ذلك فضلا محمودا ، فان تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو هما لازما بحيث يقطع عن السعى فى اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودا ، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السليمى (١) من شدة خوفه الذى أنساه القرآن ، وصار صاحب فراش ، وهذا لأن الخوف ليس مقصودا لذاته ، انما هو سوط يساق به المتوانى عن الطاعة اليها ، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه .

ولهذا المعنى عدها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين فى سورة الرحمن .

وقال سفيان بن عيينة " خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا " أخرجه أبو نعيم . (٢)

والمقصود الأصلى هو طاعة الله عز وجل وفعل مراضيه ومحبوباته ، وترك مناهيه ومكروهاته .

ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته فى الصدور واجلاله مقصود أيضا ، ولكن القدر النافع من ذلك ماكان عونا على التقرب الى الله

---

(١) عطاء السليمى بفتح السين وكسر اللام وسكون الياء ، البصرى الزاهد العابد ، قال الذهبى : من صغار التابعين ، أدرك أنس بن مالك ، وكان قد أرعبه الخوف من الله ، مات بعد الأربعين ومئة . اللباب فى تهذيب الأنساب (٢ / ١٣٣ ، ١٣٤) وسير أعلام النبلاء (٦ / ٨٦) وتبصير المنتبه (٢ / ٧٤٦) .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧ / ٢٧٥) .

بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه ، ومتى صار الخوف مانعا من ذلك وقاطعا منه فقد انعكس المقصود منه ، ولكن اذا حصل ذلك عن رغبة " كان صاحبه محذورا ".(١)

وقال رحمه الله تعالى مبينا أسباب قوة خوف الله تعالى وخشيته :

والموجب لخشية الله أمور :

١ — منها قوة الايمان بوعده ووعيده على المعاصي .

٢ — ومنها النظر في شدة بطشه وانتقامه وسطوته وقهره وذلك يوجب للعبد ترك التعرض لمخالفته كما قال الحسن : ابن آدم هل لك طاقة بمحاربة الله ، فان من عصاه فقد حاربه(٢) وقال بعضهم : عجبت من ضعيف يعصي قويا .

٣ — ومنها قوة المراقبة له والعلم بأنه شاهد رقيب على قلوب عباده وأعمالهم وأنه مع عباده حيث كانوا كما دل القرآن على ذلك كقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم)(٣) وقوله تعالى : (وما تكونوا في شأن وما تتلوا منه من قرآن) ...(٤)(٥)

وينبغي للمؤمن أن يكون خائفا راجيا ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، فانه إذا رجح الخوف حمله على القنوط من رحمة الله ، واذا رجح الرجاء حمله على الأمن من مكر الله ، وكلاهما مخالف للصواب .

---

(١) التخويف من النار (ص ٢١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ١٣٢) وعلقمة بن مرثد في زهد الثمانية (ص ٦٢) .

(٣) سورة الحديد آيه (٤) .

(٤) سورة يونس آيه (٦١) .

(٥) شرح حديث عمار بن ياسر (ص ٢٦) .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى ذلك " فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان ، لا يرجح أحدهما على الآخر ". (١)

ويقول أيضا : كان بعض السلف يقول : " من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن ".

وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة المحبة والخوف والرجاء ، ولابد له من جميعها ، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الايمان . (٢)

فالخوف من الله عز وجل يجب أن لا يصل إلى حد القنوط لأن القنوط يجعل العبد يقنط من رحمة الله عز وجل ومن عفوه ومغفرته بل لابد من الخوف من الله عز وجل مع رجاء ثوابه والطمع فيما عنده وقد جمع الله سبحانه وتعالى بينهما في غيرما آية وجعل ذلك من صفات المؤمنين فقال عز وجل (وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين) (٣)

وقال جل وعلا : (و يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) (٤)

فالخوف والرجاء لابد أن يكونا في قلب المؤمن فهما متفقان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن انفراد الخوف يخاف منه القنوط واليأس ،

---

(١) التخويف من النار (ص ٢٥) .
(٢) المصدر السابق (ص ٢٥) .
(٣) سورة الأعراف آية (٥٦) .
(٤) سورة الأنبياء آية (٩٠) .

وانفراد الرجاء قد يؤدي الى الجرأة على اقتراف المعاصي وترك الفرائض ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لو يعلم المؤمن بما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد ".(١)

والواجب على المسلم الذي يريد النجاة وسلوك الطريق المستقيم أن يكون بين الخوف والرجاء ، لأن خوفه من الله عز وجل يمنعه من معصيته ورجاءه من الله يورث الطمأنينة في قلبه ، فهو يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه ، ولا يفرط في الرجاء فيكون حاله مثل حال المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان معصية ، ولا يغلو في الخوف فيقنط من رحمة الله ومغفرته وعفوه فيكون حاله مثل حال الخوارج والمعتزلة الذين يقولون أن صاحب الكبيرة خالد مخلد في نار جهنم اذا مات ولم يتب ، وخير الأمور الوسط وهو ما دلت عليه النصوص الكثيرة على حد قوله تعالى : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه).(٢)

٣ ـ التوكل

التوكل على الله تبارك وتعالى عبادة عظيمة تعبد الله به عباده وأمرهم بأن يعتمدوا عليه وحده دون سواه ، لأنه من أفضل العبادات ومن أجل مقامات الدين ، ولا يوفق القيام به على وجه الكمال الا أولياء الله وحزبه المؤمنين وقد فرضه الله عز وجل على عباده حيث أمر به في مواضع

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ، باب الرجاء والخوف (٣٠١/١١) ومسلم : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه (٢١٠٩/٤).

(٢) سورة الاسراء آيه (٥٧).

كثيرة من كتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)(١) .

وقال تعالى : (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)(٢) .

وقال تعالى : (فتوكل على الله إنك على الحق المبين)(٣) .

وقال تعالى : (وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا)(٤)

وقال تعالى : (ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه)(٥) .

كما دلت أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم على فضل التوكل وأنه من العبادات التى يجب اخلاصها لله وحده لا شريك له عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بلا حساب ولا عذاب فقيل من هم يارسول الله ؟ قال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون "(٦) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لو أنكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله

---

(١) سورة آل عمران آية (١٢٢) .

(٢) سورة المائدة آية (٢٣) .

(٣) سورة النمل آية (٧٩) .

(٤) سورة الفرقان آية (٥٨) .

(٥) سورة هود آية (١٢٣) .

(٦) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير (٧/١٩٨) ومسلم : كتاب الايمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب (١/١٩٧) .

لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا "(١)

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على فضل التوكل على الله ووجوب اخلاصه له وحده لا شريك له .

وقد اهتم ابن رجب رحمه الله تعالى في بيان هذه العبادة العظيمة فقال رحمه الله تعالى في بيان حقيقة التوكل : وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها ووكلت الامور كلها اليه ، وتحقيق الايمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه .(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج ، فان الله يكفي من توكل عليه كما قال تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (٣)(٤) . . .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : . . . فمن حقق التوكل على الله لم يكله الى غيره ، وتولاه بنفسه وحقيقة التوكل : هكيلة الأمور كلها إلى من هي بيده ، فمن توكل على الله في هدايته وحراسته وتوفيقه وتأييده ونصره ورزقه وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولى الله مصالحه كلها ،

---

(١) أخرجه أحمد (١ / ٣٠) والترمذي : كتاب الزهد ، باب في التوكل على الله (٤ / ٥٧٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين (٢ / ١٣٩٤) والحاكم (٤ / ٣١٨) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبي .

(٢) جامع العلوم والحكم (٣ / ٣٤٦) .

(٣) سورة الطلاق آية (٣) .

(٤) نور الاقتباس (ص ١١٠) .

فإن الله تعالى هو ولي الذين آمنوا ، وهذا هو حقيقة الوثوق برحمة الله فمن وثق برحمة ربه ولم يثق بغير رحمته فقد حقق التوكل على ربه في توفيقه وتسديده ، فهو جدير أن يتكفل الله بحفظه ولا يكله الى نفسه ...(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... وانما المتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده برزقه ، وكفايته ، فيصدق الله فيما ضمنه وثيق بقلبه ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق ، من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به والرزق مقسوم لكل أحد ، من بر وفاجر ، ومؤمن وكافر كما قال تعالى : (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها)(٢) هذا مع ضعف كثير من الدواب ، وعجزها عن السعي في طلب الرزق قال تعالى : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم)(٣) فما دام العبد حيا ، فرزقه على الله وقد ييسره الله له بكسب وبغير كسب فمن توكل على الله لطلب الرزق ، فقد جعل التوكل سببا وكسبا ، ومن توكل عليه لثقته بضمانه فقد توكل عليه ثقة به وتصديقا بوعده ".(٤)

وقال رحمه الله تعالى في بيان ثمرة التوكل على الله عز وجل " واعلم أن ثمرة التوكل : الرضا بالقضاء ، فمن وكل أموره الى الله ، ورضي بما يقضيه له ويختاره ، فقد حقق التوكل ".(٥)

---

(١) شرح حديث زيد " لبيك اللهم لبيك " ورقة (٢٤) .
(٢) سورة هود آيه (٦) .
(٣) سورة العنكبوت آيه (٦٠) .
(٤) جامع العلوم والحكم (٣/ ٣٦٠) .
(٥) المصدر السابق (٣/ ٣٦١) .

كما بين رحمه الله تعالى أن مباشرة الأسباب والأخذ بها لا تنافى التوكل بل لا يصح التوكل الا مع القيام بها والا فهو بطالة وتوكل فاسد يقول رحمه الله فى بيان هذا " واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافى السعى فى الاسباب التى قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها ، وجرت سنته فى خلقه بذلك ، فان الله تعالى أمر بتعاطى الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعى فى الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه ايمان به قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) (١)

وقال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (٢)

وقال : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله) (٣) .

وقال سهل التسترى (٤) : من طعن فى الحركة " يعنى فى السعى والكسب " فقد طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان ، فالتوكل حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته .

ثم ان الأعمال التى يعملها العبد ثلاثة أقسام :

أحدها : الطاعات التى أمر الله عباده بها ، وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول الجنة ، فهذا لابد من فعله مع التوكل على الله فيه ،

---

(١) سورة النساء آيه (٧١) .

(٢) سورة الأنفال آيه (٦٠) .

(٣) سورة الجمعة آيه (١٠) .

(٤) سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التسترى الزاهد ، قال الذهبى : له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة ، توفى سنة ٢٨٣هـ . سير اعلام النبلاء (١٣ / ٣٣٠) وشذرات الذهب (٢ / ١٨٢) .

والاستعانة به عليه ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك ، استحق العقوبة في الدنيا والآخرة ، شرعا وقدرا ". (١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى : " ... وكذلك من ضيع بتركه الأسباب حقا له ، ولم يكن راضيا بفوات حقه ، فان هذا عاجز مفرط ، وفي مثل هذا جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، فان أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله ، وماشاء فعل ، فان (لو) تفتح عمل الشيطان ... " (٢)

وخرج الترمذي من حديث أنس قال : قال رجل : يارسول الله أعقلها وأتوكل ، أو أطلقها وأتوكل ؟ قال : اعقلها وتوكل ". (٣)

وهذا كله اشارة الى أن التوكل لاينافي الاتيان بالاسباب بل قد

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣ / ٣٤٧) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤ / ٢٠٥٢) .

(٣) أخرجه الترمذي : كتاب صفة القيامة (٤ / ٦٦٨) وابن حبان كما في موارد الظمآن (٦٢٣) من حديث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه .
قال العراقي : رواه ابن خزيمة في التوكل ، والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري باسناد جيد . تخريج الاحياء (٤ / ٢٧٩)
وقال المناوي في فيض القدير (٢ / ٨) اسناده صحيح .
وقال الألباني : حديث حسن . صحيح الجامع (٢ / ٣٤١) .

يكون جمعهما أفضل ". (١)

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن التوكل على الله عز وجل لا يقتضى ترك الأخذ بالأسباب، لأن التوكل من أعظم الأسباب التى يحصل بها جلب المنافع ، ودفع المضار ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون الى الاسباب ، وتعلق القلوب بها ، والاعتماد عليها ، لأن ذلك نقص فى التوحيد يفضى بالعبد الى الشرك ، كما أن ترك الأسباب وعدم الأخذ بها وتعطيلها نقص فى التوحيد وضعف فى التوكل كما يدعيه الجهلة من المتصوفة وغيرهم من أن الأخذ بالاسباب ينافى التوكل ، وأن حقيقة التوكل هى القعود وترك العمل .

وهذا فى الحقيقة عجز وتواكل لا توكل لأنه ينافى التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ودفع ما يضره فى دينه ودنياه .

فمن ترك العمل وقعد عن البحث عن مصادر الرزق التى أحلها الله عز وجل بحجة التوكل فقد جهل معنى التوكل بل جهل جانبا من مفهوم هذا الدين العظيم ، فالعجز والتواكل والتكاسل له آثار خطيرة على الفرد والمجتمع ، ومن بعض هذه الآثار تفشى الفقر والبطالة فى المجتمعات الاسلامية ، وهذا يناقض أهداف الاسلام .

فترك العمل سبيل للتخلف والضعف والهوان ، والاسلام دين العزة والمنعة .

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣/ ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

٤ ــ الاستعانــة

الاستعانة : طلب العون على قضاء الحاجات ، ودفع المكروهات ، وهي نوع من أنواع العبادة التي لا تصح الا لله سبحانه وتعالى .

وقد تعبد الله سبحانه وتعالى بها عباده ، وأرشدهم الى الاستعانة به وحده دون سواه كما قال تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين) (١) .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى بعد ذكره لهذه الآية : " هذه الكلمة تجمع سر الكتب المنزلة من السماء كلها لأن الخلق انما خلقوا ليؤمروا بالعبادة ... وانما أرسلت الرسل وانزلت الكتب لذلك ، فالعبادة حق الله على عباده ، ولا قدرة للعباد عليها بدون اعانة الله لهم ، فلذلك كانت هذه الكلمة بين الله وبين عبده لأن العبادة حق الله على عبده والاعانة من الله فضل من الله على عبده (٢) .

وأوصى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بها في قوله في الحديث "... واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ..." (٣) .

وهذه العبادة من العبادات التي تناولها ابن رجب رحمه الله تعالى وبين معناها وأدلتها .

فقال رحمه الله تعالى : " وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره

---

(١) سورة الفاتحة آيه (٥) .

(٢) فتح الباري ورقه (١٥٤/أ) .

(٣) هذا جزء من حديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس تقدم تخريجه (ص ١٤١) .

من الخلق ، فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى قول (لا حول ولا قوة الا بالله) فان المعنى لا تحول للعبد من حال الى حال ولا قوة له على ذلك الا بالله ، وهذه كلمة عظيمة ، وهى كنز من كنوز الجنة ، فالعبد محتاج الى الاستعانة بالله فى فعل المأمورات وترك المحظورات ، والصبر على المقدورات كلها فى الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ يوم القيامة ، ولا يقدر على الاعانة على ذلك الا الله عز وجل ، فمن حقق الاستعانة عليه فى ذلك كله أعانه .

وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز "(١) ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله الى من استعان به ، فصار مخذولا .(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " العبد محتاج الى الاستعانة بالله فى فعل المأمورات وترك المحظورات ، وفى الصبر على المقدورات كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)(٣) ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال أهل الافك ما قالوا فبرأها الله مما قالوه .

وقال موسى لقومه : (استعينوا بالله واصبروا) .(٤)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٤٧) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ١٠٠ ، ١٠١) .

(٣) سورة يوسف آيه (١٨) .

(٤) سورة الاعراف آيه (١٢٨) .

وقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) (١) .

ولما بشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال : " الله المستعان..." (٢)

فالعبد محتاج الاستعانة بالله في مصالح دينه ، وفي مصالح دنياه ... (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا في بيان أهمية الاستعانة بالله :

" وفي الاستعانة بالله وحده فائدتان :

إحداهما : أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات .

والثانية : أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عزوجل فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله الله فهو المخذول .

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " (٤) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته ويعلم أصحابه أن يقولوا : "الحمد لله نستعينه ونستهديه" (٥)

---

(١) سورة الأنبياء آيه (١١٢) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه (١٨٦٧/٤) .

(٣) نور الاقتباس (ص ٧٣ ، ٧٤) .

(٤) سبق تخريجه (ص ٣٤٧)

(٥) هذا جزء من الحديث المسمى بخطبة الحاجة وقد تقدم تخريجه (ص ١) .

وأمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك "(١) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم " يارب أعني ولا تعن علي ..."(٢)(٣)

٥ ـ الخشوع

الخشوع لله سبحانه وتعالى هو التذلل والخضوع له عز وجل .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى في تعريف الخشوع : " أصل الخشوع هو لين القلب ورقته أو سكونه وخضوعه وانكساره ، فاذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء ، لأنها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم : " ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "(٤).

فاذا خشع القلب ، خشع السمع والبصر والرأس ، والوجه وسائر الأعضاء ، وما ينشأ منها حتى الكلام ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه في الصلاة :

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٤٤) وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار (٢/٨١ ؛) والنسائي : كتاب الذكر بعد الدعاء (٣/٥٣) والطبراني في الكبير (٢٠/٦٠) والحاكم (١/٢٧٣) وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٢٧) والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٢٦) ، وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب ماذا يقول الرجل اذا سلم (٢/١٧٥) وابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢/١٢٥٩) والترمذي : كتاب الدعوات ، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (٥/٥٥٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم (١/٥٢٠) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٣) نور الاقتباس (ص ٧٢ ، ٧٣) .

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري : كتاب الايمان

===

" خشع لك سمعي وبصري ومخطي وعظمي "(١) وفي رواية " وما استقل به قدمي ".(٢)

وقد وصف الله تعالى في كتابه الأرض بالخشوع فقال : (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت)(٣) فاهتزازها وربوها — وهو ارتفاعها — مزيل لخشوعها ، فدل على أن الخشوع الذي كانت عليه هو سكونها وانخفاضها فكذلك القلب اذا ، فانه تسكن خواطره وإراداته الرديئة التي تنشأ من اتباع الهوى وينكسر وينخضع لله ، فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبر ومتى سكن ذلك في القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها حتى الصوت ، وقد وصف الله تعالى الأصوات بالخشوع في قوله : (وخشعت الأصوات للرحمن)(٤) فخشوع الأصوات هو سكونها وانخفاضها بعد ارتفاعها .

وكذلك وصف وجوه الكفار وأبصارهم يوم القيامة بالخشوع فدل ذلك على دخول الخشوع في هذه الأعضاء كلها .(٥)

= = = باب فضل من استبرأ لدينه (١٩/١) ومسلم :كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢٢٠/٣) .

(١) أخرجه مسلم : كتاب اصلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٣٥/١) .

(٢) بهذه الزيادة أخرجه أحمد ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، المسند تحقيق أحمد شاكر (١٩٩/٢) .

(٣) سورة فصلت آيه (٣٩) .

(٤) سورة طه آيه (١٠٨) .

(٥) الخشوع في الصلاة (ص ١١ — ١٣) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وأصل الخشوع الحاصل فى القلب انما هو من معرفة الله ، ومعرفة عظمته وجلاله ، وكماله ، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع ."(١)

كما بين رحمه الله تعالى أن الخشوع لله عز وجل من صفات المؤمنين وأن الله سبحانه وتعالى تعبدهم به فقال :" ان الله سبحانه وتعالى مدح فى كتابه المخبتين له ، والمنكسرين لعظمته ، الخاضعين والخاشعين له ، قال تعالى : (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)(٢) .

وقال : (والخاشعين والخاشعات) الى قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(٣) .

ووصف المؤمنين بالخشوع له فى أشرف عباداتهم التى عليها يحافظون فقال : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون)(٤) .

ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع حيث يكون كلامه مسموعا ، فقال (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)(٥) ... ووصف الله سبحانه فى كتابه العلماء بالخشية كما قال الله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء)(٦)

---

(١) الخشوع فى الصلاة (ص ١٤) .

(٢) سورة الانبياء آيه (٩٠) .

(٣) سورة الاحزاب آيه (٣٥) .

(٤) سورة المؤمنون آيه (١ ، ٢) .

(٥) سورة الاسراء آيه (١٠٧-١٠٩) .

(٦) سورة فاطر آيه (٢٨) .

وقال : (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(١) ووصف العلماء من أهل الكتاب قبلنا بالخشوع كما قال الله تعالى : (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)(٢) وقوله تعالى في وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا مدح لمن أوجب له سماع كتاب الله الخشوع في قلبه ، وقال تعالى : (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ، الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)(٣) .

ولين القلوب هو زوال قساوتها لحديث الخشوع ، وقد قبح الله من لا يخشع قلبه لسماع كتاب الله وتدبره ، قال تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا ...)(٤) الآيه

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآيه الا أربع سنين " خرجه مسلم(٥) وخرجه النسائى(٦)

---

(١) سورة الزمر آيه (٩) .

(٢) سورة الاسراء آيه (١٠٧ — ١٠٩) .

(٣) سورة الزمر آيه (٢٢ ، ٢٣) .

(٤) سورة الحديد آيه (١٦) .

(٥) أخرجه مسلم : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) (٤ / ٢٣١٩) .

(٦) السنن الكبرى : كتاب التفسير كما في تحفة الاشراف للمزى (٧ / ٧٠) .

وزاد فيه : فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا ".

وخرج ابن ماجه (١) من حديث الزبير رضي الله عنه قال :

" لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين ... " (٢)

كما أشار رحمه الله تعالى إلى أن الانسان إذا تصنع الخشوع وتكلفه فإن ذلك خشوع نفاق وليس خشوعا لله تبارك وتعالى ، يقول في بيان ذلك : " ومتى تكلف الانسان تعاطي الخشوع في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوه منه كان ذلك خشوع نفاق ، وهو الذى كان السلف يستعيذون منه كما قال بعضهم : " استعيذوا بالله من خشوع النفاق ، قالوا : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع ... " (٣) فمن أظهر خشوعا غير ما في قلبه فانما هو

---

(١) السنن : كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء (٤١٩٢) .

(٢) الخشوع في الصلاة (ص ١١ ، ١٨) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٤ / ٩٥) وأحمد في الزهد (١٧٦) والبيهقي في شعب الايمان ( ) كلهم ذكروه من قول أبي الدرداء رضي الله عنه .
وذكره البغوي في شرح السنة (١٤ / ٣٢٧) من قول أبي هريرة رضي الله عنه ، كما ورد مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ : " تعوذوا بالله من خشوع النفاق قالوا : يارسول الله وما خشوع النفاق ؟ قال : خشوع البدن ونفاق القلب " اخرجه البيهقي في شعب الايمان (٧٠٢ / أ) قال العراقي في تخريج الاحياء (٤ / ٣٣١) وفيه الحارث بن عبيد الأيادي ضعفه أحمد وابن معين .
وأخرجه أيضا ابن عدي في الكامل (٣ / ١٢٩٣) في ترجمة سوار بن مصعب الهمذاني ، وقال : ولسوار غير ما ذكرت من الحديث وعامة ما يرويه ليست محفوظة وهو ضعيف كما ذكروه .

نفاق على نفــاق . (١)

فابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق يبين أن خشوع المؤمن خشوع صادر عن قلب مؤمن مخلص ملتزم بأوامر الله مجتنب نواهيه ، قلـــب ملئ بنور الايمان والتعظيم لله سبحانه وتعالى ، والحياء والخوف منه عــز وجل ، قلب خاضع متذلل بين يدى الله تبارك وتعالى ، يرجو عفوه ويخـــاف عقابه ، بأنه قلب حي بذكر الله وتسبيحه وتحميده ، أما خشوع المنافق فهو خشوع صادر عن قلب مظلم لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا ، قلب يظهـــر على جوارح صاحبه التصنع والتكلف حتى يستر سواد قلبه ، لأنه قلب لـــم يستضئ بنور الايمان ، ولم يذق حلاوته وطعمه .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : " الفرق بين خشوع الايمـــان وخشوع النفاق أن خشوع الايمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والاجـــلال والوقار والمهابة والحياء ، فينكسر القلب لله . . . أما خشوع النفـــاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع ، فالخاشع لله عبد قـد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره ، فانجلى الصدر ، وأشـــرق فيه نور العظمة ، فماتت شهوة النفس للخوف والوقار الذى خشي بـــه ، وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمئن الى الله وذكره بالسكينة التى نزلـــت عليه من ربه فصار مخبتا له ، وأما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف اسكان الجوارح تصنعا ومراءاة ونفسه فى الباطن شابة طرية ذات شهـوات وارادات فهو يتخشع فى الظاهر وحية الوادى وأسد الغابة رابض بـــين جنبيه ينتظر الفريسة ". (٢)

---

(١) الخشوع فى الصلاة (ص ١٣ ، ١٤) .

(٢) الروح لابن القيم (٢/ ٦٩٤ ، ٦٩٥) .

٦ ــ المحبة

دلت الأدلة الكثيرة فى الكتاب والسنة على وجوب محبة الله سبحانه وتعالى وتقديم محبته سبحانه وتعالى على سائر المحاب .

قال الله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (١) .

وقال تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) (٢) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار " (٣) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ، ووالده والناس أجمعين " (٤) .

وفيهما أيضا عنه رضي الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم " متى الساعة ؟ فقال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها

---

(١) سورة آل عمران آيه (٣١) .

(٢) سورة التوبة آيه (٢٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣١٥) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ٣١٥) .

من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنت مع من أحببت ".(١)

الى غير ذلك من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة الدالة على أن المحبة نوع من أنواع العبادة التي يجب اخلاصها لله وحده دون سواه وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذا النوع من العبادة وبين أهميته وما يتعلق به من المسائل .

فقال رحمه الله تعالى في أهمية هذا النوع من العبادة : " فإذا تحقق القلب بالتوحيد التام ، لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله ،ولا كراهة لغير ما يكرهه الله ، ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه الا بطاعة الله ، وانما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله ، أو كراهة ما يحبه الله ، وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله تعالى وخشيته ، وذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات وارتكاب بعض المحظورات ، فان من تحقق قلبه بتوحيد الله فلا يبقى له هم الا في الله ، وفيما يرضيه به ".(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا :" فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله ، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات ، فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ،

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله (١١٣/٧) ومسلم : كتاب البر والصلة ، باب المرء مع من يحب (٢٠٣٢/٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٨/٣ ، ١٦٩).

ويرضى ما يرضى الله ورسوله ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فان عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه ، دل ذلك على نقص محبته الواجبة ، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع الى تكميل المحبة الواجبة ".(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " فإذا كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد ، نشأت عنه حركات الجوارح ، فكانت تحب ما يحبه الله ويرتضيه ، فأحب ما يحبه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها .(٢)

كما بين رحمه الله تعالى درجات محبة الله عز وجل فقال : " ومحبة الله تعالى على درجتين :

احداهما : فرض لازم وهي أن يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه وبغض ما حرمه عليه ، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره ونهيه وتقديم محبته على النفوس والأهلين . . . والرضا بما بلغه عن الله من الدين ، وتلقى ذلك بالرضا والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم باحسان جملة وعموما لله عز وجل ، وبغض الكفار والفجار جملة وعموما لله عز وجل ، وهذا القدر لابد منه في تمام الايمان الواجب ، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من ايمانه الواجب بحسب ذلك ، قال الله عز وجل : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .(٣)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣/٢٢٣ — ٢٢٥) .

(٢) اختيار الأولى (ص ١٢٤) .

(٣) سورة النساء آية (٦٥) .

وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ، فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات ...

الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين وهي أن ترتقي المحبة الى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات والى الرضا بما يقدره ويقتضيه مما يؤلم النفوس من المصائب ، وهذا فضل ...

وفي صحيح البخاري من أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ... (١)(٢)

كما أوضح رحمه الله تعالى أن من لوازم محبة الله تعالى محبة أوليائه ، ومحبة ما يحبه الله من الأقوال والاعمال ، فقال في شرح قوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء " وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني الى حبك ...". (٣)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٤٨) .

(٢) استنشاق نسيم الانس (ص ٤) وما بعدها ، وانظر اختيار الأولى (ص ١١٥ — ١١٨) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٦٩) وهو حديث اختصام الملأ الأعلى .

قال : " ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم ، وهى محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال ، وكراهة ما يكرهه من ذلك ، سأل النبى صلى الله عليه وسلم الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين

احداهما : محبة من يحب ما يحب الله تعالى ، فان من أحب الله أحب أحباءه فيه ، ووالاهم ، وأبغض أعداءه وعاداهم ، وأعظم من تجب محبته فى الله تعالى أنبياؤه ورسله ، وأعظمهم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى افترض الله على الخلق كلهم متابعته ، وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (١) .

وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومحبة الجهاد فى سبيله فى قوله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم . . .) (٢) الآية .

ووصف المحبين له باللين للمؤمنين والرأفة والرحمة والمحبة لهم ، والشدة على الكافرين والبغض لهم ، والجهاد فى سبيله فقال تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . . .) (٣) الآية .

والثانى : محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال ، وبها تبلغ الى حبه ، وفى هذا اشارة الى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعة الله وبفعل ما يحبه ، فإذا امتثل العبد أوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه

---

(١) سورة آل عمران آيه (٣١) .
(٢) سورة التوبة آيه (٢٤) .
(٣) سورة المائدة آيه (٥٤) .

الله تعالى ورقاه الى درجة محبته كما فى الحديث الالهى الذى خرجه البخارى :[(١)] " وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ... "[(٢)]

كما أشار ابن رجب رحمه الله تعالى الى الأعمال التى توصل الى محبة الله تعالى لعبده فقال : " أفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات وترك المحرمات ، ولهذا جعل النبى صلى الله عليه وسلم من علامات وجدان حلاوة الايمان أن يكره أن يرجع الى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار ... ثم بعد ذلك الاجتهاد فى نوافل الطاعات وترك دقائق المكروهات والمشتبهات ... ومن أعظم ما يحصل به محبة الله تعالى من النوافل تلاوة القرآن خصوصا مع التدبر ... ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم :لمن قال : انى أحب سورة (قل هو الله أحد) لأنها صفة الرحمن ، فقال : " أخبروه أن الله يحبه ... "[(٣)]

ومن الأعمال التى توصل الى محبة الله تعالى ـ وهى أعظم علامات المحبين كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان ... ومن علامات المحبين لله وهو ما يحصل به المحبة أيضا حب الخلوة بمناجات الله تعالى وخصوصا فى ظلمة الليل .[(٤)]

كما أوضح رحمه الله تعالى أن المحبة وحدها لا تكفى بل لابد

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٤٨) .

(٢) اختيار الأولى (ص ١١٩) وما بعدها .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٠٧) .

(٤) اختيار الأولى (ص ١٢١) وما بعدها ، وانظر جامع العلوم والحكم (١٦٢/٣ ، ١٦٣) .

معها من الخوف والرجاء وهذه هي أصول العبادة التي تبنى عليها قال رحمه الله تعالى في بيان ذلك : "إن العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصول : الخوف والرجاء والمحبة ، وكل منها فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم واجب ، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين ، فإن بدع الخوارج ، ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والاعراض عن المحبة والرجاء ، وبدع المرجئة (١) نشأت من التعلق بالرجاء وحده ، والاعراض عن الخوف ، وبدع كثير من أهل الاباحة والحلول ممن ينسبون إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والاعراض عن الخوف والرجاء . (٢)

كما رد رحمه الله تعالى على من انحرف بالمحبة عن معناها الصحيح إلى معان أخرى بعيدة عن دلالات الكتاب والسنة فقال : " وقد كثر في المتأخرين المنتسبين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوى على الحقيقة مثقال حبة إذ هو عار عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، وخال من ذكر كلام من سلف من سلف الأمة وأعيان الأئمة وانما هو مجرد دعاوى قد تشرف بأصحابها على مهاوى ، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور ، وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر ، وقد يحكمون حكايات العشاق ويشيرون إلى التأدب بما سلكوه من الآداب والأخلاق ، وكل هذا ضرر عظيم ، وخطره جسيم وقد يُكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها من هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومبادئها . (٢)

---

(١) الارجاء له معنيان أحدهما : بمعنى التأخير ، وسمي المرجئة بهذا المعنى لأنهم يؤخرون الأعمال عن النية والعقد في الايمان ، والمعنى الثاني : الإرجاء بمعنى اعطاء الرجاء وسموا مرجئة بهذا المعنى لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . والمرجئة اصناف وفرق كثيرة منهم الغلاة كالجهمية ، ومنهم دون ذلك ويجمعهم القول بأن الأعمال ليست من الإيمان .
مقالات الاسلاميين (٢ / ٢١٣) والفصل في الملل والنحل (٥ / ٧٣) الملل والنحل (١ / ١٣٩) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٤) .

ويقول رحمه الله تعالى : " ومن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فأوجب له ذلك القرب منه ، والزلفى لديه ، والحظ عنده كما قال الله تعالى (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم) .(١)

ففي هذه الآية اشارة الى أن من أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ولم يبال ، استبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحق فمن أعرض عن الله فما له عن الله بدل ، ولله منه أبدال ... ثم ذكر وصف الذين يحبهم الله ويحبونه فقال "(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) يعني أنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح ، ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم والغلظة لهم ، فلما أحبوا الله أحبوا أولياءه الذين يحبونه ، فعاملوهم بالمحبة والرأفة والرحمة ، وبغضوا أعداءه الذين يعادونه ، فعاملوهم بالشدة والغلظة كما قال تعالى : (أشداء على الكفار رحماء بينهم).(٢)

فان من تمام المحبة مجاهدة أعداء المحبوب .(٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " حذر طوائف من العلماء ممن يكثر دعوى الشوق والمحبة لما ظهر منهم من الشطح والدعاوى ، بل والاباحة والحلول وغير ذلك من المفاسد ... وكان بعض هؤلاء يقول :

---

(١) سورة المائدة آيه (٥٤) .

(٢) سورة الفتح آيه (٢٩) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٣/ ١٥٧ — ١٥٩) .

اذا لم أجن بك ياحبيبي فبمن ؟ ومن هؤلاء من كان يسمى مجنونا ... ويسمون عقلاء المجانين ، وكانت أقوالهم وأفعالهم محفوظة غالبا ، ويصدر منهم من الكلام الحسن شيء كثير ، وقد غلط طوائف من المتأخرين في أمرهم فظنوا ان حالهم هو غاية الكمال ... وهذا خطأ قبيح جدا ، ثم أدخلوا في طبقتهم من ليس منهم من المجانين الذين لا حكمة لديهم ، ولا ظهر شيء من الأحوال الصحيحة عليهم وانما يظهر منهم مخالفة الشريعة بالاعمال والأقوال الشنيعة ، ولكن أحسنوا الظن بهم لما يظهر من بعضهم من الأخبار بالمغيبات في بعض الأحيان مما قد ظهر أكثر منه من الرهبان والكهان ، ونشأ بهذا السبب اعتقاد ان الأولياء لهم طريقة غير طريقة الأنبياء ، وانهم واقفون مع الحقيقة ولا يتقيدون بالشريعة ، الى غير ذلك من أنواع الضلال والبدع الفظيعة (١) .

كما بين رحمه الله تعالى أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله عز وجل لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بمحبته وطاعته وأنه لا تتم محبة الله سبحانه وتعالى الا بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه وطاعته فقال :" ان محبة الرسول انما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا ، فان الرسول انما يحب موافقة لمحبة الله له ، ولامر الله بمحبته وطاعته واتباعه ..." (٢) .

وقال : " وقد قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله : (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) (٣)

---

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص ٩٧) وما بعدها .

(٢) المصدر السابق (ص ٨) .

(٣) سورة التوبة آيه (٢٤) .

وكذلك ورد في السنة في أحاديث كثيرة جدا ... والمراد أن الله تعالى لا يوصل إليه إلا عن طريق رسوله صلى الله عليه وسلم باتباعه وطاعته ... ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين :

احداهما : فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الإتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به ، وطاعته فيما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لابد منه ولا يتم الايمان بدونه .

والدرجة الثانية : فضل وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه ، وكثرة الصلاة عليه وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع كلامه وايثاره على كلام غيره من المخلوقين ، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة ". (١)

---

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص ٣٤ ، ٣٥) .

المبحث الرابـــــع
بيانه أن العبادة لا تقبل الا بشرطيـــــن

ذكرت فيما سبق أن عبادة الله وحده لا شريك له هى الغاية التى من أجلها خلق الله الخلق ، ولا تعرف العبادة الا عن طريق الشـــــرع فليس لأحد أن يعبد الله تبارك وتعالى الا بما جاء فى كتاب الله عز وجـــل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع حسن النية وصلاح القصد فى العبـــادة وبهذا يتبين لنا أنه لابد لصحة أى عمل نريد أن نتقرب به الى الله عز وجـل من شرطين أساسين مجتمعين ، اذا فقد شرط منهما فإن العمل يكون مردودا على عامله وهذان الشرطان هما :

١ ـ أن يكون العمل خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى وحده دون سواه

٢ ـ أن يكون العمل موافقا لما شرعه الله تعالى فى كتابه أو بينـــــه رسولنا صلى الله عليه وسلم فى سنته .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى هذين الشرطين فى مواضـــع مختلفه من مؤلفاته ، وبين أهميتها فى كل عمل يتقرب به العبد الى اللـــه عز وجـــل .

من ذلك قوله رحمه الله تعالى : " الدين يرجع الى فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف على الشبهات . . . ، وانما يتم ذلك بأمرين :

أحدهما : أن يكون العمل فى ظاهره على موافقة السنة وهذا هو الذى يتضمنه حديث عائشة " من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد"(١)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الصلح ـ باب اذا اصطلحوا على صلـــح جور ، فالصلح مردود (٣/١٦٧) .

ومسلم : كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الامور (٣/١٣٤٣) .

الثانى : أن يكون العمل فى باطنه يقصد به وجه الله عز وجل كما تضمنه حديث عمر " الأعمال بالنيات " (١) .

وقال الفضيل (٢) فى قوله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (٣) قال : أخلصه وأصوبه ، وقال : إن العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ، ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا وصوابا ، قال : والخالص اذا كان لله عز وجل ، والصواب اذا كان على السنة .

وقد دل على هذا الذى قال الفضيل قوله عز وجل : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ...) (٤) (٥)

وقال رحمه الله تعالى : " فكما أن كل عمل لا يراد به الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله ، وكل من أحدث فى الدين مالم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين فى شىء (٦) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وليس الفضائل بكثرة الاعمال

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب بدء الوحى ـ باب كيف بدأ الوحى (١ / ٢) ومسلم : كتاب الأمارة ـ باب قوله صلى الله عليه وسلم " انما الأعمال بالنية " (٣ / ١٥١٥) .

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى الخراسانى الامام القدوه الثبت ، قال النسائى وغيره : ثقة مأمون رجل صالح ، توفى سنة (١٨٧) . وفيات الأعيان (٤ / ٤٧) وتذكرة الحفاظ (١ / ٢٤٥) وشذرات الذهب (١ / ٣٦١) .

(٣) سورة الملك آية (٢) .

(٤) سورة الكهف آية (١١٠) .

(٥) جامع العلوم والحكم (١ / ٢٦ ، ٢٧) .

(٦) المصدر السابق (١ / ١٤١) .

البدنيه ، لكن بكونها خالصة لله عز وجل ، صوابا على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها ، فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه ، وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل ممن ليس كذلك ، وان كان أكثر منه عملا بالجوارح ". (١)

هذه هي الشروط التى قررها ابن رجب رحمه الله تعالى لقبول العمل ، وقد قررها العلماء أيضا قبل وبعد ابن رجب رحمه الله تعالى وهى شروط استنبطها العلماء رحمهم الله تعالى من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذان الشرطان هما حقيقة قولنا : أشهد أن لا اله لا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وتخلف هذين الشرطين ينتج عنه اما الشرك بالله عز وجل وهو الذنب الذى لا يغفره الله عز وجل الا التوبة .

واما الابتداع فى دين الله عز وجل ، والتقرب اليه بما لم يشرعه وفى هذا تنقيص للدين ولمن جاء به وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسيأتى الكلام عن الشرك والبدع مفصلا فى الفصل القادم ان شاء الله تعالى .

وينقسم الناس بالنسبة لهذين الشرطين حسب وجودها وعدمها الى أربعة أقسام هى :

القسم الأول : وهم المخلصون لله تبارك وتعالى فى جميع أعمالهم السائرون على هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله ، لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا ، وكذلك جميع أعمالهم وعباداتهم موافقة لما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء هم أهل الاخلاص والمتابعة للمعبود .

---

(١) المحجة فى سير الدلجة (ص ٥٢) .

القسم الثانى : وهم من لا اخلاص لهم ولا متابعة ، فأعمالهم ليست خالصة لله ، وليست موافقة لشرعه ، كالذين يزينون أعمالهم للناس بما لم يشرعه الله ورسوله ، وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم الى الله عز وجل .

القسم الثالث : وهم الذين يخلصون أعمالهم لله تبارك وتعالى لكنها على غير موافقة شرع الله تبارك وتعالى ، وهؤلاء كجهال العباد والمنتسبين الى طريق الزهد والفقر كالذين يرون أن مواصلة صوم النهار بالليل قربة ، وأن الخلوة التى يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ، فهؤلاء أعمالهم خالصة ولكنها غير موافقة لشرع الله ، فهى مردودة عليهم لأن الله لا يقبل من العمل الا ماكان خالصا لوجهه وموافقا لشرعه .

القسم الرابع : وهم الذين أعمالهم موافقة لشرع الله تبارك وتعالى لكنها لغيره كالذى يصلى ليقال ، وكالذى يقاتل رياء وحمية وشجاعة فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها ، لكنها غير صالحة لأنها غير خالصة لوجه الله تبارك وتعالى فلا تقبل .

هذه الأقسام الأربعة لخصتها من كتاب مدارج السالكين (١) لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى .

والخلاصة فى هذا كله أن العبادات كلها مدارها على الاخلاص والمتابعة ، ومن لم يحقق هذا فليس عابدا لله على الحقيقة وان فعل مافعل وقال ماقال .

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٣) .

الفصل الخامس

نواقض التوحيد

الفصل الخامس
نواقض التوحيد

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : الشرك وكلام ابن رجب عليه . ويشتمل على عدة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشرك لغة .

المطلب الثانى : تعريف الشرك شرعا وبيان أقسامه .

أمثلة للشرك الأصغر .

كلامه فى حكم عمل المرائى .

حمد الناس العبد على الخير لا يعد من الرياء .

المبحث الثانى : النفاق وكلام ابن رجب عليه . وفيه عدة أمور :

١ ـ تعريف النفاق .

٢ ـ أقسام النفاق .

٣ ـ خوف السلف من النفاق لخطورته وخفائه .

المبحث الثالث : البدع وكلام ابن رجب عليها وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول : معنى البدعة فى اللغة والشرع والأدلة على التحذير من البدع والبعد عنها

المطلب الثانى : أنواع البدع .

المطلب الثالث : الرد على محسنى البدع وكلام ابن رجب على ذلك

المطلب الرابع : نماذج من البدع وكلام ابن رجب عليها .

المطلب الخامس : حكم البدع وأهلها .

المبحث الرابع : الغلو وكلام ابن رجب عليه .

المبحث الخامس: مسائل متفرقة متعلقة بهذا الفصل .

المبحث الأول
الشرك وكلام ابن رجب عليه

سوف يكون الحديث فى هذا المبحث عن الشرك ومعناه اللغوى والاصطلاحى وبيان أقسامه باختصار مع بيان الأدلة على ذلك ، مع ذكر كلام ابن رجب رحمه الله تعالى فى هذا الموضوع الذى لا يمكن للانسان أن يحذر منه ومن الوقوع فيه إلا اذا عرفه وعرف خطره ، ولذا يجب على كل مسلم معرفته ليسلم منه وليكون على بينة من أمره حتى لا يقع فيه لأنه اذا لم يعرفه ربما يقع فيه وهو لا يدرى ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر مخافة أن يقع فيه كما جاء فى الصحيحين عنه رضى الله عنه أنه قال : " كان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ". (١)

وبسبب الجهل بالشرك وأنواعه نرى كثيرا من المسلمين اليوم قد وقع فيه ، فلا تكاد تجد بلدا من بلاد المسلمين إلا وترى فيها تقديس القبور والنذر لها والذبح عندها والاستغاثة بأهلها وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات إلى غير ذلك من الأمور التى لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أنه لا سلامة للانسان من عذاب الله تعالى إلا بالبعد عن الشرك بأنواعه فقال : " فالقلب السليم هو الذى ليس فيه شئ من محبة ما يكرهه الله ، فدخل فى ذلك سلامته من الشرك الجلى والخفى ومن الاهواء والبدع ، ومن الفسوق والمعاصى كبائرها

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الفتن (٨/ ٩٣) ومسلم : كتاب الامارة (٣/ ١٤٧٥) .

وصغائرها الظاهرة والباطنة كالرياء والعجب والغل والغش والحقد والحسد وغير ذلك .

وهذا القلب السليم هو الذى لا ينفع يوم القيامة سواه قال الله تعالى : (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) (١) (٢) ....

المطلب الأول
تعريف الشرك لغة

جاء فى تهذيب اللغة : الشرك بمعنى الشريك وهو بمعنى النصيب وجمعه أشراك كشبر وأشبار". (٣)

وذكر صاحب مقاييس اللغة أن مادة " الشرك " المكونة من حرف " الشين والراء والكاف " لها أصلان :

أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر يدل على امتداد واستقامة ، فالأول : الشركة وهو أن يكون الشئ بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ، ويقال : شاركت فلانا فى الشئ اذا صرت شريكه ، وأشركت فلانا اذا جعلته شريكا لك قال تعالى : (وأشركه فى أمرى) (٤)
ويقال فى الدعاء : " اللهم أشركنا فى دعاء المؤمنين " أى اجعلنا لهم شركاء فى ذلك .

---

(١) سورة الشعراء آية (٨٨، ٨٩) .
(٢) شرح حديث شداد بن أوس : ورقه (١١٤) .
(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ١٧) .
(٤) سورة طه آيه (٣٢) .

وأما الثاني : فالشرك : لقم الطريق ، وهو شراكه أيضا ، وشراك النعل مشبه بهذا ، ومنه شراك الصائد سمي ذلك لامتداده . (١)

وقال صاحب اللسان : " الشِّرْكة والشَّرِكة سواء مخالطة الشريكين يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ، والشريك المشارك ، والشرك كالشريك ، والجمع أشراك وشركاء " . (٢)

فمدلول كلمة الشرك في اللغة تطلق على النصيب والتسوية والمخالطة والمصاحبة .

المطلب الثاني

الشرك في الشرع وبيان أقسامه

الشرك هو أن يجعل الانسان لله تعالى شريكا وندا فيما يجب أن يكون حقا خالصا لله تعالى بمعنى أن يصرف شيئا من خصائص الربوبية والألوهية لغير الله تبارك وتعالى ، وهو ينقسم إلى قسمين : أكبر وأصغر .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذه الأقسام فقال :" وأما توحيد الالهية فالشرك فيه تارة يوجب الكفر والخروج من الملة ، والخلود في النار ، ومنه ما هو أصغر كالحلف بغير الله والنذر له ، وخشية غير الله ورجائه والتوكل عليه والذل له ، وقول القائل : ماشاء الله وشئت . (٣)

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٥) .

(٢) لسان العرب (١٠/٤٤٨) .

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٠٢) .

وقال رحمه الله تعالى عن الشرك الأكبر : " ظلم النفس وأعظمه الشرك كما قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم)(١) فإن المشرك جعل المخلوق فى منزلة الخالق فعبده وتألهه ، فهو وضع الأشياء فى غير مواضعها وأكثر ما ذكر فى القرآن وعيد الظالمين انما أريد به المشركون كما قال الله عز وجل : (والكافرون هم الظالمون)(٢) . . . "(٣)

وقال عن الشرك الأصغر : (. . . وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة ، لأن الرياء هو الشرك الأصغر ، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره ".(٤)

وقال رحمه الله تعالى عن النوعين جميعا : " فإن جميع النعم من الله وفضله . . . فمن أضاف شيئا من النعم إلى غير الله مع اعتقاد أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ، ومع اعتقاد أنه من الله فهو شرك خفى ".(٥)

وقال رحمه الله تعالى فى بيان النوعين وأمثلتهما بعد أن تكلم عن أنواع العبادة " فمن أشرك مخلوقا فى شئ من هذه الأمور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحا فى اخلاصه فى قول لا اله الا الله ونقصا فى توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد اطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصى التى منشأها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه والعمل لأجله

---

(١) سورة لقمان آيه (١٣) .

(٢) سورة البقرة آيه (٢٥٤) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨١) .

(٤) التخويف من النار (٢٢٣) .

(٥) لطائف المعارف (ص ٧٠) .

كما ورد اطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله والتوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق فى المشيئة مثل أن يقول : ماشاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالى إلا الله وأنت ، وكذلك ما يقدح فى التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة ، والرقى المكروهة ، واتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه ، قادح فى تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق الشرك على كثير من الذنوب التى منشأها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ، ومن أتى حائضا أو امرأة فى دبرها ، ومن شرب الخمرة ، وان كان ذلك لا يخرجه عن الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك .(١)

وخلاصة كلام ابن رجب رحمه الله تعالى أن الشرك ينقسم الى قسمين :

١ – شرك أكبر :

وهو أن يتخذ العبد ندا لله تعالى فى العبادة يدعوه أو ينذر له أو يذبح له أو يخافه أو يصرف له أى نوع من أنواع العبادة ، وهذا النوع من الشرك يخرج من الملة الاسلامية ، وقد توعد الله صاحبه بالخلود فى النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار)(٢) لأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لمن مات عليه أبدا كما قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)(٣)

---

(١) كلمة الاخلاص (ص ٢٣ – ٢٥) .
(٢) سورة المائدة آيه (٧٢) .
(٣) سورة النساء آية (١١٦) .

كما أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من مشرك عملا قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (١) وقال تعالى : (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) (٢).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك وبين عاقبته السيئة التي تلحق بالمشرك اذا رجع الى الله تعالى وهو لم يتب منه .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار " (٣).

ومنها حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من مات يشرك بالله شيئا دخل النار " (٤).

ومنها حديث جابر رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يارسول الله ، ما الموجبتان ؟ فقال : " من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار " (٥).

---

(١) سورة الكهف آيه (١١٠) .

(٢) سورة الفرقان آيه (٢٣) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التفسير (٥/١٥٣) .

(٤) أخرجه البخاري : كتاب الجنائز (٢/٦٩) ومسلم : كتاب الايمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات مشركا دخل النار (١/ ٩٤) .

(٥) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات مشركا دخل النار (١/ ٩٤) .

ومنها حديثه الآخر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به دخل النار " (١)

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تبين أن الشرك أكبر الكبائر وأعظم المعاصى ، وأظلم الظلم ، وأعظم المحرمات وأنه لا يغفر لصاحبه إلا إذا تاب فى وقت التوبة والا فهو إن مات مصرا عليه صار من أهل النار .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " إن الشرك لما كان أظلم الظلم ، وأقبح القبائح ، وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له ، وأشد مقتا لديه ، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة مالم يرتبه على ذنب سواه وأخبر أنه لا يغفره ، وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه ، وحرّم ذبائحهم ومناكحهم ، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، وجعلهم أعداء له سبحانه وتعالى ، ولملائكته ورسله وللمؤمنين وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم . . . وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية ، وتنقص لعظمة الالهية ، وسوء ظن برب العالمين " . (٢)

٢ — الشرك الأصغر :

وهو كل وسيلة يتوصل بها إلى الشرك مالم يبلغ درجة العبادة ، وهو غير مخرج من الملة إلا إذا بلغ درجة الشرك الأكبر ، وهو من أكبر الكبائر ، وصاحبه لا يخلد فى النار بل هو تحت مشيئة الله تعالى كسائر الذنوب والمعاصى التى دون الشرك الأكبر إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات مشركا دخل النار (١/ ٩٤) .

(٢) اغاثة اللهفان (١/ ٦٠) .

لقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[١] وهو معتقد أهل السنة والجماعة .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أمثلة لهذا النوع من الشرك وهى :

١ — الحلف بغير الله كأن يحلف بالنبى أو الكعبة أو الأمانة أو الحياة أو بولى من الأولياء أو بالشرف أو بغير ذلك من المخلوقات ، فكل ذلك من الشرك الذى يدخل فى قوله صلى الله عليه وسلم " من حلف بغير الله ، فقد كفر أو أشرك "[٢] وذلك لأن الحلف تعظيم ، والتعظيم لا يكون إلا لمن يستحقه وهو الله سبحانه وتعالى .

٢ — قول " ماشاء الله وشاء فلان ، وما شابهها من العبارات التى تكون وسيلة إلى الشرك كقول : " مالى إلا الله وأنت " وقول " هذا من الله ومنك " وغيره ، والواجب أن يقول "ماشاء الله ثم شاء فلان " أو "مالى إلا الله ثم أنت " "وهذا من الله ثم منك" وهكذا لأن الواو تقتضى التشريك والتسوية ، وثم تفيد الترتيب والتعقيب ، وكل هذه الألفاظ داخلة تحت نهيه صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة النساء آية (٤٨ ، ١١٦) .

(٢) أخرجه أحمد (١/١٢٥) وأبو داود : كتاب الأيمان والنذور ، باب فى كراهية الحلف بالآباء (٣/ ٥٧٠) والترمذى : كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء فى كراهية الحلف بغير الله (٤/ ١١٠) وقال حديث حسن . والحاكم (١/٥٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

عن ذلك ، كما جاء عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان ". (١)

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال : للنبى صلى الله عليه وسلم : ماشاء الله وشئت ، قال : أجعلتنى لله عدلا ، لا بل ماشاء الله وحده ". (٢)

وعن قُتَيْلَةَ بنتِ صيفى الأنصارية رضى الله عنها : أن يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " إنكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا ماشاء الله ثم شئت ". (٣)

وجاء فى الاثر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى قوله تعالى : (فلا تجعلوا لله أندادا) (٤) قال : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل وهو أن يقول :

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٩٤) وأبو داود : كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفسى (٥ / ٢٥٩)، والحديث صححه الألبانى كما فى سلسلة الاحاديث الصحيحة (١ / ٥٤) حديث رقم، (١٣٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص (٢١٢)

(٣) أخرجه أحمد (٦ / ٣٧١) والنسائى : كتاب الأيمان والنذور (٧ / ٦)

(٤) سورة البقرة آيه (٢٢) .

" والله وحياتك يا فلانة وحياتى " ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لاتجعل فيها فلانا ، هذا كله به شرك "(١)

فقد بين ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الألفاظ ونحوها من الألفاظ الشركية الخفية التى يجب على كل مسلم أن يبتعد عنها كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة .

٣ ـ الرياء :

وهو أن يعمل الانسان عملا يرائى به الناس فيحسنه ويزيد فى تحسينه من أجل أن يراه الناس فيحمدونه عليه ويثنون عليه بالصلاح ، وهو من أخطر الذنوب ، لأنه من الأعمال القلبيه التى لا يطلع عليها إلا الله عز وجل ، فمن صلى يرائى أو زين صلاته رياء أو صام يرائى أو حج يرائى أو تصدق يرائى أو جاهد فى سبيل الله يرائى ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر يرائى أو قال أى قول أو عمل أى عمل يرائى فيه فقد أشرك الشرك الأصغر .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى :" أول من تسعر به النار من الموحدين العباد المراءون بأعمالهم ، أولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء لأن يسير الرياء شرك ".(٢)

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١/ ٨١) وقال صاحب تيسير العزيز الحميد (ص ٥٢٣) سنده جيد .

(٢) كلمة الاخلاص (ص ٣٩) .

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم منه وسماه شركا أصغر ، وخاف على الصحابة رضى الله عنهم منه وهم أبر الأمة أعمالا وأقواها إيمانا ، وأحسنها أخلاقا ، وأصدقها أقوالا ، عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، إن الله يقول يوم يجازى العباد بأعمالهم إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء أو خيرا ". (١)

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : " كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعد الشرك الأصغر الرياء ". (٢)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سمّع سمّع الله به ، ومن راءى راءى الله به ". (٣)

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٢٨) والطبرانى فى الكبير (٤/٢٩٩) ، والبغوى فى شرح السنة (٤١٣٥) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١/٦٩) رواه أحمد باسناد جيد ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/١٠٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البزار كما فى كشف الاستار (٤/٢١٧) والطبرانى فى الكبير (٧/٣٤٦) والحاكم (٤/٣٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٢٢) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح غير يعلى بن شداد وهو ثقة .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك فى عمله غير الله (٤/٢٢٨٩) .

وعن شداد بن أوس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من صلى يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشـرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ".(١)

كلامه فى حكم عمل المرائى :

فصل ابن رجب رحمه الله تعالى القول فى حكم عمل المرائـى وما يترتب على ذلك من قبول للعمل أو رده ، وقسم ذلك إلى أقسام هى :

أولا : إذا كان العمل لله ، وشاركه الرياء من أصله فإن هـذا العمل باطل ومردود على صاحبه ، ودلت على بطلانه الأدلة الكثيرة مـن الكتاب والسنة التى تبين وجوب إخلاص العمل لله تبارك وتعالى وتـرك الرياء ، يقول ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان هذا : " وتارة يكـون العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله ، فالنصوص الصحيحـة تدل على بطلانه أيضا وحبوطه ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى اللـه عنـه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تبارك وتعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركتـه وشركه)(٢) ...

وخرّج الامام أحمد عن شداد بن أوس عن النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : " من صلى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك ، فإن الله عز وجل يقول : (أنا خير قسيـم لمن أشرك بى شيئا ، فإن جدة عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به أنا عنه غنى).(١)

---

(١) أخرجها أحمد (١٢٦/٤) والطبرانى فى الكبير (٣٣٧/٧) ، والحاكم (٣٢٩/٤) وصححه .

(٢) مسلم : كتاب الزهد والرقائق ـ باب من أشرك فى عمله غير اللـه (٢٢٨٩/٤) .

وخرّج الامام أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد بن أبى فضالة ــ وكان من الصحابة ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك " (١) .

وخرج النسائى باسناد جيد عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا شئ له " ثم قال :" إن الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه " (٢) .

وخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رجل يارسول الله : إنى أقف الموقف أريد به وجه الله ، وأريد أن يرى موطنى ، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت (فمن كان يرجو لقاء ربه ...) (٣) الآية (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٦٦) والترمذى : كتاب التفسير ، باب ومن سورة الكهف (٥/٣١٤) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة (٢/١٤٠٦) ، والطبرانى فى الكبير (٢٢/٣٠٧) والحديث صححه الألبانى كما فى صحيح الجامع (١/١٩٠) .

(٢) أخرجه النسائى ، كتاب الجهاد ، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر (٦/٢٥) وقال الحافظ العراقى : اسناده حسن ، وتخريج الاحياء (٤/٣٧٤) .

(٣) سورة الكهف آية (١١٠) .

(٤) أخرجه الحاكم (٢/١١١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وممن يروى عنه هذا المعنى - أن العمل اذا خالطه شئ من الرياء كان باطلا - طائفة من السلف ، منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء " و " الحسن " و " سعيد بن المسيب "(١) وغيرهم ... ولا نعرف عن السلف فى هذا خلافا ... إلى أن قال : " فإن خالط نية الجهاد مثل نية غير الرياء ، مثل أخذه أجرة للخدمة ، أو أخذ شئ من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده ، ولم يبطل بالكلية وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجّلوا ثلثى أجرهم فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم "(٢) .

وقد ذكرت فيما مضى أحاديث(٣) تدل على أن من أراد بجهاده عرضا من الدنيا أنه لا أجر له ، وهى محمولة على أنه لم يكن له غرض فى الجهاد إلا الدنيا ...(٤)

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب القرشى المخزومى ، أحد العلماء الأثبات والفقهاء الكبار ، اتفق العلماء على أن مرسلاته أصح المراسيل ، قال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علما منه ، توفى رحمه الله تعالى سنة ٩٤ هـ .
طبقات ابن سعد (٥/١١٩) وسير أعلام النبلاء (٤/٢١٧) ، وتهذيب التهذيب (٤/٨٤) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الامارة ، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم (٣/١٥١٥) .

(٣) كحديث أبى أمامة الذى سبق (ص ٣٨٥) .

(٤) جامع العلوم والحكم (٣/٣٤ - ٣٧) .

ثانيا : إذا كان العمل لله عز وجل وشاركه الرياء في اثنائه هل يبطل العمل أم لا ؟ يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : "وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فلا يضره ، فإن كان خاطرا ودفعه فلا يضره بغير خلاف ، فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف ، قد حكاه الامام أحمد وابن جرير الطبري وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى ، وهو مروى عن الحسن البصري وغيره ، ويستدل لهذا القول بما خرّجه أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني (١) أن رجلا قال : يا رسول الله إن بني سلمة كلهم يقاتل ، فمنهم من يقاتل للدنيا ، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله ، فأيهم الشهيد ؟ قال : " كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا ". (٢)

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج ، فأما مالا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وانفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ، ويحتاج إلى تجديد نية ". (٣)

وهذا كله في الحقيقة يدل على خطر الشرك كبيره وصغيره ، وأنه بقدر ماتكون نسبته في العمل يكون الاحباط فيه أشمل وأعم ، وهذا مما يوجب على المسلم الحذر من الشرك والابتعاد عنه ، وعدم الاستهانة به ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته منه ، وخاف عليهم منه أشد من خوفه عليهم من المسيح الدجال الذي هو شر غائب ينتظر

---

(١) عطاء بن أبي مسلم الخراساني في المحدث الواعظ ، ارسل عن عدد من الصحابة ، وقد وثقه ابن معين وغيره ، قال الدارقطني : هو في نفسه ثقة لكن لم يلق ابن عباس ، يعني أنه يدلس ، توفي سنة ١٣٥ هـ .
الجرح والتعديل (٦ / ٣٣٤) وسير أعلام النبلاء (٦ / ١٤٠) وتهذيب التهذيب (٧ / ٢١٢) .

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل (ص ١٦٣) .

(٣) جامع العلوم والحكم (١ / ٣٨ ، ٣٩) .

فمع خطورة المسيح الدجال ، فالرياء أشد خطرا وأعظم منه أثرا على المسلمين لما جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل ".(١)

فهذا يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته ونصحه لهم وتحذيره مما يخاف عليهم منه يقول صاحب فتح المجيد تعليقا على هذا الحديث : " هذا من شفقته صلى الله عليه وسلم بأمته ورحمته ورأفته بهم ، فلا خير إلا دلهم عليه وأمرهم به ، ولا شر إلا بيّنه لهم وأخبرهم به ونهاهم عنه ... فإذا كان الشرك الأصغر مخوفا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال علمهم وقوة إيمانهم ، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب ؟ خصوصا إذا عرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون ، وما عرفوا معنى الالهية التي نفتها كلمة الاخلاص عن كل ما سوى الله ".(٢)

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠) وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة (٢/ ١٤٠٦) والحاكم (٤/ ٣٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) فتح المجيد (ص ٨١) .

والرياء الذى يعتبر شركا أصغر إنما هو يسير الرياء وليس كثيره لأن الكثير منه قد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر وذلك بحسب قصده ونيته ، وهذا لا يصدر إلا من المنافقين الذين توعدهم الله عز وجل بالدرك الأسفل من النار كما أنه يصدر عن من لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ، يقول ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان ذلك : " فتارة يكون — أى العمل — رياء محضا ، بحيث لا يراد به سوى مرئيات المخلوقين دنيوى كحال المنافقين فى صلاتهم ، قال الله عز وجل : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس)(١) وقال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ...)(٢) الآية .

وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء المحض فى قوله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس)(٣) ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر فى الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهره ، والتى يتعدى نفعها ، فإن الاخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة "(٤) .

---

(١) سورة النساء آيه (١٤٢) .

(٢) سورة الماعون آيه (٤،٥) .

(٣) سورة الأنفال آيه (٤٧) .

(٤) جامع العلوم والحكم (١ / ٣٤) .

بيانه أن حمد الناس للعبد على عمل الخير دون قصد منه لا يعد من الرياء :

بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن حمد الناس لمن عمل الخير باخلاص وسروره بذلك لا يعد رياء ، لأنه لم يعمل العمل رياء ولا سمعة وانما عمله لله عز وجل وهو لا يحب اطلاع الناس عليه ، وفرحه وسروره بذلك إنما هو فرح وسرور بطاعة الله تعالى وبفضله عليه . قال ابن رجب رحمه الله تعالى : (فأما إذا عمل العمل لله خالصا ، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ، بفضل ورحمة ، واستبشر بذلك ، لم يضره ذلك ، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ، يحمده الناس عليه ، فقال : " تلك عاجل بشرى المؤمن " (١) خرجه مسلم ، وخرجه ابن ماجه (٢) وعنده " الرجل يعمل العمل فيحبه الناس عليه . . . " (٣)

وهنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن كون هذا النوع من الشرك أصغر لا يعني ذلك احتقاره والتقليل من شأنه ، فهو وان كان أصغر بالنسبة للأكبر إلا انه معدود من أقسام الشرك وهو من الكبائر بالنسبة لسائر الذنوب ، بل قد يكون شركا أكبر بما يصحبه من قصد ونية والواجب على المسلم أن يحذره وأن يبتعد عنه وأن يتوب منه عند الوقوع فيه حفاظا على توحيده وأعماله ، ومنعا لاستدراج الشيطان له ووقوعه في أخطر شراك نصبه للبشرية على الاطلاق ، أعاذنا الله من الشرك كبيره وصغيره جليه وخفيه .

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب اذا أثنى على الصالح فهو بشرى لا تضر (٤/ ٢٠٣٤) .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب الثناء الحسن (٢/ ١٤١٢) .

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩ ، ٤٠) .

المبحث الثاني
النفاق وكلام ابن رجب عليه

أ ـ تعريف النفاق :

النفاق مشتق من نافقاء اليربوع ، لأن اليربوع له جحران :
أحدهما يقال له النَافِقاء ، والثاني القَاصِعاء .

فالنافقاء موضع يرققه بحيث إذا ضرب رأسه عليه ينشق، وهو يكتمه ويظهر غيره فإذا جاءه من قبل القاصعاء الظاهره ضرب النافقاء برأسه ثم خرج ، فهو يظهر القاصعاء ويخفي النافقاء .(١)

وقيل النفاق مأخوذ من النفق وهو السرب في الأرض .

يقول الجوهري : النَّفَق : سرب في الأرض له مَخْلَص إلى مكان ، والنَافِقاء : إحدى جُحَرة اليربوع ، يكتمها ويظهر غيرها ، وهو موضع يرققه ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق ، أي خرج ، والنُفقَة أيضا مثال الهُمَزَة : النَافِقاء . تقول منه نَفَّقَ اليربوع تنفيقا نافق أي أخذ في نافقائه ، ومنه اشتقاق المنافق في الدين ".(٢)

وقال ابن الأثير : قد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسما وفعلا ، وهو اسم اسلامي ، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وان كان أصله في اللغة معروفا ، يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقا ، وهو مأخوذ من النَافِقاء : أحد جُحَرة اليربوع ، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر ، وخرج منه . وقيل :

---

(١) انظر : لسان العرب (٣٥٩/١٠) .

(٢) الصحاح (١٥٦٠/٤) .

هو من النَّفَق : وهو السرب الذى يستتر فيه ، لستره كفره .[١]

وقال الراغب الأصفهانى : النفق : الطريق النافذ والسرب فى الأرض النافذ فيه قال : " فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض "[٢] ومنه نافقاء اليربوع ، وقد نافق اليربوع ونفق ، ومنه النفاق وهو الدخول فى الشرع من باب ، والخروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبه بقوله : " إن المنافقين هم الفاسقون "[٣] أى الخارجون من الشرع ، وجعل الله المنافقين شرا من الكافرين فقال (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار)[٤] ..."[٥]

فكلمة النفاق تدل على اظهار الانسان خلاف ما يبطن فى شتى الأمور وهو بذلك يتضمن الدخول فى الاسلام ظاهرا وهو لا يؤمن به باطنا كما يتضمن غير ذلك مما يكون فيه الظاهر مخالفا للباطن ولذلك يقول الامام البغوى رحمه الله تعالى " سمي المنافق منافقا لأنه يستر كفره ، ويغيبه ، فشُبِّه بالذى يدخل النفق ، وهو السرب فيستتر به ..."[٦]

والخلاصة أن النفاق فى اللغة هو اظهار شيء وابطان خلافه وفى الشرع : هو ابطان الكفر واظهار الإيمان .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن النفاق وبين أقسامه

---

(١) النهاية فى غريب الحديث (٥/ ٩٨) .

(٢) سورة الانعام آيه (٣٥) .

(٣) سورة التوبة آيه (٦٧) .

(٤) سورة النساء آية (١٤٥) .

(٥) المفردات فى غريب القرآن (ص ٥٠٢) .

(٦) شرح السنة (١/ ٧١ ، ٧٢) .

فقال رحمه الله تعالى فى تعريفه وبيان أقسامه :" النفاق فى اللغة هو من جنس الخداع والمكر واظهار الخير وابطان خلافه ، وهو فى الشرع ينقسم الى قسمين :

أحدهما : النفاق الأكبر : وهو أن يظهر الانسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن أهله فى الدرك الأسفل من النار.

والثانى : النفاق الأصغر : وهو نفاق العمل ، وهو أن يظهر الانسان علانية صالحة ، ويبطن ما يخالف ذلك ،وأصول هذا النفاق ترجع إلى الخصال المذكورة فى الأحاديث وهى خمس :

أحدها : أن يحدث بحديث لم يصدق به ، وهو كاذب له.

والثانى : إذا واعد أخلف ، وهو على نوعين :

أحدهما : أن يعد ،ومن نيته أن لا يوفى بوعده ، وهذا شر الخلق ، ولو قال : أفعل كذا إن شاء الله تعالى ، ومن نيته أن لا يفعل ، كان كاذبا وخلفا .

الثانى : أن يعد ، ومن نيته أن يفى ، ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له فى الخلف .

والثالث : إذا خاصم فجر ، ويعنى بالفجور أن يخرج عن الحق عمدا حتى يصير الحق باطلا ، والباطل حقا ، وهذا مما يدعوا إليه الكذب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وان الفجور يهدى إلى النار ".(١)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الأدب ،باب قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) (٧/ ٩٥) ومسلم: كتاب البر والصلة ،باب قبح الكذب ، وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢) .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ".(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : " إنكم لتختصمون إلى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ".(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحرا ".(٣)

فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة ـ سواء كانت خصومته فى الدين أو فى الدنيا ـ على أن ينتصر للباطل ، ويخيل للسامع أنه حق ، ويوهن الحق ويخرجه فى صورة الباطل ، كان ذلك من أقبح المحرمات ، وأخبث خصال النفاق ، وفى سنن أبى داود عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من خاصم فى باطل وهو يعلمه ، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ".(٤)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى (وهو ألد الخصام) (٣ / ١٠١) ومسلم : كتاب العلم ، باب فى الألد الخصم (٤ / ٢٠٥٤) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الاحكام ، باب موعظة الامام للخصوم (٨ / ١١٢) ومسلم : كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (٣ / ١٣٣٧) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الطب ، باب ان من البيان لسحرا (٧ / ٣٠)

(٤) أخرجه أحمد وقال أحمد شاكر : إسناد صحيح . المسند تحقيق أحمد شاكر (٧ / ٢٠٥) وأبو داود : كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها (٤ / ٢٣) والحاكم (٢ / ٢٧) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣ / ١٩٨) رواه أبو داود والطبرانى بإسناد جيد .

الرابع : إذا عاهد غدر ، ولم يف بالعهد ، وقد أمر الله بالوفاء بالعهد فقال : (وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا) (١) .

وقال : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) (٢) .

وقال : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٣) .

وفى الصحيحين عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به " (٤) . والغدر حرام فى كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان المعاهد كافرا ، ولهذا فى حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم : " من قتل نفسا معاهدة بغير حقها ، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما " خرّجه البخارى (٥) .

وقد أمر الله تعالى فى كتابه بالوفاء بعهود المشركين ، اذا أقاموا على عهودهم ، ولم ينقضوا منها شيئا .

---

(١) سورة الاسراء آيه (٣٤) .

(٢) سورة النحل آيه (٩١) .

(٣) سورة آل عمران آيه (٧٧) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت (٨/ ٦٢) ومسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغدر (٣/ ١٣٦١) .

(٥) صحيح البخارى : كتاب الديات ، باب من قتل ذميا بغير جرم (٨/ ٤٧) .

وأما عهود المسلمين فيما بينهم ، فالوفاء بها أشد ، ونقضها أعظم إثما ، ويحرم الغدر فى جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها ، من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التى يجب الوفاء بها ، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل ، مما يعاهد العبد ربه عليه من نذر التبرر ونحوه .

الخامس : الخيانة فى الأمانة ، فإذا أؤتمن الرجل أمانة ، فالواجب عليه أن يردها كما قال تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) .(١)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : " أد الأمانة إلى من ائتمنك "(٢)

قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)(٣) فالخيانة فى الأمانة من خصال النفاق .

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية كما قاله الحسن ...

---

(١) سورة النساء آيه (٥٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤١٤) وأبو داود : كتاب البيوع والاجارات ، باب فى الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٣/٨٠٥) والترمذى : كتاب البيوع (٣/٥٦٤) وقال : هذا حديث حسن غريب . والدارمى كتاب البيوع ، باب فى أداء الامانة واجتناب الخيانة (٢/١٧٨) والحاكم (٢/٤٦) وقال : حديث صحيح ووافقه الذهبى .

(٣) سورة الأنفال آيه (٢٧) .

والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر ، كما أن المعاصى بريد الكفر ، وكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان ، فيصير منافقا خالصا . . .

ومن أعظم خصال النفاق العملى أن يعمل الانسان عملا ، ويظهر أنه قصد به الخير ، وانما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيء فيتم له ذلك ، ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه ، ويفرح بمكره وخداعه ، وحمد الناس له على ما أظهره ، ويتوصل به إلى غرضه السيء الذى أبطنه ، وهذا قد حكاه الله فى القرآن عن المنافقين واليهود ، فحكى عن المنافقين أنهم (اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون) (١) .

وأنزل فى اليهود (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم) (٢)

وهذه الآية نزلت فى اليهود ، سألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ، وما سئلوا عنه " قال ذلك ابن عباس ، وحديثه مخرج فى الصحيحين (٣) .

---

(١) سورة التوبة آيه (١٠٧) .

(٢) سورة آل عمران آيه (١٨٨) .

(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتو) (٥ / ١٧٤) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤ / ٢١٤٣) .

وفيهما أيضا عن أبي سعيد : أنها نزلت في رجال من المنافقين كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلافه ، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو ، اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا .(١)

وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من غشنا فليس منا ، والمكر والخديعة في النار ".(٢) (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وقد ورد في القرآن تشبيه المنافقين بالخشب المسندة في نظرهم فقال : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة)(٤) فوصفهم بحسن الأجسام وتمامها ، وحسن المقام والفصاحة حتى أنهم يعجب منظرهم لمن يراهم ، ويسمع قولهم من سمعه سماع اصغاء واعجاب به ، ومع هذا فبواطنهم خراب ومعائبهم مهلكة فلهذا مثلهم بالخشب المسندة التي لا دفع لها ولا احساس

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير ، باب (لاتحسبن الذين يفرحون بما آتوا) (٥/ ١٧٤) ومسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٤٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٦٩) وفي الصغير (١/ ٢٦١) وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٧٣) والقضاعي في مسنده (١/ ١٧٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٩) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٧٢) رواه الطبراني في الكبير والصغير باسناد جيد ، وابن حبان في صحيحه ، وقال الحافظ في الفتح (٤/ ٣٥٦) وأخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن مسعود ، والحاكم في المستدرك من حديث أنس ، وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة وفي اسناد كل منهما مقال ، لكن مجموعها يدل على أن للمتن أصلا .

(٣) جامع العلوم والحكم (٣/ ٣٣٠ - ٣٤٢) .

(٤) سورة المنافقون (٤) .

وقلوبهم مع هذا ضعيفة فى غاية الضعف (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم)[(١)] لأنهم لما اضمروا خلاف ما اظهروا خافوا من الاطلاع عليهم ، فكلما سمعوا صيحة ظنوا أنها عليهم وهكذا كل مريب يظهر خلاف ما يضمر يخاف من أدنى شيء ويتحسر عليه .[(٢)]

فالنفاق داء عضال ، ومرض خطير ، ولذلك كان الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من سلف هذه الأمة يخافون منه خوفا شديدا لعلمهم بدقة وجله ، وما يترتب عليه من الآثار السيئة وقد اشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى ذلك وبين أن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يخافون من النفاق أشد الخوف .

فقال " ومن هنا كان الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق ، ويشتد جزعهم منه ، فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر ، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر ، لأن دسائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى دعائه : " يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقيل له : يا نبى الله ، آمنا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ، فقال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف شاء " .[(٣)] خرجه الامام أحمد والترمذى من حديث أنس . . .[(٤)]

---

(١) سورة المنافقون آية (٤) .

(٢) غاية النفع (ص (٢٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٣/١١٢) والترمذى : كتاب القدر ، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعى الرحمن (٤/٤٤٨) وقال : هذا حديث حسن .

(٤) جامع العلوم والحكم (١/١٣٩) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ولما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية ، خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر ، برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقا كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي أنه مر به أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي فقال : مالك ؟ قال : نافق حنظلة يا أبا بكر نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنهما رأي العين ، فإذا رجعنا عافسنا (*) الأزواج والصبية فنسينا كثيرا ، قال أبو بكر : فوالله أنا لكذلك ، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك يا حنظلة ؟ قال : نافق حنظلة يا رسول الله ، وذكر له مثل ما قال لأبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو تدومون على الحال التي تكونون بها عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة "... (١) (٢)

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أثارا كثيرة عن السلف من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم تدل على خوفهم من النفاق فقال : " ومن هنا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم ، وكان عمر يسأل حذيفة عن نفسه ". (٣)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة (٢١٠٧/٤) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٤٣/٣) .

(٣) أخرجه وكيع في الزهد (٧٩١/٣) والخرائطي في مساوئ الاخلاق (١/٢٧/ب) .

(*) عافسنا : المعافسة هي الملاعبة والممارسة ، والمعنى اشتغلنا بمعايشنا وأزواجنا وأولادنا . النهاية لابن الاثير (٢٦٣/٣) .

وسئل أبــو رجاء العطاردى [١] : هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشون النفاق ؟ فقال : نعم ، إنــــى أدركت منهم بحمد الله صدرا حسنا ، نعم شديدا ، نعم شديدا" . [٢]

وقال البخارى فى صحيحه : وقال ابن أبى مليكة : [٣] أدركــت ثلاثين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه [٤]

---

(١) هـو الامام الكبير عمران بن ملحان التميمى البصرى ، من كبــــار المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد فتح مكة ، ولم يــــر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان خيراً تلاءً لكتاب الله ، وكـــان ثقة نبيلا عالما عاملا ، توفى سنة ١٠٥ هـ .
أسد الغابة (٤/١٣٦) وسير أعلام النبلاء (٤/٢٥٣) وتهذيب التهذيب (٨/١٤٠) .

(٢) أخرجه الفريابى فى صفة المنافق (ص ٧١) والمروزى فى تعظـــيم قدر الصلاة (٢/٦٣٤) وأبو نعيم فى الحلية (٢/٣٠٧) .

(٣) هـو عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله القرشـــى التيمى أبو محمد الإمام الحافظ الحجة ، كان عالما مفتيا صاحــب حديث واتقان ، وثّقه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ، توفى سنــــة ١١٧ هـ رحمه الله تعالى .
الجرح والتعديل (٥/٩٩) وسير أعلام النبلاء (٥/٨٨) ، وتهذيب التهذيب (٥/٣٠٦) .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الايمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (١/١٧) وأخرجه المروزى فى تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٣٤) وأبو نعيم فى الحلية (٢/٣٠٧) .

ويذكر عن الحسن أنه قال : " ما خافه إلا مؤمن ، ولا آمنه إلا منافق "(١)

وروى عن الحسن : " أنه حلف ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق غير آمن ، وما مضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن "(٢).

وكان يقول : من لم يخف النفاق فهو منافق "(٣).

وسمع رجل أبا الدرداء يتعوذ من النفاق فى صلاته ، فلما سلم قال له : ما شأنك وشأن النفاق ؟ فقال : اللهم اغفر لى ثلاثا ، لا تأمن البلاء ، والله إن الرجل ليفتن فى ساعة واحدة فينقلب عن دينه "(٤).

والآثار عن السلف فى هذا كثيرة جدا.(٥)

وهذا كله يدل على عظم النفاق ، وشدة خطره ، فإذا كان الصحابة رضى الله عنهم الذين اختارهم الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم والذين رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يخافون من النفاق ، فما الحال فى زمننا هذا الذى قل فيه الاخلاص ، والإيمان بالله عز وجل ، مما لاشك فيه أن خلقا كثيرا قد وقعوا فى النفاق سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا ، نسأل الله السلامة منه ومن كل ما يحبط الاعمال ويفسدها ، ونسأله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب .

---

(١) ذكره البخارى فى صحيحه : كتاب الايمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (١/ ١٧) .

(٢) أخرجه الفريابى فى صفة المنافق (٧٣) والمروزى فى تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٣٤) .

(٣) أخرجه الفريابى فى صفة المنافق (٧٣) .

(٤) أخرجه الفريابى فى صفة المنافق (٦٩) والذهبى فى السير (٦/ ٣٨٢) وقال : إسناده صحيح .

(٥) جامع العلوم والحكم (٣/ ٣٣٩ ، ٣٤٠) .

المبحث الثالث
البدع وكلام ابن رجب عليها

المطلب الأول
معنى البدعة فى اللغة والشرع

البدعة نقيض السنة مشتقة من بَدَع الشئ يبدعه بَدْعا إذا أوجده على غير مثال سابق ، وابتدعه وأبدعه بمعنى واحد ، واسم الفاعل من أبدع المبدع ، ومن ابتدع المبتدع ، ومن أسماء الله تعالى الحسنى البديع فهو سبحانه بديع السموات والأرض لأنه أبدعها وأحدثها على غير مثال سابق كما قال تعالى : (بديع السماوات والأرض) (١) والبديع أيضا الذى ليس قبله شئ ، والله سبحانه وتعالى هو الأول الذى ليس قبله الشئ ، والبدع : ما كان أولا ولم يسبقه شئ كما قال تعالى : (قل ما كنت بدعا من الرسل) (٢) أى ما كنت أول رسول أُرسل إلى أهل الأرض بل أرسل قبلى رسل كثيرون .

ويقال لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد أتى ببدعة ومنه قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) ... (٣) . (٤)

---

(١) سورة البقرة آيه (١١٧) .

(٢) سورة الاحقاف آيه (٩) .

(٣) سورة الحديد آيه (٢٧) .

(٤) انظر : الصحاح للجوهرى (١١٨٣/٣) ولسان العرب (٧/٨) والقاموس المحيط (٤/٣) والمفردات للراغب (ص ٣٨) .

فالبدعة اسم هيئة من الابتداع وهى كل ما أحدث واخترع على غير مثال سابق ، وهى بهذا المعنى تقال فى المدح والذم لأن المراد أنه أتى بشىء مخترع على غير مثال سبق سواءا كان خيرا أو شرا ولكن لفظ البدعة غلب على الحدث المكروه فى الدين ، قال ابن الأثير : " وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا فى الذم ". (١)

وأما البدعة فى الشرع فقد عرفها ابن رجب رحمه الله تعالى فقال : " المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له فى الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا ، وان كان بدعة لغة ". (٢)

وقال رحمه الله تعالى : " فقوله صلى الله عليه وسلم : " كل بدعة ضلالة " (*) من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شىء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم : " من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد " (٣) فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه ، فهو ضلالة ، والدين برىء منه ، وسواء فى ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال ، أو الأقوال الظاهرة والباطنة . (٤)

فالبدعة إذاً هى كل ما لم يشرعه الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن على عهد الصحابه دينا يعبد الله به أو يتقرب به إليه سواء كان ذلك فى الاعتقاد أو الأقوال أو الاعمال ،

---

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ١٠٧) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٠) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٦٨) .

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩١) .

(*) انظر تخريجه فى الورقة التى تليها (ص ٤٠٥) .

وقد جاءت الأدلة الكثيرة فى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى تدل على وجوب الاتباع والنهى عن البدع ومحدثات الأمور .

منها قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (١) .

ومنها قوله تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) (٢) .

ومنها قوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣) .

ومنها قوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (٤) .

وأما الأحاديث فكثيرة جدا :

منها حديث العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب فقال قائل : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال :" أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة ". (٥)

---

(١) سورة آل عمران آيه (٣١) .

(٢) سورة النور آيه (٦٣) .

(٣) سورة الحشر آيه (٧) .

(٤) سورة الأنعام آيه (١٥٣) .

(٥) أخرجه أحمد (٤/١٢٦) وأبو داود : كتاب السنة ، باب لزوم السنة (٥/١٥) ،

===

ومنها حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبّحكم ومسّاكم ، ويقول : " بعثت أنا والساعة كهاتين " ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : " أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ".(١)

ومنها حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد ".(٢)

ومنها حديث أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر

= والترمذى : كتاب العلم ، باب ما جاء فى الأخذ فى السنة واجتناب البدع (٥/ ٤٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه : المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٥) والحاكم (١/ ٩٧) وقال : هذا حديث صحيح لا علة له ووافقه الذهبى ، والبغوى فى شرح السنة (١/ ٢٠٥) وقال : هذا حديث حسن ، وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للشيخ الألبانى (٢/ ٦٤٧).

(١) أخرجه مسلم : كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٦٨).

وقال آخر : أنا اعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى ، فليس منى ". (١)

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على وجوب الاتباع والابتعاد عن البدع ومحدثات الأمور .

كما أن السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم كانوا يحثون على التمسك بالسنن التى جاءت عن الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويحذرون من البدع وينفرون منها ، والآثار عنهم فى ذلك كثيرة جدا .

فمن أقوال الصحابة رضى الله عنهم : قول عمر رضى الله عنه : " ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه ايمانه ، ولا من فاسق بين فسقه ولكنى أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى أزلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله ". (٢)

وقال حذيفة رضى الله عنه : " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ،

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح (٦/١١٦) ومسلم : كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح (٢/١٠١٨) .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (ص٢٢٥) .

اتبعوا آثارنا فقد سبقتم سبقا بعيدا ، وان أخطأتم فقد ضللتم ضلالا بعيدا ".(١)

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : " كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة "(٢)

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ، وكل بدعة ضلالة "(٣)

وقال عثمان بن حاضر(٤) الأزدى : دخلت على ابن عباس فقلت أوصنى ، فقال : نعم عليك بتقوى الله والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع ".(٥)

---

(١) أخرجه ابن بطة العكبرى فى الابانة الكبرى (١/٣٣٦).

(٢) أخرجه المروزى فى السنة (ص ٢٤) والبيهقى فى المدخل (ص ١٨٠) واللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة (١/٩٢) وابن بطة العكبرى فى الابانه الكبرى (١/٣٣٩).

(٣) أخرجه وكيع فى الزهد (٢/٥٩٠) وابن خيثمة فى كتاب العلم (ص ١٢٢) والطبرانى فى الكبير (٩/١٦٨) والدارمى فى السنن (١/٦١) والبيهقى فى المدخل (ص ١٨٦) وابن وضاح فى البدع (ص ١٠) وابن بطه العكبرى فى الابانة الكبرى (١/٣٢٨).

(٤) عثمان بن حاضر الحميرى ويقال الأزدى أبو حاضر القاص ، روى عن ابن عباس وغيره ، قال أبو زرعة : يمانى، حميرى، ثقة . الجرح والتعديل (٦/١٤٧) وتهذيب التهذيب (٧/١٠٩).

(٥) أخرجه الدارمى فى السنن (١/٥٠) وابن وضاح فى البدع (ص ٢٥) وابن بطة العكبرى فى الابانة الكبرى (١/٣١٩).

ومن الآثار الواردة عن التابعين ومن بعدهم فى التحذير من البدع ولزوم السنة :

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : " من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة ، لأن الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)[١] فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا ".[٢]

وقال الامام أحمد رحمه الله تعالى : " أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع ، وكل بدعة فهى ضلالة "[٣]

وقال حسان بن عطية[٤] رحمه الله تعالى : " ما ابتدع قوم بدعة فى دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة ".[٥]

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) الاعتصام للشاطبى (١/٤٩) .

(٣) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥٦) وذكرها أبو يعلى فى طبقات الحنابلة (١/٢٤١) .

(٤) حسان بن عطية المحاربى أبو بكر الدمشقى ، الإمام الحجة ، وثّقه أحمد ويحيى بن معين وغيرهم .
قال الأوزاعى : ما أدركت أشد اجتهادا ولا أعمل منه ، قال الذهبى: بقى حسان إلى حدود سنة ثلاثين ومئة .
تهذيب الكمال للمزى (٦/٣٤) وسير أعلام النبلاء (٥/٤٦٦) ، وتهذيب التهذيب (٢/٢٥١) .

(٥) أخرجه الدارمى فى السنن (١/٤٤) وابن بطة العكبرى فى الابانة الكبرى (١/٣٥١) وابن وضاح فى البدع (ص ٣٧) .

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : " من جالس صاحب بدعة لم يسلم من أحد ثلاث إما أن يكون فتنة لغيره ، واما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار ، واما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا واني واثق بنفسي ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه " .(١)

ويقول الأوزاعي رحمه الله تعالى : " عليك بآثار السلف وان رفضك الناس ، واياك وآراء الرجال وان زخرفوها لك بالقول " .(٢)

فهذه الآثار الواردة عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى كلها تدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة وتحذر من البدع والمحدثات صغيرها وكبيرها يقول الإمام أبو محمد البربهاري (٣) رحمه الله تعالى : " واحذر صغار المحدثات ، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا ، وكذلك كل بدعة أحدثت في الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت ، وصارت دينا يدان به فخالف الصراط المستقيم .

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع (ص ٤٧) .

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ٥٨) والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص ٧) والبيهقي في المدخل (ص ١٩٩) .

(٣) الامام الحافظ أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، كان قوالا بالحق داعية إلى الأثر والسنة ، لا يخاف في الله لومة لائم ، توفي سنة ٣٢٩ هـ رحمه الله تعالى .
طبقات الحنابلة (٢/١٨) والبداية والنهاية (١١/٢٢٥) وسير أعلام النبلاء (١٥/٩٠) .

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة ، فلا تعجلن ، ولا تدخلن فى شئ منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو أحد من العلماء ؟ فإن أصبت فيه أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشئ ، ولا تختر عليه شيئا فتسقط فى النار ".

واعلم رحمك الله — أنه ليس فى السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تتبع فيها الأهواء ، وهو التصديق بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا كيف ، ولا شرح ، ولا يقال : لم ؟ ولا كيف ، فالكلام والجدال والمراء محدث يقدح الشك فى القلب ، وان أصاب صاحبه الحق والسنة ". (١)

المطلب الثانى

أنواع البدع

للبدع أنواع مختلفة باعتبارات مختلفة فهى ليست على درجة واحدة ولكن هذه الانواع كلها لا تخرج عن هذين النوعين :

النوع الأول : بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم .

النوع الثانى : بدعة فى العبادات كالتعبد لله سبحانه وتعالى بعبادة لم يشرعها وهذا النوع ينقسم إلى قسمين :

١ — بدعة فى أصل العبادة وذلك بأن يحدث عبادة ليس لها أصل مشروع كأن يحدث صلاة غير مشروعة كصلاة الرغائب ، أو صياما كصيام رجب وحده أو أعيادا كأعياد الموالد وغيرها ، وقد بين

---

(١) شرح السنة للبربهارى (ص ٢٣ — ٢٤) .

ابن رجب رحمه الله تعالى هذا النوع فقال : " فأما العبادات فما كان منها خارجا عن حكم الله ورسوله بالكلية ، فهو مردود على عامله ، وعامله يدخل تحت قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) (١) فمن تقرّب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله فعمله باطل مردود عليه ، وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية ، وهذا كمن تقرب إلى الله تعالى بسماع الملاهي أو الرقص أو بكشف الرأس في غير الاحرام ، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله بالتقرب بها بالكلية ، وليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقا . (٢)

٢ — بدعة الزيادة في العبادة المشروعة كزيادة الشيعة " أشهد أن عليا ولي الله " في الآذان أو النقص من المشروع كذكر الله بالأسم المفرد كما يفعله الصوفية أو الاتيان بصفة معينة للعبادة غير مشروعة كالاتيان بالأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة أو تخصيص وقت معين لعبادة مشروعة لم يخصصه الشرع كمن خصّ يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام ، وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى هذا النوع بقوله : " وأما من عمل عملا أصله مشروع وقربة ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع أو أخل فيه بمشروع ، فهذا أيضا مخالف للشريعة بقدر اخلاله بما أخل به أو ادخاله ما أدخل فيه ، وهل يكون عمله من أصله مردودا عليه أم لا ، فهذا لا يطلق القول فيه برد ولا قبول ، بل ينظر فيه ، فإن كان ما أخل به من أجزاء العمل أو شروطه موجبا لبطلانه في الشريعة كمن أخل بالطهارة للصلاة مع القدرة

---

(١) سورة الشورى آيه (٢١) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٢ ، ١٤٣) .

عليها ، أو كمن أخل بالركوع أو بالسجود مع الطمأنينة فيهما ، فهذا عمل مردود عليه ، وعليه اعادته إن كان فرضا. وان كان ما أخل به لا يوجب بطلان العمل ، كمن أخل بالجماعة للصلاة المكتوبة عند من يوجبها ولا يجعلها شرطا ، فهذا لا يقال إن عمله مردود من أصله بل هو ناقص ، وان كان قد زاد فى العمل المشروع ماليس بمشروع ، فزيادته مردودة عليه بمعنى أنها لا تكون قربة ولا يثاب عليها ، ولكن تارة يبطل بها العمل من أصله ، فيكون مردودا كمن زاد ركعة عمدا فى صلاته مثلا ، وتارة لا يبطله ولا يرده من أصله كمن توضأ أربعا أربعا ، أو صام الليل مع النهار وواصل فى صيامه ، وقد يبدل بعض ما يؤمر به فى العبادة بما هو منهى عنه ، كمن ستر عورته فى الصلاة بثوب محرم ، أو توضأ للصلاة بماء مغصوب أو صلى فى بقعة غصب ، فهذا قد اختلف العلماء فيه ، هل عمله مردود من أصله أم أنه غير مردود وتبرأ به الذمة من عهدة الواجب؟ وأكثر الفقهاء على أنه ليس بمردود من أصله . (١)

المطلب الثالث
الرد على محسنى البدع وكلام ابن رجب فى ذلك

هناك فريق من الناس يقسمون البدع إلى بدع حسنة وسيئة والى بدع مذمومة ومحمودة ، وهذا تقسيم لا أصل له ، وانما هو من تلبيس إبليس جاءوا به من عند أنفسهم ليسوغوا الاحداث فى الدين ، والذى دعاهم إلى هذا التقسيم هو تمسكهم ببعض النصوص التى ليس لهم فى الحقيقة دلالة فيها لأن تقسيم البدع إلى هذا التقسيم لا دليل عليه من الشرع بل إن فيه

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٤ ، ١٤٥).

مخالفة صريحة لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :" . . . وكل بدعة ضلالة "(١) وهم يقولون لا ، بل البدعة منها ما هو بدعة حسنة ومنها ما هو بدعة سيئة ، وقد رد ابن رجب رحمه الله تعالى على هذا التقسيم وبين أن البدع جميعها مذمومة سواء فى الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات فقال رحمه الله تعالى " فقوله صلى الله عليه وسلم " كل بدعة ضلالة " من جوامع الكلم لا يخرج منه شئ ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم : " من أحدث فى أمرنا ماليس منه فهو رد "(٢) فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة ، والدين برئ منه وسواء فى ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة "(٣).

وهؤلاء الذين قسموا البدع إلى حسنة وسيئة احتجوا بنصوص لادليل لهم فيها وانما هى شبهات تعلقوا بها ، واغتر بها من لا علم عنده من المتصوفة والجهال والعوام مما دعاهم إلى أن يتعبدوا الله سبحانه وتعالى بعبادات لم ترد عن الله ولاعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا نهاهم عالم أو أحد طلبة العلم عن ذلك قالوا أن ما نفعله بدعة حسنة وليس بدعة سيئة .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى النصوص والأمور التى تعلقوا بها ورد عليهم فيها ، وبيّن أنه لا حجة لهم فيها فقال :" وأما ما وقع فى كلام السلف من استحسان بعض البدع ، فإنما ذلك من البدع اللغوية

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٠٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٦٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩١) .

لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر رضى الله عنه لما جمع الناس فى قيـــام رمضان على امام واحد فى المسجد ، وخرج ورآهم يصلون كذلك ، فقـال : " نعمت البدعة هذه "[1] وروى عنه أنه قال : "إن كانت هذه بدعـــة ، فنعمت البدعة ".[2]

وروى عن أبى بن كعب قال له : إن هذا لم يكن ، فقال عمـر : قد علمت ، ولكنه حسن . ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجـه قبل هذا الوقت ، ولكن له أصل فى الشريعة يرجع إليه :

فمنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحث على قيام رمضـان ويرغب فيه ، وكان الناس فى زمنه يقومون فى المسجد جماعات متفرقة ووحدانا وهو صلى الله عليه وسلم ، صلى بأصحابه فى رمضان غير ليلة ثم امتنع مـن ذلك ، معللا بأنه خشى أن يكتب عليهم ، فيعجزوا عن القيام به ، وهـذا قد أمن بعده صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم أمر باتباع سنة خلفائه الراشديـن وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين ، فإن الناس اجتمعوا عليه فـى زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .

ومن ذلك آذان الجمعة الأول ،زاده عثمان لحاجة الناس إليـــه وأقره على ، واستمر عمل المسلمين عليه . . .

ومن ذلك جمع المصحف فى كتاب واحد ، توقف فيه زيد بن ثابـت وقال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : كيف تفعلان مالم يفعله النــــبى صلى الله عليه وسلم ؟ ثم علم أنه مصلحة ، فوافق على جمعـــــــه ،

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب صلاة التراويح (٢/٢٥٢) .

(٢) بهذه الرواية أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٥/٤٢) وانظر صلاة التراويح للألبانى (ص٤٢) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة الوحي ، ولا فرق بين أن يكتب مفرقا أو مجموعا ، بل جمعه صار أصلح .

وكذلك جمع عثمان الأمة على مصحف ، واعدامه لما خالفه ، خشية تفرق الأمة ، وقد استحسنه علي وأكثر الصحابة رضي الله عنهم ، وكان ذلك عين المصلحة ...

وقد روى الحافظ أبو نعيم (١) بإسناده عن إبراهيم بن الجنيد (٢) قال : سمعت الشافعي يقول : البدعة بدعتان . بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم واحتج بقول عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هي (٣). ومراد الشافعي رحمه الله ما ذكرناه من قبل أن أصل البدعة المذمومة ما ليس لها أصل في الشريعة ترجع إليه ، وهي البدعة في اطلاق الشرع . وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة : يعني ما كان لها أصل من السنة ترجع إليه وانما هي بدعة لغة لا شرعا ، وقد روى عن الشافعي كلام آخر يفسر هذا

---

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق المهراني أبو نعيم الأصبهاني الامام الحافظ الثقة ، له مؤلفات كثيرة منها : " ذكر أخبار أصبهان ، وصفة الجنة " توفي سنة ٤٣٠ هـ .
وفيات الأعيان (٩١/١) وتذكرة الحفاظ (١٠٩٢/٣) وشذرات الذهب (٢٤٥/٣) .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد ، له كتب في الزهد والرقائق ، قال الخطيب : ثقة ، وقال الذهبي : لم أظفر له بوفاة ، وكأنها في حدود الستين ومائتين .
تاريخ بغداد (١٢٠/٦) وتذكرة الحفاظ (٥٨٦/٢) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١١٣/٩) .

وأنه قال : المحدثات ضربان : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا فهذه البدعة الضلالة ، وما أحدث فيه من الخير وكثير من الأمور التى أحدثت لم يكن قد اختلف العلماء فى أنها بدعة حسنة حتى ترجع الى السنة أم لا .(١)

فمنها : كتابة تفسير الحديث والقرآن ، كرهه قوم من العلماء ورخص فيه كثير منهم ، وكذلك اختلافهم فى كتابة الرأى فى الحلال والحرام ونحوه ، وفى توسعة الكلام فى المعاملات وأعمال القلوب التى لم تنقل عن الصحابة والتابعين ، وكان الامام أحمد يكره أكثر ذلك ، وفى هذه الأزمان التى بعد العهد فيها بعلوم السلف يتعين ضبط ما نقل عنهم من ذلك كله ليتميز به ما كان من العلم موجودا فى زمانهم ، وما أحدث فى ذلك بعدهم ، فيعلم بذلك السنة من البدعة ، وقد صح عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : " إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة ، وانكم ستحدثون ويحدث لكم ، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول "(٢) وابن مسعود قال : هذا فى زمن الخلفاء الراشدين ".(٣)

فقد أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق الحجج التى استدل بها من قال أن هناك بدعة حسنة وسيئة ، وبين أنه لا حجة لهم فيها .

وبهذا يتبين أن البدع كلها ضلال ، وكلها أحداث فى دين الله عز وجل بما لم يشرعه ، وتقسيمها إلى حسنة وسيئة تقسيم باطل مردود بنصوص الكتاب والسنة .

---

(١) أخرجه البيهقى فى مناقب الشافعى (٤٦٩/١) وفى المدخل (ص ٢٠٦).
(٢) أخرجه ابن بطة العكبرى فى الابانة الكبرى (٣٣٠/٢).
(٣) جامع العلوم والحكم (٢٩١/٢ — ٢٩٥).

المطلب الرابع
نماذج من البدع وكلام ابن رجب عليهـا

هناك كثير من البدع التي عمت وطمت في أرجاء العالم الاسلامي حتى أصبحت عند الكثير من الناس سنة متبعة في الوقت الذي تركوا فيه تعاليم الاسلام وهجروا سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وسأذكر بعضا منها على سبيل التمثيل لا الحصر ، وخصوصا البدع التي تعرض لها ابن رجب رحمه الله في كتبه وبينها وأوضحها وهي :

١ ـ <u>بدعة تخصيص رجب بعبادات معينة :</u>

خص أهل البدع والأهواء والجهلة من الناس شهر رجب بعبادات لم يشرعها الله تبارك وتعالى ، ولم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه من بعده ، ولكن هؤلاء خصوا هذا الشهر بصلوات وصيام وغيرها من العبادات التي لا دليل عليها من الكتاب والسنة ، ولا زالت هذه البدع تفعل إلى يومنا هذا .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذه البدع ، وبين أن شهر رجب لم يخص بأي نوع من أنواع العبادات لا صدقة ولا زكاة ولا صلاة ولا صيام ولا غيرها من أنواع العبادة ، وقد تكلم رحمه الله تعالى عن كل عبادة بعينها وسأورد كلامه رحمه الله تعالى على كل عبادة خص بها شهر رجب دون غيره :

أ ـ <u>الصلاة :</u> قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب (١) في أول ليلة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء

---

(١) الرغائب : جمع رغيبه وهي العطاء الكثير . الصحاح للجوهري (١ / ١٣٨) والمراد بصلاة الرغائب : هي صلاة بين صلاة المغرب والعشاء في ليلة أول جمعة من شهر رجب ويسبقها صيام الخميس ، وعددها على حد زعمهم اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة .
انظر : الباعث على انكار البدع لابي شامة (ص ٤١) وتنبيه الغافلين لابن النحاس (ص ٣٠٤) والامر بالاتباع للسيوطي (ص ٧٧) .

المتأخرين من الحفاظ أبو إسماعيل الأنصارى ، وأبو بكر ابن السمعانى [1] وأبو الفضل بن ناصر [2] وأبو الفرج ابن الجوزى وغيرهم ، وانما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم ، وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة ، فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها [3] .

ب ـ الزكاة والصدقة : قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وأما الزكاة فقد اعتاد أهل هذه البلاد إخراج الزكاة فى شهر رجب ، ولا أصل لذلك فى السنة ، ولا عرف عن أحد من السلف ، ولكن روى عن عثمان أنه خطب الناس على المنبر فقال : إن هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليؤد دينه وليزك ما بقى " خرجه مالك فى الموطأ [4] . وقد قيل أن ذلك الشهر الذى كانوا يخرجون فيه زكاتهم نسى ، ولم يعرف ، وقيل بل كان شهر المحرم لأنه رأس الحول ، وقد ذكر الفقهاء من أصحابنا وغيرهم أن الامام يبعث سعاته لأخذ الزكاة فى المحرم ، وقيل بل كان شهر رمضان لفضله وفضل الصدقة فيه ، وبكل حال ، فإنما تجب الزكاة إذا تم الحول على النصاب فكل أحد له حول يخصه بحسب وقت ملكه للنصاب ، فإذا تم حوله وجب عليه إخراج زكاته فى أى شهر كان ، فإن عجل زكاته قبل الحول

---

(١) محمد بن منصور بن محمد السمعانى أبو بكر ، حافظ ، محدث ، فقيه ، أديب ، توفى بمرو سنة ٥١٠ هـ .
وفيات الأعيان (٣/ ٢١٠) واللباب لابن الأثير (٢/ ١٣٩) والعبر (٢/ ٣٩٦) .

(٢) أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على السلامى البغدادى ، قال الذهبى فيه : الامام المحدث الحافظ ، مفيد العراق ، توفى سنة ٥٥٠ هـ .
المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٣٨ ـ ٤٠) وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٦٥) وشذرات الذهب (٤/ ١٥٥) .

(٣) لطائف المعارف (ص ١٢٣) .

(٤) الموطأ : كتاب الزكاة ، باب الزكاة فى الدين (٢/ ٢٥٣) .

أجزأه عند جمهور العلماء وسواء كان تعجيله لاغتنام زمان فاضل أو لاغتنام الصدقة على من لا يجد مثله فى الحاجة أو كان لمشقة إخراج الزكاة عليه عند تمام الحول جملة فيكون التفريق فى طول الحول أرفق به " . (١)

جـ ــ الصيام : قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وأما الصيام فلم يصح فى فضل صوم رجب بخصوصه شئ عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولكن روى عن أبى قلابة (٢) أنه قال : "فى الجنة قصر لصوام رجب". قال البيهقى : أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ ، وانما ورد فى صيام الاشهر الحرم كلها حديث مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " صم من الحرم واترك قالها ثلاثا " وخرجه أبو داود (٣) وغيره ، وخرجه ابن ماجه (٤) وعنده : صم أشهر الحرم ، وقد كان بعض السلف يصوم الأشهر الحرم كلها . . . وتزول كراهة افراد رجب بالصوم بأن يصوم معه شهر آخر تطوعا . (٥)

---

(١) لطائف المعارف (ص ١٢٥) .

(٢) أبو قلابة : عبد الله بن زيد بن عمرو البصرى أبو قلابة الحرمي قال ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث ، توفى سنة ١٠٤هـ طبقات ابن سعد (١٨٣/٧) وتذكرة الحفاظ (٨٨/١) ، وتهذيب التهذيب (٢٢٤/٥) .

(٣) سنن أبو داود : كتاب الصيام ، باب فى صوم أشهر الحرم (٨١٠/٢) .

(٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الصيام ، باب صيام أشهر الحرم (٥٥٤/١) . وقال الألباني : حديث ضعيف ، ضعيف سنن ابن ماجه ص(١٣٣)

(٥) لطائف المعارف (ص ١٢٣) .

د ـ اتخاذه عيدا : قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يكره أن يتخذ رجب عيدا ".*

وروى عبد الرزاق (١) عن ابن جريج (٢) عن عطاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن صيام رجب كله لئلا يتخذ عيدا (٣)

وعن معمر (٤) ،

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني ، عالم اليمن ، كان من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحوا من سبعة عشر ألف حديث ، ومن كتبه "المصنف" ، وتفسير القرآن توفي سنة ٢١١ هـ
سير أعلام النبلاء (٩ / ٥٦٣) وتهذيب التهذيب (٦ / ٣١٠) .

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي صاحب التصانيف وشيخ الحرم ، وهو أول من دون العلم بمكة ، وكان ذا عبادة وزهد ، توفي سنة ١٥٠ هـ
الجرح والتعديل (٥ / ٣٥٦) ووفيات الأعيان (٣ / ١٦٣) وسير أعلام النبلاء (٦ / ٣٢٥) .

(*) أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٤ / ٢٩٢) عن عطاء قال : "كان ابن عباس ينهى عن صيام رجب لئلا يتخذ عيدا " قال ابن حجر في تبيين العجب (٤٨) : إسناده صحيح .

(٣) لم أجده في مصنف عبد الرزاق ، ولم أجد من أخرجه غيره .

(٤) معمر بن راشد الأزدي أبو عروة البصري ، الامام الحافظ ، كان من أوعية العلم مع الصدق ، والتحري ، والورع وحسن التصنيف ، توفي سنة ١٥٣ هـ
الجرح والتعديل (٨ / ٢٥٥) وسير أعلام النبلاء (٧ / ٦) وتهذيب التهذيب (١٠ / ٢٤٣) .

عن ابن طاووس (١) عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تتخذوا شهرا عيدا ولا يوما عيدا " (٢) وأصل هذا أنه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدا الا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدا وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق وهى أعياد العام ، ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وما عدا ذلك فاتخاذه عيدا وموسما بدعة لا أصل له فى الشريعة . (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ففى الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد عيد يتكرر كل أسبوع ، وعيدان يأتيان فى كل عام مرة مرة من غير تكرر فى السنة .

فأما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الأسبوع ... وهو متعلق باكمال الصلوات المكتوبة وهى أعظم أركان الاسلام ومبانيه بعد الشهادتين .

أما العيدان اللذان يتكرران فى كل عام ، وانما يأتى كل واحد منهما فى العام مرة واحدة ، فأحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان ، وهو الركن الثالث من أركان الاسلام ومبانيه

---

(١) عبد الله بن طاووس أبو محمد اليمانى الامام المحدث ، وثقه أبو حاتم والنسائى وغيرهم ، قال معمر : كان من أعلم الناس بالعربية ، وأحسنهم خلقا ، ما رأينا ابن فقيه مثله ، توفى سنة ١٢٣ هـ . الجرح والتعديل (٥/ ٨٨) وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٣) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٦٧) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٤/ ٢٩١) ، وهو ضعيف بهذا الاسناد لأن فيه إنقطاع .

(٣) لطائف المعارف (ص ١٢٣) .

فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم ... شرع الله تعالى لهم عقب إكمالهم صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له ، وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة ، وهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم ، ويرجعون من عيدهم بالمغفرة والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على إكمال الحج وهو الركن الرابع من أركان الاسلام ومبانيه . (١)

هـ ـ أمور أخرى تعتقد في رجب : قال ابن رجب رحمه الله تعالى :

" وقد روى أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة ، ولم يصح شيء من ذلك فروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في أول ليلة منه ، وأنه بعث في السابع والعشرين منه ، وقيل في الخامس والعشرين . ولا يصح شيء من ذلك .... "

وروى زائدة بن أبي الرقاد (٢) عن زياد التميمي (٣) عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال : " اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان ". (٤)

---

(١) لطائف المعارف (ص ٢٨٦ ، ٢٨٧) .

(٢) زائدة بن أبي الرقاد أبو معاذ ، قال البخاري : منكر الحديث منكر الحديث ، وقال ابن حبان : يروي المناكير عن المشاهير لا يحتج بخبره ولا يكتب إلا للاعتبار. المجروحين لابن حبان (٣٠٨/١) ميزان الاعتدال (٦٥/٢) وتهذيب التهذيب (٣٠٥/٣) .

(٣) زياد بن عبد الله النميري البصري ، يروي عن أنس قال أبو حاتم : لا يحتج به .
الجرح والتعديل (٥٣٦/٣) وميزان الاعتدال (٩٠/٢) .

(٤) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤٥٧/١) قال الهيثمي في المجمع (١٦٥/٢) رواه البزار وفيه زائدة بن أبي الرقاد

===

وروى عن إسماعيل الأنصاري (١) أنه قال : لا يصح فى فضل رجب غير هذا الحديث ، وفى قوله نظر ، فإن هذا الاسناد فيه ضعف . (٢)

٢ ـ بدعة اتخاذ عاشوراء مأتما أو عيدا :

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم وهو من الأيام الفاضلة التى حث النبى صلى الله عليه وسلم على صيامها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "... وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله ..." (٣)

ولكن الرافضة ابتدعوا فيه بدعا منكرة فهم يتخذون يوم عاشوراء من كل عام مأتما ونياحة وحزنا منهم على قتل الحسين بن على رضى الله عنه قال ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان ذلك : " وأما اتخاذه مأتما كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن على رضى الله عنهما فيه ، فهو عمل من ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا ،

= = = قال البخارى : منكر الحديث وجهله جماعة .
وقال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٣/ ٦١٣) عن زائدة : يحدث عن زياد النميرى عن أنس أحاديث مرفوعة منكرة .

(١) إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير أبو إسحاق الأنصارى مولاهم المدنى الامام الحافظ ، قال يحيى بن معين : ثقة مأمون ، قليل الخطأ ، توفى سنة ١٨٠ هـ .
الجرح والتعديل (٢/ ١٦٢) وتاريخ بغداد (٦/ ٢١٨).

(٢) لطائف المعارف (١٢٦) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء (٢/ ٨١٨) .

ولم يأمر الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف بمن هو دونهم .(١)

ولا زال الرافضة إلى يومنا هذا يتخذون يوم عاشوراء مأتما يظهرون فيه الحزن والنياحة ويندبون الحسين رضى الله عنه فيلطمون الخدود ويضربون الصدور والظهور حتى تسيل الدماء ، ورتبوا على هذه المنكرات الأجر والثواب وتكفير السيئات ، وهذه البدعة قد نص على جوازها والترغيب فيها علماؤهم قديما وحديثا .(٢)

وفى مقابل هؤلاء الرافضة واتخاذهم يوم عاشوراء مأتما وحزنا من يتخذ يوم عاشوراء عيدا ويوم فرح وسرور وهم النواصب (٣) والجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب والشر بالشر فوضعوا الآثار التى ترغب فى الفرح والسرور وما يتبعها من مظاهر فى يوم عاشوراء ، فصاروا يتخذون يوم عاشوراء موسما كمواسم الاعياد والافراح وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عما يفعله الناس فى عاشوراء من الكحل والاغتسال والحناء والمصافحة وطبخ الحبوب واظهار السرور وعزوا ذلك إلى الشارع ، هل ورد فيه حديث صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ واذا لم يرد حديث صحيح فى شىء من ذلك فهل يكون فعل ذلك بدعة أم لا ؟

---

(١) لطائف المعارف (ص ٥٣) وانظر الكلام على هذه البدعة فى مجموع الفتاوى (٣٠٧/٢٥) ومنهاج السنة (٥٥٤/٤) وكتاب تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين لأحمد آل طامس (ص٢٨٠)

(٢) انظر العقائد الشيعية لناصر الدين شاه (ص ١٣٥)، ومقتل الحسين وفتاوى العلماء الاعلام فى تشجيع الشعائر لمرتضى عياد (ص ١٢ — ٤٠) .

(٣) النواصب : هم الذين يبغضون عليا رضى الله عنه وأصحابه . لسان العرب (٧٦٢/١) ومجموع الفتاوى (٣٠١/٢٥) .

فأجاب رحمه الله تعالى " الحمد لله رب العالمين لم يرد فى شىء من ذلك حديث صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا روى أهل الكتب المعتمدة فى ذلك شيئا لا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا صحيحا ولا ضعيفا ، ولا فى كتب الصحيح ولا السنن ولا فى المسانيد ولا يعرف شىء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة ... إلى أن قال : وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان : طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت وهم فى الباطن إما ملاحدة زنادقة واما جهال وأصحاب هوى ".

وطائفة ناصبة تبغض عليا وأصحابه لما جرى فى القتال فى الفتنة ما جرى ... فصارت طائفة جاهلة ظالمة إما ملحدة منافقة واما ضالة غاوية تظهر موالاته وموالاة أهل بيته تتخذ يوم عاشوراء مأتم وحزن ونياحة وتظهر فيه شعار الجاهلية من لطم الخدود وشق الجيوب والتعزى بعزاء الجاهلية ...

وعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته واما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب والشر بالشر والبدعة بالبدعة فوضعوا الآثار فى شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب ... ونحو ذلك مما يفعل فى الاعياد والمواسم ، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسما كمواسم الأعياد والأفراح وأولئك يتخذونه مأتما يقيمون فيه الأحزان والافراح وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة ، وان كان أولئك ـ يعنى الرافضة ـ اسوأ قصدا وأعظم جهلا ".(١)

---

(١) مجموعة الفتاوى (٢٩٩/٢٥) وما بعدها ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم (٦٢٢/٢).

والسنة فى هذا اليوم أن يصام فحسب كما صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحث على صيامه وهذا هو الحق فى تعظيم هذا اليوم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة ولا يكون بالفرح والسرور ولا اتخاذه مأتما ويوم حزن وانما تمسك بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وامتثال لأمره ورجاء لثواب الله تعالى .

ومسألة صيام يوم عاشوراء من المسائل التى تكلم فيها العلماء رحمهم الله وبينوا أن صوم يوم عاشوراء على ثلاث مراتب :

١ ــ أن يصام معه التاسع والحادى عشر لحديث " صوموا قبله يوما وبعده يوما " (١) .

٢ ــ أن يصام معه التاسع فقط لحديث " إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع " (٢) .

٣ ــ افراد يوم عاشوراء بالصوم وحده للأحاديث الدالة على تأكيد صومه منها حديث ابن عباس رضى الله عنه قال : " أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم عاشوراء يوم العاشر" (٣) .

وفى المسألة تفاصيل أخرى ليس هذا محلها (٤) والمراد بيان أن السنة صيام هذا اليوم .

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ، كتاب الصيام (٤/ ٢٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الصيام (٢/ ٧٩٧) .

(٣) أخرجه الترمذى : كتاب الصوم ، باب ماجاء فى عاشوراء (٢/ ١٢٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) انظر الكلام على هذه المسألة فى زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٧٦) ولطائف المعارف لابن رجب (ص ٤٥ ــ ٥٤) وفتح البارى لابن حجر (٤/ ٢٤٦) وغيرها .

٣ ـ التبرك بالآثار والأشخاص أحياء وأمواتا :

التبرك : طلب البركة ، وهى النماء والزيادة .

قال الجوهرى : " البركة النماء والزيادة ، والتبريك الدعاء بالبركة ... وتبارك الله أى بارك مثل قاتل وتقاتل إلا أن فاعَل يتعدى وتفاعل لا يتعدى وتبركت به أى تيمنت به ".[1]

والتبرك بآثار الصالحين هو التيمن وطلب خيرهم من آثارهم وطلب الخير وزيادته وثبوته فى شىء إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه وتعالى ، وإذا تدبرنا كتاب الله سبحانه وتعالى وجدنا الآيات الكثيرة تدل على أن البركة من الله ، فهى تطلب منه سبحانه وتعالى وحده ، وهو يضعها فيمن شاء من خلقه وفى ماشاء من بريته قال تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)[2] وقال تعالى : (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام)[3] وقال تعالى : (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا)[4] وقال تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[5]

فلفظ تبارك لم يرد فى كتاب الله إلا مسندا إلى الله ، وهى صيغة مفيدة أعظم أنواع معنى البركة وأكثرها نفعا ، وأعمها متعلقا وأثرا ، فالبركة لله وحده والله سبحانه وتعالى يضعها فيمن شاء ، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك .

---

(١) الصحاح للجوهرى (٤/١٥٧٥) .

(٢) سورة الاعراف آية (٥٤) .

(٣) سورة الرحمن آية (٧٨) .

(٤) سورة الفرقان آية (٦١) .

(٥) سورة الفرقان آية (١) .

(٦) انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٢/١٨٥ - ١٨٧) .

وأما التبرك بذوات الأشخاص أو بآثارهم المنفصلة عنهم كشعرهم وفضل وضوئهم ونحو ذلك فهذا يجوز في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد ورد في عدة أحاديث ما يدل على جواز ذلك :

منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ".(١)

ومنها حديث خروج النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية وفيه " وما تنخم النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ".(٢)

وفي رواية " وإذا توضأ النبي صلى الله عليه وسلم كادوا يقتتلون على وضوئه ".(٣)

وقد سأل أحد الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بردة أهديها فأعطاها إياه فلامه الصحابة على سؤاله البردة فقال : " رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها ".(٤)

فهذه الأدلة ونحوها تدل على شرعية التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم كشعره وملابسه وفضل وضوءه ونحو ذلك ، وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم في حياته .

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الفضائل (١٨١٢/٤) .
(٢) أخرجه البخاري : كتاب الوضوء (٦٦/١) .
(٣) أخرجه البخاري : كتاب الوضوء (٥٥/١) .
(٤) أخرجه البخاري : كتاب الأدب (٨٢/٧) .

وأما فى غير حق النبى صلى الله عليه وسلم فإن ذلك لا يجوز لأنه إما شرك وذلك إذا اعتقد أن ذلك الشخص أو المكان يمنح البركة ، وإما وسيلة إلى الشرك إذا اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله ، والدليل على عدم جواز ذلك أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يتبركون بحجرته أو قبره بعد موته صلى الله عليه وسلم ، ولا كانوا يقصدون الأماكن التى صلى فيها أو جلس فيها ليتبركوا بها ، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبى بكر وعمر وغيرهما من أفاضل الصحابة لا فى الحياة ولا بعد الموت ، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا ، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذى كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه أو يدعوا ، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التى يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم ، ولم يكن أحد من السلف يذهب إلى المكان الذى يصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستلمه ويقبله ، ولا المواضع التى كان يطؤها بقدميه الكريمتين ، فإذا كان ذلك لم يشرع فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فكيف بما يقال أن غير النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه أو نام عليه ، فتقبيل شىء من ذلك والتمسح به قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن هذا ليس من شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى ذلك فقال : " التبرك بالآثار إنما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ، ولا يفعله التابعون مع الصحابة مع علو قدرهم ، فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبى صلى الله عليه وسلم مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره وشرب فضل شرابه وطعامه . (٢)

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٥) .

(٢) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ٥٨ ، ٥٩) .

وأما ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يتحرى الأماكـن التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلى فيها كمـا روى البخارى رحمه الله تعالى بسنده عن موسى بن عقبة (١) قال : " رأيـت سالم بن عبد الله (٢) يتحرى أماكن من الطريق فيصلى فيها ، ويحدث أن أباه كان يصلى فيها ، وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الأمكنة" (٣).

فإن ذلك لم يفعله غيره من الصحابة رضى الله عنهم ، فلم ينقـل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التى نزلها النبى صلى الله عليه وسلم ، فهم يذهبون مـن المدينة إلى مكة حجاجا وعمارا ومسافرين ، ولم ينقل بن أحد منهم أنـه تحرى الصلاة فى مصليات النبى صلى الله عليه وسلم ـ ومعلوم أن هذا لـو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم .

---

(١) موسى بن عقبة بن أبى عياش القرشى ، الامام الثقة الكبير ، كـان بصير بالمغازى النبوية ، وهو أول من صنف فيها ، توفى سنـة ١٤١ هـ .
الجرح والتعديل (٨/ ١٥٤) وسير أعلام النبلاء (٦/ ١١٤) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٦٠) .

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، الامـام الزاهد الحافظ الثقة ، مفتى المدينة ، وكان من أفضل أهل زمانه وكان كثير الحديث ، وكان أبوه يحبه ويجله كثيرا ، توفى سنـة ١٠٦ هـ .
التاريخ الكبير (٤/ ١١٥) ووفيات الأعيان (٢/ ٢٥٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٧) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الصلاة (١/ ١٢٤) .

فتحرى الصلاة فى هذه المواضع ليس من سنة الخلفاء الراشدين بل هو مما ابتدع ، وقول الصحابى إذا خالفه نظيره ليس بحجة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة .

وأيضا فإن تحرى الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد ، والتشبه بأهل الكتاب ممن نهينا عن التشبه بهم فيه ، وذلك ذريعة إلى الشرك بالله .

وقد كان عمر رضى الله عنه ينهى [١] عن تتبع الآثار المكانية . ولا شك أن الصواب والحق مع عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة ، وهو الحري بالاتباع [٢] .

وبهذا يتبين أن الدعوة إلى الاعتناء بتلك الآثار وتعظيمها خشية أن تندثر ويجهلها الناس ولا سيما فى مكة والمدينة مثل غار حراء وغار ثور ودار مولده صلى الله عليه وسلم وغيرها دعوة باطلة ومخالفة صريحة لسلف هذه الأمة اضافة إلى ما فيها من مشابهة اليهود والنصارى فى تعظيم آثار أنبيائهم وصالحيهم واتخاذها معابد ومزارات .

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله وأمد فى عمره وبارك له فيه " إن تعظيم الآثار يكون باتباع أهلها فى أعمالهم المجيدة وأخلاقهم الحميدة وجهادهم الصالح قولا وعملا ودعوة وصبرا ، هكذا

---

(١) انظر البدع لابن وضاح (ص ٤١ - ٤٢) فقد ذكر آثارا تدل على نهى عمر رضى الله عنه عن ذلك وقد صحح هذه الآثار ابن تيمية كما فى مجموع الفتاوى (١/ ٢٨١) وابن حجر فى الفتح (١/ ٥٦٩) ، (٧/ ٤٤٨) .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/ ٧٤٦) ومابعدها

كان السلف الصالح يعظمون آثار سلفهم الصالحين ، وأما تعظيم الآثار بالأبنية والزخارف والكتابة ونحو ذلك فهو خلاف هدى السلف الصالح ، وانما ذلك سنة اليهود والنصارى ومن تشبه بهم وهو من أعظم وسائل الشرك ، وعبادة الأنبياء والأولياء كما يشهد به الواقع ، وتدل عليه الأحاديث والآثار المعلومة في كتب السنة فتنبه واحذر .(١)

٤ ــ بدعة التصوف :

إن التصوف بدعة من شر البدع وأكثرها اضلالا وأكبرها ضلالة إذ لم يعرف التصوف من نزول الوحي ولا بعده إلى أن انقرض عهد القرون المفضلة .

فلم يرد لفظ التصوف على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤثر عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم أنه عرف التصوف أو نطق به وكذا التابعون من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية والفضل ثم ظهر بعد ذلك طبقة يغلب عليهم جانب العبادة والبعد عن الناس مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الاسلام ولكن قد يغلب على أحدهم الخوف الشديد والبكاء المستمر ، ثم جاء من بعدهم فعملوا أمورا ودعوا إليها ولم تكن عند الزهاد السابقين ومنها ترك الزواج وادامة الجوع ومواصلة الصوم وهكذا تدرج هؤلاء ومن بعدهم إلى أن شرعوا لأنفسهم من الدين مالم يأذن به الله .

يقول ابن الجوزى : في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت كلمة مؤمن ومسلم ثم نشأت كلمة زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز (١/٣٩٥ ، ٣٩٦) .

والتعبد واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا فيها هكذا كان أوائل القوم ولبّس عليهم أبليس أشياء ثم على من بعدهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن ". (١)

وهكذا بدأ التصوف ينشأ ويقوى إلى أن أصبح فكرا مستقلا أخذ صبغة خالصة ، وقد استغلت الباطنية هذا التصوف لنشر أفكارهم الالحادية وأدخلوا في التصوف السماع والرقص بحجة أنه موصل إلى الله ، وبلغوا فيه إلى حد الوقاحة حيث نشأ فيهم حب المرادن والغلمان .

وأنا أعنى بهذا المتأخرين منهم ، أما المتقدمون منهم فكانوا على جانب من الورع والعبادة والاعتدال .

وقد تسرب الفكر الصوفي الى صفوف المسلمين منذ زمن قديم ولا زال يؤدى دوره في إفساد الأمة الاسلامية في كثير من البلدان ، ولا يزال بعض الناس من المنتسبين للعلم وغيرهم مغترين بهذا الفكر ومتحمسين في الدفاع عنه وعن أهله .

أضف إلى ذلك أن المغرضين من أعداء الاسلام وجدوا لهم طريقا لافساد المسلمين عن طريق التصوف باسم الزهد ورياضة النفس ومجاهدة الشهوات وغير ذلك من الأمور التي استطاعوا عن طريقها نشر الزندقة والالحاد بين المسلمين .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى مبينا أن التصوف أصبح منهجا من المناهج الفاسدة التي تقوم على الزندقة والالحاد : " ومما أحدث من العلوم ، الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الرأى والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم ، وقد أنكره أعيان الأئمة

---

(١) تلبيس ابليس (ص ١٦١) .

كالامام أحمد وغيره . . . وقد اتسع الخرق فى هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ، ودعوى أن أولياء الله أفضل من الانبياء أو أنهم مستغنون عنهم ، والى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع ، والى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان كدعوى الاباحة ، وحل محظورات الشرائع ، وأدخلوا فى هذا الطريق أشياء كثيرة ، ليست من الدين فى شىء فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص ، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها ، وبعضها زعموا انه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة ، وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر المحرم ، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، والعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها ، والتقيد فى ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فى معانى القرآن والحديث ، وفيما ورد عنهم من الكلام فى مسائل الحلال والحرام ، والزهد والرقائق والمعارف وغيرذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا ، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيا ، وفى ذلك كفاية لمن عقل ، وشغل لمن بالعلم النافع عنى واشتغل . (١)

ولا أريد هنا أن أتكلم عن التصوف والمتصوفة (٢) وما يتعلق بهم من بدع وانحرافات لست فى مقام الكلام على ذلك ، وانما أريد هنا أن أقتصر على ذكر بعض البدع التى وقعوا فيها وخصوصا التى تكلم عليها

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٤٩ ، ١٥٠) .

(٢) هناك الكثير من الكتب القديمة والحديثة التى تكلمت عن التصوف والمتصوفة ومنها : كتاب الاستقامة واقتضاء الصراط المستقيم

===

ابن رجب رحمه الله تعالى فى مؤلفاته ومنها :

أ - بدعة تقسيم الدين إلى حقيقة وشرعية :

إن من أصول المتصوفة ، وقواعد طرقهم البدعية تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن ، والدين الاسلامى إلى شريعة وحقيقة ، والشرعية هى الظاهر من الدين وهى الباب الذى يدخل منه الجميع ، والحقيقة هى الباطن الذى لا يصل إليه الا المصطفون الأخيار فى حد زعمهم ، وهؤلاء هم الذين أسقطوا عنهم التكاليف الشرعية لأنهم وصلوا ، وهذا كله من تلاعب الشيطان بهم ، وتزيينه ذلك لهم ، نعوذ بالله من الضلال والخذلان، وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه البدعة فقال : كثير ممن يدعى العلم الباطن ويتكلم فيه ويقتصر عليه يذم العلم الظاهر الذى هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام ، ويطعن فى أهله ، ويقول هم محجوبون وأصحاب القشور ، وهذا يوجب القدح فى الشريعة المطهرة والأعمال الصالحة التى جاءت الرسل بالحث عليها والاعتناء بها ، وربما انحل بعضهم عن التكاليف وأدعى أنها للعامة ، وأما من وصل فلا حاجة به إليها وأنها حجاب له ، وهؤلاء كما قال الجنيد وغيره : وصلوا ولكن إلى سقر . وهذا من أعظم خداع الشيطان وغروره لهؤلاء لم يزل يتلاعب بهم حتى أخرجهم عن الاسلام ، ومنهم من يظن أن هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة ، ولا من الكتاب والسنة ، وانما يتلقى من الخواطر والالهامات والكشوفات ، فأساءوا الظن بالشريعة الكاملة حيث ظنوا

--- لشيخ الاسلام ابن تيمية ، تنبيه الغبى لتكفير ابن عربى للبقاعى، هذه هى الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ، التصوف المنشأ والمصادر لاحسان إلهى ظهير وغيرها .

أنها لم تأت بهذا العلم النافع الذى يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب ، وأوجب لهم الاعراض عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب بالكلية ، والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر ، فضلوا وأضلوا .(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ومما حدث بعد الصحابة والتابعين الكلام فى الحلال والحرام بمجرد الرأى والأقيسة العقلية .

ومما حدث بعد ذلك الكلام فى الحقيقة بالذوق والكشف وزعم أن الحقيقة تنافى الشريعة ، وأن المعرفة وحدها تكفى مع المحبة ، وأنه لا حاجة إلى الأعمال ، وأنها حجاب أو أن الشريعة إنما يحتاج إليها العوام .(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وانما ذم أحمد وغيره المتكلمين عن الوساوس والخطرات من الصوفية ، حيث كان كلامهم فى ذلك لا يستند إلى دليل شرعى ، بل إلى مجرد رأى وذوق ، كما كان ينكر الكلام فى مسائل الحلال والحرام بمجرد الرأى من غير دليل شرعى" .(٣)

ب ـ بدعة التقرب الى الله عز وجل بالرقص وهز الرؤوس وسماع الأغانى :

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن الغناء وأقسامه :

القسم الثانى : أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى ، وتحريك القلوب إلى محبته ، والأنس به ،

---

(١) شرح حديث أبى الدرداء (ص ٥٥ ، ٥٦) .
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٧) .
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٦١) .

والشوق إلى لقائه ، وهذا هو الذى يدعيه كثير من أهل السلوك ، ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم ، وانما يتستر بهم ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه ، من نيل لذته ، فهذا المتشبه بهم مخادع ملبس ، وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد .

وأما الصادقون فى دعواهم فى ذلك وقليل ماهم ، فإنهم ملبوس عليهم حيث تقربوا إلى الله عز وجل بما لم يشرعه الله تعالى ، واتخذوا دينا لم يأذن الله فيه ، فلهم نصيب ممن قال الله تعالى فيه (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)[١] والمكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق باليد ، كذلك قاله غير واحد من السلف .

وقال تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)[٢] ، فإنه إنما يتقرب إلى الله عز وجل بما يشرع التقرب به إليه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأما ما نهى عنه ، فالتقرب به إليه مضادة لله عز وجل فى أمره ، قال القاضى أبو الطيب الطبرى[٣] رحمه الله فى كتابه السماع (اعتقاد هذه الطائفة مخالف لاجماع المسلمين فإنه ليس فيهم من جعل السماع دينا وطاعة ولا أرى اعلانه فى المساجد والجوامع ، وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة ، وكان مذهب

---

(١) سورة الانفال آيه (٣٥) .

(٢) سورة الشورى آيه (٢١) .

(٣) أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبرى الشافعى ، قال الخطيب : كان ثقة صادقا دينا ورعا عارفا بأصول الفقه وفروعه صحيح المذهب ، توفى سنة ٤٥٠ هـ .

تاريخ بغداد (٣٥٨/٩) وطبقات الشافعية لابن هداية (١٥٠) .

هذه الطائفة مخالفا لما اجتمعت عليه العلماء ونعوذ بالله من سوء الفتن)
انتهى ما ذكره .

ولا ريب أن التقرب إلى الله تعالى بسماع الغناء الملحن لاسيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام ، بل ومن سائر شرائع المسلمين أنه ليس مما يتقرب به إلى الله ، ولا مما تزكى به النفوس وتطهر به ، فإن الله تعالى شرع على ألسنة الرسل كل ما تزكوا به النفوس وتطهر به من أدناسها ، وأوضارها ، ولم يشرع على لسان أحد من الرسل فى ملة من الملل شيئا من ذلك ، وانما يأمر بتزكية النفوس بذلك من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة كما يأمرون بعشق الصور ، وذلك كله مما تحيى به النفوس الأمارة بالسوء لما لها فيه من الحظ ، ويقوى به الهوى ، وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب ، وتبعد به عنه ، فغلط هؤلاء واشتبه عليهم حظوظ النفوس وشهواتها ، بأقوات القلوب الطاهرة ، والأرواح الزكية المعلقة بالمحل الأعلى واشتبه الأمر فى ذلك أيضا على طوائف المسلمين ممن ينتسب إلى السلوك ولكن هذا مما حدث فى الاسلام بعد انقراض القرون الفاضلة . (١)

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن السماع المشروع هو سماع ما يفيد وينفع من سماع القرآن والذكر والمواعظ النافعة وغيرها .

فقال : " إن الله تعالى أمر عباده فى كتابه وعلى لسان رسوله بجميع ما يصلح قلوب عباده ويقربها منه ونهاهم عما ينافى ذلك ويضاده ، ولما كانت الروح تقوى بما تسمعه من الحكمة والموعظة الحسنة وتحيى بذلك شرع الله لعباده سماع ما تقوى به قلوبهم وتتغذى وتزداد ايمانا ،

---

(١) نزهة الاسماع فى مسألة السماع (ص ٦٨ ــ ٧٠) .

فتارة يكون ذلك فرضا عليهم كسماع القرآن والذكر والموعظة يوم الجمعة في الخطبة والصلاة . وكسماع القرآن في الصلوات الجهرية من المكتوبات وتارة يكون ذلك مندوبا إليه غير مفترض كمجالس الذكر المندوب إليها ، فهذا السماع حاد يحدو قلب المؤمن إلى الوصول إلى ربه بسوقه ويشوقه إلى قربه، وقد مدح الله المؤمنين بوجود مزيد أحوالهم بهذا السماع ، وذم من لا يجد منه ما يجدونه فقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) (١) وقال : (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) (٢) وقال : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) (٣) ... فهذه الآية تتضمن توبيخا وعتابا لمن سمع هذا السماع ، ولم يحدث له في قلبه صلاحا ورقة وخشوعا ، فإن هذا الكتاب المسموع يشتمل على نهاية المطلوب وغاية ما تصلح به القلوب وتنجذب به الأرواح ... فيحيى بذلك القلب بعد مماته ويجتمع بعد شتاته وتزول قسوته بتدبر خطابه وسماع آياته ، فإن القلوب إذا أيقنت بعظمة ما سمعت واستشعرت شرف نسبة هذا القول إلى قائله أذعنت وخضعت ، فإذا تدبرت ما احتوى عليه من المراد ووعت اندكت من مهابة الله وجلاله وخشعت ، فإذا هطل عليها وابل الإيمان

---

(١) سورة الأنفال آيه (٢) .

(٢) سورة الزمر آيه (٢٢ ، ٢٣) .

(٣) سورة الحديد آية (١٦) .

من سحب القرآن أخذت ما وسعت فإذا بذر فيها القرآن من حقائق العرفان وسقاه ماء الايمان أنبتت ما زرعت ، ومتى فقدت القلوب غذاءها وكانت جاهلة به طلبت العوض من غيره فتغذت به فازداد سقمها بفقدها ما ينفعها ، والتعوض بما يضرها ، فإذا سقمت مالت إلى ما فيه ضررها ولم تجد طعم غذائها الذى فيه نفعها فتعوضت عن سماع الآيات بسماع الأبيات ، وعن تدبر معانى التنزيل بسماع الأصوات .(١)

٤ ـ بدعة قراءة القرآن بالألحان :

إن قراءة القرآن بشكل مبتدع لم يكن معروفا فى عهد النبوة وما بعدها من القرون المفضلة كالتلحين والتشدق والقيام بحركات اثناء القراءة كالتمايل يمينا وشمالا وأماما وخلفا لأن هذا كله اهانة لكتاب الله تعالى وابتذال له ومخالف لما حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من قراءة القرآن بتدبر وتمعن وفهم لمعانيه .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه البدعة فقال :
" قراءة القرآن بالألحان بأصوات الغناء وأوزانه وايقاعاته على طريقة أصحاب الموسيقى ، فرخص فيه بعض المتقدمين إذا قصد به الاستعانة على ايصال معانى القرآن إلى القلوب ، للتحزين والتشويق والتخويف والترقيق ، وأنكر ذلك أكثر العلماء ، ومنهم من حكاه إجماعا . ولم يثبت فيه نزاعا منهم أبو عبيد وغيره من الأئمة .

وفى الحقيقة : هذه الألحان المبتدعة المطربة ، تهيج الطباع وتلهى عن تدبر ما يحصل له من الاستماع ، حتى يصير الالتذاذ بمجرد سماع النغمات الموزونة والأصوات المطربة ، وذلك يمنع المقصود من

---

(١) نزهة الأسماع فى مسألة السماع (ص ٨٠ ـ ٨٣) .

تدبر معانى القرآن ، وانما وردت السنة بتحسين الصوت بالقرآن ، لا بقراءة الألحان ، وبينهما بون بعيد ".(١)

هذه أمثلة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا زالت هذه البدع كلها موجودة إلى يومنا هذا بل أكثر منها ، فكل البدع التى فعلت فى الماضى فى أزمان مختلفة فعلت فى زماننا هذا نسأل الله السلامة والعافية . وتفشى البدع وانتشارها وخصوصا فى زماننا هذا له أسباب كثيرة منها :

١ ـ الجهل بأحكام الدين : كلما امتد الزمن وبعد الناس عن كتاب ربهم وسنة نبيهم قل العلم وفشى الجهل كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ".(٢)

فالجهل هو أخطر سبب يؤدى إلى انتشار البدع ، ولا يقاوم ذلك إلا العلم والعلماء ، فإذا فقد العلم والعلماء اتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر .

٢ ـ اتباع الهوى وذلك أن من اعرض عن الكتاب والسنة فإن الشيطان يزين له البدع ويحسنها ، وقد ذم الله تبارك وتعالى من يتبعون الهوى ويعرضون عن الحق الذى جاء به الشرع فقال تعالى :

---

(١) نزهة الاسماع فى مسألة السماع (ص ٧٠ ، ٧١) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (١ / ١٧٤) ومسلم : كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه (٤/ ٢٠٥٨) .

(فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)[1] وقال تعالى : (أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله)[2] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في ذم الهوى وأصحابه ، والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع يقول الشاطبي[3] رحمه الله تعالى : " سمى أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة مأخذ الافتقار إليها أو التعويل عليها حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها وراء ذلك "[4].

٣ ـ التشبه بالكفار وتقليدهم من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط[5] فمررنا بسدرة فقلنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الله أكبر " ،

---

(١) سورة القصص آية (٥٠).
(٢) سورة الجاثية آية (٢٣).
(٣) إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي ، أبو اسحاق محدث ، فقيه ، أصولي ، له مؤلفات كثيرة منها : الاعتصام و " الموافقات " توفي سنة ٧٩٠ هـ .
شجرة النور الزكية (١/ ٢٣١) ودرة الحجال (١ / ١٨٢) والاعلام (١/ ٧٥).
(٤) الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٧٦).
(٥) ذات أنواط : هي شجرة عظيمة قريبة من مكة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون لها ويعكفون عندها يوما ، وكانوا يعلقون

===

إنها السَّنَن (١) قلتم والذى نفس بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (أجعل لنا إله كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) (٢) لتركبن سنن من كان قبلكم ". (٣)

ففى هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذى حمل بنى اسرائيل وبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين دخلوا حديثا فى الاسلام أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها ويتبركون بها من دون الله .

وقد صدق صلى الله عليه وسلم حيث وقع ما أخبر به فإن غالب الناس ولا سيما فى هذا العصر الذى أصبح التقليد والمشابهة للكفار سمة لأهله فنحن نرى الكثير من المسلمين قلدوا الكفار فى عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد واقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات واقامة التماثيل والنصب التذكارية ، واقامة المآتم وغير ذلك من الأمور التى لم ينج منها إلا من رحم الله وهم القليل .

=== أرد بتهم عليها وبد خلون الحرم بغير أردية تعظيما لها ، ولذلك سميت ذات أنواط يقال ناط الشئ ينوطه نوطا إذا علقه .
النهاية لابن الأثير (٥/١٢٨) ومعجم البلدان (١/٢٧٣) ، ولسان العرب (٧/٤٢٠) .

(١) السنن بفتح السين والنون وهو الطريق ويجوز فى السين الضم والكسر . المصباح المنير (١/٢٩٢) .

(٢) سورة الاعراف آية (١٣٨) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢١٨) والترمذى : كتاب الفتن ، باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤/٤٧٥) وقال : حديث حسن صحيح .
والطبرانى فى الكبير (٣/٢٤٣) وابن أبى عاصم فى السنة (١/٣٧) وقال الألبانى : إسناده حسن .

٤ ـ التعصب للآراء والتقليد الأعمى للشيوخ يحول بين المرء واتبـــاع الحق ومعرفة الدليل ، وهذا شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليـــه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم وأقوال مشائخهم وآبائهم وأجدادهـــم وأخذوها على أنها أقوال مسلمة لا يقبل غيرها .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى التقليد باتباع الآباء والأجداد حيث قال تعالى : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينـا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (١) .

وقال تعالى : (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا اللــه وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) (٢)

هذا كله من أسباب انتشار البدع بالاضافة إلى سكوت كثير من العلماء وتركهم الدعوة إلى الله تعالى وتبصير الناس بدينهم وبهدى نبيهـــم صلى الله عليه وسلم الأمر الذى جعل عامة الناس يعتقدون فى البدع أنهـا سنن ، وإذا أردت أن تبين لهم الحق فى ذلك ، ردوا عليك بقولهم من أنت ؟ ومن تكون ؟ فلو كان الأمر بدعة كما تدعي لبينها الشيخ فــلان وفلان ، فإنك لست بأعلم منهم بل لا تدانيهم فى منزلتهم العلميـة .

وطريق الخلاص من هذه البدع كلها يكون بالتمسك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما والى كتب السلف الصالح لفهم العقيدة الصحيحة ومعرفـة ما يضادها أو ينقصها من الشرك والبدع والخرافات ونبذ الكتب المخالفـة للكتاب والسنة من كتب الصوفية والقبورية والمخرفين .

وأسأل الله تعالى أن يجنبنا مضلات الفتن وأن ينصر دينه ويعلـي كلمته ويخذل اعداءه إنه على كل شيء قدير .

(١) سورة البقرة آيه (١٧٠) .
(٢) سورة الاحزاب آيه (٦٦ ، ٦٧) .

المطلب الخامس
حكم البدع وأهلها

البدع كلها مضادة للشارع ومراغمة له حيث أن المبتدع نصب نفسه منصب المستدرك على شرع الله عز وجل ، ولهذا كانت البدعة مذمومة بكل حال ، لأن النصوص الواردة فى البدع بينت أن كل بدعة ضلالة وأن عمل المبتدع مردود عليه ، وعلى هذا فالابتداع فى الدين حرام سواء كان ذلك فى العبادات أو الاعتقادات قال ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان هذا " فقوله صلى الله عليه وسلم " كل بدعة ضلالة "(١) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شئ ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم : " من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد(٢) فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة ، والدين برئ منه ، وسواء فى ذلك مسائل الاعتقادات أو الاعمال أو الاقوال الظاهرة والباطنة .(٣)

أما المبتدعة الذين يحدثون البدع فهم مفترون على الله عز وجل لأن احداثهم للبدع يفهم منه أن الله سبحانه وتعالى لم يكمل هذا الدين وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ كل ما أوحى إليه حتى جاء هؤلاء المبتدعة فأكملوا الشرع بما أحدثوه من ضلالات زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله عز وجل ، وهذا خطر عظيم واعتراض على رب العالمين سبحانه وتعالى ، واتهام للدين بالنقص ، وللرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٠٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٦٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٣/٢٩١) .

بالخيانة والكتمان ، وهذا كله باطل لا شك فيه ، فالله سبحانه وتعالى قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أوحي إليه بلاغا مبينا لم يترك طريقا للخير يقربنا إلى الله عز وجل إلا ودلنا عليه ، ولا طريقا يبعد عن الله عز وجل إلا وحذرنا منه ولذا تقول عائشة رضي الله عنها لمسروق(٢) رحمه الله تعالى كما في صحيح مسلم(٣) " ثلاث من تكلم بواحدة منها فقد أعظم على الله الفرية " وذكرت منها : ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته)(٤) .

فلو كانت البدع التي أحدثها المبتدعة من الدين الذي أتمه الله علينا ورضيه لنا دينا لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته إما بقوله

---

(١) سورة المائدة (٣) .

(٢) الامام العلم أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الوادعي الهمداني ، من كبار التابعين .
قال يحيى بن معين : مسروق ثقة ، لا يسأل عن مثله ، توفي رحمه الله سنة ٦٣ هـ .
الجرح والتعديل (٣٩٦/٨) وتذكرة الحفاظ (٤٩/١) ، وتهذيب التهذيب (١٠٩/١٠) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب معنى قول الله عز وجل (ولقد رآه نزلة أخرى) (١٥٩/١) .

(٤) سورة المائدة آية (٦٧) .

أو فعله ، فلما لم يبين ذلك دل على أن ما أحدثه هؤلاء ليس من الدين في شئ ، وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذا كله فقال :

" أهل الأهواء والبدع كلهم مفترون على الله ، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افترائهم عليه ، وقد جعل الله من حرم ما أحله الله ، وحلل ما حرمه الله مفتريا عليه الكذب ، فمن قال على الله مالا يعلم فقد افترى عليه الكذب ومن نسب إلى الله مالا يجوز نسبته إليه من تمثيل أو تعطيل ، أو كذب بأقداره فقد افترى على الله الكذب ، وقد قال الله عز وجل : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (١)

قال سفيان : الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم (٢) .

فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي ، لأن المبتدع مفتر على الله ، مخالف لأمر رسوله لأجل هواه " (٣) .

فالبدع كلها شر وضلالة ، ومحادة لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ويخشى أن يكون أهل الأهواء والبدع ممن حيل بينهم وبين التوبة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة " (٤) .

---

(١) سورة النور آية (٦٣) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٣٢) وعزاه لعبد بن حميد .

(٣) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ٤٣ ، ٤٤) .

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٨/أ) ، والطبراني في الأوسط (٤٣٦٠) ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٥٥) ، والهروي في ذم الكلام وأهله (٥/ ٩٩/ ب) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٨٦) رواه الطبراني واسناده حسن . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨٩) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي

فهذا الحديث يدل على أن الله سبحانه وتعالى حجب التوبة أمام المبتدع ، فلا يقبل له توبة ، ذلك لأن المبتدع يرى أن عمله دين يتقرب به إلى الله عز وجل فلا يتوب منه ولا يرجع عنه وهذا بخلاف العاصي فإن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها .

وقد سئل الامام أحمد رحمه الله تعالى عن معنى حديث أنس السابق فقال :" لا يوفق ولا ييسر صاحب بدعة لتوبة ".(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :" ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها : أن المبتدع الذى يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله ، قد زين له سوء عمله فرآه حسنا ، فهو لا يتوب مادام يراه حسنا ، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه ، أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر ايجاب أو استحباب ليتوب ويفعله ، فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء فى نفس الأمر فإنه لا يتوب ، ولكن التوبة منه ممكنة واقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال ، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه ، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)(٢)

وقال تعالى (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم ، وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)(٣)

---

(١) غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب للسفاريني (٥٨٢/٢) .

(٢) سورة محمد آيه (١٧) .

(٣) سورة النساء آيه (٦٦ - ٦٨) .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)(١)

وشواهد هذا كثيرة فى الكتاب والسنة ".(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ومن قال : ما أذن الله لصاحب بدعة فى توبة ، فمعناه مادام مبتدعا يراها حسنة لا يتوب منها ، فأما إذا أراه الله أنها قبيحة ، فإنه يتوب منها ، كما يرى الكافر انه على ضلال ، والا فمعلوم أن كثيرا ممن كان على بدعة تبين له ضلالها ، وتاب الله عليه منها ، وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله .(٣)

---

(١) سورة الحديد آيه (٢٨) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٩، ١٠) .

(٣) المصدر السابق (١١/٦٨٤، ٦٨٥) .

المبحث الرابع

الغلو وكلام ابن رجب رحمه الله تعالى عليه

الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد والمبالغة في الشيء ، يقول الراغب الأصبهاني : الغلو تجاوز الحد ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء ، واذا كان في القدر والمنزلة غلو .(١)

وفي الشرع هو الافراط في التعظيم بالقول والعمل والاعتقاد ومجاوزة الحد المشروع في ذلك كالغلو في الانبياء والأولياء والصالحين من حيث اعتقاد أن لهم تصرفا في الكون ، أو تعظيمهم بالألفاظ والأفعال ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها .*

والغلو منهي عنه ، وقد ذمه الله سبحانه وتعالى وحرمه وتوعد الغالين ونهاهم عنه فقال تعالى في كتابه العظيم : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته)(٢) وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)(٣)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : " ينهى الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب عن الغلو والاطراء ، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٣٦٤) .

(٢) سورة النساء آيه (١٧١) .

(٣) سورة المائدة آيه (٧٧) .

* انظر النهاية لابن الاثير (٣/ ٣٨٢) ، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٧٦) ، تيسير العزيز الحميد ص (٢٦٥)

بل قد غلوا فى اتباعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم فى كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا (١) .

كما ذم الغلو ونهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم كما جاء فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ،فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله " (٢) .

فالغلو وباء قاتل ومرض مدمر ، ولم يزل شره فى ازدياد حتى وقع كثير من المسلمين فى الشرك بسبب الغلو ومجاوزة الحد المشروع .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله مسألة الغلو وبين أنه جهل وضلال كما بين بعض مظاهره فقال رحمه الله تعالى : " وأما النصارى فذمهم الله بالجهل والضلالة ، وبالغلو فى الدين بغير الحق ، ورفع المخلوق إلى درجة لا يستحقها حتى يدعى فيه الألهية ،واتباع الكبراء فى التحليل والتحريم ، وكل هذا يوجد جهالا منتسبين إلى العبادة من هذه الأمة فمنهم من يعبد بالجهل بغير العلم بل يذم العلم وأهله ، ومنهم من يغلو فى بعض الشيوخ فيدعى فيه الحلول ، ومن يدعى الحلول المطلق والاتحاد ، ومنهم من يغلو فيمن يعتقده من الشيوخ كما يغلو النصارى فى رهبانهم ويعتقدون أن لهم أن يغلو فى الدين ما شاؤا ،وأن من رضى عنه غفر له ،ولا يبالى بما عمل من عمل ،وأن محبتهم لا يضر معها ذنب ، وقد كان الشيوخ العارفون ينهون عن صحبة الأشرار وأن ينقطع

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٨٩) .

(٢) صحيح البخارى :كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) (٤/١٤٢) .

العبد عن الله بصحبته الأخيار ، فمن صحب الأخيار بمجرد التعظيم لهم والغلو فيهم غلوا زائدا عن الحد ، وعلق قلبه بهم فقد انقطع عن الله بهم وانما المراد من صحبة الاخيار أن يوصلوا من صحبهم الى الله ويسلكوا طريقه ويعلموه دينه ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث أهله وأصحابه على التمسك بالطاعة ويقول : " اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئا " (١) ، وقال لأهله " إن أوليائى منكم المتقون يوم القيامة لا يأتى الناس بالأعمال ، وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون : يا محمد ، فأقول : قد بلغت " (٢) ولما سأله ربيعة الأسلمي مرافقته فى الجنة قال : " فاعنى على نفسك بكثرة السجود " (٣) فانما يراد من صحبة الاخيار اصلاح الأعمال والأحوال والاقتداء بهم فى ذلك ، والانتقال من الغفلة الى اليقظة ، ومن البطالة الى العمل ، ومن التخليط الى التكسب والقول والفعل الى الورع ، ومعرفة النفس آفاتها واحتقارها ، فأما من صحبهم وأفتخر بصحبتهم وادعى بذلك الدعاوى العريضة ، وهو مصر على غفلته وكسله وبطالته فهو منقطع عن الله من حيث ظن الوصول اليه كذلك المبالغة فى تعظيم الشيخ وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو المنهى عنه وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ، ويقولون " أنبياء نحن ؟ " ... إلى أن قال رحمه الله تعالى " فالغلو من صفات النصارى ، والجفاء من صفات اليهود والقصد هو المأمور به . (٤)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب التفسير (٦ / ١٧) ومسلم : الايمان (١ / ١٩٢)

(٢) أخرجه بنحوه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٤٢) والحاكم (٤ / ٧٣) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

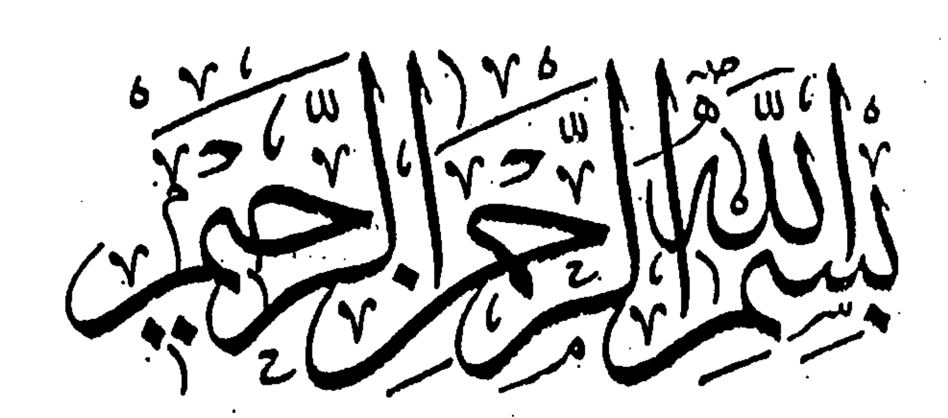
(٣) أخرجه مسلم : كتاب الصلاة (١ / ٣٥٣) .

(٤) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ٥٦) وما بعدها .

فالغلو أصل من أصول الشرك فى الأولين والآخرين ، ووسيلة من الوسـائل المؤدية إلى عبادة الأصنام ، وقد أمرنا الله تعالى بمحبة الأنبيـاء والمرسلين والصالحين ، وأنزالهم منازلهم من العبودية ، ونهانا عـن الافراط ومجاوزة الحد فى تعظيمهم ، فلا نرفعهم فوق منزلتهم .

وتعظيم الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ومحبتهم إنما هو باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والتقوى والعمل الصالح واقتفاء آثارهم فى ذلك دون عبادتهم وعبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها مساجـد وأعيادا ومجامع للزيارات وغير ذلك من البدع والضلالات .

نسأل الله العافية من كل فتنة ... آمين .


بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الخامس
مسائل متفرقة متعلقة بهذا الفصل

١ ـ التنجيم

النجم الكوكب ، والجمع أنجم ونجوم وهو أحد الأجرام السماوية المضيئة ، والنجم علم على الثريا خاصة ، والمنجم والمنتجم الذى ينظر فى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها يستطلع من ذلك أحوال الكون .(١)

والله سبحانه وتعالى خلق النجوم لمنافع عظيمة ، فقد أخبر سبحانه وتعالى فى كتابه أنها يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر وأنها زينة السماء الدنيا وأنها رجوم للشياطين قال تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر)(٢) وقال تعالى : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)(٣) وقال تعالى : (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)(٤).

قال قتادة رحمه الله تعالى :" خلق الله النجوم لثلاث : زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم به ،(٥) وان ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانة ، من غرس بنجم كذا وكذا ، ومن سافر

---

(١) انظر : لسان العرب (١٢/٥٦٩) والمصباح المنير (٢/٥٩٤) .

(٢) سورة الانعام آيه (٩٧) .

(٣) سورة النحل آية (١٦) .

(٤) سورة الملك آية (٥) .

(٥) أخرجه إلى هذا القدر الطبرى فى تفسيره (٢٩/٣، ٤) وذكره البخارى معلقا فى صحيحه (٤/٧٤) .

بنجم كذا كان كذا وكذا ، ولعمرى ما من نجم إلا يولد به الأحمر والاسود والطويل والقصير والحسن والدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ، ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذى خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء". (١)

فالله سبحانه وتعالى خلق النجوم لهذه المنافع العظيمة ،

أما غير ذلك مما يدعيه أهل هذا العلم من أنهم يستدلون بحركات النجوم وطلوعها وغروبها على أحداث وأمور ستقع ، فهذا كله من ادعاء علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، وهو الذى حذر منه قتادة رحمه الله تعالى فى كلامه السابق ولكن التعلق بالكواكب وربط ذلك بما يحدث فى الأرض بدأ يزداد فى كل عصر حتى بلغ الغاية فى عصرنا هذا وأصبح ذلك من الأمور المسلمة التى لا تقبل الجدل عند كثير من الناس ، وهذا كله ضلال وشرك لأنه من أعمال الجاهلية التى جاء الاسلام بابطالها وبين أنها من الشرك لما فيها من التعلق بغير الله تعالى واعتقاد الضر والنفع فى غيره وتصديق العرافين والكهنة الذين يدعون علم الغيب زورا وبهتانا ويعبثون بعقول السذج من الناس ليأخذوا أموالهم ويغيروا عقائدهم .

قال الخطابى رحمه الله تعالى : " علم النجوم المنهى عنه هو

---

(١) أخرجه بهذه الزيادة الخطيب فى كتاب النجوم ورقة (١٠) ، وذكره ابن حجر فى الفتح (٦/ ٢٩٥) وصاحب تيسير العزيز الحميد ص (٣٨٨) من قول قتادة .

ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع فى مستقبل الزمان كاخبارهم بأوقات هبوب الرياح ، ومجئ المطر ، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان فى معانيها من الأمور التى يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب فى مجاريها وباجتماعها واقترانها ويدعون لها تأثيرا فى السفليات ، وأنها تتصرف على احكامها وتجرى على قضايا موجباتها ، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه " . (١)

وقال البغوى رحمه الله تعالى : " والمنهى من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التى لم تقع فى مستقبل الزمان مثل اخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجئ المطر ووقوع الثلج ، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار ونحوها ، يزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ، وهذا علم استأثر الله عز وجل به لا يعلمه أحد غيره . (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " صناعة التنجيم التى مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكى والقوابل الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسنة واجماع الأمة بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين فى جميع الملل . (٣)

فعلم التنجيم المحرم هو ما يزعم أهله من أنهم يعرفون مايكون فى المستقبل من أمور عامة واحداث لم تقع أنها ستقع فى زمن معين وخاصة

---

(١) معالم السنن (٢٢٩/٤ ، ٢٣٠) .

(٢) شرح السنة (١٨٣/١٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥) .

عن طريق النجوم والنظر فيها كأخبارهم عن أوقات مجئ المطر وهبوب الرياح ، وتغير الأسعار ، وما كان يماثلها من الأمور ، حيث أنهم يدعون أن للكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها تأثيراً في الأمور السفلية والتنجيم بهذا يكون من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو نوع من أنواع السحر ، لأنه ضرب من التخييل والايهام وهو شرك ، لأن فيه استعانة بغير الله سبحانه وتعالى .

وأما تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول فهذا رخص فيه كثير من العلماء لحصول المنفعة به وهو وسيلة الى معرفة أوقات العبادات والاهتداء به الى الجهات .

قال الخطابي رحمه الله تعالى : " فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه ، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئا بأكثر من أن الظل مادام متناقصا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي واذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الافق الغربي ، وهذا علم يصح ادراكه من جهة المشاهدة ، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته ، وأما ما يستدل به من جهة النجوم على جهة القبلة فإنما هي كواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة ويشاهدوها في حال الغيبة عنها ، فكان ادراكهم الدلالة منها بالمعاينة وادراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذ كانوا

غير متهمين فى دينهم ولا مقصرين فى معرفتهم (١) .

وقد كره بعض العلماء تعلم منازل القمر سدا لباب الشرك وحسما لمادته .

وقد تكلم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى عن مسألة التنجيم وبين أن هذا النوع من العلم ينقسم إلى قسمين : علم تسيير وعلم تأثير، وقد نقل بعض أقوال أهل العلم فى جواز علم التسيير الذى به تعرف القبلة وأوقات الصلاة ، أما علم التأثير فقد بين أنه باطل ومحرم وقد ذكر الادلة التى تبين بطلانه وحرمته فقال رحمه الله تعالى : " وكان النخعى (٢) لا يرى بأسا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدى به ورخص فى تعلم منازل القمر أحمد واسحاق ، ويتعلم من أسماء النجوم ما يهتدى به ، وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما ، وقال طاووس : (٣) رب ناظر فى النجوم ومتعلم حروف أبى جاد (٤) ليس له

---

(١) معالم السنن (٤/ ٢٣٠) وانظر تيسير العزيز الحميد (ص٣٩٣)

(٢) أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى اليمانى ثم الكوفى ، الإمام الحافظ ، فقيه العراق وأحد الأعلام ، وكان واسع الرواية ، كبير الشأن ، توفى سنة ٩٦ هـ .
طبقات ابن سعد (٦/ ٢٧٠) ووفيات الأعيان (١/ ٢٥) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠) .

(٣) طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن الفارسى اليمنى ، الفقيه الحافظ عالم اليمن ، كان ثقة عابدا ، توفى سنة ١٠٦ هـ .
طبقات ابن سعد (٥/ ٥٣٧) ووفيات الاعيان (٢/ ٥٠٩) ، وغاية النهاية فى طبقات القراء (١/ ٣٤١) .

(٤) هى الحروف المرتبة فى الكلمات التالية : أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّي كَلَمُنْ سَعْفَصْ قَرَشَتْ ثَخَذْ ضَظَغْ . وقد استعمل هذا الترتيب للعدد

===

عند الله خلاق " خرجه حرب ، وخرجه حميد بن زنجويه (١) من رواية طاووس عن ابن عباس . (٢)

وهذا محمول على علم التأثير لا علم التسيير ، فإن علم التأثير باطل محرم ، وفيه ورد الحديث المرفوع " ومن اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ، خرجه أبو داود (٣) من حديث ابن عباس مرفوعا .

=== والحساب والتاريخ بجعل كل حرف دالا على عدد .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الصواب أن هذه ليست أسماء لمسميات ، وانما ألفت ليعرف تأليف الأسماء من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم ... ثم كثير من أهل الحساب صاروا يجعلونها علامات على مراتب العدد وآخرون من أهل الهندسة والمنطق يجعلونها علامات على الخطوط المكتوبة أو على ألفاظ الاقيسة المؤلفة. مجموع الفتاوى (٦٢/١٢) وانظر المزهر للسيوطي (٣٤٢/٢) وتاج العروس (٤٠٢/٧) والفهرسة والترتيب المعجمي (ص٥٨) .

(١) حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي أبو أحمد المشهور بابن زنجويه ، الامام الحافظ ، وكان أحد الأئمة المجودين ، قال أبو حاتم البستي : هو الذي أظهر السنة بنسا ، له مؤلفات مفيدة منها : كتاب الأموال ، توفي سنة ٢٥١ هـ .
تاريخ بغداد (١٦٠/٨) وطبقات الحنابلة (١٥٠/١) وتذكرة الحفاظ (٥٥٠/٢) .

(٢) أثر ابن عباس أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٦/١١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٩/٨) .

(٣) أبو داود : كتاب الطب ، باب في النجوم (٢٢٦/٤) وأخرجه أيضا أحمد (٢٢٧/١) وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب تعلم النجوم (٣٧٢٦) والطبراني في الكبير (١٣٥/١١) ،

===

وخرج أيضا من حديث قبيصة مرفوعا " العيافة والطيرة والطرق من الجبت ".(١) والعيافة: زجر الطير ، والطرق: الخط فى الأرض .

فعلم تأثير النجوم باطل محرم ، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر .

وأما علم التسيير ، فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطريق ، كان جائزا عند الجمهور ، وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه ، وربما أدى التدقيق فيه إلى اساءة الظن بمحاريب المسلمين فى أمصارهم كما وقع ذلك كثيرا من أهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يفضى إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين فى صلاتهم فى كثير من الأمصار وهو باطل ".(٢)

=== والبيهقى فى السنن (٨/١٣٨) .
وقال النووى فى رياض الصالحين (٦٣٧) اسناده صحيح ،
وقال الذهبى فى الكبائر (١٢٣) رواه أبو داود بسند صحيح
وقال العراقى فى تخريج الاحياء (٤/١١٧) أخرجه
أبو داود وابن ماجه بسند صحيح .

(١) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ، باب فى الخط وزجر الطير (٤/٢٢٩) وأحمد (٣/٤٧٧) والنسائى كما فى تحفة الاشراف (٨/٢٧٥) والطبرانى فى الكبير (١٨/٣٦٩) ، والبيهقى فى السنن (٨/١٣٩) وحسنه النووى كما فى فيض القدير للمناوى (٤/٣٩٥) .

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ٩ — ١٢) .

٢ ـ التطير والتشاؤم

الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشاؤم بالشيء وهو مصدر تطير.(١)

يقول ابن عبد البر رحمه الله تعالى : " أصل التطير واشتقاقه عند أهل العلم باللغة والسير والأخبار هو مأخوذ من زجر الطير ومروره سانحا أو بارحا ، منه اشتقوا التطير ، ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان ، فتطيروا من الأعور والأعضب والأبتر ..."(٢)

والتشاؤم مأخوذ من الشؤم وهو ضد اليمن تقول : تشاءمت بالشيء وتيمنت به .(٣)

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : " كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها ، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحا ، وما تياسر منها سموه بارحا ، وما استقبلهم منها فهو الناطح ، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد ، فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح ، ومنهم من يرى خلاف ذلك ".(٤)

وقد جاء الاسلام بتطهير القلوب من كل شوائب الشرك التي منها التطير بالأشخاص والأماكن والأزمان ، واعتقاد أنها هي السبب في بعض ما يصيب الانسان .

---

(١) النهاية لابن الأثير (١٥٢/٣) وانظر الصحاح (٧٢٨/٢) .

(٢) التمهيد (٢٨٢/٩) .

(٣) انظر : الصحاح (١٩٥٧/٥) والنهاية لابن الأثير (٥١٠/٢)

(٤) مفتاح دار السعادة (٢٢٩/٢) .

ولقد حرم الاسلام الطيرة وعدها من الشرك ، لأن المتطير يعتقد أن شيئا من المخلوقات ينفع أو يضر ، ولأن فى ذلك اغفالا للخالق سبحانه وتعالى ، وثلبا لعقيدة الايمان بالقضاء والقدر .

وفى الواقع أن التطير والطيرة لا تضر إلا من اعتقدها ، فإنك تجد معتقدها دائم الخوف قلق النفس مضطرب الفكر والرأى والتصرفات ، وتجد عنده من التردد وضعف اليقين وقلة التوكل وسوء الظن ما يعكر عليه صفو حياته ويوهن عقيدته ويفتح للشيطان أبوابه[1] .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن مسألة التطير وبين أنها من الأعمال الشركية التى كان يفعلها أهل الجاهلية ، وذكر الادلة التى تدل على تحريم الطيرة والنهى عنها فقال :" والطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر ، وقد حكاها الله تعالى فى كتابه عن قوم فرعون[2] وقوم صالح[3] وأصحاب القرية[4] التى جاءها المرسلون ، وقد ثبت عن

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٠ — ٢٣١) .

(٢) وهو فى قوله تعالى : (فإذا جاءتهم الحسنة ، قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون) سورة الاعراف آية (١٣١) .

(٣) وهو فى قوله تعالى (قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) سورة النمل آيه (٤٧) .

(٤) وهو قوله تعالى (قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ، قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون) سورة يس آيه (١٨ ، ١٩) .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : " ولا صفر " فاختلف فى تفسيره فقال كثير من المتقدمين الصفر : داء فى البطن يقال انه دود فيه كبار كالحيات وكانوا يعتقدون أنه يعدى فنفى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم، وممن قال هذا من العلماء ابن عيينة والامام أحمد وغيرهما ، ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلا فى قوله " لا عدوى " وقد يقال هو من باب عطف الخاص على العام وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى .

وقالت طائفة بل المراد بصفر شهر ثم اختلفوا فى تفسيره على قولين

أحدهما : أن المراد نفى ماكان أهل الجاهلية يفعلون فى النسىء فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفراً مكانه وهذا قول مالك ..

والثانى : أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يستشاءمون بصفر، ويقولون إنه شهر شؤم . فأبطل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولى (١) عمن سمعه يقول ذلك .

=== والنسائى : كتاب الجنائز ـ باب أرواح المؤمنين (٤/ ١٠٨) ، وقال الألبانى فى تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٦) صحيح .

(١) محمد بن راشد المكحولى الخزاعى أبو عبدالله الدمشقى ، قال أبو حاتم : كان صدوقا حسن الحديث ، وقال ابن حبان : كان من أهل الورع والنسك ولم يكن الحديث من صنعته وكثر المناكير فى روايته فاستحق الترك ، توفى قبل السبعين ومائة . الجرح والتعديل (٧/ ٢٥٣) والمجروحين (٢/ ٢٥٣) وميزان الاعتدال (٣/ ٥٤٣) وتهذيب التهذيب (٩/ ١٥٨) .

ولعل هذا القول أشبه الاقوال ، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه ، والتشاؤم بصفر من جنس الطيرة المنهى عنه وكذلك التشاؤم بالايام كيوم الاربعاء ...

وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة ، وقد قيل أن أصله أن طاعونا وقع فى شوال فى سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس ، فتشاءم بذلك أهل الجاهلية ، وقد ورد الشرع بابطاله ، قالت عائشة رضى الله عنها : " تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال ، فأى نسائه كان أحظى عنده منى (١) (٢) ...

فنخلص من هذا كله أن الطيرة شرك تنافى كمال التوحيد ، وقد يكون التطير منافيا للتوحيد بالكلية إذا اعتقد أنه هو الذى يجلب إليه النفع أو يدفع عنه الضر ، والله أعلم .

٣ ـ الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم " لا عدوى " وقوله " فر من المجذوم فرارك من الأسد " وقوله " لا يورد ممرض على مصح "

أشكل على العلماء قوله صلى الله عليه وسلم " لا عدوى ولا طيرة " (٣) مع قوله صلى الله عليه وسلم : " وفر من المجذوم فرارك من الأسد " (٤)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب النكاح ـ باب استحباب التزوج والتزويج فى شوال (١٠٣٩/٢) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٧٤ ، ٧٥) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الطب ـ باب لا صفر (١٩/٧) ، ومسلم : كتاب السلام ـ باب لا عدوى ولا طيرة (١٧٤٣/٤)

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الطب ، باب الجذام (١٧/٧) .

وقوله : " لا يورد ممرض على مصح "[1] ونهيه صلى الله عليه وسلم عن الدخول إلى أرض الطاعون أو الخروج منها[2] ، وقد أجابوا عن ذلك بأجوبة كثيرة :

١ — فطائفة منهم ردت حديث أبي هريرة " لا عدوى " وقالوا إن أبا هريرة رضي الله عنه رجع عن ذلك ، والأحاديث الدالة على الاجتناب أكثر فالمصير إليها أولى .

٢ — وطائفة أخرى عكست القول وأخذوا بحديث " لا عدوى " وتركوا الأخذ بالأحاديث الأخرى التي فيها الامر بالاجتناب ، وأعلوا بعضها بالشذوذ كحديث " فر من المجذوم فرارك من الأسد " وأن عائشة رضي الله عنها أنكرته وقالت : " ولكنه قال :"لاعدوى" وقال : " فمن أعدى الأول " .

وهذان القولان لا يسلمان من المآخذ .

أما الأول : فقولهم إن أبا هريرة راوي حديث " لا عدوى "رجع عنه . . . فإن هذا لا يضر لأن الحديث قد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وابن عمر وغيرهم فنسيان أبي هريرة لا يضر .

وأما القول الثاني : فقولهم باعلال حديث " فر من المجذوم " فإن ذلك لا يضر لأن أحاديث الاجتناب الأخرى ثابتة .

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الطب - باب الجذام (١٧/٧) ، ومسلم : كتاب السلام - باب لا عدوى ولا طيرة (١٧٤٣/٤)

(٢) سبق ايراد الحديث وتخريجه (ص ٣٣٣) .

٣ — وقالت طائفة أخرى إن أحاديث النفي مخاطب بها قوى الايمان وأحاديث الاثبات مخاطب بها ضعيف الايمان .

قال صاحب تيسير العزيز الحميد : " وهذا القول فيه نظر "(١)

٤ — وقال طائفة : إن قوله صلى الله عليه وسلم " لا عدوى " نفى لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من اضافة الفعل لغير الله تعالى وأن هذه الامراض تعدى بطبعها والا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح للمريض سببا لحدوث المرض وانتقاله إلى الصحيح .

ولعل القول الأخير هو أرجح الأقوال وأحسنها وقد رجحه طائفة من العلماء(٢) .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه المسألة وذكر بعض أقوال العلماء فيها ورجح القول الأخير فقال :" وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، فقال أعرابى يارسول الله فما بال الإبل تكون فى الرحل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن أعدى الأول "(٣)

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٧٢) .

(٢) انظر : حكاية هذه الأقوال فى فتح البارى لابن حجر (١٠ / ١٦٠ — ١٦٢) وتيسير العزيز الحميد (ص ٣٧١ — ٣٧٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٦٨) .

أما العدوى فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه إلى من يقارنه من الأصحاء ، فيمرض بذلك ، وكانت العرب تعتقد ذلك فى أمراض كثيرة منها الجرب ، ولذلك سأل الاعرابى عن الأبل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب فتجرب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " فمن أعدى الأول " ومراده أن الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره فكذلك الثانى وما بعده .

وقد وردت أحاديث أشكل على كثير من الناس فهمها حتى ظن بعضهم أنها ناسخة لقوله : " لا عدوى " مثل ما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا يورد ممرض على مصح "[١] والممرض صاحب الابل المريضة ، والمصح صاحب الابل الصحيحة . والمراد النهى عن إيراد الابل المريضة على الصحيحة ومثل قوله صلى الله عليه وسلم " فر من المجذوم فرارك من الأسد "[٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى الطاعون : " إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها "[٣] ودخول النسخ فى هذا كما تخيله بعضهم لا معنى له ، فإن معنى قوله " لا عدوى " خبر محض لا يمكن نسخه ، إلا أن يقال هو نهى عن اعتقاد العدوى لا نفى لها ، ولكن يمكن أن يكون ناسخا للنهى فى هذه الاحاديث الثلاثة وما فى معناها .

والصحيح الذى عليه جمهور العلماء أنه لا نسخ فى ذلك كله ، ولكن اختلفوا فى معنى قوله " لا عدوى " وأظهر ما قيل فى ذلك أنه نفى

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٦٩) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٦٨) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٣٣) .

اما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن هذه الأمراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك ، ويدل على ذلك قوله " فمن أعدى الأول " يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره فكذلك الثانى وما بعده ، خرج الامام أحمد والترمذى من حديث ابن مسعود قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " لا يعدى شىء شيئا " (قالها ثلاثا) فقال أعرابى يارسول الله النُّقْبة (١) من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه فى الابل العظيمة فتجرب كلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما أجرب الأول ، لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصابها ورزقها " (٢) .

فأخبر أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) (٣) فأما نهيه صلى الله عليه وسلم عن ايراد الممرض ، وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول الى موضع الطاعون ، فإنه من باب اجتناب الأسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها أسبابا للهلاك والأذى

---

(١) النقبة : بضم النون وسكون القاف قال ابن الأثير ، أول شىء يظهر من الجرب وجمعها نقب بسكون القاف ، لأنها تنقب الجلد أى تخرقه . النهاية لابن الأثير (٥/ ١٠١) .

(٢) مسند أحمد (١/ ٤٤٠) وسنن الترمذى : كتاب القدر باب ماجاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر (٤/ ٤٥٠) .
وقد سبق حديث أبى هريرة (ص ٤٧١) وهو بمعناه .

(٣) سورة الحديد آية (٢٢) .

والعبد مأمور باتقاء أسباب البلاء إذا كان فى عافية منها ، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه فى الماء أو فى النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يؤذى . فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم ، أو القدوم على بلد الطاعون ، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف ، والله تعالى هو خالق الاسباب ومسبباتها ولا خالق غيره ولا مقدر غيره .

وأما إذا قوى التوكل على الله تعالى والايمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الاسباب اعتمادا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ، ففى هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لاسيما إذا كان فيه مصلحة عامة أو خاصة .

وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذى خرجه أبو داود والترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه فى القصعة ثم قال : " كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه "(١) وقد أخذ به الامام أحمد ، وروى ذلك عن عمر وابنه وسلمان رضى الله عنهم ، ونظير ذلك ما روى عن خالد بن الوليد رضى الله عنه من أكل السم، ومنه مشي

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ـ باب الطيرة (٤/٢٣٩) ، والترمذى : كتاب الأطعمة ـ باب الأكل مع المجذوم (١٨١٨) وقال حديث غريب ، وابن ماجه : كتاب الطب ـ باب الجذام (٣٥٤٢) والحاكم (٤/١٣٦) وقال : حديث صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبى .

سعد بن أبى وقاص وأبى مسلم الخولانى [1] بالجيوش على متن البحر . . .

فهذا كله لا يصلح الا لخواص من الناس قوى ايمانهم بالله وقضائه وقدره وتوكلهم عليه وثقتهم به [2] .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " فإن جميع النعم من الله وفضله كما قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله) [3] (وما بكم من نعمة فمن الله) [4] ، ولا تضاف النعم إلى الاسباب بل إلى مسببها ومقدرها كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى بهم الصبح فى أثر سماء ثم قال أتدرون ما قال ربكم الليلة ، قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما المؤمن فقال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما الكافر فقال : مطرنا بنوء [5] كذا وكذا

---

(١) أبو مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني الداراني . قال العجلى : " تابعى ثقة ، من كبار التابعين وعبادهم " ، وقال ابن عبد البر : " أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معدود من كبار التابعين ، وكان ناسكا عابدا ، له كرامات وفضائل " توفى رحمه الله تعالى سنة ٦٢ هـ .
تاريخ الثقات للعجلى (ص ٥١١) والاستيعاب لابن عبد البر (١٧٥٧/٤) وسير أعلام النبلاء (٧/٤) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٦٧ — ٦٩) .

(٣) سورة النساء آية (٧٩) .

(٤) سورة النحل آية (٥٣) .

(٥) نوء : جمعها أنواء وهى منازل القمر وهى ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة فى منزلة منها ، ومنه قوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل) سورة يس آيه (٣٩) .

===

فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب" . (١)

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر" (٢) وهذا يدل على أن المراد نفى تأثير هذه الاسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه ، فمن أضاف شيئا من النعم إلى غير الله مع اعتقاد أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة . ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع من الشرك الخفى (٣)

٤ ـ معنى قوله صلى الله عليه وسلم :" لا عدوى ولا طيرة والشؤم فى ثلاث

جاءت بعض الأحاديث التى ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة ، ومن ذلك حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " لا عدوى ولا طيرة والشؤم فى ثلاث فى المرأة والدابة والدار" (٤) وفى رواية عند مسلم :

=== وكانت العرب فى الجاهلية تقول : إذا سقط منها نجم ، وطلع آخر لابد أن يكون عند ذلك مطر ، فينسبون كل مطر يكون عند ذلك إلى النجم ويقولون مطرنا بنوء كذا .
وانما سمى نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ، ينوء نوءا أى نهض وطلع .
النهاية لابن الأثير (٥/١٢٢) .

(١) أخرجه البخارى : كتاب المغازى ـ باب غزوة الحديبية (٥/٦٢) ومسلم : كتاب الايمان ـ باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء (١/٨٣) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٦٨) .

(٣) لطائف المعارف (ص ٧٠ ، ٧١) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الطب ـ باب الطيرة (٧/٢٧) ومسلم كتاب السلام ـ باب الطيرة والفأل ومايكون فيه من الشؤم (٤/١٧٤٧)

" إن كان الشؤم فى شئ ففى الفرس والمسكن والمرأة "(١)

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة وبألفاظ مختلفة ، فقد رواه عبد الله بن عمر وأبو هريرة وسهل بن سعد وجابر وغيرهم .

وقد تكلم العلماء رحمهم الله تعالى على هذا الحديث وأجابوا عنه بعدة أجوبة :

١ - فقال بعضهم : هذا مستثنى من الطيرة المنهى عنها ، فإذا كره الرجل دارا سكنها أو امرأة صحبها أو فرسا أو خادما فليفارق الجميع بالبيع والطلاق ونحوه فإنها مشؤومة .(٢)

٢ - وقال آخرون : لم يجزم النبى صلى الله عليه وسلم بالشؤم فى هذه الثلاث بل علقه على الشرط ... وهو قوله " إن كان " وغلطوا الراوى فى روايته بالجزم دون الشرط .

قال فى تيسير العزيز الحميد : " ولا يصح تغليطه مع امكان حمله على الصحة ، ورواية تعليقه بالشرط لا تدل على نفى رواية الجزم "(٣)

٣ - وقالت طائفة أخرى : إن الشؤم فى هذه الأشياء إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه ، أما من توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشئومة عليه ، قالوا ويدل عليه

---

(١) صحيح مسلم : كتاب السلام - باب الطيرة والفأل ، وما يكون فيه من الشؤم (١٧٤٧/٤) .

(٢) انظر : شرح السنة للبغوى (١٧٨/١٢ ، ١٧٩) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٧٦) .

حديث أنس " لا طيرة والطيرة على من تطير ". (١)

٤ — وهناك قول لعائشة رضى الله عنها وهو إنكارها لهذا الحديث حيث قالت : " والذى أنزل القرآن على أبى القاسم ما هكذا كان يقول ، ولكن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " كان أهل الجاهلية يقولون الطيرة فى المرأة والدار والدابة ثم قرأت عائشة قول الله تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب) (٢) إلى آخر الآية . (٣)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " ... ولكن قول عائشة هذا مرجوح ، ولها رضى الله عنها اجتهاد فى رد بعض الأحاديث الصحيحة خالفها فيه غيرها من الصحابة ، وهى رضي الله عنها لما ظنت أن هذا الحديث يقتضى إثبات الطيرة التى هى من الشرك لم يسعها غير تكذيبه ورده ، ولكن الذين رووه ممن لا يمكن رد روايتهم ، ولم ينفرد بهذا أبو هريرة وحده ، ولو انفرد به فهو حافظ الأمة ". (٤)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٦٥) .
(٢) سورة الحديد (آية ٢٢) .
(٣) أخرجه أحمد (٦/٢٤٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١٠٤) رجاله رجال الصحيح .
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/٢٥٤) .

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى : " ولا معنى لانكار ذلك على أبي هريرة مع موافقته من ذكرنا من الصحابة في ذلك ".(١)

وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى بعض هذه الأقوال(٢) ثم قال : " والتحقيق أن يقال في اثبات الشؤم في هذه الثلاث ... أن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه ، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جبلت عليه ، ويستعيذ به من شرها وشر ما جبلت عليه كما في حديث عمرو(٣) ابن شعيب عن أبيه(٤) عن جده(٥) عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي

---

(١) فتح الباري (٦/٦١) .

(٢) انظر حكاية هذه الأقوال في مفتاح دار السعادة (٢/٢٥٣ — ٢٥٧) وطرح التثريب (٨/١٢٠ — ١٢٣) وفتح الباري (٦/٦١ ، ٦٢) وتيسير العزيز الحميد (ص ٣٧٦—٣٧٧) .

(٣) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أبو إبراهيم السهمي ، اضطرب قول أئمة الجرح والتعديل فيه ، وغالبهم على توثيقه ، وانما أنكروا عليه بعض رواياته عن أبيه عن جده ، وهو ثقة في نفسه ، قال ابن حجر في التقريب " صدوق " أخرج له الأربعة . توفي سنة ١١٨ هـ .
الجرح والتعديل (٦/٢٣٨) وميزان الاعتدال (٣/٢٦٣) ، وتهذيب التهذيب (٨/٤٨) وتقريب التهذيب (ص ٢٦٠) .

(٤) أبوه هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، روى عن جده الأعلى عبد الله بن عمرو بن العاص . قال ابن حجر : "صدوق ، ثبت سماعه من جده".
الجرح والتعديل (٤/٣٥١) وسير اعلام النبلاء (٥/١٨١) ، وتقريب التهذيب (ص ١٤٦) .

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الصحابي الجليل .

أخرجه أبو داود [(١)] وغيره ، وكذا ينبغي لمن سكن دارا أن يفعل ذلك وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم قوما سكنوا دارا فقل عددهم وقل مالهم أن يتركوها ذميمة [(٢)] فترك مالا يجد الانسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهى عنه وكذلك من اتجر في شئ فلم يربح فيه ثلاث مرات فانه يتحول عنه [(٣)] .

بهذا يتبين أن الشؤم موجود في بعض الأشياء لكن التشاؤم بهذه الأشياء هو الممنوع ، فالواجب على المسلم أن يعتقد أن كل شيء من الله تعالى ، ولا مانع من أن يبتعد عن الاعيان المشئومة حقا لا ما يتوهمه أو يوسوس له الشيطان فيه ، لأن الاسترسال في ذلك يفتح له أبوابا من الشيطان تفسد عليه دينه وحياته .

أما وجه تخصيص هذه الثلاثة بالذكر ، فقيل إن الحصر فيها بالنسبة إلى العادة لا بالنسبة إلى الخلقة ، وقيل إنما خصت بالذكر لطول ملازمتها .

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب النكاح ـ باب في جامع النكاح (٢/٦١٦) وابن ماجه : كتاب النكاح ـ باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله (١/٦١٧) والحاكم (٢/١٨٥) وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي . والبيهقي في السنن الكبرى (٧/١٤٨) وقال العراقي : اسناده جيد . تخريج الاحياء (١/٣٢٨) .

(٢) أخرجه أبو داود : كتاب الطب ـ باب في الطيرة (٤/٢٣٩) ، والبخاري في الأدب المفرد ـ باب الشؤم في الفرس (ص ٣٠٧) ومالك في الموطأ (٢/٩٧٢) وعبد الرزاق في مصنفه (١٠/٤١١) وقال ابن حجر في الفتح (٦/٦٢) ان اسناد عبد الرزاق صحيح .

(٣) لطائف المعارف (ص ١٥٧) .

وقال المازرى :(١) مجمل هذه الرواية : إن يكن الشؤم حقا فهذه الثلاثة أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها .(٢)

وقال صاحب فيض القدير : وخص الثلاثة بالذكر لكونها أعم الأشياء التى يتداولها الناس .(٣)

٥ ـ النهى عن البناء على القبور واتخاذها مساجد

لقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته عن اتخاذ القبور مساجد ونهاهم عن ذلك نهيا شديدا . والاحاديث التى تدل على النهى عن ذلك كثيرة :

منها حديث جندب بن عبد الله البجلى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول :

" . . . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك ".(٤)

---

(١) محمد بن على بن عمر بن محمد التميمى المازرى المالكى ، الشيخ الامام ، كان بصيرا بعلم الحديث ، قال عنه القاضى عياض : " لم يكن فى عصره للمالكية فى أقطار الأرض أفقه منه بمذهبهم " توفى سنة ٥٣٦ هـ .
وفيات الأعيان (٤ / ٢٨٥) وسير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٠٤) ، وشذرات الذهب (٤ / ١١٤) .

(٢) فتح البارى (٦ / ٦١) .

(٣) فيض القدير (٣ / ٣٣) .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهى عن بناء المساجد على القبور (١ / ٣٧٧) .

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ".(١)

ومنها حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال – وهو كذلك – " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا .(٢)

ومنها حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ".(٣)

إلى غير ذلك من الاحاديث الدالة على تحريم بناء المساجد على القبور لأن ذلك يفضي إلى الغلو فيها وعبادة أهلها من دون الله تعالى .

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة – باب حدثنا أبو اليمان (١/١١٢) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن بناء المساجد على القبور ... (١/٣٧٦).

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة – باب حدثنا أبو اليمان (١/١١٢) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/٣٧٧) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة – باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ، ويتخذ مكانها مساجد (١/١١٠) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب النهي من بناء المساجد على القبور ... (١/٣٧٥) .

وقد تكلم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه المسألة وأوضحها وبينها في فتح الباري عند شرحه للأحاديث الواردة في البخاري عنها، فقال رحمه الله تعالى عند شرحه لحديث عائشة السابق : " هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين ، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى ، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراده ، فتصوير صور الادميين يحرم ، وبناء القبور على المساجد بانفراده يحرم ، كما دلت عليه نصوص أخر ، يأتي ذكر بعضها ، وقد ذكر البخاري في تفسير سورة نوح من روى هذا من حديث ابن جريج قال عطاء عن ابن عباس : " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب تعبد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع كانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير ، لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن نصبوا إلى مجالسهم

التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت " (١) ... فإن اجتمع بناء المساجد على القبور مع تصوير صورهم فلا شك فى تحريمه سواء كانت صورا متخذة كالأصنام أو على حائط ونحوه كما تفعله النصارى فى كنائسهم والتصاوير التى فى الكنيسة التى ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتاها بالحبشة كانت على الحيطان ونحوها ، ولم يكن لها ظل ، فتصوير الصور على مثال صور الأنبياء والصالحين للتبرك بها والاستشفاع بها يحرم فى دين الاسلام ، وهو من جنس عبادة الأوثان ، وهو الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، وتصوير الصور للتأسى برؤيتها أو للتنزه بذلك ، والتلهى محرم ، وهو من الكبائر ، وفاعله من أشد الناس عذابا يوم القيامة ، فإنه ظالم ممثل بأفعال الله تعالى التى لا يقدر على فعلها غيره ، وأنه تعالى ليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله سبحانه وتعالى " (٢) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الامم قبلهم الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدا كما صنعت الوثنية بالاوثان التى كانوا يسجدون إليها ويعظمونها وذلك الشرك الأكبر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما فى ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم من امتثال طرقهم ، وكان رسول الله صلى اللهعليهوسلم

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، باب (ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا) (٦/٧٣) .

(٢) فتح البارى (ص٨٢/ب) ، (٨٣/أ) .

يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار وكان يخاف على أمته اتباعهم ، ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن الذين كانوا من قبلكم حذو النعل بالنعل حتى إن أحدهم لو دخل جحر ضب لدخلتموه (١) وكان يحذر من ذلك فى مرض موته كما فى حديث جندب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل موته بخمس ، وفى مسند الامام أحمد من حديث أبى عبيدة بن الجراح قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب ، وأعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٢)

وقد روى هذا المعنى عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه قال ذلك فى مرض موته من حديث علي وأسامة بن زيد وكعب بن مالك وغيرهم .

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الاعتصام - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من كان قبلكم" (١٥١/٨) ومسلم : كتاب العلم - باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٤/ ٢٠٥٤)
كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب ، لأتبعتموهم ، قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى قال : فمن"

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٤) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأخرجه أيضا الدارمى فى سننه (٢/ ٢٣٣) والحميدى فى مسنده (١/ ٤٦) وأبو داود الطيالسى فى مسنده (ص ٢٢٩) والبيهقى فى السنن الكبرى (٩/ ٢٠٨)
قال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٣٢٥) رواه أحمد بأسانيد ورجال الطريقين منها ثقات متصل إسنادهما .
وله شواهد سبقت فى (ص ٤٨١) .

وخرج الامام أحمد حديث أسامة بن زيد ولفظه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أدخل على أصحابي فدخلوا عليه فكشف القناع ثم قال : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ... (١) (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " اتخاذ القبور مساجد ليس هو من شريعة الاسلام بل هو من عمل اليهود وقد لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ... وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث وهو قول الله عز وجل في قصة أصحاب الكهف (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) . (٣)

فجعل اتخاذ القبور مساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور وذلك يشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتبعين لما أنزل الله على رسله من الهدى " (٤)

ولذلك يقول رحمه الله تعالى : " فالعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي ، فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك ، وكذلك مخالطة أهل المعاصي ، ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو إليها من شياطين الأنس ، وهم أضر من شياطين الجن " (٥)

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٠٤) .

(٢) فتح الباري ورقه (٩١/ب) .

(٣) سورة الكهف آية (٢١) .

(٤) فتح الباري ورقه (٨١/أ) .

(٥) لطائف المعارف (ص ٧٧) .

ويقول رحمه الله تعالى أيضـا : " وفي الجملة فلا شؤم إلا المعاصي والذنوب ، فإنها تسخط الله عز وجل ، فإذا سخط الله على عبده شقي في الدنيا والآخرة كما انه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة . (١)

وبهذا نعلم صحة ما ذهب إليه ابن رجب رحمه الله تعالى من حرمـة البناء على القبور واتخاذها مساجد كما قال بذلك سلف الأمة رحمهم اللـه تعـالى .

وهذا كله من سد باب الشرك ووسائله ، لأن الشارع الحكيم إذا حرم شيئا حرم أسبابه ووسائله ، واذا نهى عن شيء نهى عن كل ما يوصـل اليه ويقرب منه ومن ذلك ان الاسلام لما جاء بالنهي عن الشرك ، نهى عـن أسبابه وسد ذرائعه الموصلة إليه والمسببة له .

ولذلك كان البناء على القبور ووضع القباب لها واتخاذها مساجد سبـبـاً في وقوع الشرك، وهذه بلية مشاهدة في بلدان كثيرة وخصوصـا في زماننا هذا أن هذه المشاهد أصبحت تقصد وتشد الرحال إليها ويطلب من أهلها قضاء الحوائج وتحقيق المطالب ، ويقع عندها من الشرك والمنكرات مالا يشك معه عاقل من وجوب اقتلاع تلك الأبنية والقباب والمشاهد الوثنيـة وعدم ابقاء أي أثر لها .

والله أسأل أن يبصر المسلمين بأمور دينهم وأن يردهم للعمـل بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) لطائف المعارف (ص ٧٧) .

٦ ـ النهى عن سب الدهر

كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يسبوا الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بهم من موت أو تلف مال وربما لعنوه ، ويقولون : أباد هم الدهر وأصابتهم قوارع الدهر ، ويكثرون من ذكر ذلك فى أشعارهم، وكل ذلك فى الحقيقة إنما يرجع إلى الله سبحانه وتعالى ، لأنه هو المدبر لهذا الكون والخالق له ، والمصرف لهذا الدهر ، والدهر ليس له إرادة وانما هو ظرف مخلوق مسخر ومدبر بأمر الله تعالى ، فالسب والشتم فى الحقيقة والتسخط يعود إلى الله سبحانه وتعالى واعتقاد أن الزمان هو الفاعل حقيقة من عقيدة الجاهليين الذين ينفون الإله سبحانه وتعالى وينكرونه .

وقد حكى الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم عقيدتهم هذه ورد عليهم فقال عز وجل : (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) (١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية : " يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى إنكار المعاد (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أى ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة والالهيون منهم ... وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا

---

(١) سورة الجاثية آية (٢٤) .

قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر) قال الله تعالى (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) أى يتوهمون ويتخيلون .(١)

وقد ورد النهى عن سب الدهر فى أحاديث كثيرة لأن فى ذلك مشابهة للمشركين، ولأن السب فى الحقيقة إنما ينصرف إلى من بيده الأمور كلها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومما ورد فى النهى عن سب الدهر حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار ".(٢)

ومنها حديثه الآخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" قال الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم يقول : يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم : ياخيبة الدهر فإنى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما ".(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٠) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (٨/ ١٩٧) ومسلم : كتاب الأدب - باب النهى عن سب الدهر (٤/ ١٧٦٢) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الادب - باب النهى عن سب الدهر (٤/ ١٧٦٢) .

ومنها حديثه الآخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ".(١)

ومنها حديثه الآخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل قال : أنا الدهر ، الأيام والليالى لى أجددها وأبليها ، وآتى بملوك بعد ملوك "(٢)

قال المنذرى رحمه الله تعالى : " ومعنى الحديث أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم نازلة ، وأصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر اعتقادا منهم أن الذى أصابه فعل الدهر كما كانت العرب تستمطر بالأنواء ، وتقول مطرنا بنوء كذا اعتقادا أن فعل ذلك فعل الأنواء ، فكان هذا كاللعن الفاعل ، ولا فاعل لكل شئ إلا الله تعالى، خالق كل شئ وفاعله، فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ".(٣)

وقد وقع بعض المسلمين فى عصرنا الحاضر فيما وقع فيه هؤلاء المشركون الدهرية، فما نزال نسمع من الجهلة والمتعلمين سبابا للزمان

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الادب - باب النهى عن سب الريح (١٧٦٣/٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٦/٢) وقال الهيثمى فى المجمع (٧١/٨) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
وقال الألبانى : وهذا إسناد جيد . سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٨/٢).

(٣) الترغيب والترهيب (٤٨٢/٣).

والدهر كلما نزل بهم مكروه أو ضاقت بهم سبل الحياة وهذا ناتج عن ضعف الايمان والجهل بالدين ، والواجب على المسلم أن يرضى بقضاء الله وتدبيره حتى يتم له توحيده ، ومن وقع فى شىء من ذلك فليتب وليستغفر الله من ذلك .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذه المسألة فقال :

" وأعلم أن الذم الوارد فى الكتاب والسنة ليس هو راجعا إلى زمانها الذى هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة فإن الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ... وليس الذم راجعا إلى مكان الدنيا الذى هو الأرض التى جعلها الله لبنى آدم مهادا ومسكنا ، ولا إلى ما أنبته فيها من الزرع والشجر ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع ، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ، وانما الذم راجع إلى أفعال بنى آدم الواقعة فى الدنيا ، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته ، بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا تنفع كما قال تعالى : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) ...(١)(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره فغير صحيح ، وانما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه أفعال بنى آدم ، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك

---

(١) سورة الحديد آيه (٢٠) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٣٥٩ — ٣٦١) .

عليه ، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو شؤم عليه ، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى . (١)

فسب الدهر وشتمه لا يجوز بأى حال من الأحوال سواء اعتقد الساب أن الزمان والدهر فاعل حقيقة أو لم يعتقد ذلك لأن الحديث صريح فى النهى عن ذلك قال صاحب تيسير العزيز الحميد : " والحديث صريح فى النهى عن سب الدهر مطلقا سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك كما يقع كثيرا ممن يعتقد الاسلام " . (٢)

وقد بين ابن القيم رحمه الله تعالى أن من سب الدهر يقع فى ثلاث مفاسد عظيمة فقال : فى هذا ثلاث مفاسد عظيمة :

إحداها : سبه من ليس بأهل أن يسب ، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله ، منقاد لأمره ، مذلل لتسخيره ، فسابه أولى بالذم والسب منه .

الثانية : أن سبه متضمن للشرك ، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع ، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ، وأعطى من لا يستحق العطاء ، ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرم من لا يستحق الحرمان ، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة ، واشعار هؤلاء الظلمة الخونة فى سبه كثيرة جدا ، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه .

الثالثة : أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال

---

(١) لطائف المعارف (٧٦) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٤٥) .

التى لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ، واذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر ، وأثنوا عليه ، وفى حقيقة الأمر ، فرب الدهر تعالى هو المعطى المانع الخافض الرافع ، المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شيء ، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى ...

فساب الدهر دائر بين أمرين لابد له من أحدهما : إما سبه لله ، أو الشرك به ، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك ، وان اعتقد أن الله وحده هو الذى فعل ذلك وهو يسب من فعله ، فقد سب الله .(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (أنا الدهر) قال الخطابى : معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور .(٢)

وقال القاضى عياض(٣) رحمه الله تعالى : " زعم بعض من لا تحقيق

---

(١) زاد المعاد (٢/٣٥٤ ، ٣٥٥) .

(٢) أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى للخطابى (٣/١٩٠٤)

(٣) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسى أبو الفضل الحافظ المحدث الفقيه ، وهو إمام الحديث فى وقته ، وأعرف الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم، صنف كتبا كثيرة ، منها : الشفا فى شرف المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك فى ذكر فقهاء مذهب مالك وغيرها ، توفى سنة ٥٤٤ هـ .

الصلة لابن بشكوال (٢/٤٥٣)، ووفيات الأعيان (٣/٤٨٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٢) ونفح الطيب (٧/٣٣٣) .

له أن الدهر من أسماء الله ، وهو غلط فإن الدهر مدة زمان الدنيا[1].

وقال شيخنا فضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله ، وقوله (أنا الدهر) لا يدل على أنه تعالى اسمه الدهر ، لأنه فسره بقوله : " بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " فكونه تعالى بيده الأمر يقلب الليل والنهار هو معنى قوله (أنا الدهر)[2].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٥٦٦) .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/٣٥١) .

الباب الثالث

أثره في توضيح عقيدة السلف

في مباحث الإيمان وما يتعلق بها من مسائل

الباب الثـــالث

أثره فى توضيح عقيدة السلف فى مباحث الايمـــان

وما يتعلق بها من مســائل

وفيه عدة فصول :

الفصل الأول : معنى الايمان وبيان أهميته و ما يتعلق به من مسائل .

الفصل الثانى : الايمان بالرسل والملائكة والكتب .

الفصل الثالث : الايمان بالقضاء والقدر .

الفصل الرابع : الايمان باليوم الآخر .

الفصل الأول

معنى الإيمان وبيان أهميته

وما يتعلق به من مسائل

الفصـــل الأول

معنى الايمان وبيـــان أهميـــــته

وما يتعلق به من مسائـــل

وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول
تعريف الايمان لغة

الايمان مصدر من آمن يؤمن ايمانا ، فهو مؤمن ، وهو مشتق من الأمن .

قال الجوهرى : الايمان : التصديق ، والله تعالى المؤمن ، لأنه أمن عباده من أن يظالمهم ، وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية . . . والأمن ضد الخوف .(١)

وقال ابن منظور : الايمان ضد الكفر ، والايمان بمعنى التصديق ضده التكذيب ، يقال آمن به قوم وكذب به قوم .(٢)

وقال الراغب الاصفهانى : آمن إنما يقال على وجهين :

أحدهما : متعديا بنفسه يقال آمنته أى جعلت له الأمن ومنه قيل لله مؤمن .

والثانى : غير متعد ومعناه صار ذا أمن .

وقوله تعالى : (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)(٣) قيل معناه بمصدق لنا ، إلا أن الايمان هو التصديق الذى معه أمن .(٤)

وقال الفيروز أبادى : " الإيمان الثقة ، واظهار الخضوع(٥)

وخلاصة ماسبق أن الإيمان فى اللغة معناه التصديق الذى

---

(١) الصحاح (٥/٢٠٧١) .
(٢) لسان العرب (١٣/٢١) .
(٣) سورة يوسف آية (١٧) .
(٤) المفردات (ص٢٦) .
(٥) القاموس المحيط (ص١٥١٨) .

معه آمن ، وليس مجرد التصديق يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ... فإن الإيمان مشتق من الأمن ، فإنما يستعمل فى خبر يؤتمن عليه المخبر كالامر الغائب الذى يؤتمن عليه المخبر ، ... فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان أو الأمانة ، كما يدل عليه الاشتقاق والاستعمال ، ولهذا قالوا : (وما أنت بمؤمن لنا) (١) أى لا تقر بخبرنا ولا تثق به ، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين ، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك ، فلو صدقوا لم يأمن لهم ... (٢)

المبحث الثالث
تعريف الايمان شرعا

من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية ، وأن الأعمال كلها داخلة فى مسمى الإيمان ، وحكى الشافعى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم ، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارا شديدا ...

قال الثورى : هو رأى محدث أدركنا السلف على غيره . (٣)

---

(١) سورة يوسف آية (١٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١) .

(٣) أخرجه ابن بطه فى الابانة الكبرى (٢/ ٩٠٣) .

وقال الأوزاعى : وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار : أما بعد ، فإن الإيمان فرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ... (١)

وقد دل على دخول الأعمال فى الإيمان قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) (٢) الآية

وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبد قيس : " آمركم بأربع : الإيمان بالله وحده ، وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس " . (٣)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " (٤) ولفظه لـ " مسلم " .

---

(١) أخرجه البخارى معلقا فى كتاب الايمان (١ / ٨) وأخرجه موصولا ابن أبى شيبة فى الإيمان (٤٥) .

(٢) سورة الأنفال آيه (٢) .

(٣) صحيح البخارى : كتاب الايمان - باب أداء الخمس من الإيمان (١ / ٢١) و صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله (١ / ٣٥)

(٤) صحيح البخارى : كتاب الإيمان - باب الحياء من الإيمان (١ / ١١) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب عدد شعب الإيمان (١ / ٤٦) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن "(١) فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مركتب شىء منها ، لأن الاسم لا ينتفى إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته (٢)

وقال رحمه الله تعالى عند قوله صلى الله عليه وسلم : " اللهم زينا بزينة الايمان ، وأجعلنا هداة مهتدين "(٣) قال : أما زينة الإيمان ، فالإيمان قول وعمل ونية ، فزينة الإيمان تشمل زينة القلب بتحقيق الإيمان له ، وزينة اللسان بأقوال الإيمان ، وزينة الجوارح بأعمال الإيمان .(٤)

ويقول رحمه الله تعالى: فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله ثم جهاد فى سبيل الله ثم حج مبرور "(٥) هذه الأعمال الثلاثة

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الحدود - باب الزنا وشرب الخمر (٨/ ١٣) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب نقصان الإيمان بالمعاصى (١/ ٧٦)

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٦١ — ٦٣) .

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤) والنسائى : باب الذكر بعد الدعاء (٣/ ٥٤) والحاكم (١/ ٥٢٤) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

(٤) شرح حديث عمار بن ياسر (ص ٤٨) .

(٥) صحيح البخارى : كتاب الإيمان - باب من قال أن الايمان هو العمل (١/ ١٢) وصحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١/ ٨٨) .

ترجع فى الحقيقة إلى عملين :

أحدهما : الإيمان بالله ورسوله وهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما فسر النبى صلى الله عليه وسلم الإيمان بذلك فى سؤال جبريل وغيره من الأحاديث وقد ذكر الله تعالى الإيمان بهذه الاصول فى مواضع كثيرة من كتابه كأول سورة البقرة ووسطها وآخرها .

والعمل الثانى : الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وقد جمع الله بين هذين الأصلين فى مواضع من كتابه كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) (١) الآية .
وقوله : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) (٢) وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه : " أن أفضل الأعمال الإيمان بالله والجهاد فى سبيل الله " (٣). فالإيمان المجرد تدخل فيه الجوارح عند السلف وأهل الحديث ، والإيمان المقرون بالعمل يراد به التصديق مع القول ، وخصوصا إن قرن الإيمان بالله بالايمان برسوله كما فى هذا الحديث ، فالإيمان القائم بالقلوب أصل كل خير ، وهو خير ما أوتيه العبد فى الدنيا والآخرة وبه يحصل له سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شقاوة الدنيا والآخرة ، ومتى رسخ الإيمان فى القلب انبعثت الجوارح كلها بالأعمال الصالحة واللسان والكلام الطيب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الصف آية (١٠ ، ١١) .
(٢) سورة الحجرات آيه (١٥) .
(٣) تقدم تخريجه (ص ٥٠٣) .

" الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب "(١) ولا صلاح للقلب بدون الإيمان بالله ومنا يدخل فى مسماه من معرفة الله وتوحيده وخشيته ومحبته ورجائه واجابته والانابة إليه والتوكل عليه ، قال الحسن : " ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكنه بما وقر فى الصدور ، وصدقته الأعمال "(٢)

ويشهد لذلك قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا)(٣)

فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته ظهر ثمرة ذلك على لسانه وجوارحه ، فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه ، واسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان فى القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده فى اليوم الشديد حره للظمآن الشديد عطشه ، ويصير الخروج من الإيمان أكره إلى القلوب من الالقاء فى النار وأمر عليها من الصبر .... فالإيمان بالله ورسوله وظيفة القلب واللسان ثم يتبعها عمل الجوارح وأفضلها الجهاد فى سبيل الله .(٤)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٥٢) .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الإيمان (ص ٣١) .

(٣) سورة الانفال آيه (٢ - ٤) .

(٤) لطائف المعارف (ص ٢٣٩ — ٢٤١) .

هذا ما قرره ابن رجب رحمه الله تعالى فى تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، وهذا التعريف هو التعريف الذى تضافرت الادلة على صحته من الكتاب والسنة ، وهو ما أجمع عليه سلف هذه الامة عليهم رحمة الله تعالى .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق بعض الأدلة من الكتاب والسنة التى تدل على صحة هذا التعريف وذكر ما حكاه الشافعى من إجماع الأمة على ذلك ، وقد حكى هذا الاجماع البغوى رحمه الله تعالى فقال : " واتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان لقوله سبحانه وتعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) إلى قوله (ومما رزقناهم ينفقون) (١) فجعل الاعمال كلها ايمانا " . (٢)

فقول السلف فى الإيمان هو القول الحق الذى دلت عليه الادلة الكثيرة الواردة فى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهناك أدلة أخرى لم يذكرها ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه منها قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) . (٣)

ووجه الدلالة من الآية تسميته سبحانه وتعالى الصلاة إيمانا كما يدل عليه ما ورد فى سبب نزولها فقد أخرج البخارى فى صحيحه أن هذه الآية نزلت فى الذين ماتوا من الصحابة قبل تحويل القبلة وهم على الصلاة

---

(١) سورة الأنفال آية (٢ ، ٣) .

(٢) شرح السنة للبغوى (١/ ٤١) .

(٣) سورة البقرة آيه (١٤٣) .

إلى بيت المقدس فسئل الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم فنزلت هـــذه الآيـــة .(١)

ومنها قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشـــرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيـــين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهـــــدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئـــك هم المتقون)(٢)

ووجه الدلالة من الآية أن لفظ الإيمان إذا ورد فى كلام الشارع مطلقا يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين كما دل على ذلك سبـــب النزول حيث أن الصحابة رضى الله عنهم سألوا عن الايمان فأنزل اللـــــه هذه الآية .(٣)

ومنها قوله تعالى : (آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولـــوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذيـــن صدقوا وليعلمن الكاذبين) إلى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنـــا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) .(٤)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الايمان - باب الصلاة من الإيمان (١/ ١٧)

(٢) سورة البقرة آية (١٧٧) .

(٣) انظر: كتاب الإيمان لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص١٤٩) وفتـــح البارى (١/ ٥١) .
وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن سبب نزول هذه الآية ،أخرجه عبد الرزاق وقال : رجاله ثقات.

(٤) سورة العنكبوت آية (١ - ١٠) .

ذكر هذه الآية أبو عبيد القاسم بن سلام دليلا على أن الأعمال من الإيمان وقال : أفلست تراه تبارك وتعالى قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل ، ولم يكتف منهم بالاقرار دون العمل حتى جعل أحدهما من الآخر ، فأى شئ يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والامامة .(١)

فهذه الأدلة من الآيات والأحاديث دالة على أن أعمال الجوارح داخلة فى مسمى الايمان وأنه لا ينفع القول والتصديق بدون العمل ، وهو القول الحق .

والمؤمن فى الحقيقة يكفيه دليل واحد من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكى يعتقد ذلك ، فكيف وقد تضافرت الأدلة الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على صحة مذهب السلف رحمهم الله تعالى .

---

(١) الايمان لأبى عبيد (ص ٦٦) .

المبحث الثالث
أهميـــة الايمـــان

يحتاج المؤمن لمعرفة أركان الايمان وهى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، لأن الايمان بهـــذه المغيبات أساس هذا الدين لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل إيمان أحد جحد بها أو بواحد منها حتى يقر ويؤمن بها جميعا .

فالايمان بالله تعالى له أهمية قصوى لأن سعادة الانسان فـى الدارين مبنية على قوة إيمانه بالله تعالى وقربه منه ، فمن أطاع الله تبـارك وتعالى وآمن به إيمانا حقا واجتنب ما نهى عنه فقد فاز فوزا عظيما ، كما أن نجاة الانسان من عذاب الله تبارك وتعالى ومن عقابه الذى توعد بـه الكافرين هو بالإيمان به عز وجل .

وقد وردت آيات كثيرة فى كتاب الله تعالى تحث على الإيمان بالله وتبين أهميتـه .

فمن ذلك قوله تعالى : (والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (١) .

وقال تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٢) .

والايمان سبب لحصول رغد العيش كما قال تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (٣) .

---

(١) سورة العصر .

(٢) سورة النحل آيه (٩٧) .

(٣) سورة الاعراف آيه (٩٦) .

والايمان سبب للأمن فى الآخرة كما قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (١) ، وهو سبب للتثبيت عند سؤال القبر والنجاة من عذابه كما قال تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (٢) .

وقال تعالى : (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣) ، وهو سبب لرضوان الله تعالى ولدخول جنته وللنجاة من النار ، قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) (٤) .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (٥)

فالايمان له أهمية بالغة ، وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى هذه الأهمية فقال : " والايمان هو قوت القلوب وغذاء الأرواح وسبب حياتها ، ومتى فقدته القلوب ماتت ، وموت القلوب لا يرجى معه حياة أبدا ، بل هو هلاك الدنيا والآخرة كما قيل :

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الاحياء (٦)

---

(١) سورة الانعام آية (٨٢) .

(٢) سورة ابراهيم آية (٢٧) .

(٣) سورة الانعام آية (٤٨) .

(٤) سورة البينة آية (٨) .

(٥) سورة الصف آية (١١) .

(٦) هذا البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى ، نسبه إليه ابن منظور

===

فلذلك شبه المؤمن بالزرع حيث كان الزرع حياة الأجساد ، والايمان حياة الأرواح .(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " فمن حصل له نصيب من دين الاسلام فقد حصل له الفضل العظيم ، وقد عظمت عليه نعمة الله فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها إلى الممات والموت عليها فبذلك تتم النعمة .(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا مبينا أهمية مسائل الإيمان والاسلام لما يتعلق بها من الأمور الهامة فقال : " وهذه المسائل : أعنى مسائل الاسلام والايمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدا ، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار .(٣)

=== فى لسان العرب (٢/ ٩١) وكذا الزبيدى فى تاج العروس (٥/ ١٠١) وذكره بدون نسبه الازهرى فى تهذيب اللغة (١٤/ ٣٤٣) والجوهرى فى الصحاح (١/ ٢٦٧) .

(١) غاية النفع شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع (ص ٣١ ، ٣٢) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٨٦ ، ٨٧) .

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٢) .

المبحث الرابع

زيادة الايمان ونقصانـــــــه

الايمان الذى دلت عليه الأدلة فى كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات والعبادات من ذكر الله والتفكر فى الكون وما فيه من المخلوقات ، وأداء النوافل ، والمسارعة إلى كل عمل يقرب من الله تعالى ، وينقص بفعل المعاصى واتيـــــان المنكرات والفواحش ، وكل عمل يبعد العبد عن الله عز وجل .

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه أصل من أصول أهل السنــــة والجماعة وقد أجمعوا عليه ، ولا عبرة بمن خالف ذلك من أهل البـــــدع والأهواء ، لأن معتقد أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى هـــــو المعتقد الذى دلت عليه النصوص الواردة فى كتاب الله تعالى وسنـــــة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (١)

وقوله تعالى : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) (٢)

وقوله تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذيـــن فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية (١٧٣) .

(٢) سورة الأنفال آية (٢) .

(٣) سورة التوبة آية (١٢٤ ، ١٢٥) .

وقوله تعالى : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) (١)

هذه بعض الآيات الدالة على زيادة الإيمان والآيات فى معناها كثيرة جدا .

وأما الأدلة من السنة فمنها حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " . (٢)

ومنها حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فانى رأيتكن أكثر أهل النار ، فقالت امرأة منهن جزلة (٣) : ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن ، قالت : يارسول الله ، وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالى ما تصلى ، وتفطر فى رمضان ، فهذا نقصان الدين " . (٤)

---

(١) سورة الفتح آيه (٤) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ـ باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان وأن الإيمان يزيد وينقص (١ / ٧٠) .

(٣) جزلة : أى ذات عقل ورأى جيد . لسان العرب (١١ / ١٠٩) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الحيض ـ باب ترك الحائض الصوم (١ / ٧٨)

===

ومنها حديث حنظلة الأسيدى رضى الله عنه قال : لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت ؟ ياحنظلة ، قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات (١) فنسينا كثيرا . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : نافق حنظلة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وماذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك ،عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفس بيده ،إن لو تدومون على ما تكونون عندى ، وفى الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة " (٢) ثلاث مرات .

=== ومسلم : كتاب الايمان ، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات (١/٨٦) .

(١) الضيعات : مفردها ضيعة ، وضيعة الرجل ما يكون عنده من معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك .
النهاية الابن الأثير (٣/١٠٨) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٠٠) .

ومنها حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال :

" يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزة ذرة من خير ".(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية ، نقص من أجره كل يوم قيراطان ".(٢)

فهذه بعض أدلة السلف من القرآن الكريم والسنة المطهرة تدل أن الإيمان يزيد وينقص ، وان كان بعضها فيه لفظ الزيادة فقط فإنها تـــدل بطريق الالتزام على النقص ، لأن الشيء الذي يقبل الزيادة يقبل النقص ، والا فلا معنى للزيادة ، إذ لا يمكن أن يتصور شيء قابل للزيادة غير قابـل للنقصان ، روى الآجري بسنده أنه قيل لسفيان بن عيينة " الإيمان يزيـــد وينقص ؟ قال : أليس تقرؤون القرآن (فزادهم إيمانا)(٣) في غير موضع ، قيل : ينقص ؟ قال : ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص .(٤)

وروى أيضا الآجري واللالكائي(٥) عن الحميدي أنه قال : سمعـــت ابن عيينة يقول : " الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقال له أخوه إبراهيم ابن عيينة(٦) يا أبا محمد ، لا تقولن يزيد وينقص ، فغضب وقـــال :

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الذبائح - باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية (٦/ ٢١٩) ومسلم : كتاب المساقاة - باب الأمر بقتل الكلاب (٣/ ١٢٠١) .

(٣) سورة آل عمران آية (١٧٣) .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ١١٧) .

(٥) الامام الحافظ المجود أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصـــور اللالكائي ، مفيد بغداد في وقته ، من مؤلفاته العظيمة : شـــرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، توفي سنة ٤١٨ هـ . تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩) .

(٦) إبراهيم بن عيينة أبو إسحاق أخو سفيان بن عيينة ، كان إمامـــا

===

اسكت يا صبي ، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء" . (١)

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان في الإيمان عن جمع غفير من الصحابة ومن بعدهم ، فعن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم كلهم قالوا : " الإيمان يزيد وينقص" (٢)

وعن عمير بن حبيب رضي الله عنه — وهو من الصحابة — قال : " الإيمان يزيد وينقص ، قيل له : ما زيادته ونقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله عز وجل وخشيناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه " . (٣)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيمانا فيذكرون الله عز وجل . (٤)

=== خيرا . قال ابن معين : كان مسلما صدوقا ، ولم يكن من أصحاب الحديث ، توفي سنة ١٩٩ هـ .
الجرح والتعديل (٢/ ١١٨) وميزان الاعتدال (١/ ٥١) ، وتهذيب التهذيب (١/ ١٤٩) .

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ١١٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٦٠) .

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ١١١) وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (١/ ٣١٤) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٤٤ ، ٩٤٥) .

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ١١١) وابن أبي شيبة في الإيمان (ص ٧) وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (١/ ٣١٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٤٩) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الايمان (٣٦) والآجري في الشريعة (١١٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٤١) .

ومن أقوال التابعين ومن بعدهم في ذلك .

ما روى عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال : الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص .(١)

وقال سهل بن المتوكل(٢) رحمه الله تعالى : (أدركت ألف استاذ أو أكثر كلهم يقولون : " الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ".(٣)

وعن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال : " الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع ".(٤)

والآثار الواردة في هذا المعنى عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف من بعدهم كثيرة جدا وكلها تدل على أنهم مجمعون على القول بزيادة الإيمان ونقصانه ، وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذه المسألة وبين أن الإيمان يزيد وينقص،يزيد بعمل الطاعات وخصال الخير ، وينقص بترك الطاعات وفعل المعاصي .

يقول رحمه الله تعالى : " ومن أحب لله ، وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الايمان ، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في إيمانه ، فيجب عليه التوبة من ذلك ، والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ١١٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٣١٧) .

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٩٥٧) .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ١١٧) .

وزاد اتبها كلها" (١)

وقال رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن الحرص على المال ، وأن من طلب المال من الوجوه المحرمة ومنع به الحقوق الواجبة فقد نقص إيمانه بذلك، قال : "ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والايمان نقصا بينا ، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين، والإيمان بلا ريب ينقص ، حتى لا يبقى منه الا القليل . (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : "وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من أعطى لله ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله فقد استكمل الإيمان " . (٣)

ومعنى هذا أن كل حركات القلب والجوارح إذا كانت لله فقد كمل إيمان العبد بذلك باطنا وظاهرا ، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح ، فإذا كان القلب صالحا ليس فيه إلا إرادة الله وارادة ما يريده ، لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله ، فسارعت إلى ما فيه رضاه ، وكفت عما يكرهه ، وعما يخشى أن يكون مما يكرهه وان لم يتيقن ذلك . (٤)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣/٢٢٦) .

(٢) جامع البيان شرح حديث " ما ذئبان جائعان " (ص ١٣) .

(٣) أخرجه أبو داود : كتاب السنة ـ باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه (٥/ ٦٠) والترمذى : كتاب صفة القيامة ـ باب اعقلها وتوكل (٤/ ٦٧٠) وقال : هذا حديث حسن .

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١٨٤) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا وهو يتكلم عن شارب الخمر : " وكلما أد من الخمر وعكف عليها نقص إيمانه وضعف ونزع منه ، فيخشى أن يسلبه بالكلية عند الموت ".(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " محاسبة النفس على ما سلف من أعمالها والندم ، والتوبة من الذنوب السالفة ، والحزن عليها ، واحتقار النفس والازدراء بها ، ومقتها فى الله عز وجل ، والبكاء من خشية الله تعالى ، والتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وفى أمور الآخرة وما فيها من الوعد والوعيد ونحو ذلك يزيد الايمان فى القلب ".(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ويدخل فى مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله ، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه ، وزيادة الإيمان بذلك ".(٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : وقوله صلى الله عليه وسلم :"وذلك أضعف الايمان "(٤) يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خصال الإيمان ، ويدل على أن من قدر على خصلة من خصال الإيمان وفعلها كان أفضل من تركها عجزا ".

ويدل على ذلك أيضا : قوله صلى الله عليه وسلم فى حق النساء " أما نقصان دينها ، فإنها تمكث الأيام والليالى لا تصلى "(٥) يشير إلى أيام الحيض ، مع أنها ممنوعة حينئذ من الصلاة ، وقد جعل ذلك نقصا فى دينها ، فدل على أن من قدر على واجب وفعله ، فهو أفضل

---

(١) رسالة فى ذم الخمر وشاربها (ص ٣٤) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٦) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٧٣) .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم : كتاب الإيمان (١/ ٦٩) .

(٥) جزء من حديث تقدم تخريجه (ص ٥٠٩) .

ممن عجز عنه وتركه ، وان كان معذورا فى تركه ". (١)

بهذا يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة — ومنهم الحافظ ابن رجب — هو القول بزيادة الإيمان ونقصانه وهو الحق الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .

أما غيرهم من المبتدعة على اختلاف أسمائهم فقالوا : إن الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وكل منهم استدل بأدلة مختلفة ولكل منهم وجهة ولكن هدفهم واحد وهو أن الايمان غير قابل للزيادة والنقصان .

والسلف يعدون من أنكر زيادة الإيمان ونقصانه من المرجئة ذكر البيهقى باسناده عن الثورى أنه قال : خالفنا المرجئة فى ثلاث : نحن نقول :الايمان قول وعمل وهم يقولون :قول بلا عمل ، ونحن نقول : يزيد وينقص وهم يقولون : لا يزيد ولا ينقص ، ونحن نقول : أهل القبلة عندنا مؤمنون ، أما عند الله فالله أعلم ، وهم يقولون : نحن عند الله مؤمنون ". (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٦١/٣) .

(٢) الاعتقاد للبيهقى (ص ٨٤) .

المبحث الخامس
العلاقة بين مسمى الايمان والاسلام

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أن اسم الإيمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام ، وتارة يذكر مقرونا به ، وكذلك اسم الإسلام تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإيمان ، وتارة يذكر مقرونا به ، وبالتالى فإنهما احيانا يكونان بمعنى واحد فهما مترادفان ، واحيانا يراد من احدهما معنى مغاير لمعنى الآخر فهما متغايران .

ويمكن حصر ذلك فى الأقسام التالية :

١ ـ وردت آيات فى القرآن الكريم وأحاديث فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم تدل على أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة ، والإيمان هو الأعمال الباطنة .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) (١)

ومنها حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه المشهور بحديث جبريل وفيه قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : " أخبرنى عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ،وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت فعجبنا له يسأله

---

(١) سورة الحجرات آيه (١٤) .

ويصدقه . قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال فأخبرنى عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..." (١)

وفى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس فيهم ، قال سعد : فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من لم يعطه ، وهو أعجبهم إلى ، فقلت يارسول الله ، مالك عن فلان ؟ فوالله إنى لأراه مؤمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو مسلما " قال : فسكت قليلا ، ثم غلبنى ما أعلم منه ، فقلت : يارسول الله مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو مسلما " قال : فسكت قليلا ، ثم غلبنى ما علمت منه فقلت : يارسول الله مالك عن فلان فوالله إنى لأراه مؤمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو مسلما" إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه ، خشية أن يكب فى النار على وجهه ". (٢)

فهذه الادلة تدل على أن الإسلام والإيمان متغايران .

---

(١) أخرجه البخارى :كتاب الإيمان (١ /١٨) ومسلم :كتاب الإيمان (١ / ٣٦) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الإيمان - باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (١/١٢)، ومسلم : كتاب الإيمان - باب تألف من يخاف على إيمانه لضعفه (١/١٣٢) .

٢ ـ وردت آيات وأحاديث تفيد أن الاعمال الظاهرة داخلة في معنى الإيمان ، وأن الأعمال الباطنة داخلة في معنى الإسلام . منها قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (١) .

ومنها قوله تعالى : (الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (٢) .

ومنها قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (٣) .

ومنها قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (٤) .

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " (٥) .

---

(١) سورة الحجرات آيه (١٥) .
(٢) سورة البقرة آية (١-٥) .
(٣) سورة آل عمران آيه (٨٥) .
(٤) سورة المائدة آية (٣) .
(٥) تقدم تخريجه (ص ٥٠١) .

ومنها حديث عمرو بن عنبسة رضى الله عنه قال : قال رجل يارسول الله ماالإسلام ؟ قال :" أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، قال : فأى الإسلام أفضل ؟ قال :الإيمان قال : وما الإيمان ؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال : فأى الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة ، قال : فما الهجرة ؟ قال : تهجر السوء ، قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد ".(١)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالايمان بالله ، قال : هل تدرون ما الايمان بالله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم .(٢)

٣ ــ وردت آيات وأحاديث تفيد أن الإسلام والإيمان مترادفان

منها قوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) .(٣)

ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تجىء الأعمال يوم القيامة فتجىء الصلاة فتقول :

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١١٤) وقال الهيثمى فى المجمع(١/ ٥٩) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير بنحوه ورجاله ثقات .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٠١) .

(٣) سورة الذاريات آيه (٣٥ ، ٣٦) .

يارب أنا الصلاة فيقول : إنك على خير ، فتجيء الصدقة فتقول : يارب أنا الصدقة فيقول : إنك على خير ، ثم يجيء الصيام فيقول : أى يارب فيقول : إنك على خير ثم تجيء الأعمال على ذلك فيقول الله عز وجل : إنك على خير ، ثم يجيء الإسلام فيقول : يارب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله عز وجل : إنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطى ، فقال الله عز وجل فى كتابه : " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين "(١) (٢) .

وقد تكلم السلف الصالح وأئمة الإسلام رحمهم الله تعالى على هذه المسألة وصنفوا فيها الكتب والمقالات ، وخلاصة كلامهم فى هذه المسألة تنحصر فى الأقوال (٣) التالية :

---

(١) سورة آل عمران آية (٨٥) .

(٢) أخرجه أحمد (١٦ / ٣٠٢) حديث رقم (٨٧٢٧) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٣٤٥) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفيه عباد بن راشد وثقه أبو حاتم وغيره ، وضعفه جماعة ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) انظر حكاية هذه الأقوال فى : تعظيم قدر الصلاة للمروزى (٢ / ٥٠٦ — ٥٣١) والإيمان لابن منده (١ / ٣٢١) ، والتمهيد لابن عبد البر (٩ / ٢٤٩ — ٢٥٠) والإيمان لابن تيمية (ص ٢١٦) وما بعدها ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١ / ٦٣) وما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز (ص ٣٩٠ — ٣٩٤) ، وفتح البارى لابن حجر (١ / ١١٤) .

١ — ذهب الزهرى وحماد بن زيد إلى أن الاسلام الكلمة والايمان العمل والمراد بالكلمة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

٢ — وذهب الإمام البخارى ومحمد بن نصر المروزى (١) وابن منده (٢) وابن عبد البر وغيرهم إلى أن الاسلام والايمان مترادفان يراد بأحدهما ما يراد بالآخر .

---

(١) محمد بن نصر بن الحجاج المروزى أبو عبد الله الامام الحافظ، كان إمام عصره في الحديث ، وكان من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين ، وكان عابدا زاهدا ، له مؤلفات عظيمة منها "تعظيم قدر الصلاة" ، توفى سنة ٢٩٤ هـ .
تاريخ بغداد (٣/٣١٥) والمنتظم (٦/٦٣) وتذكرة الحفاظ (٢/٦٥٠) .

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، الامام الحافظ أبو عبد الله ، محدث الاسلام ، كان من أوسع العلماء رحلة وأكثرهم حديثا وشيوخا ، وكان جبلا من جبال العلم ، وله مؤلفات كثيرة منها : كتاب الإيمان ، وكتاب التوحيد ، توفى سنة ٣٩٥ هـ .
ذكر أخبار أصبهان (٢/٣٠٦) وطبقات الحنابلة (٢/١٦٧) وتذكرة الحفاظ (٣/١٠٣١) .

٣ ـ وذهب أكثر أهل العلم من السلف إلى القول بأن الاسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما شمل الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة .

واذا قرن بينهما وذكرا معا فعند ذلك يفترقان فى المعنى فيراد بالإسلام الأعمال الظاهرة ، ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة .

والقول الأخير هو القول الذى تجتمع عليه النصوص الواردة فى هذه المسألة . وهو أرجح الأقوال .

وقد تكلم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى على هذه المسألة وأوضحها وبينها بيانا شافيا فقال رحمه الله تعالى بعد ذكره لبعض النصوص التى ذكرتها سابقا " وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان ، وتفريق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما وادخاله الأعمال فى مسمى الإسلام دون الإيمان ، فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده واطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون له دال على باقيها ، وهذا كاسم الفقير والمسكين ، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوى الحاجات والآخر على باقيها ، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقى وقد صرح بهذا جماعة من الأئمة "

قال أبو بكر الاسماعيلى [١] فى رسالته إلى أهل الجبل ، قال كثير من أهل السنة والجماعة : إن الإيمان قول وعمل ، والإسلام فعل ما فرض الله على الانسان أن يفعله،إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر ، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعا ، مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر،وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم .

وقد ذكر هذا المعنى أيضا الخطابى فى كتابه معالم السنن [٢] وتبعه جماعة من العلماء من بعده ، ويدل على صحة ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان عند ذكره مفردا فى حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان فى حديث جبريل،وفسر فى حديث آخر الاسلام بما فسر به الايمان كما فى مسند الامام أحمد عن عمرو [٣] بن عبسة [٤] .

---

(١) هو الإمام الحافظ الحجة شيخ الاسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل الجرجانى الاسماعيلى ، قال ابن كثير عنه : "سمع الكثير وحدث وخرج وصنف فأفاد وأجاد ، وأحسن الاعتقاد والانتقاد ، صنف كتابا على صحيح البخارى فيه فوائد كثيرة وعلوم غزيرة "، توفى سنة ٣٧١ رحمه الله تعالى .
الانساب (١/ ٢٤٩) والبداية والنهاية (١١/ ٣٣٤) وطبقات الشافعية لابن هداية (ص ٩٥) .

(٢) انظر : معالم السنن (٤/ ٣١٥) .

(٣) سبق ذكر حديث عمرو بن عبسة (ص ٥٢٠) .

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٣ - ٦٥) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وبهذا التفصيل الذى ذكرناه يزول الاختلاف فيقال : إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، وان قرن بين الاسمين كان بينهما فرق ، والتحقيق فى الفرق بينهما : أن الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته ، والاسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين ، كما سمى الله فى كتابه الاسلام دينا ، وفى حديث جبريل سمى النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان دينا ، وهذا أيضا مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر ، وانما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر ، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب ، وبالاسلام جنس العمل . . . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه إذا صلى على الميت : " اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان "(١) لأن الأعمال بالجوارح ، وإنما يتمكن منه فى الحياة ، فأما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب .

ومن هنا قال المحققون من العلماء : كل مؤمن مسلم ، فإن من حقق الايمان ، ورسخ فى قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ،

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٦٨) وأبو داود : كتاب الجنائز ـ باب الدعاء للميت (٥٣٩/٣) والترمذى : كتاب الجنائز ـ باب ما يقول فى الصلاة على الميت (٣٤٤/٣) وابن ماجه : كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى الدعاء فى الصلاة على الجنازة (٤٨٠/١) والحاكم (٣٥٨/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وقال الهيثمى فى المجمع (٣٣/٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب "[1] فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح فى أعمال الإسلام ، وليس كل مسلم مؤمنا ، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفا فلا يتحقق القلب به تحققا تاما مع عمل جوارحه أعمال الإسلام ، فيكون مسلما وليس بمؤمن الايمان التام كما قال تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)[2] الآية ، فلم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين ... بل كان إيمانهم ضعيفا ، ويدل عليه قوله تعالى : (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) الآية يعنى لا ينقصكم من أجورها فدل على أن معهم من الإيمان ما يقبل به أعمالهم ...

أما اسم الإسلام فلا ينتفى بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته ، وانما ينفى بالاتيان بما ينافيه بالكلية ، ولا يعرف فى شئ من السنة الصحيحة نفى الإسلام عمن ترك شيئا من واجباته كما ينفى الإيمان عمن ترك شيئا من واجباته وان كان قد ورد اطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات واطلاق النفاق أيضا ... واذا تبين أن اسم الإسلام لا ينتفى إلا بوجود ما ينافيه ويخرج عن الملة بالكلية فاسم الإسلام إذا أطلق أو اقترن به المدح دخل فيه الإيمان كله من التصديق وغيره .[3]

وبهذا يتبين لنا أن القول الثالث هو القول الصحيح الذى تفهم به النصوص وتجتمع عليه أقوال السلف رحمهم الله تعالى .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٥٢) .

(٢) سورة الحجرات آيه (١٤) .

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٦ — ٦٩) .

المبحث السادس
حكم مرتكب الكبيرة

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر وهو ما أجمع عليه السلف رحمهم الله تعالى .

فمن الأدلة التي وردت في الكتاب قوله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم) (١)

وقوله تعالى : (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) (٢)

وقوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) (٣) .

قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية : " لما نهى الله تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر ، وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر ، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر ، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء ، وان اللمسة والنظرة باجتناب الكبائر تكفر قطعا بوعده الصدق وقوله الحق لا أنه يجب عليه ذلك " . (٤)

ومن الأدلة في السنة حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وجلس وكان متكئا

---

(١) سورة النجم آية (٣٢) .

(٢) سورة الشورى آية (٣٧) .

(٣) سورة النساء آية (٣١) .

(٤) تفسير القرطبي (٥/١٥٨) .

فقال : ألا وقول الزور ، قال : فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ".(١)

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ذكر رسول اللـــــه الكبائر فقال : " الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وقال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قول الزور أو قال : شهادة الزور ".(١)

وحديث عمير بن قتادة رضى الله عنه : أن رجلا سأل رســـول الله صلى الله عليه وسلم ما الكبائر ؟ فقال : هن تسع : " الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وعقــوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا ".(٢)

وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى اللـــــه عليه وسلم كان يقول : " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ".(٣)

والأحاديث التى ورد فيها لفظ الكبائر كثيرة جدا .

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الأدب ـ باب عقوق الوالدين من الكبائر (٧/ ٧١) ومسلم : كتاب الايمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرهـــا (١/ ٩١) .

(٢) أخرجه أبو داود : كتاب الوصايا ـ باب ماجاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم (٣/ ٢٩٥) والحاكم (٤/ ٢٥٩) وقال : هــذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى ، وأخرجه البيهقى فــى السنن الكبرى (٣/ ٤٠٨) وقال الذهبى فى الكبائر (١٦٨) سنده صحيح .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الطهارة ـ باب الصلوات الخمس (١/ ٢٠٩)

قال الامام النووى رحمه الله تعالى : " وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصى إلى صغائر وكبائر وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها ".(١)

وأرى من المناسب قبل الكلام عن حكم صاحب الكبيرة أن أذكر تعريفا مختصرا للكبيرة .

١ — معنى الكبيرة لغة :

قال ابن منظور رحمه الله تعالى : الكِبْرُ ، الاثم الكبير ، وما وعد الله عليه النار ، والكِبْرَة كالكبر : التأنيث للمبالغة ، وفى التنزيل العزيز : والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش. . ."(٢) وفى الأحاديث ذكر الكبائر فى غير موضع واحدتها كبيرة : وهى الفعلة القبيحة من الذنوب المنهى عنها شرعا لتعظيم أمرها .(٣)

٢ — تعريف الكبيرة شرعا :

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى تعريف الكبيرة على أقوال(٤)

---

(١) شرح مسلم للنووى (٢/٨٥) .

(٢) سورة الشورى آيه (٣٧) .

(٣) لسان العرب (٦/٤٤٣) .

(٤) انظر الأقوال فى تعريف الكبيرة فى شرح مسلم للنووى (٢/٨٥— ٨٧) ومجموع الفتاوى (١/٦٥٧) ومدارج السالكين (١/٣٢١- ٣٢٧) وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤١٧ — ٤١٨) والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمى (١/٥ — ١٠) وفتح البارى لابن حجر (١٠/٤١٠ — ٤١٢) والدر المنثور للسيوطى (٢/ ٤٩٨ — ٥٠٠) .

كثيرة تزيد على عشرين قولا ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى "... وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد ، وأقوالهم متقاربة .(١)

فقيل: هي كل ما وعد الله عليه بالنار .

وقيل: هي كل ما نهى الله عنه .

وقيل: هي ما اتفقت الشرائع على تحريمه .

إلى غير ذلك من الأقوال التي قيلت في تعريف الكبيرة وأولى الأقوال وأحسنها وأرجحها ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)(٢) قال : " الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ".(٣)

وهذا القول هو الذي اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث ذكر أن هذا التعريف هو أحسن التعاريف وأمثلها للوجوه التالية :

منها : أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط ...

ومنها : أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب .

ومنها : أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر .(٤)

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٢٠) .

(٢) سورة النساء آية (٣١) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٤١) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٤، ٦٥٥) .

كما أختاره ابن حجر رحمه الله تعالى حيث قال بعد ذكـــره لبعض الأقوال في تعريف الكبيرة قال : ومن أحسن التعاريف قول القرطبي (١) في المفهم : كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو اجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة عقاب أو علق عليه حد أو شدد النكير عليه فهـــو كبيرة ، وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن والاحاديث الصحيحة والحسنة ، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة ، فمهما بلغ مجمـــوع ذلك عرف منه تحرير عدها " . (٢)

أما حكم مرتكب الكبيرة فإن عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلـــك أن من ارتكب كبيرة دون الشرك ولم يستحلها فإنه لا يكفر بل يسمى مؤمنـــا ناقص الإيمان فهو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ، واذا مات مصرا عليها ولم يتب منها فإن أمره إلى الله تعالى إن شاء غفر له ذنبه وأدخله الجنة ابتداءًا تفضلا منه سبحانه ، وان شاء عذبه بقدر ذنبه عدلا منه سبحانه ثم يخرجـه من النار ويدخله الجنة ، لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك .

---

(١) أحمد بن عمر بن ابراهيم أبو العباس الأنصاري القرطبي ، فقيـه مالكي ، من رجال الحديث ، قال ابن كثير : " سمع الكثيـــر وأختصر الصحيحين ، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم ، وفيه أشياء حسنة مفيدة محرره رحمه الله تعالى " ، توفي سنة ٦٥٦ هـ . البداية والنهاية (١٣/٢٠٢) وحسن المحاضرة (١/ ٧٦٠) وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٣) .

(٢) فتح الباري (١٢/ ١٨٤) .

قال أبو عثمان الصابونى رحمه الله تعالى مقررا عقيدة السلف في هذه المسألة : " ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان أذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها ، وان خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والاخلاص ، فإن أمره الى الله عز وجل إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما ، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار ، واذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار". (١)

وقد خالفت فى ذلك فرق المعتزلة والخوارج والمرجئة ومن نحا نحوهم وخالفوا نصوص الكتاب والسنة حيث أن الخوارج كفروا مرتكب الكبيرة وأخرجوه من الإيمان وحكموا عليه فى الخلود فى نار جهنم ، وقد وافقتهم المعتزلة على الخلود فى نار جهنم فى الآخرة أما فى الدنيا فقالوا : إنه يخرج من الإيمان ولا يدخل فى الكفر وانما هو فى منزلة بين المنزلتين وأما المرجئه فقد فتحوا باب شر عظيم وهونوا أمر المعاصى حيث قالوا : إنه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع من الكفر طاعة " ، وعلى هذا فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الايمان ولا يدخل نار جهنم وهذا مبنى على أخراجهم العمل من مسمى الايمان . (٢)

والحق ما قاله أهل السنة والجماعة وأجمعوا عليه ، وقد حكى اتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك الامام البغوى رحمه الله تعالى فقال :

---

(١) عقيدة أصحاب الحديث للامام الصابونى ضمن الرسائل الكمالية (ص (١٠٣ ، ١٠٤) .

(٢) انظر كتاب الايمان لابى عبيد (ص٩٩ — ١٠٢)، والتمهيد لابن عبد البر (٢٤٢/٤ - ٢٤٣)، والايمان لابن تيمية (ص٢٠٢) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٤١٧) .

" اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد اباحتها ، واذا عمل شيئا منها فمات قبل التوبة لا يخلد في النار ، كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه بقدر ذنوبه ، ثم أدخله الجنة برحمته ". (١)

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى هذه المسألة في عدة مواضع من مؤلفاته فقال رحمه الله تعالى : " من أسباب المغفرة التوحيد وهو السبب الأعظم ، فمن فقده فقد المغفرة ، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال تعالى : (إن الله لا يغفر إن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٢)

فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقارب ملؤها خطايا ، لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شاء غفر له ، وان شاء أخذه بذنوبه ، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار ، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة ، فإن كمل توحيد العبد واخلاصه لله فيه ، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ، ومنعه من دخول النار بالكلية (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " أول اختلاف وقع في هذه الأمة هو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية ، وأدخلوهم في دائرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٠٣/١) .

(٢) سورة النساء آية (٤٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٤٧/٣) .

دماء المسلمين وأموالهم ، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم : المنزلة بين المنزلتين ، ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم : إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان ، وقد صنف العلماء قديما وحديثا فى هذه المسائل تصانيف متعددة ". (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : وقد اختلف العلماء فى مرتكب الكبائر : هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان أم لا يسمى مؤمنا وانما يقال هو مسلم ، فليس بمؤمن ؟ على قولين : وهما روايتان عن أحمد رحمه الله فأما من ارتكب الصغائر فلا يزول عنه إسم الإيمان بالكلية بل هو مؤمن ناقص الإيمان ، ينقص إيمانه بحسب ما ارتكب من ذلك والقول بأن مرتكب الكبائر يقال له : مؤمن ناقص الايمان مروى عن جابر بن عبد الله ، وهو قول ابن المبارك واسحاق وأبي عبيد وغيرهم .

والقول بأنه مسلم ليس بمؤمن مروى عن أبى جعفر محمد بن على (٢) وذكر بعضهم أنه المختار عند أهل السنة . (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وقوله صلى الله عليه وسلم : ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فهو إلى الله ، إن شاء عذبه ، وان شاء غفر له " (٤) صريح فى أن الكبائر من لقى الله بها كانت تحت

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٢) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٨٩) .

(٢) أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى المدنى كان إماما مجتهدا تاليا لكتاب الله ، كبير الشأن ، عده النسائى وغيره فى فقهاء التابعين ، واتفق الحفاظ على الاحتجاج به ، توفى سنة ١١٤ هـ .

طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٠) وتذكرة الحفاظ (١/ ١٢٤) ، والبداية والنهاية (٩/ ٣٢٧) وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٠) .

(٤) تقدم تخريجه (ص٣٠٣) .

مشيئته ، وهذا يدل على أن اقامة الفرائض لا تكفرها ولا تمحوها ، فإن عموم المسلمين يحافظون على الفرائض ، لاسيما من بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم وخرج من ذلك من لقى الله وقد تاب منها بالنصوص الدالة من الكتاب والسنة على أن من تاب إلى الله تاب الله عليه وغفر له ، فبقى من لم يتب داخلا تحت المشيئة (١) .

وقد استدل السلف رحمهم الله تعالى على عدم تكفير مرتكب الكبيرة بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة .

أما من الكتاب فقد استدلوا بقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ...) (٢)

فهذه الآية نفت أن يغفر الله للمشرك ، فدل ذلك على أن من مات مصرا على كبيرة دون الشرك فهو إلى الله تعالى إن شاء غفر له ، وان شاء عذبه بقدر ذنبه أما من مات وهو مشرك ، فإن الله لا يغفر له بنص الآية .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيره عند هذه الآية : " وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله إن شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه عليه مالم تكن كبيرة شركا بالله " (٣) .

وبقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ...) إلى قوله تعالى (فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف ...) (٤)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٦) .

(٢) سورة النساء آية (٤٨) .

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى (٥/١٢٦) .

(٤) سورة البقرة آية (١٧٨) .

قال البغوى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية : " وفى الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا بالقتل ، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) ، وفى آخر الآية قال : (فمن عفى له من أخيه شىء) وأراد به أخوة الإيمان ، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل .(١)

وبقوله تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ...)(٢)

ذكر هذه الآية الامام البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه فى كتاب الإيمان(٣) مستدلا بها على أن المؤمن لا يكفر إذا ارتكب معصية دون الشرك .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : " استدل المؤلف على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر بأن الله تعالى أبقى عليه اسم المؤمن فقال : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)(٤) ثم قال : (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) ....(٥) "(٦)

إلى غير ذلك من الآيات التى تبين أن أهل المعاصى التى دون الشرك من أهل الإيمان .

---

(١) تفسير البغوى (١٤٦/١) .
(٢) سورة الحجرات آية (٩) .
(٣) كتاب الايمان (١٣/١) .
(٤) سورة الحجرات آية (٩) .
(٥) سورة الحجرات آية (١٠) .
(٦) فتح البارى (٨٥/١) .

وأما الأدلة من السنة فمنها حديث أبى ذر رضى الله عنه قال :

" أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيته فإذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال : " ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : " وإن زنى وإن سرق " ثلاثا ثم قال : فى الرابعة " على رغم أنف أبى ذر " قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبى ذر ".(١)

ومنها حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه : " بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه " فبايعناه .(٢)

قال النووى رحمه الله تعالى بعد ذكره لحديث أبى ذر وحديث عبادة بن الصامت السابقين : " فهذان الحديثان مع نظائرهما فى الصحيح مع قول الله عز وجل : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٣) مع إجماع أهل الحق على أن الزانى والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٠٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٠٣) .

(٣) سورة النساء آية (٤٨) .

إن تابوا سقطت عقوبتهم، وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا فى المشيئة فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا ، وان شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة ". (١)

فهذه الأدلة من الكتاب والسنة وغيرها مما هو بمعناها تدل دلالة واضحة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصرا عليها ليس بكافر ، ولكنه معرض نفسه لعقاب الله وان عوقب فإنه لا يخلد فى النار بل يخرج منها ، ولا عبرة بمن خالف ذلك من أهل البدع والاهواء ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) شرح مسلم للنووى (٢/ ٤١ ، ٤٢) .

المبحث السابع
مسألة تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة

هناك مسألة تعرض لها ابن رجب رحمه الله تعالى وهى مسألة تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة كالوضوء والصلاة وغيرها .

فقد ذكر رحمه الله تعالى فى هذه المسألة قولين لأهل العلم

القول الأول : أن الاعمال الصالحة لا تكفر إلا الصغائر أما الكبائر فلابد للعبد من التوبة منها يقول ابن رجب فى بيان هذا القول : " . . . فمنهم من قال لا تكفر سوى الصغائر ، وقد روى هذا عن عطاء وغيره من السلف فى الوضوء أنه يكفر الصغائر . . . أما الكبائر فلابد لها من التوبة ، لأن الله أمر العباد بالتوبة ، وجعل من لم يتب ظالما .

واتفقت الأمة على أن التوبة فرض ، والفرائض لا تؤدى إلا بنية وقصد ، ولو كانت الكبائر تقع مكفرة بالوضوء والصلاة وأداء بقية أركان الإسلام لم يحتج إلى التوبة ، وهذا باطل بالاجماع ، وأيضا لو كفرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لأحد ذنب يدخل به النار إذا أتى الفرائض ، وهذا يشبه قول المرجئة ، وهو باطل .

هذا ماذكره ابن عبد البر فى كتابه التمهيد (١) وحكى إجماع المسلمين على ذلك ، واستدل عليه بأحاديث :

منها : قوله صلى الله عليه وسلم : " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ، ما اجتنبت الكبائر " وهو مخرج فى الصحيحين (٢) من حديث أبى هريرة .

---

(١) التمهيد (٤/ ٤٤) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٢٨) .

وهذا يدل على أن الكبائر لا تكفرها هذه الفرائض ...

وفى صحيح مسلم عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله "[1] [2] ...

والقول الثانى : أن الأعمال الصالحة تكفر الكبائر ، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى هذا القول ورد عليه بقوله : " وذهب قوم من أهل الحديث وغيرهم إلى أن هذه الأعمال تكفر الكبائر ، ومنهم ابن حزم الظاهرى [3] وإياه عنى ابن عبد البر فى كتاب التمهيد [4] بالرد عليه وقال : قد كنت أرغب بنفسى عن الكلام فى هذا الباب لولا قول ذلك القائل ، وخشيت أن يغتر به جاهل فينهمك فى الموبقات اتكالا على أنها تكفرها الصلوات دون الندم والاستغفار والتوبة .

وقد وقع مثل هذا فى كلام طائفة من أهل الحديث فى الوضوء ونحوه ... فإن كان مرادهم أن من أتى بفرائض الإسلام وهو مصر على الكبائر تغفر له الكبائر قطعا فهذا باطل قطعا ، يعلم بالضرورة من الدين

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (٢٠٦/١) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٨/٢ ــ ٤٠) .

(٣) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبى ، الامام المحدث الفقيه ، كان شافعيا ثم تركه إلى القول بالظاهر له مؤلفات كثيرة منها : المحلى ، الفصل فى الملل والنحل ، توفى سنة ٤٥٦ هـ .
وفيات الاعيان (٣/ ٣٢٥) وسير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٤) وشذرات الذهب (٢٩٩/٣) .

(٤) التمهيد (٤٩/٤) .

بطلانه ، وقد سبق قوله صلى الله عليه وسلم " من أساء فى الاسلام أخذ بالأول والآخر". [1] يعنى بعمله فى الجاهلية والاسلام ، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى بيان .

وان أراد هذا القائل أن من ترك الاصرار على الكبائر وحافظ على الفرائض من غير توبة ولا ندم على ما سلف منه كفرت ذنوبه كلها بذلك واستدل بظاهر قوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) [2] وقال : السيئات تشمل الكبائر والصغائر وكما أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر من غير قصد ولا نية فكذلك الكبائر وقد يستدل لذلك بأن الله وعد المؤمنين والمتقين بالمغفرة وتكفير السيئات وهذا مذكور فى غير موضع من القرآن ، وقد صار هذا من المتقين فإنه فعل الفرائض واجتنب الكبائر ، واجتناب الكبائر لا يحتاج إلى نية وقصد ، فهذا القول يمكن أن يقال فى الجملة .

وقد رجح ابن رجب رحمه الله تعالى القول الأول وبين أن الكبائر لا تكفر بالاعمال الصالحه أذ لو كان الأمر كذلك لما كان للتوبة معنى ، ولكان المصر على الكبائر مع محافظته على الصلاة مثلا مكفرة لكبائره ، وليس عليه تبعة ولا يلزمه توبة لأنه بصلاته وأعماله الصالحة تمحى ذنوبه ، يقول ابن رجب رحمه الله فى ذلك : " والصحيح قول الجمهور أن الكبائر لا تكفر بدون التوبة ، لأن التوبة فرض على العباد وقد قال الله عز وجل (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) [3]

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب استتابة المرتدين (٨/٤٩) .

(٢) سورة النساء آية (٣١) .

(٣) سورة الحجرات آية (١١) .

وأما النصوص الكثيرة المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير السيئات للمتقين كقوله تعالى (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) (١) .

وقوله تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) (٢) ... فإنه لم يبين فى هذه الآيات خصال التقوى ولا العمل الصالح ، ومن جملة ذلك التوبة النصوح ، فمن لم يتب فهو ظالم غير متق .

وقد بين فى سورة آل عمران (٣) خصال التقوى التى يغفر لأهلها ويدخلهم الجنة ، فذكر منها الاستغفار وعدم الاصرار ، فلم يضمن تكفير السيئات ومغفرة الذنوب إلا لمن كانت هذه الصفة له .

ومما يستدل به على أن الكبائر لا تكفر بدون التوبة منها أو العقوبة عليها حديث عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا (وقرأ عليهم الآية) (٤) فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عذبه ، وان شاء غفر له " خرجاه فى الصحيحين (٥) ... إلى أن قال رحمه الله تعالى :"والأظهر ــ والله أعلم ــ فى هذه المسألة ، أعنى مسألة تكفير الكبائر بالأعمال :

---

(١) سورة الأنفال آيه (٢٩) .

(٢) سورة التغابن آيه (٩) .

(٣) وهى من قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) ... إلى قوله تعالى (ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) سورة آل عمران آيه (١٣٣ ــ ١٣٥) .

(٤) وهى قوله تعالى : (ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ...) إلى قوله تعالى : (إن الله غفور رحيم) سورة الممتحنة آية (١٢)

(٥) تقدم تخريجه (ص ٣٠٣) .

إن أريد أن الكبائر تمحى بمجرد الاتيان بالفرائض ، وتقـع الكبائر مكفرة بذلك كما تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فهذا باطل .

وان أريد أنه قد يوازن يوم القيامة بين الكبائر وبين بعض الأعمال ، فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ، ويسقط العمل فلا يبقى له ثواب فهذا قد يقع ...

روى من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" يؤتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة ، فيقص أو يقض بها بعضها من بعض ، فإن بقيت له حسنة وسع له بها في الجنة"(١) ... وظاهر هذا أنه يقع المقاصة بين الحسنات والسيئات ثم يسقط الحسنات المقابلة للسيئات ، وينظر إلى ما يفضل منها بعد المقاصة .(٢)

هذه بالنسبة للكبائر أما الصغائر فقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أنها تكفر بالأعمال الصالحة كما سبق بيان ذلك في القول الأول من المسألة السابقة وكما في قوله رحمه الله تعالى : " ... أما الصغائر فإنه قد تمحى بالأعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال صلى الله عليه وسلم : " ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة"(٣)

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٢٥٢) وهو حديث قدسي ولفظه :" قال الرب عز وجل:"يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقض بعضها ببعض فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة ..." الحديث ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٢٣ - ٥٤) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الطهارة - باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره (١/٢١٩) .

فأثبت لهذه الأعمال تكفير الخطايا ورفع الدرجات .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة كتب الله له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له عدل عشر " (١) .

فهذا يدل على أن الذكر يمحو السيئات ، ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا . . . وعلى هذا فيجتمع فى العمل الواحد تكفير السيئات ورفع الدرجات من جهتين ، ويوصف فى كل حال بكلا الوصفين ، فلا تنافى بين تسميته كفارة وبين الاخبار عنه بمضاعفة الثواب به أو وصفه برفع الدرجات ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر" (٢) . فإن فى حبس النفس على المواظبة على الفرائض من مخالفة هواها وكفها عما تميل إليه ما يوجب تكفير الصغائر .

وكذلك الشهادة فى سبيل الله تكفر الذنوب بما يحصل بها من الألم ، وترفع الدرجات بما اقترن بها من الأعمال الصالحة بالقلب والبدن ، فتبين بها أن بعض الأعمال يجتمع فيها ما يوجب رفع الدرجات وتكفير السيئات من وجهين ، ولا يكون بينهما منافاة ، وهذا ثابت فى الذنوب الصغائر بلا ريب (٣) .

وهل يقطع بتكفير الأعمال الصالحة للصغائر إذا اجتنبت الكبائر؟

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٩٦) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٢٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٥ ، ٦٠) .

فيه قولان ذكرهما ابن عطية (١) فى تفسيره ورجح القول بعدم الجزم بشيء وانما يحمل ذلك على غلبة الظن ، وقوة الرجاء ، والمشيئة الثابتة ، وعلل ابن عطية ذلك بأنه " لو قطعنا لمجتنب الكبائر وممتثل الفرائض بتكفير صغائره قطعا ، لكانت له فى حكم المباح الذى يقطع بأنه لا تبعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة " (٢) وقد أورد ابن رجب رحمه الله تعالى كلام ابن عطية السابق وعقب عليه بقوله : " قد يقال لا يقطع بتكفيرها بها ، لأن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذلك فى الوضوء والصلاة وحينئذ يتحقق حسن العمل الذى يوجب التكفير ، وعلى هذا الاختلاف الذى ذكره ابن عطية ينبنى الاختلاف فى وجوب التوبة من الصغائر" (٣) ... والله أعلم بالصواب .

---

(١) أبو محمد عبد الحق بن أبى بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى الأندلسي المالكي ، كان إماما فى الفقه والتفسير والعربية ، ذكيا فطانا ، من أوعية العلم ، من مؤلفاته : المحرر والوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، توفى سنة ٥٤١ هـ. سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٩٦) وطبقات المفسرين للسيوطى (ص٥٠) وطبقات المفسرين للداوودى (١/ ٢٦٥) .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩٦) .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٣ ، ٦٤) .

الفصلُ الثاني

الإيمان بالرسل والملائكة والكتب

الفصل الثاني

الايمان بالملائكة والكتب والرسل

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الإيمان بالملائكة والكتب

المبحث الأول : تعريف النبى والرسول لغة وشرعا .

المبحث الثاني : معنى الايمان بالانبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثالث : الغرض من بعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الخامس : التفاضل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث السادس : بعض خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث السابع : الايمان بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثامن : كلامه فى دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث التاسع : بيانه فضل ارسال النبى صلى الله عليه وسلم .

المبحث العاشر : النجاة والسعادة فى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه .

المبحث العاشر
الايمان بالملائكة والكتب

جعلت الكلام على الايمان بالملائكة والكتب فى مبحث واحد ولم أفرد كلا منهما بفصل خاص به لأمرين :

١ ـ أن الايمان بالملائكة والكتب له صلة قوية بالإيمان بالانبياء إذ أن من لوازم الإيمان بالأنبياء الإيمان بجميع ما أخبروا به ، ومن ذلك الإيمان بالملائكة والكتب .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله :

" والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتاب ... "(١)

٢ ـ إننى لم أجد لابن رجب رحمه الله تعالى فى هذين الركنين إلا كلاما قليلا لا يتحمل إفراد كل منهما بفصل خاص به .

وسيكون الكلام فى هذا المبحث فى مطلبين .

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٠) .

المطلب الأول
الايمـــان بالملائكـــة

لقد ذكر الله تبارك وتعالى أركان الإيمان فى عدة آيات من كتابه وذكر من بينهـا الإيمان بالملائكة ومن ذلك قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) (١)، ومن ذلك قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ...) (٢)

كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث عمر المعروف بحديث جبريل أركان الإيمان (٣) وذكر من بينهـا الإيمان بالملائكة .

والملائكة خلق عظيم وعدد كثير لا يحصيهم إلا الله عز وجل ، خلقهم من نور ، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ، وقد وكل الله اليهم أعمالا يقومون بها وأفضلهم جبريل عليه السلام الموكل بتبليغ وحى الله الى خلقه .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى أفضلية جبريل عليه السلام على بقية الملائكة بقوله " وجبريل عليه السلام هو أفضل الملائكة وأكرمهم " (٤).

كما أشار رحمه الله تعالى أيضا إلى بعض أعمال الملائكة ومنها : أنهم يستغفرون للذين آمنوا : فقـال رحمه الله تعالى

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٧) .
(٢) سورة البقرة آية (٢٨٥) .
(٣) تقدم تخريجه (ص ٥/٨) .
(٤) لطائف المعارف (ص ١٧٥) .

" وقد أخبر الله فى كتابه باستغفار ملائكة السماء عموما بقوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) (١) .

وقال تعالى : (... والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض) (٢) فهذا للمؤمنين عموما . (٣)

وقال رحمه الله تعالى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى :

" وفيه دلالة على أن الملأ الأعلى وهم الملائكة أو المقربون منهم يختصمون فيما بينهم ، ويتراجعون القول فى الأعمال التى تقرب بنى آدم إلى الله عز وجل وتكفر بها عنهم خطاياهم . (٤)

كما أشار رحمه الله تعالى الى بعض أوصاف الملائكة فقال " وقد وصف الله الملائكة الذين على النار بالغلظة والشدة قال الله تعالى : (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٥) ... (٦)

---

(١) سورة غافر آيه (٧) .
(٢) سورة الشورى آيه (٥) .
(٣) شرح حديث أبى الدرداء (ص ٢٨) .
(٤) اختيار الأولى (ص ١٢) .
(٥) سورة التحريم آيه (٦) .
(٦) التخويف من النار (ص ١٧٣) .

المطلب الثـــانى
الإيمـــان بالكتـــب

إن الإيمان بالكتب التى أنزلها الله عز وجل على أنبيائه ورسله ركن من أركان الإيمان الستة ، وقد دلت آيات كثيرة على أن الله سبحانـــه وتعالى أنزل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما أشارت إلـــى إنزال الكتب السابقة قبله على من سبقه من الأنبياء والمرسلين قال تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى اللـــه يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)(١)

وقال تعالى : (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنت عليهم بوكيل)(٢)

وقال تعالى : (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ...)(٣)

هذه الآيات تدل على وجوب الإيمان بالكتب السماوية المنزلة مـــن عند الله ، ووجوب التصديق بها والعمل بمقتضى ما كلفنا به منها .

وقد مدح الله عز وجل من آمن بها جميعا ، وجعل لهم الهدايـــة والفلاح كما قال تعالى : (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)(٤)

---

(١) سورة الزمر آيه (٢٣) .
(٢) سورة الزمر آية (٤١) .
(٣) سورة الزمر آية (٧١) .
(٤) سورة البقرة آية (٤ ، ٥) .

والقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المعجز المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى وصف القرآن الكريم وأنه أعظم الكتب السماوية فقال :" وقوله تعالى (يتلوا عليهم آياته)(١) يعنى يتلو عليهم ما أنزل الله عليه من آياته المتلوه ، وهو القرآن وهو أعظم الكتب السماوية وقد تضمن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب وذكر أخبار من سبق وأخبار ما يأتى من البعث والنشور والجنة والنار مالم يشتمل عليه كتاب غيره حتى قال بعض الحكماء : لو أن هذا الكتاب وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك فكيف إذا جاء على يدى أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال إنه كلام الله وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا فيه ، فكيف يبقى مع هذا شك ، ولهذا قال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه)(٢)

وقال تعالى : (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)(٣) فلو لم يكن من المعجزات الدالة على صدقه غير هذا الكتاب لكفاه فكيف وله من المعجزات الأرضية والسماوية مالا يحصى .(٤)

وقال رحمه الله تعالى أيضا فى شرح حديث : " مثل الاسلام "(٥)

" ... لما كانت النفس والهوى داعيين إلى فتح أبواب المحارم

---

(١) سورة الجمعة آيه (٢) .
(٢) سورة البقرة آيه (٢) .
(٣) سورة العنكبوت آية (٥١) .
(٤) لطائف المعارف (ص ٨٥) .
(٥) أخرجه أحمد (٤ / ١٨٢) والحاكم (١ / ٧٣) من حديث النواس بن سمعان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، على جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ..." الحديث . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير (٢ / ٥٢) وعزاه لأحمد والحاكم ، ورمز له بالصحة .

وكشف ستورهما وارتكابهـا جعل الله عز وجل لها داعيين يزجران من يريد ارتكاب المحارم وكشف ستورهما أحدهما : داعي القرآن وهو الداعي على رأس الصراط يدعو الناس كلهم إلى الدخول في الصراط والاستقامة عليه وأن لا يعوجوا عنه يمنة ويسرة ، ولا يفتحوا شيئا من تلك الأبواب التي عليها الستور المرخاة ، قال الله عز وجل حاكيا عن عباده المؤمنين أنهم قالوا (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) (١) الآية . والمراد به القرآن عند أكثر السلف ، وقال حاكيا عن الجن الذين سمعوا القرآن أنهم لما رجعوا إلى قومهم قالوا : (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق والى طريق مستقيم ، ياقومنا اجيبوا داعي الله ... (٢) (٣)

وقال رحمه الله تعالى أيضا عن القرآن " وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الاحسان ومكارم الاخلاق ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب له خلق (٤) يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه " (٥) .

وبهذا يتبين لنا أهمية العناية بهذا القرآن والحرص على قراءته والعمل بما فيه لما يترتب على ذلك من حصول الهداية والسعادة والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٩٣) .

(٢) سورة الأحقاف آيه (٣٠ ، ٣١) .

(٣) شرح حديث مثل الاسلام ورقه (٩) .

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (١ / ٥١٣) أن سعد بن هشام بن عامر سأل عائشة رضي الله عنها فقال : ياأم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن "

(٥) لطائف المعارف (ص ١٧٥) .

المبحث الأول
تعريف النبي والرسول لغة وشرعا

أولا : تعريف النبي والرسول لغة :

النبي لغة مشتق من النبأ وهو الخبر كما في قوله تعالى :
(عم يتساءلون عن النبأ العظيم) (١)

وقيل أن النبي مأخوذ من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض وسمي النبي بذلك لأنه مفضل على سائر الخلق بمكانته ورتبته العالية ومنه قوله تعالى : (ورفعناه مكانا عليا) (٢)

وقيل النبي هو الطريق الواضح لأن العرب تطلق لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ، وسمى النبي بذلك لأنه علم يهتدى به الخلق إلى الله تبارك وتعالى . (٣)

أما الرسول لغة فهو مشتق من الارسال ومعناه البعث والتوجيه فإذا بعثت شخصا في القيام بمهمة ما فهو رسولك قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ (واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) (٤) ويجمع رسول على أرْسُل ورُسُل ورُسْل ورُسَلاء وسموا الرسل بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون من قبل الله عز وجل لتبليغ الخلق أمر الله ووحيه . (٥)

---

(١) سورة النبأ آيه (١ ، ٢) .
(٢) سورة مريم آيه (٥٧) .
(٣) الصحاح للجوهري (١/ ٧٤ و ٦/ ٢٥٠٠) والمفردات للراغب الاصفهاني (ص ٤٨١ ، ٤٨٢) ولسان العرب (١/ ٣٠٢) و(١٥/ ١٦٢ ، ١٦٣) .
(٤) سورة النمل آيه (٣٥) .
(٥) الصحاح للجوهري (٤/ ١٧٠٩) والمفردات للراغب الاصفهاني (ص ١٩٥) ولسان العرب (١١/ ٢٨٣ ، ٢٨٤) .

ثانيا : تعريف النبي والرسول شرعا :

تعددت الأقوال في تعريف النبي والرسول والقول المشهور في تعريف النبي والرسول .

أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه (١) .

ولكن بعض أهل العلم يرى أن هذا التعريف الشائع تعريف فيه بعد يقول العلامة الشيخ / محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

" وآية الحج تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ، ولم يؤمر بتبليغه ، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه ، وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح ، لأن قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) (٢) يدل على أن كلا منهما مرسل ، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير ، واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته ، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب وانما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما بينه تعالى بقوله (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) (٣) ... (٤)

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧) ولوامع الأنوار البهية (١/٤٩) .

(٢) سورة الحج آية (٥٢) .

(٣) سورة المائدة آية (٤٤) .

(٤) أضواء البيان (٥/٧٣٥) .

ولعل الشنقيطي رحمه الله يشير إلى ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال : " فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فان أرسل مع ذلك الى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول " . . . إلى أن قال : فقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)(١) دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولا عند الاطلاق ، لأنه لم يرسل الى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق ".(٢)

---

(١) سورة الحج آية (٥٢) .

(٢) النبوات (ص ٢٢٥ ، ٢٥٦) .

المبحث الثانى

معنى الايمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

إن الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الإيمان بالغيب الذى وصف الله المؤمنين بأنهم يؤمنون به كما قال تعالى : (آلـم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)[(١)] ، وهو ركن من أركان الإيمان التى يجب الإيمان بها كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة فى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)[(٢)]

وقال تعالى : (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين)[(٣)]

وفى حديث جبريل وسؤاله للنبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره "[(٤)] .

---

(١) سورة البقرة آية (١ ـ ٣) .
(٢) سورة البقرة آية (٢٨٥) .
(٣) سورة البقرة آية (١٧٧) .
(٤) تقدم تخريجه (ص ٥١٨) .

ومعنى الإيمان بالانبياء والرسل هو التصديق الجازم بأن الله عز وجل رسلا أرسلهم لارشاد الخلق إلى ما فيه خيرهم فى معاشهم ومعادهم ، فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم فى كتابه على التفصيل والإيمان جملة بأن الله رسلا غيرهم وأنبياء لا يعلمهم إلا هو سبحانه وتعالى ، قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) (١)

والواجب الإيمان بجميع رسل الله تعالى دون تفريق بينهم فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر فقد كفر بالجميع كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) (٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية " يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله فى الايمان فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهى والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم . . . والمقصود أن من كفر بنبى من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء فإن الإيمان واجب بكل نبى بعثه الله إلى أهل الأرض ، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهى

---

(١) سورة غافر آيه (٧٨) .

(٢) سورة النساء آية (١٥٠ ، ١٥١) .

تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية . (١)

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى وجوب الايمان بالرسل وبكل ما أخبروا به بقوله : " والايمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتاب والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به وغير ذلك من صفات الله وصفات اليوم الآخر كالصراط والميزان ، والجنة والنار . (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٢) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٠) .

المبحث الثالث

الغرض من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام

بعث الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام وكلفهم بالدعوة إلى عبادته واقامة دينه ، وافراده بجميع أنواع العبادة ، والتحذير من الشرك والبدع ونبذ كل ما يعبد من دون الله ، وعلى هذا اتفق جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فما من نبى أرسله الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (١)

وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢) .

وقال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : " الأنبياء إخوة من علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد " (٤) .

---

(١) سورة الانبياء آية (٢٥) .

(٢) سورة النحل آية (٣٦) .

(٣) سورة الشورى آية (١٣) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب أحاديث الانبياء - باب قول الله : (وأذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) (٤/١٤٢) ومسلم : كتاب الفضائل - فضائل عيسى عليه السلام (٤/١٨٣٧) .

وقد أهتم ابن رجب رحمه الله تعالى ببيان هذه المسألة فقال رحمه الله تعالى : " بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين مبشرين بالجنة من آمن وعمل صالحا ومنذرين بالنار من كفر وعصى، وأقام أدلة وبراهين دلت على صدق رسله فيما أخبروا به عن ربهم " (١).

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وقوله صلى الله عليه وسلم : " حتى يعبد الله وحده لا شريك له)" (٢) هذا هو المقصود الأعظم من بعثته صلى الله عليه وسلم بل من بعثة الرسل من قبله كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٣) وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٤)

بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وايجادهم كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (٥) فما خلقهم إلا ليأمرهم بعبادته ، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم على ذلك كما قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) (٦) الآية .

---

(١) البشارة العظمى ورقة (٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٥٠)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ها المسند حديث رقم (٥١١٤).

(٣) سورة الأنبياء آيه (٢٥) .

(٤) سورة النحل آيه (٣٦) .

(٥) سورة الذاريات آيه (٥٦) .

(٦) سورة الأعراف آيه (١٧٢) .

وقد تكاثرت الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة فى تفسير هذه الآية أنه تعالى استنطقهم حينئذ ، فأقروا كلهم بوحدانيته ، وأشهدهم على أنفسهم وأشهد عليهم أباهم آدم والملائكة .

ثم أنه تعالى هداهم فى كل زمان بارسال رسله ، وانزال الكتب يذكرهم بالعهد الأول ، ويجدد عليهم العهد والميثاق على أن يوحدوه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وأشار فى خطاب آدم وحواء عند هبوطهما من الجنة إلى هذا المعنى فى قوله تعالى : (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) وفى سورة طه (٢) نحو هذا ، فما وفى بنو آدم كلهم بهذا العهد المأخوذ عليهم ، بل نقضه أكثرهم وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، فبعث الله الرسل تجدد ذلك العهد الأول وتدعوا إلى تجديد الاقرار بالوحدانية (٣) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " فالجهاد فى سبيل الله دعاء

---

(١) سورة البقرة آية (٣٨ ، ٣٩) .

(٢) وهى قوله تعالى : (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم من هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ...) الآية سورة طه آيه (١٢٣ ، ١٢٤) .

(٣) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ٢١ ، ٢٢) .

الخلق إلى الإيمان بالله ورسوله بالسيف واللسان بعد دعائهم إليه بالحجة والبرهان ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الأمر لا يقاتل قوما حتى يدعوهم ، فالجهاد به تعلو كلمة الإيمان وتتسع به رقعة الاسلام ، ويكثر الداخلون فيه ، وهو وظيفة الرسل وأتباعهم ، وبه تصير كلمة الله هى العليا ، والمقصود منه أن يكون الدين كله لله ، والطاعة له كما قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (١) ... (٢)

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٩) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٢٤١) .

المبحث الرابـــع
التفاضل بين الأنبيـــــاء

ورد فى القرآن الكريم ما يدل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاضلون ، وأن بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى : (ولقد فضلنـــا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) (١) .

وقال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم مـــن كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بـــروح القدس) (٢) .

فهذه الآيات تدل على المفاضلة بين الرسل والأنبياء وأن بعضهم أفضل من بعض .

وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء وأفضل الرسل والأنبياء هم أولو العزم ، وقد ذكر كثير من العلماء أن أولى العزم مـــــن الرسل عددهم خمسة وهم : محمد صلى الله عليه وسلم ونوح وابراهـــــيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وهؤلاء الرسل خصهم الله سبحانه وتعالى بالذكر فى آيتين من كتابه ، قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيســـى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٣) .

---

(١) سورة الاسراء آية (٥٥) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٣) .

(٣) سورة الشورى آية (١٣) .

وقال تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) (١)

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصبر ويتحمل الأذى كما صبر أولو العزم من الرسل فقال تعالى : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) (٢)

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " خواص الرسل أولو العزم وهم خمسة وهم أفضل الرسل " (٣)

كما خص الله تبارك وتعالى نبينا محمدا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بالخلة دون بقية الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى هذا فقال : " وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى سبب براءته من خلة المخلوقين وهو أن الله اتخذه خليلا لنفسه كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ومن كان خليلا لله فلا ينبغي له أن يخالل بشرا " . (٤)

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو خاتمهم قال ابن رجب رحمه الله تعالى في ذلك : " . . . فإنه أشرف المخلوقين وأفضلهم وحقه على الامة أوجب من سائر الخلق لأن هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة كانت على يديه بتعليمه وارشاده صلى الله عليه وسلم تسليما وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته . (٥)

---

(١) سورة الأحزاب آيه (٧) .
(٢) سورة الأحقاف آيه (٣٥) .
(٣) شرح حديث شداد بن أوس ورقه (٥) .
(٤) فتح الباري ورقة (١٢٠/ب) .
(٥) المصدر السابق (١٩٩/ب) .

المبحث الخامس
بعض خصائص الرسل عليهم الصلاة والسلام

خص الله تبارك وتعالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأمور انفردوا بها دون بقية البشر وسأقتصر على ذكر الأمور التي تكلم فيها ابن رجب رحمه الله تعالى ومنها :

١ — أنهم يخيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بُحة (١) شديدة ، فسمعته يقول : (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (٢) فعلمت أنه خير " . (٣)

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى في هذا : " وأما الأنبياء فلا يقبضون حتى يخيروا " . (٤)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " لما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير (٥)

---

(١) البُحَّة بالضم غلظة في الصوت ، يقال بَحَّ يَبَحُّ بُحُوحا ، وان كان من داء فهو البُحاح . النهاية لابن الأثير (١/٩٩) .

(٢) سورة النساء آية (٦٩) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التفسير — باب " فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين " (٥/١٨١) .

(٤) جامع العلوم والحكم (٣/١٧٩) .

(٥) لطائف المعارف (ص ١٠٣) .

٢ — أنهم لا يورثون ودل على ثبوت ذلك جملة من الأحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبى بكر ، فيسألنه ميراثهن من النبى صلى الله عليه وسلم قالت عائشة لهن : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا نورث ما تركنا صدقة " (١).

ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مؤنة عاملى ونفقة نسائى صدقة " (٢).

ومنها حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " (٣).

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الاعتصام بالسنة - باب ما يكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين (١٤٦/٨) ومسلم : كتاب الجهاد والسير - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا نورث ما تركنا صدقة " (١٣٧٩/٣) .

(٢) أخرجه أحمد (٤٦٣/٢) .

(٣) أخرجه أحمد (١٩٦/٥) وأبو داود : كتاب العلم - باب الحث على العلم (٥٨/٤) والترمذى : كتاب العلم - باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥) وابن ماجه : المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١) والحاكم (٧/١) من حديث أبى هريرة .

===

فهذه الأحاديث تدل على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى هذه المسألة عند شرحه لحديث أبي ذر السابق فقال " فقوله صلى الله عليه وسلم " إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"

المراد بهذا أن العلماء ورثوا الأنبياء فيما خلفوه ، وأن الذى خلف الأنبياء هو العلم النافع ، فمن أخذ العلم وحصل له فقد حصّل الحظ العظيم الوافر الذى يغبط به صاحبه ، ورأى ابن مسعود قوما فى المسجد يتعلمون فقال رجل : علام اجتمع هؤلاء ؟ فقال : على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه .

وخرج أبو هريرة إلى السوق فقال لأهله : " تركتم ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسم فى المسجد وأنتم هاهنا ؟ ". (١)

فتركته صلى الله عليه وسلم وميراثه هو هذا الكتاب الذى جاء به مع السنة المفسرة له المبينة لمعانيه ، وفى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه سئل : أترك النبى صلى الله عليه وسلم من شىء ؟ قال :

=== قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (١/ ١٦٠) أخرجه ابو داود ، والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم مصححا من حديث أبى الدرداء وحسنه حمزة الكنانى وضعف عندهم مسنده ، لكن له شواهد يتقوى بها .

(١) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١/ ١٠٣) رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن ، وكذا قال الهيثمى أيضا فى المجمع (١/ ١٢٣) .

" ما ترك إلا ما بين الدفتين "(١) يعني المصحف .(٢)

وقال رحمه الله تعالى : " فقوله صلى الله عليه وسلم " إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم " يريد أنهم لم يورث عنهم سوى العلم . وهذا يبين المراد بقوله تعالى : (وورث سليمان داود)(٣) وقوله عن زكريا (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب)(٤) إنما أريد به ميراث العلم والنبوة لا المال ، فإن الأنبياء لا يجمعون مالا يتركونه .

قال عليه السلام : " ما تركت بعد مؤنة عاملي ونفقة عيالي فهو صدقة " .(٥) وما ترك الا درعه وسلاحه وبغلته البيضاء وأرضا جعلها صدقة " .(٦) فلم يخلف سوى آلة بعده ، والارض التى

---

(١) صحيح البخاري :كتاب فضائل القرآن - باب من قال لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم الا ما بين الدفتين (١٥٦/٦) .

(٢) شرح حديث أبي الدرداء (ص ١٣٥ - ١٣٦) .

(٣) سورة النمل آيه (١٦) .

(٤) سورة مريم آية (٦) .

(٥) أخرجه البخاري : كتاب فرض الخمس - باب نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته (٤٤/٤) ومسلم : كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا نورث ما تركنا فهو صدقة (١٣٨٢/٣) .

(٦) يدل على ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٥/٤) من حديث عمرو بن الحارث قال : " ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته البيضاء وأرضا تركها صدقة " .

كان يقتات منها هو وعياله ردها صدقة على المسلمين .

وكل هذا اشارة إلى أن الرسل لم تبعث بجمع الدنيا وتوريثها لأهاليهم ، وانما بعثوا بالدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله والعلم النافع وتوريثه لأممهم ، وفى مراسيل أبى مسلم الخولانى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أَنْ سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " خرجه أبو نعيم . (١)

وفى الترمذى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها (٢)

فقوله صلى الله عليه وسلم : " إن العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم " اشارة الى أمرين :

أحدهما : أن العالم الذى هو وارث الرسول حقيقة ، كما أنه

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١٣١) من طريق جبير بن نفير عن أبى مسلم مرسلاء والبغوى فى تفسيره (٣/ ٦٠) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥/ ١٠٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر ، والحاكم فى التاريخ وابن مردويه والديلمى .

(٢) أخرجه الترمذى : كتاب الزهد (٤/ ٥٨٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه : كتاب الزهد - باب مثل الدنيا (٢/ ١٣٧٦) وأحمد (١/ ٣٩١) والحاكم (٤/ ٣١٠) وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبى .

ورث علمه ينبغى أن يورث العلم كما ورّث الرسول العلم ، وتوريث العالـــم العلم هو أن يخلفه بعده بتعليم أو تصنيف ، ونحو ذلك مما ينتفع به بعده والعالم إذا علّم من يقوم به بعده فقد خلف علما نافعا وصدقة جارية لأن تعليم العلم صدقة ، والذين علمهم بمنزلة أولاده الصالحين يدعون لـــه فيجتمع له بتخليف علمه الخصال الثلاثة .

وأما الأمر الثانى : فهو أن من كمال ميراث العالم للرســـول أن لا يخلف الدنيا كما لم يخلفها الرسول ، وهذا من جملة الاقتـــداء بالرسول وبسنته فى زهده فى الدنيا وتقلله منها واجتزائه منها باليسير. (١)

---

(١) شرح حديث أبى الدرداء (ص ١٣٧ ــ ١٤١) .

المبحث السادس
الايمان بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله أرسله إلى الثقلين بشيرا ونذيرا وأنه عبد الله وصفيه من خلقه أصل عظيم من أصول الإيمان ، اذ لا يحصل لأحد الايمان الصحيح حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين وسيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين .

فيجب على كل عبد الاعتقاد الجازم بأنه عليه الصلاة والسلام إمام المتقين الذى يقتدى به فى الخير كله وأنه وحده الذى تجب طاعته والاقتداء به دون سواه قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (١)

ويجب الإيمان بأنه خليل الرحمن ، وأن له أعلا مراتب محبة الله عز وجل كما فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا " . (٢)

وكما فى حديثه الآخر رضى الله عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ألا إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا إن صاحبكم خليل الله " . (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية (٣١) .

(٢) أخرجه مسلم :كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه (١٣/ ٢٣) .

(٣) أخرجه ابن ماجه : المقدمة ـ باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ٣٦) .

ويجب أن نعتقد أنه عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى عامة الجن والانس بالحق والهدى والنور .

قال تعالى : (قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا) (١)

وقال تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (٢) .

وقال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (٣)

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن الجن أنهم قالوا : (يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) (٤) .

وقال تعالى : (قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " (٦) .

---

(١) سورة الاعراف آية (١٥٨) .

(٢) سورة الفرقان آية (١) .

(٣) سورة سبأ آية (٢٨) .

(٤) سورة الأحقاف آية (٣١) .

(٥) سورة الجن آية (١ ، ٢) .

(٦) أخرجه البخارى : كتاب التيمم (١ / ٨٦) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١ / ٣٧١) .

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى : " وكونه صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى الناس كافة معلوم من دين الاسلام بالضرورة ". (١)

ويجب علينا أن نقدم محبته صلى الله عليه وسلم على الوالد والولد والنفس والناس أجمعين كما في حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ". (٢)

ويجب علينا أن نؤمن بأن الله عز وجل قد أيده بالمعجزات الباهرات والآيات البينات الدالة على صدقه في كل ماجاء به صلى الله عليه وسلم ، وهي كثيرة جدا ، وقد ألفت فيها مؤلفات مستقلة ، وذكر كثيراً منها العلماء رحمهم الله تعالى في كتب التفسير والحديث والعقيدة ودلائل النبوة والتاريخ وغيرها .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه المسائل كلها .

فقال عن وجوب الإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم له في ذلك" والرضا بمحمد رسولا يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله ، وقبول ذلك بالتسليم والانشراح كما قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) (٣) الآية .

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " (٤) (٥)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧٨) .
(٢) تقدم تخريجه (ص ٣١٥) .
(٣) سورة النساء آية (٦٥) .
(٤) تقدم تخريجه (ص ٣١٥) .
(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٥ ، ٧٦)

وقال عن ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من تبليغ رسالة ربه والدعوة إليها : " وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالات ربه وعلم أمته مناسكهم وعباداتهم وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها ... " (١)

وقال عن كمال ما جاء به من الهدى والخير مما يدل على وجوب محبته وطاعته : " ... ما أعطيت أمة ما أعطيت هذه الأمة ببركة متابعة نبيها صلى الله عليه وسلم حيث كان أفضل الخلق ، وهديه أكمل هدى مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع به من الآصار والأغلال عن أمته ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، وأحبه الله ، واهتدى بهدى الله ". (٢)

وقال عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم : " سماه الله مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ".

فقيل سراجا للمؤمنين ومنيرا للمذنبين يوم القيامة بالشفاعة (٣)

وقال أيضا : " وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه يدعو الخلق بالكتاب إلى الصراط المستقيم كما قال الله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) . (٤)

---

(١) تفسير سورة النصر (ص ٧٦) .
(٢) المحجة فى سير الدلجة (ص ٥٧) .
(٣) لطائف المعارف (ص ١٠) .
(٤) سورة ابراهيم آيه (١) .

وقال تعالى : (وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) (١) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق بالقرآن إلى الدخول في الاسلام الذي هو الصراط المستقيم ، وبذلك استجاب له خواص المؤمنين كأكابر المهاجرين والأنصار ، ولهذا المعنى قال مالك : " فتحت المدينة بالقرآن " يعني أن أهلها إنما دخلوا الاسلام بسماع القرآن كما بعث النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير قبل أن يهاجر إلى المدينة ، فدعا أهل المدينة إلى الاسلام بتلاوة القرآن عليهم فأسلم كثير منهم " (٢) .

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن المخالفين لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ينقسمون إلى قسمين : قسم يردون ما جاء به ولا يعتقدون وجوب طاعته فهؤلاء خارجون من الملة .

وقسم يعتقدون وجوب طاعته ولكنهم يخالفون أمره تهاونا وكسلا فهؤلاء لهم نصيب من الهوان والذلة بحسب ما هم عليه .

فقال رحمه الله تعالى : " ومخالفة الرسول على قسمين :

أحدهما : مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره كمخالفة الكفار ، وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ، فهم تحت الذلة والصغار ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وعلى اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول كفر عناد .

---

(١) سورة المؤمنون آية (٧٣ ، ٧٤) .

(٢) شرح حديث مثل الاسلام ورقة (٩ ، ١٠) .

والثانى : من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصى التى يعتقد أنها معصية فله نصيب من الذلة والصغار .

وقال الحسن : إنهم إن طقطقت (١) بهم البغال ، وهملجت (٢) بهم البراذين (٣) ، فإن ذل المعصية فى رقابهم ، أبى الله أن يذل إلا من عصاه .

وكان الامام أحمد يدعو : " اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية ... " (٤)

---

(١) الطقطقة : هى صوت قوائم الخيل على الأرض الصلبة ـ لسان العرب (١٠/ ٢٢٥) .

(٢) الهملجة : هى مشية البراذين ـ لسان العرب (٢ / ٣٩٣) .

(٣) البراذين : جمع برذون، وهو يطلق على غير العربى من الخيل والبغال ، والأنثى منه يقال لها برذونة ، لسان العرب (١٣ / ٥١) ، المعجم الوسيط ص (٤٨)

(٤) الحكم الجديرة بالاذاعة (٤٢ ، ٤٣) .

المبحث السابع

كلامه في دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " طبق الشرك الأرض بعد المسيح ، فإن قومه الذين ادعوا اتباعه والايمان به أشركوا غاية الشرك فجعلوا المسيح هو الله أو ابن الله وجعلوا أمه ثالث ثلاثة .

أما اليهود فإنهم وان تبرأوا من الشرك ، فالشرك فيهم موجود ، فإنه كان فيهم من عبد العجل في حياة موسى عليه السلام ، وقال فيه : إنه الله ، وأن موسى نسي ربه وذهب يطلبه .

ولا شرك أعظم من هذا ، وطائفة قالوا : العزير ابن الله وهذا من أعظم الشرك ، وأكثرهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فأحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم إياهم ، لأن من أطاع مخلوقا في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها فقد أشرك بهذا الاعتبار حين جعل التحليل والتحريم لغير الله .

وأما المجوس فشركهم ظاهر ، فإنهم يقولون بإلهين قديمين أحدهما : نور ، والآخر : ظلمة ، فالنور خالق الخير ، والظلمة خالق الشر ، وكانوا يعبدون النيران .

وأما العرب والهند وغيرهم من الأمم فكانوا أظهر الناس شركا يعبدون مع الله آلهة كثيرة ، ويزعمون أنها تقرب إلى الله زلفى .

فلما طبق الشرك أقطار الأرض ، واستطار شروه من المشرق إلى المغرب بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية المحضة ،

والتوحيد الخالص دين إبراهيم عليه السلام ، وأمره أن يدعو الخلق كلهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فكان يدعو سرا إلى ذلك نحوا من ثلاث سنين ، فاستجاب له طائفة من الناس ، ثم أمره باعلان الدعوة واظهارها ، وقيل له (فاصدع بما تؤمر) (١) فدعا إلى الله والى توحيده وعبادته وحده لا شريك له جهرا وأعلن الدعوة ، وذم الآلهة التى تعبد من دون الله ، وذم من عبدها وأخبر أنه من أهل النار ، فثار عليه المشركون واجتهدوا فى إيصال الأذى إليه والى أتباعه ، وفى اطفاء نور الله الذى بعثه به ، وهو لا يزداد إلا إعلانا بالدعوة وتصميما على اظهارها واشهارها والنداء بها فى مجامع الناس . . . (٢) .

ثم استطرد ابن رجب رحمه الله تعالى فى بيان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الدعوة وكيف أنه عليه الصلاة والسلام بذل كل ما يستطيع لنشر هذا الدين وتبليغه إلى الناس لتكون كلمة الله هى العليا قال رحمه الله : " . . . وكان يخرج بنفسه فى مواسم الحج إلى من يقدم إلى مكة من قبائل العرب فيعرض نفسه عليهم ويدعوهم إلى التوحيد ، وهم لا يستجيبون له ، بل يردون عليه ويسمعونه ما يكره ، وربما نالوه بالأذى ، وبقى عشر سنين على ذلك . . . وكان يشق أسواقهم بالمواسم وهم مزدحمون بها كسوق ذى المجاز ينادى : " يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا " ، ووراءه أبو لهب يؤذيه ويرد عليه وينهى الناس عن اتباعه . . . (٣)

وقال رحمه الله تعالى يصف حال النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجته خديجة رضى الله عنها وعمه أبى طالب ، وما لاقاه من أذى قريش : " ثم إن أبا طالب لما توفى وتوفيت بعده خديجة اشتد المشركون

---

(١) سورة الحجر آية (٩٤) .
(٢) الحكم الجديرة بالاذاعة (٢٤ — ٢٦) .
(٣) المصدر السابق (ص٢٦ ، ٢٧) .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطروه إلى أن خرج من مكة إلى الطائف فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فلم يجيبوه وقابلوه بغاية الأذى وأمروه بالخروج من أرضهم ، وأغروا به سفهاءهم فاصطفوا له صفين ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموه ، فخرج معه مولاه زيد بن حارثة فلم يمكنه دخول مكة إلا بجوار وطلب من جماعة من رؤساء قريش أن يجيروه حتى يدخل مكة فلم يفعلوا حتى أجاره المطعم بن عدى فدخل إلى جواره ، وعاد إلى ما كان عليه من الدعاء إلى توحيد الله وعبادته ...

وكان صلى الله عليه وسلم ينادى من يؤوينى ؟ من ينصرنى ؟ حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة ، فلا يجيبه أحد حتى بعث له الأنصار من المدينة فبايعوه ، هذا كله وهو صابر على الدعوة إلى الله عز وجل على هذا الوجه راض بما يحصل له فيها من الأذى ، منشرح الصدر بذلك غير متضجر منه ، ولا جزع ...

وفى الصحيح عن عائشة قالت : قلت يارسول الله : هل مر عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : " لقد لقيت من قومك ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (١) ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ،

---

(١) فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب : أى لم أفطن لنفسى وأنتبه لحالى ، وللموضع الذى أنا ذاهب إليه إلا وأنا عند قرن الثعالب وقرن الثعالب : هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة ، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير .
لسان العرب (١٠ / ٣٢١) ومعجم البلدان (٤ / ٣٣٢) .

فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع كلام قومك لـك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ، ثم قال إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا مـلك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك وما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (١) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجـو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا " (٢).

ما مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يعبد الله ؟

ولا يشرك به شيء ، وما يبالي إذا حصل ذلك ما أصابه في الدعوة إليـه إذا وحد معبوده ، حصل مقصوده ... إلى أن قال رحمه اللـه :

" فلم يزل صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له حتى ظهر دين الله وأعلن ذكره وتوحيده في المشارق والمغارب ، وصـارت كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر ، وتوحيده هو الشائع ، وصار الدين كله لله ، والطاعة كلها لله ، ودخل الناس في دين الله أفواجـا فجعل ذلك علامة على اقتراب أجله وأمر حينئذ بالتهيؤ للقاء الله والنقلـة إلى دار البقاء ... (٣)

---

(١) الأخشبان : تثنية الأخشب ، والمراد بهما هنا جبلان بمكة هما جبل أبي قبيس وجبل قعيقعان .
معجم البلدان (١/١٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق (٤/٨٣) ومسلم : كتـاب الجهاد والسير (٣/١٤٢٠) .

(٣) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ٢٨ — ٣٣) .

المبحث الثامـــن
بيانه فضل ارسال النبي صلى الله عليه وسلم

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : " فليس لله نعمة أعظم مـــن ارسال محمد صلى الله عليه وسلم يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم "(١)

ويقـــول أيضا: "وقوله تعالى (وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(٢) اشارة إلى ما كان الناس عليه قبل إنزال هذا الكتاب من الضلال، فإن اللـــه نظر حينئذ إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب تمسكوا بدينهم الذى لم يبدل ولم يغير ، وكانوا قليلا جدا ، فأما عامـــة أهل الكتاب فكانوا قد بدلوا كتبهم وغيروها وحرفوها وأدخلوا فى دينهـــم ما ليس منه فضلوا وأضلوا ، وأما غير أهل الكتاب فكانوا على ضلال مبين ، فالأميون أهل شرك يعبدون الأوثان والمجوس يعبدون النيران ويقولـــون بإلهين اثنين وكذلك غيرهم من أهل الأرض منهم من كان يعبد النجـــوم ، ومنهم من كان يعبد الشمس أو القمر فهدى الله المؤمنين بارسال محمـــد صلى الله عليه وسلم إلى ما جاء به من الهدى والدين الحق وأظهر اللـــه دينه حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها فظهرت فيه كلمة التوحيد والعمـــل بالعدل بعد أن كانت الأرض كلها ممتلئة من الشرك والظلم ، فالأميـــون هم العرب والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم أهل فارس والروم ، فكانـــت فارس مجوسا والروم نصارى فهدى الله جميع هؤلاء برسالة محمد صلى اللـــه عليه وسلم إلى التوحيد ... فمن حصل له نصيب من دين الاســــــلام

---

(١) لطائف المعارف (ص ٨٤) .

(٢) سورة الجمعة آية (٢) .

فقد حصل له الفضل العظيم ، وقد عظمت عليه نعمة الله فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها إلى الممات والموت عليها ..." (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... فإن أعظم نعمة الله على هذه الأمة اظهار محمد صلى الله عليه وسلم لهم وبعثته وارساله إليهم كما قال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) (٢) ، فإن النعمة على الأمة بارساله أعظم من النعمة بايجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وانزال المطر واخراج النبات وغير ذلك ، فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقا من بنى آدم كفروا بالله ورسله وبلقائه فبدلوا نعمة الله كفرا .

فأما النعمة بارسال محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضيه لعباده ، وكان قبوله سبب سعادتهم فى دنياهم وآخرتهم . (٣)

---

(١) لطائف المعارف (ص ٨٦) .

(٢) سورة آل عمران آيه (١٦٤) .

(٣) لطائف المعارف (ص ٩٨) .

المبحث التاسع

النجاة والسعادة فى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه

بين ابن رجب رحمه الله تعالى أنه لا فلاح ولا سعادة ولا نجاة للعبد إلا باتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فمن أطاعه فيما جاء به من الحق المبين فقد نجا وزحزح نفسه عن النار ، ومن أبى وتكبر وعصى ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به فقد خسر خسرانا مبينا ، وعرض نفسه لعذاب الله عز وجل، فإنه ما من خير يوصل إلى الجنة الا ودلنا عليه ، وما من شر يوصل إلى النار إلا وحذرنا منه عليه الصلاة والسلام .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وفى الجملة فمن امتثل ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث (١) وانتهى عما نهى عنه ، وكان مشتغلا بذلك عن غيره حصل له النجاة فى الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه النبى صلى الله عليه وسلم من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم " (٢) .

---

(١) هو حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم .
أخرجه مسلم : كتاب الفضائل ـ باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك اكثار سؤاله عما لا ضرورة اليه (٤/ ١٨٣٠) .

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٣١) .

الفصل الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر

ويشتمل على المباحث التاليه :

المبحث الأول : تعريف القضاء والقدر .

المبحث الثاني : معنى الإيمان بالقضاء والقدر والأدلة على ذلك .

المبحث الثالث : مراتب الإيمان بالقضاء والقدر .

المبحث الرابع : النهي عن الخوض في القدر .

المبحث الخامس : الرضا بالقضاء والقدر .

المبحث السادس : حكم تمني الموت خشية الفتنة وعلاقته بالقضاء والقدر .

المبحث السابع : القضاء والقدر وفعل الأسباب .

المبحث الثامن : الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وبيان معنى حديث " فحج آدم موسى " .

المبحث الأول
تعريف القضاء والقدر

١ - تعريف القضاء لغة :

قال الجوهري : القضاء : الحكم ، وأصله قضاى لأنه من قضيت إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت ، والجمع أقضية .

والقضية مثله ، والجمع قضايا على فعالى وأصله فعائل .

وقضى أي حكم ، ومنه قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (١) ، وقد يكون بمعنى الفراغ تقول : قضيت حاجتي، وضربه فقضى عليه أي قتله كأنه فرغ منه .

وسُمٌّ قاض أي قاتل .

وقضى نحبه قضاء أي مات ، وقد يكون بمعنى الأداء والانهاء تقول : قضيت ديني ومنه قوله تعالى : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) (٢)

وقوله تعالى : (وقضينا إليه ذلك الأمر) (٣) أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك .

وقد يكون بمعنى الصنع والتقدير ، يقال : قضاه أي صنعه وقدره ومنه قوله تعالى : (فقضاهن سبع سموات في يومين) (٤) ومنه القضاء والقدر (٥) .

---

(١) سورة الاسراء آية (٢٣) .

(٢) سورة الاسراء آيه (٤) .

(٣) سورة الحجر آيه (٦٦) .

(٤) سورة فصلت آيه (١٢) .

(٥) الصحاح (٦/٢٤٦٣ ، ٢٤٦٤) .

وقال ابن الأثير : تكرر ذكر القضاء ، وأصله القطع والفصل يقال : قضى يقضى قضاء فهو قاض : إذا حكم وفصل ، وقضاء الشئ : إحكامه وامضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق (١)

وقال الراغب الاصفهانى : القضاء فعل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا وكل واحد منهما على وجهين : إلهى وبشرى ، فمن القول الإلهى قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (٢) : أى أمر بذلك .

وقال : (وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب) (٣) فهذا قضاء بالاعلام والفصل فى الحكم أى أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيا جزما ، وعلى هذا (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) (٤) .

ومن الفعل الالهى قول : (والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) (٥) .

وقوله : (فقضاهن سبع سموات فى يومين) (٦)

إشارة إلى إيجاده الابداعى والفراغ منه نحو (بديع السموات والأرض) (٧) ، وقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم) (٨)

---

(١) النهاية لابن الأثير (٤/ ٧٨) .

(٢) سورة الاسراء آيه (٢٣) .

(٣) سورة الاسراء آيه (٤) .

(٤) سورة الحجر آية (٦٦) .

(٥) سورة غافر آية (٢٠) .

(٦) سورة فصلت آيه (١٢) .

(٧) سورة البقرة آيه (١١٧) .

(٨) سورة الشورى آية (١٤) .

أي الفصـــــل .

ومن القول البشرى نحو قضى الحاكم بكذا فإن حكم الحاكم يكـــون بالقول ، ومن الفصل البشرى (فإذا قضيتم مناسككم) (١) ، (ثم ليقضـــوا تفثهم وليوفوا نذورهم) (٢) ، وقال تعالى (قال ذلك بيني وبينك أيمـــا الأجلين قضيت فلا عدوان على) (٣) ، وقال (فلما قضى زيد منها وطرا) (٤) وقال (ثم اقضوا إلى ولا تنظرون) (٥) ، أى افرغوا من أمركم ... (٦)

٢ ـ تعريف القدر لغة :

قال الراغب : القَدْرُ والتقدير تبيين كمية الشيء يقال قَدَرْته وقدرته ، وقدّره بالتشديد أعطاه القدرة يقال قدرني الله على كذا وقواني عليه ...

والقَدَر : وقت الشيء المقدر له والمكان المقدر له ، قال تعالى : (إلى قدر معلوم) (٧) وقال : (فسالت أودية بقدرها) (٨) أى بقـــدر المكان المقدر لأن يسعها . (٩)

---

(١) سورة البقرة آيه (٢٠٠) .
(٢) سورة الحج آيه (٢٩) .
(٣) سورة القصص آيه (٢٨) .
(٤) سورة الاحزاب آيه (٣٧) .
(٥) سورة يونس آيه (٧١) .
(٦) المفردات للراغب الاصفهاني (ص ٤٠٦) .
(٧) سورة المرسلات آيه (٢٢) .
(٨) سورة الرعد آية (١٧) .
(٩) المفردات (ص ٣٩٦) .

وقال الجوهري : قَدْرُ الشيء : مبلغه ، وقدر الله وَقَدْرُه بمعنىً ، وهو في الأصل مصدر ، وقال الله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره)[١] أي ما عظموا الله حق تعظيمه ...

وَقَدَرْتُ الشيء أَقْدُره وأَقْدِره قَدْرا من التقدير، وفي الحديث " إذا غم عليكم الهلال فاقدروا له "[٢] أي أتموا الثلاثين .[٣]

٣ ـ تعريف القضاء والقدر اصطلاحا :

اختلف عبارات العلماء رحمهم الله تعالى في تعريف القضاء والقدر فقال النووي رحمه الله تعالى : " واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى .[٤]

وقال الجرجاني :[٥] القدر : خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد مطابقا للقضاء ...

---

(١) سورة الأنعام آية (٩١) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الصوم (٢/ ٢٢٩) ومسلم في كتاب الصيام (٢/ ٧٥٩) من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رمضان فقال :" لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غم عليكم فاقدروا له " .

(٣) الصحاح (٢/ ٧٨٦ ، ٧٨٧) .

(٤) شرح مسلم للنووي (١/ ١٥٤) .

(٥) على بن محمد بن على أبو الحسن الحسيني الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني ، من كبار العلماء بالعربية ، له مؤلفات كثيرة منها " كتاب التعريفات " توفي سنة ٨١٦ هـ .

===

والقضاء : عبارة عن الحكم الالهى فى أعيان الموجودات على ماهى عليه من الأحوال الجارية فى الازل إلى الأبد .(١)

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى" أن بعض العلماء عرف القضاء : بأنه الحكم بالكليات على سبيل الاجمال فى الأزل ، والقدر : الحكم بوقوع الجزئيات التى لتلك الكليات على سبيل التفصيل ".(٢)

وقال السفارينى : " القضاء إرادة الله الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال ".(٣)

وخلاصة القول فى هذا ما قاله الامام الخطابى رحمه الله تعالى حيث قال : " أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ".(٤)

ويقول الراغب الاصفهانى : " والقضاء من الله تعالى أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير ، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع ، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل ، وهذا كما قال أبو عبيدة لعمر رضى الله عنهما لما أراد الفرار من الطاعون

= = = بغية الوعاة (٢/١٩٦) والضوء اللامع (٥/٣٢٨) والبدر الطالع (١/٤٨٨).

(١) التعريفات (ص (١٧٤ ، ١٧٧).

(٢) فتح البارى (١١/١٤٩).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/٣٤٧).

(٤) معالم السنن (٤/٣٢٣).

بالشام : أتفر من القضاء ؟ قال : أفر من قضاء الله إلى قدر الله "[١]

تنبيها أن القدر مالم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله ، فإذا قضى فلا مدفع له ... ويشهد لذلك قوله تعالى (وكان أمرا مقضيا)[٢] وقوله (كان على ربك حتما مقضيا)[٣] وقوله (وقضى الأمر)[٤] أى فصل تنبيها أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه ".[٥]

وقد أجاب الامام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن القدر فقال : " القدر قدرة الله على العباد "[٦]

وقد علق العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى على تعريف الامام أحمد فقال : واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره فى معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء ، فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الله على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم ".[٧]

وفى الحقيقة أن تعريف الامام أحمد رحمه الله تعالى السابق تعريف جامع مانع فالإمام أحمد رحمه الله تعالى يبين أن القدر هو ما قدره

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٣٣) .
(٢) سورة مريم آيه (٢١) .
(٣) سورة مريم آيه (٧١) .
(٤) سورة البقرة آيه (٢١٠) .
(٥) المفردات (ص ٤٠٧) .
(٦) انظر : مسائل ابن هانىء (٢/١٥٥) .
(٧) شفاء العليل (ص ٢٨) .

الله سبحانه وتعالى فى كثير من الآيات من ذلك قوله تعالى : (قل إن الامر كله لله) [١] وقوله تعالى (يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد اذنه) [٢] وقوله تعالى (بيده ملكوت كل شئ) [٣]

إلى غير ذلك من الآيات التى تدل على أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى وأنه لا يحدث شئ فى هذا الكون إلا بارادته ومشيئته تعالى .

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٥٤) .

(٢) سورة يونس آيه (٣) .

(٣) سورة يس آيه (٨٣) .

المبحث الثاني
معنى الايمان بالقضاء والقدر والأدلة على ذلك

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول أهل السنة والجماعة وركن من أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها وهي الواردة في حديث جبريل الذي رواه مسلم وغيره وفيه أن الإيمان هو : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " (١) .

ومعنى الإيمان بالقدر هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ، وأنه تعالى الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بارادته ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وان كل أمر مخطوط في اللوح المحفوظ ، وأنه تعالى خالق أفعال العباد ، وعالم بجميع أحوالهم من الطاعات والمعاص والارزاق والآجال ، وأنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

والإيمان بالقدر من الأمور الغيبية التي يجب على المسلم الإيمان بها .

والايمان بالقدر سعادة في الدنيا والآخرة لأن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه اطمأن قلبه وتعلق بربه وصرف أمره إليه هذا مع ما في الإيمان بالقدر من تحقيق العبودية لله تعالى واستشعار عظمته وقدرته جل وعلا .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٥١٨) .

وقد دل على وجوب الايمان بالقضاء والقدر أدلة كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن الآيات قوله تعالى : (وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)[١]، وقال تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر)[٢]، وقال تعالى (وكل شيء عنده بمقدار)[٣] وقال تعالى (وكان أمر الله قدرا مقدورا)[٤] وقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه)[٥].

واما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدا ومنها :

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ".[٦]

وحديث على رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) سورة الحجر آيه (٢١).

(٢) سورة القمر آيه (٤٩).

(٣) سورة الرعد آيه (٨).

(٤) سورة الاحزاب آية (٣٨).

(٥) سورة التغابن آية (١١).

(٦) أخرجه الترمذى : كتاب القدر - باب ما جاء في الايمان بالقدر خيره وشره (٤٥١/٤) وأحمد حديث رقم (٦٧٠٣) و (٦٩٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وقال أحمد شاكر في كل منهما : إسناده صحيح .

وأنى محمد رسول الله بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر ". (١)

وحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل شئ بقدر حتى العجز والكيس " (٢)

وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " (٣)

وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قالت أم حبيبة : " اللهم متعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبى، أبى سفيان، وبأخى معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنك سألت الله لآجال مضروبة ، وآثار موطوءة ، وأرزاق مقسومة ، لا يُعَجِّل شيئا منها قبل حله ، ولا يؤخر منها شيئا قبل حله ، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر لكان خيرا لك ". (٤)

---

(١) أخرجه الترمذى : كتاب القدر : باب ماجاء فى الإيمان بالقدر خيره وشره (٤ / ٤٥٢) وابن ماجه : المقدمه ـ باب فى القدر (١ / ٣٢) والحاكم (١ / ٣٢) وقال : هذا حديث صحيح ، ووافقه الذهبى .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب القدر ـ باب كل شئ بقدر (٤ / ٢٠٤٥) .

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٤٧) .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب القدر ـ باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (٤ / ٢٠٥١) .

قال الامام النووى رحمه الله تعالى : " وفى هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة فى إثبات القدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها ". (١)

وقد تكلم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى عن مسألة القضاء والقدر ووجوب الإيمان بذلك .

فقال رحمه الله تعالى فى معرض كلامه عن حديث وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس قال : " ... ثم ذكر بعد هذا كله الأصل الجامع الذى يبنى عليه هذه المطالب وهو تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع وأنه لا يصيب العبد من ذلك كله إلا ما سبق تقديره وقضاه له ، وأن الخلق كلهم عاجزون عن إيصال نفع أو دفع ضر غير مقدر فى الكتاب السابق ". (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : وقوله صلى الله عليه وسلم : " جف القلم بما هو كائن " وفى الرواية الأخرى " رفعت الأقلام وجفت الكتب " وفى الرواية الأخرى " وجفت الصحف " (٣) كله كناية عن نفوذ المقادير وكتابتها جميعها فى كتاب جامع من أمد بعيد ، فإن الكتاب إذا كتب وفرغ من كتابته وَبَعُد عهده فقد رفعت الأقلام عنه التى كتبت بها من مدادها وجفت الصحيفة المكتوبة فيها بالمداد المكتوب به فيها ، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها ، وقد دل الكتاب والسنن الصحيحه على مثل هذا المعنى قال الله عز وجل : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) . (٤)

---

(١) شرح مسلم للنووى (١٦/ ١٩٥ ، ١٩٦) .

(٢) نور الأقتباس (ص ٨٠) .

(٣) وردت هذه الروايات كلها فى حديث وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، وقد سبق تخريجه (ص ١٤١) .

(٤) سورة الحديد آية (٢٢) .

وخرج الامام أحمد وأبو داود والترمذى من حديث عبادة بن الصامت قال : " إن أول ما خلق الله القلم ثم قال : اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة " (١)

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " (٢)

وخرج الامام أحمد والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال : " أتدرون ما هذان الكتابان ؟ " فقلنا : لا يارسول الله إلا أن تخبرناء فقال للذى فى يده اليمنى : " هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا " ثم قال للذى فى شماله : " هذا كتاب رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم " ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا " فقال أصحابه : ففيم العمل يارسول الله إن كان أمره قد فرغ منه ؟ فقال : " سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل ، وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أى عمل " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال : " فرغ ربكم من العباد ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير " (٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣١٧) وأبو داود : كتاب السنة ـ باب فى القدر (٥/٧٦) والترمذى : كتاب القدر (٤/٤٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب القدر ـ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/٢٠٤٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/١٦٧) والترمذى : كتاب القدر (٤/٤٤٩) وقال :

===

وخرج الامام أحمد من حديث أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " فرغ الله إلى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره ومضجعه وشقى أو سعيد ".(١)

وخرج الامام أحمد والترمذى من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خلق الله كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصائبها ".(٢)

وخرج مسلم من حديث جابر أن رجلا قال : يارسول الله فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟ قال : " لا ، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير"، قال : ففيم العمل ؟ قال : " اعملوا فكل ميسر ".(٣)

وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة جدا ، وكذلك الآثار الموقوفة.(٤)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : وقوله صلى الله عليه وسلم " فلو أن الخلق جميعا أرادوا أن ينفعوك بشىء لم يقضه الله لم يقدروا عليه ، وان أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه "(٥)

=== هذا حديث حسن غريب صحيح ، وأخرجه النسائى فى السنن الكبرى كما فى تحفة الاشراف (٦/ ٢٤٣).

(١) أخرجه أحمد (١٩٧/٥) وابن أبى عاصم فى السنة (٣٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٤٠) و والترمذى : كتاب القدر (٤/ ٤٥١).

(٣) أخرجه مسلم : كتاب القدر - باب كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه ... (٤/ ٢٠٤٠).

(٤) نور الاقتباس (ص ٧٥ - ٧٧).

(٥) جزء من حديث وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، وقد تقدم تخريجه (ص ١٤١).

يريد بذلك أن ما يصيب العبد مما يضره أو ينفعه فى دنياه فكله مقدر عليه ، ولا يمكن أن يصيبه مالم يكتب له ولم يقدر عليه ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعا ، وقد دل القرآن أيضا على مثل هذا فى قوله تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (١) وقوله (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب) (٢) وقوله : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) (٣) .

وخرج الامام أحمد من حديث أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن لكل شئ حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه " (٤) .

واعلم أن مدار جميع هذه الوصية من النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس على هذا الأصل وما بعده وما قبله متفرع عليه وراجع إليه ، فإنه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر أو نفع أو ضر ، وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعا على خلاف المقدور غير مفيد شيئا البتة علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع والمعطي المانع " (٥) .

---

(١) سورة التوبة آية (٥١) .

(٢) سورة الحديد آية (٢٢) .

(٣) سورة آل عمران آيه (١٥٤) .

(٤) أخرجه أحمد (٦/١٨٥) والطبرانى فى الكبير (٥/١٧٨) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٩٧) رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات .

(٥) نور الأقتباس (ص ٧٨ ، ٧٩) .

بهذا يتبين لنا أن قول ابن رجب رحمه الله تعالى فى مسألة قضاء الله وقدره موافق لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وموافق لقول غيره من علماء السلف من أهل السنة والجماعة كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مقررا مذهب السلف : " مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شىء وربه ومليكه لا رب غيره ، ولا خالق سواه ، ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وهو على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله ، منهى عن معصية الله ومعصية رسوله ، فان أطاع كان ذلك نعمة وان عصى كان مستحقا للذم والعقاب وكان لله عليه الحجة البالغة ، ولا حجة لأحد على الله تعالى ، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته ، ولكن يحب الطاعة ويأمر بها ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم ، ويبغض المعصية وينهى عنها ويعاقب عليها ويهينهم .

وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه ، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه كما قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) (١) وقال تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) (٢) أى ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك ، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك ، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه ، فلابد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره ، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره " (٣)

---

(١) سورة الشورى آيه (٣٠) .
(٢) سورة النساء آيه (٧٩) .
(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٦٣ ، ٦٤) .

المبحث الثالث

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر تتلخص في أربعة أمور استنبطها العلماء* رحمهم الله تعالى من الكتاب والسنة وهي :

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله تعالى السابق المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات ويدخل في ذلك أفعال العباد وجميع أحوالهم من الأرزاق والآجال والطاعات والمعاصي، فهو سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ومن الأدلة على هذه المرتبة قوله تعالى : (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) (١)

وقوله تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم :" ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار" (٣).

المرتبة الثانية : الإيمان بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ الذى لم يفرط فيه من شيء ، ومن أدلة هذه المرتبة قوله تعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) (٤)

---

(١) سورة التوبة آية (٧٨) .

(٢) سورة الحشر آية (٢٢) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب القدر (٤/ ٢٠٤٠) .

(٤) سورة الحديد آية (٢٢) .

* انظر شفاء العليل لابن القيم ص (٦٦) وما بعدها .

وقوله تعالى : (وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) (١) .

وقوله تعالى : (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) (٢) ، وقوله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) (٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن أول ما خلق الله القلم ، فقال : أكتب قال رب وما أكتب ، قال : اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة " (٥)

---

(١) سورة يونس آيه (٦١) .

(٢) سورة هود آيه (٦) .

(٣) سورة الأنعام آيه (٣٨) .

(٤) تقدم تخريجه (ص ٥٩٦) .

(٥) تقدم تخريجه (ص ٥٩٦) .

المرتبة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة للكائنات وفق ما علمه وكتبه سبحانه وتعالى في أوقاتها وأماكنها وعلى هيئاتها التي قدرها لها ، فكل ماشاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن .

ومن أدلة هذه المرتبة قوله تعالى : (كذلك الله يفعل مايشاء)(١) وقوله تعالى : (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)(٢) وقوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)(٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء "(٤) .
وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء ... "(٥)

وقد أثبت الله تعالى للعبد مشيئة ولكنها لا تستقل بل هي تابعة لمشيئة الله تعالى قال الله عز وجل : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(٦) وقال تعالى : (وماتشاءون إلاأن يشاءالله إن الله كان عليما حكيما)(٧) .

---

(١) سورة آل عمران آيه (٤٠) .
(٢) سورة الأنعام آيه (٣٩) .
(٣) سورة يس آية (٨٢) .
(٤) أخرجه مسلم : كتاب القدر - باب تصريفه الله تعالى القلوب كيف شاء (٤/٢٠٤٥) .
(٥) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد - باب في المشيئة والارادة (٨/١٩٢) .
(٦) سورة التكوير آيه (٢٩) .
(٧) سورة الانسان آيه (٣٠) .

المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شئ هو خالق العباد وخالق أفعالهم ومقدر أرزاقهم وآجالهم وسعادتهم وشقاوتهم قضى ذلك تعالى وقدره لحكم يعلمها ، فما من ذرة فى السموات ولا فى الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

وهذه المرتبة أى مرتبة الوجود والخلق هى وقوع الاشياء طبقا لما علمه وطبقا لما كتبه ولما شاءه عز وجل ، ومن أدلة هذه المرتبة قوله تعالى : (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل) (١)

وقوله تعالى : (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) (٢)

وقوله تعالى : (الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا) (٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " ياعائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ". (٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله خلق كل صانع وصنعته ". (٥)

---

(١) سورة الزمر آيه (٦٢) .

(٢) سورة فاطر آيه (٣) .

(٣) سورة الفرقان آيه (٢) .

(٤) أخرجه مسلم : كتاب القدر (٤/ ٢٠٥٠) .

(٥) أخرجه البخارى : فى خلق أفعال العباد (ص ٧٣) وابن أبى عاصم فى السنة(١/١٥٨) والحاكم (١/ ٣١) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .

قال البخاري رحمه الله تعالى عقب هذا الحديث : " فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة ".

هذه مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، من لم يؤمن بها جميعا لم يكن مؤمنا بالقدر .

وقد أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى هذه المراتب وبينها وجعلها في درجتين كل درجة تتضمن مرتبتين فقال : " والإيمان بالقدر على درجتين :

احداهما : الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وايجادهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار ، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم ، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه ، وأن أعمال العباد تجرى على ما سبق في علمه وكتابه .

والدرجة الثانية : أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان ، وشاءها منهم ، فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة ،وتنكرها القدرية ، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته وكعمرو بن عبيد (١) وغيره .

---

(١) عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري المعتزلي القدري ، قال الخطيب : " كان عمرو يسكن البصرة وجالس الحسن البصري ، وحفظ عنه اشتهر بصحبته ثم ازاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة فقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحسن ، توفي سنة ١٤٤هـ وقيل غير ذلك .

تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٢) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٦٠) وميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٣) .

وقد قال كثير من أئمة السلف : ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أقروا به خصموا ، وان جحدوا فقد كفروا ، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد ، وأن الله تعالى قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد ، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ ، فقد كذّب بالقرآن فيكفر بذلك ، وان أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه (١) .

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٠ ، ٦١) .

المبحث الرابع
النهى عن الخوض فى القدر

لقد نهى الاسلام عن التنطع والتشدد والبحث فيما غاب عن علم الانسان مما استأثر الله بعلمه ، ومن ذلك البحث فى سر القدر والتعمق فى النظر فى دقائقه ، لأن ذلك من الأمور التى استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليها أحدا من الخلق لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولهذا فإن التعمق والجدل فى القضاء والقدر من الخذلان،لأن المجادل فيه لا يدرك مراده ، وكلما احتج بحجة كسرتها أخرى ، وربما أفضى به ذلك إلى الالحاد والزيغ عن الطريق المستقيم ، والخوض فى القدر أول ظاهرة للشرك فى هذه الأمة كما يدل عليه ما رواه الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما

قال : قيل لابن عباس : إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر ، فقال : دلونى عليه ، وهو يومئذ قد عمى ، قالوا : وما تصنع به يا أبا عباس ؟ قال : والذى نفسي بيده ،لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كأنى بنساء بنى فهر يطفن بالخزرج ، تصطفق ألياتهن مشركات ، هذا أول شرك هذه الأمة ، والذى نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا كما أخرجوه أن يكون قدر شرا ".(١)

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠) وقال أحمد شاكر : إسناده حسن على الأقل . المسند تحقيق / أحمد شاكر (٥/ ٢٢) حديث رقم (٣٠٥٦) .

وقد جاء كفار قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فأنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك آية ترد عليهم كما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء مشركو قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شىء خلقناه بقدر) (١)

وقد حصل بعض الخصام بين بعض الصحابة رضى الله عنهم فى القدر فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن الخوض فى ذلك والتعمق فيه لما يؤدى إليه من نتائج سيئة .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر ، قال : " وكأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب ، قال : فقال لهم : مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم " ، وقال : فما غبطت نفسى بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسى بذلك المجلس ، أنى لم أشهده " . (٢)

وقد كان السلف من الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم يكرهون الجدال فى القدر ويذمون من خاض فيه بل حذروا من ذلك فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول : باب شرك فتح على أهل الصلاة : التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجرى شركهم

---

(١) سورة القمر آية (٤٨ ، ٤٩) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٧٨) وقال أحمد شاكر : اسناده صحيح ، المسند تحقيق أحمد شاكر (١٠/١٥٣) حديث رقم (٦٦٦٨) ، وأخرجه أيضا ابن ماجه : المقدمة ، باب فى القدر (١/٣٣) - وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة (١/١٤) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

على أيديكم ". (١)

ويقول أيضا رضى الله عنه : ما غلا أحد فى القدر إلا خرج من الإسلام . (٢)

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام فى القدر والخوض فيه لكن لما خاضت المبتدعة فى هذا الأمر وحادوا عن الصواب رأى السلف الصالح أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء ، ذلك لأنه لم يظهر القول فى القدر إلا بعد مضى نصف القرن الأول تقريبا حيث أن معبدا الجهنى (٣) هو أول من أثار القول فى هذا الأمر .

روى مسلم فى صحيحه بإسناده إلى يحيى بن يعمر (٤) أنه قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا

---

(١) أخرجه الآجرى فى الشريعه (ص ٢١٥) واللالكائى فى شرح أصول أهل السنة (٤/ ٦٣٠) .

(٢) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول أهل السنة (٤/ ٦٣٢) .

(٣) معبد بن عبد الله الجهنى نزيل البصرة ، كان داعية إلى الضلال وهو أول من تكلم بالقدر فى زمن الصحابة ، قال ابن أبى حاتم : كان صدوقا فى الحديث وكان رأسا فى القدر ، قدم المدينة فأفسد بها ناسا ، وقد قتله عبد الملك سنة ٨٠ هـ .
الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٠) وميزان الاعتدال (٤/ ١٤١) ، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥) .

(٤) الامام الفقيه المقرىء أبو سليمان يحيى بن يعمر العدوانى البصرى كان من أوعية العلم وحملة الحجة قال ابن سعد : كان نحويا صاحب علم بالعربية والقرآن ، أتى خرسان فنزل مرو وولى القضاء بها ، وكان ثقة ، توفى سنة ٨٩ هـ .
طبقات ابن سعد (٧/ ٣٦٨) وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٥) وغاية النهاية (٢/ ٣٨١) .

وحميد بن عبد الرحمن الحميرى[١] حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم[٢] وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر "[٣] .

ولقد سلك هذا المسلك العلماء من بعدهم الذين ساروا على ما سار عليه الصحابة الكرام رضى الله عنهم يقول أبو محمد البربهارى رحمه الله تعالى : " والكلام والجدل والخصومة فى القدر خاصة منهى عنه عند جميع الفرق ، لأن القدر سر الله ، ونهى الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام فى القدر ، ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الخصومة فى القدر ، وكرهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعون ، وكرهه العلماء وأهل الورع ، ونهوا عن الجدال فى القدر ، فعليك التسليم والاقرار والإيمان واعتقاد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جملة الاشياء واسكت عما سوى ذلك "[٤] .

---

(١) حميد بن عبد الرحمن الحميرى ، شيخ بصرى ، ثقة عالم ، قال العجلى : تابعى ثقة .
تاريخ الثقات للعجلى (ص ١٣٤) وتهذيب التهذيب (٣ / ٤٦) .

(٢) يتقفرون العلم : أى يطلبونه ويتتبعونه . النهاية لابن الأثير (٤ / ٩٠)

(٣) صحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ... (١ / ٣٦) .

(٤) شرح السنة للبربهارى (ص ٣٦) .

ويقول البغوى رحمه الله تعالى : " والقدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا ، لا يجوز الخوض فيه ، والبحث عنه بطريق العقل ، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ، فجعلهم فريقين : أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا ، وأهل الشمال خلقهم للجحيم عدلا . (١)

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه المسألة فقال :

" وقد ورد النهى عن الخوض فى القدر ، وفى صحيح ابن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعا " لا يزال أمر هذه الأمة موافيا ومقاربا مالم يتكلموا فى الولدان والقدر " . (٢)

... والنهى عن الخوض فى القدر يكون على وجوه منها : ضرب كتاب الله بعضه ببعض فينزع المثبت للقدر بآية والنافى له بأخرى ويقع التجادل فى ذلك . وهذا قد روى أنه وقع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم غضب من ذلك ونهى عنه (٣)

---

(١) شرح السنة للبغوى (١/ ١٤٤) .

(٢) أخرجه ابن حبان كما فى موارد الظمآن (ص ٤٥١) والحاكم (١/ ٣٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا نعلم له علة ووافقه الذهبى .
وأخرجه أيضا البزار كما فى كشف الاستار (٣/ ٣٦) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٦٢) قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٠٢) رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح .

(٣) يشير ابن رجب رحمه الله تعالى فى هذا الكلام إلى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : هجّرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما . قال فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه

===

وهـــــذا من جملة الاختلاف فى القرآن والمراء فيه وقـــد نهى عن ذلك .(١)

ومنـها : الخوض فى القدر اثباتا ونفيا بالأقيسة العقلية كقـــول القدرية : لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما ، وقول من خالفهم : إن الله جبر العباد على أفعالهم ونحو ذلك .

ومنها : الخوض فى سر القدر ، وقد ورد النهى عنه عن على وغيره من السلف ، فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك .(٢)

--- الغضب فقال : " إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب " أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٣) .

(١) كما جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى اللـــه عليه وسلم قال : " المراء فى القرآن كفر "
أخرجه أحمد (٢/٢٨٦) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيـــح .
وأبو داود : كتاب السنة ـ باب النهى عن الجدال فى القـــرآن (٥/٩) والحاكم (٢/٢٢٣) وقال : صحيح على شرط مســـلم ووافقه الذهبى .
والطبرانى فى الكبير (١٩ / ٢٢٣) وقال الهيثمى (١/١٥٧) رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون .

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (ص ١٣٦ ، ١٣٧) .

المبحث الخامس

الرضا بالقضاء والقـــــدر

الرضا بالقضاء والقدر هو التسليم وسكون القلب وطمأنينته للقضـــاء الذى قضى الله سبحانه وتعالى به وهو الحكيم العليم ، وهذا جزء لا يتجزأ من الإيمان وركن من إركانه لا يصح الإيمان الا به ولكن يجب على المؤمـــن ألا يرضى بالذنوب والعيوب ومخالفة الاسلام لأن الله تعالى أمره ألا يرضى بها وأن يحاربها ويعمل على ازالتها ، ويجب عليه طاعة الله تعالى والتوبة والاستغفار من الذنوب ولا يحتج بأنها مقدرة عليه لأن هذا احتجاج مردود

أما الرضا بما قدره الله سبحانه وتعالى وقضاه من المصائـــب والنوائب والصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصيته وعلى أنواع المكاره والطمأنينة إلى حكم الله عز وجل فهذا مأمور به ، وهذا أمر يخلط فيـــه بعض الناس فيظنون أن العبد مأمور بالرضا بكل ما قدره الله وقضاه سواء كانت المصائب أو الذنوب والمعاصي، ولا شك أن هذا غلط مجانب للصواب ، لأن الحق فى هذا أن العبد لا يلزمه الرضا بكل مقضى فضلا عن أن يسر به ، بل المعاصي والذنوب وان كانت بقضاء الله وقدره إلا أن العبـــد يكرهها ويسخطها وتجب عليه التوبة منها والندم على اقترافها.

يقول ابن أبى العز رحمه الله تعالى : " فإن قيل : إذا كـــان الكفر بقضاء الله وقدره ، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله ، فكيف ننكره ونكرهه ؟

فالجواب : أن يقال أولا : نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره ، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة بل من المقضى ما يرضى به ، ومنه ما يسخط ويمقت ، كما لا يرضى به القاضى لأقضيته سبحانـــــه

بل من القضاء ما يسخط ، كما أن من الأعيان المقضية مايغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم .

ويقال ثانيا : هنا أمران : قضاء الله وهو فعل قائم بذات الله تعالى ، ومقضي وهو المفعول المنفصل عنه ، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة ، نرضى به كله ، والمقضى قسمان : منه ما يرضى به ، ومنه ما لا يرضى به .

ويقال ثالثا : القضاء له وجهان : أحدهما تعلقه بالرب تعالى ونسبته اليه ، فمن هذا الوجه يرضى به .

والوجه الثانى : تعلقه بالعبد ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به والى مالا يرضى به ، مثال ذلك : قتل النفس له أعتباران : فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلا للمقتول ونهاية لعمره يرضى به ، ومن حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به .(١)

ولذلك لا يلزم من الرضا بقضاء الله وقدره ترك المطالبة بالحقوق والانتصاف من الظلمة والمعتدين ، ولا ينافى ذلك أيضا نسبة الظلم والاعتداء إليهم ، لأن حقيقة الظالم والمعتدى هو من فعل الظلم والاعتداء ، وهذا وصف للعبد المكتسب بارادته واختياره ، فمعاقبته على هذا الفعل هو مقتضى العدل والحكمة .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أسبابا للرضا بالقضاء فقال : للرضا بالقضاء أسباب :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٨٧) .

منها : يقين العبد بالله وثقته به بأنه لا يقضى للمؤمن قضاء إلا وهو خير له فيصير كالمريض المستسلم للطبيب الحاذق الناصح فإنه يرضى بما يفعله به من مؤلم وغيره لثقته به ويقينه أنه لا يريد له إلا الأصلح...

ومنها : النظر إلى وعد الله من ثواب الرضا ، وقد يستغرق العبد فى ذلك حتى ينسى ألم المقضى به . . .

ومنها : وهو أعلى من ذلك كله الاستغراق فى محبة الله ودوام ملاحظة جلاله وجماله وعظمته وكماله الذى لا نهاية له ، فإن قوة ملاحظة ذلك يوجب الاستغراق فيه حتى لا يشعر بالألم . . . (١)

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن الرضا بالقضاء والقدر ليس بواجب بل هو مستحب مندوب إليه يقول فى إيضاح ذلك فى شرح حديث وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس : " والمقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر ابن عباس بالعمل بالرضا إن استطاعه ثم قال له : فإن لم تستطع فإن فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا " .

وهذا يدل على أن الرضا بالأقدار المؤلمة ليس بحتم واجب ، وانما هو فضل مندوب إليه ، فمن لم يستطع الرضا فليلزم الصبر ، فإن الصبر واجب لابد منه ، وفيه خير كثير ، فإن الله تعالى أمر بالصبر ووعد عليه جزيل الأجر قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . (٢)

---

(١) نور الاقتباس (ص ٨٦ ، ٨٧) .

(٢) سورة الزمر آية (١٠) .

وقال تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)[١] .

وقال تعالى : " (وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم)[٢] .

وحقيقة الفرق بين الصبر والرضا أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم ، والرضا يوجب انشراح الصدر وسعته ، وان وجد الاحساس بأصل الألم لكن الرضا يخفف الاحساس بالألم لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة[٣] ، وقد يزيل الاحساس به بالكلية.

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وكما أن الصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم[٤] ، فالرضا إنما يكون بعد نزول البلاء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : " وأسألك الرضا بعد القضاء "[٥] لأن العبد قد يعزم

---

(١) سورة البقرة آيه (١٥٥ ــ ١٥٧) .

(٢) سورة الحج آية (٣٤ ، ٣٥) .

(٣) نور الاقتباس (ص ٨٨ ، ٨٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٧١) ومسلم (٢/ ٦٣٧) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه .

(٥) جزء من حديث أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٦٤) والنسائي (٣/ ٥٤) والحاكم (١/ ٥٢٤) وصححه ووافقه الذهبي .

على الرضا بالقضاء قبل وقوعه ، فإذا وقع انفسخت تلك العزيمة ، فمن رضى بعد وقوع القضاء فهو الراضي حقيقة .

وفى الجملة فالصبر واجب لابد منه ، وما بعده إلا السخط ، ومن سخط أقدار الله فله السخط مع ما يتعجل له من الألم وشماتة الاعداء به أعظم من جزعه كما قال بعضهم :

لا تجزعن من كل خطب عرا * ولا ترى الأعداء ما يشتموا
ياقوم بالصبر تنال المنى * إذا لقيتم فئة فاثبتوا

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : " من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا ولا أوسع من الصبر . . ." (١)

والصبر الجميل هو أن يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها ، قال طائفة من السلف فى قوله تعالى : (فصبر جميل) (٢) قالوا : " لاشكوى معه . . ." (٣)

كما بين ابن رجب رحمه الله أن ما يصيب المسلم من المصائب والمحن والبلايا له فوائد وحكم كثيرة فى الدنيا والآخرة يقول فى آخر كتاب نور الاقتباس : " ولنختم الكتاب بذكر نبذة يسيرة من لطائف البلايا

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الزكاة ـ باب الاستعفاف فى المسألة (١٢٩/٢) ومسلم : كتاب الزكاة ـ باب فضل التعفف والصبر (٧٢٩/٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٢) سورة يوسف آيه (٨٣) .

(٣) نور الاقتباس (ص ٩٠ ، ٩١) .

وفوائدها وحكمها :

فمنها : تكفير الخطايا بها ، والثواب على الصبر عليها ...

ومنها : تذكر العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل .

ومنها : زوال قسوة القلب وحدوث رقتها .

ومنها : انكسار العبد لله عز وجل وذله له ، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين .

ومنها : أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله ، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة ، وذلك من أعظم فوائد البلاء .

وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد قال الله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) (١)

وقال : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) (٢)

ومنها : أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر والرضا به ، وذلك مقام عظيم جدا ...

ومنها : أن البلاء يقطع قلب المؤمن من الالتفات إلى المخلوق ، ويوجب له الاقبال على الخالق وحده ، وقد حكى الله عن المشركين اخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن .

فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات ...

---

(١) سورة المؤمنون آية (٧٦) .

(٢) سورة الأنعام آية (٤٢) .

ومنها : أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه محتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه فيكون فى مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلاء عنه ورفعه .

ومنها : أن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولاسيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ، ولم يظهر له أثر الاجابة ، رجع إلى نفسه باللائمة ، ويقول لها : إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت .(١)

كما أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر فقال : " فإنه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله من خير أو شر أو نفع أو ضر وأن اجتهاد الخلق كلهم جميعا على خلاف المقدور غير مفيد شيئا البتة علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع والمعطى المانع ، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وافراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال وافراده أيضا بالعبادة والطاعة لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ... "(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " فإذا أنت أحكمت باب اليقين ، فحصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضى يوجب رضا النفس بالقضاء والقدر وطمأنينتها به .

وقد دل القرآن الكريم على هذا المعنى بعينه فى قوله تعالى : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .(٣)

---

(١) نور الاقتباس (ص ١٠٨ — ١١١) .

(٢) المصدر السابق (ص ٧٩) .

(٣) سورة الحديد آية (٢٣) .

قال الضحاك[1] : "عزاهم لئلا تأسوا على ما فاتكم ، لا تأسوا على شيء من أمر الدنيا فإنا لم نقدره لكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، لا تفرحوا بشيء من أمر الدنيا أعطيناكموه فإنه لم يكن يزوى عنكم "

وقال سعيد بن جبير[2] في هذه الآية : " لكيلا تأسوا على ما فاتكم من العافية والخصب إذا علمتم أنه كان مكتوبا عليكم قبل أن يخلقكم"

ومن هذا المعنى قول بعض السلف : الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله في الحديث الصحيح عنه : " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا ولكن قل : قدر الله وماشاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان "[3] فأشار في هذا الحديث إلى أن تذكير النفس بالقدر السابق عند المصائب يذهب وسواس الشيطان الموجبة للهم والحزن والندم على تعاطي الأسباب الدافعة لوقوعها "[4] .

---

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد صاحب التفسير، قال الذهبي: كان من أوعية العلم ، وليس بالمجود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه وله باع كبير في التفسير والقصص ، توفي سنة ١٠٢ هـ .
سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨) وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣) .

(٢) الامام الحافظ المجود المقرئ المفسر أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي ، من كبار التابعين ، كان ذا عبادة ، وزهد ودين ، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ .
طبقات ابن سعد (٦/ ٢٥٦) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٢٤) ، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٤٧) .

(٤) نور الأقتباس (ص ٨٢ ، ٨٣) .

المبحث السادس
حكم تمنى الموت وعلاقته بالقضاء والقدر

تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن حكم تمنى الموت فى عدة مواضع من كتبه وبين أن تمنى الموت خشية الفتنة جائز وقد دعا به الصحابة رضى الله عنهم والصالحون من بعدهم .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : " والدعاء بالموت خشية الفتنة فى الدين جائز ، وقد دعا به الصحابة والصالحون بعدهم " (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... وأما تمنى الموت خوف فتنة فإنه يجوز بلا خلاف " . (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا فى معرض ذكر وجوه تمنى الموت :

" ومنها تمنيه خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ ، وقد تمناه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الاسلام " . (٣)

فقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن تمنى الموت خشية الفتنة جائز ، وما قرره ابن رجب رحمه الله تعالى فى هذه المسألة قد ورد ما يدل عليه فى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه عن مريم أنها تمنت الموت كما قال تعالى : (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) (٤)

---

(١) اختيار الأولى (ص ١٠٧) .
(٢) شرح حديث زيد " لبيك اللهم لبيك " ورقة (٧) .
(٣) لطائف المعارف (ص ٣٠٨) .
(٤) سورة مريم آية (٢٣) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره لهذه الآية " فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتنة فإنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ، ولا يصدقونها فى خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت : (ياليتنى مت قبل هذا) أى قبل هذا الحال (وكنت نسيا منسيا) أى لم أخلق ولم أك شيئا ".[1]

وقال أيضا رحمه الله فى موضع آخر : " وأما إذا كان فتنة فى الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى اخبارا عن السحرة لما أراد هم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل ، قالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)[2] وقالت مريم لما جاءها المخاض وهو الطلق إلى جذع النخلة (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)[3] لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت".[4]

وقال القرطبى فى التذكرة : باب جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين ـ قال الله عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام : (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)[5] وعن مريم عليها السلام فى قولها (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) .[4]

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/١١٦ ، ١١٧) .
(٢) سورة الاعراف آيه (١٢٦) .
(٣) سورة مريم آية (٢٣) .
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٢) .
(٥) سورة يوسف آية (١٠١) .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتنى مكانه "(١)

قلت : لا تعارض بين هذه الترجمة والتى قبلها لما نبينه

أما يوسف عليه السلام فقال قتادة : لم يتمن الموت أحد نبى ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال : " رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى "(٢) فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل ، وقيل : إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى الموافاة على الاسلام أى إذا جاء أجلى توفنى مسلما ، وهذا القول هو المختار فى تأويل الآية عند أهل التأويل والله أعلم .

وأما مريم عليها السلام فإنما تمنت الموت لوجهين :

أحدهما : أنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها وتعير فيفتنها ذلك .

الثانى : لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والزور والنسبة إلى الزنا ، وذلك مهلك لهم ... فعلى هذا الحد الذى ذكرناه .. يكون تمنى الموت فى حقها جائزا والله أعلم .

وأما الحديث فإنما هو خبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال فى الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء فى جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه .(٣)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الفتن (٨/ ١٠٠) ومسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/ ٢٢٣١) .

(٢) سورة يوسف آيه (١٠١) .

(٣) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٢ ، ١٣) .

كما دل على جواز تمنى الموت خشية الفتنة فى الدين أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .

منها حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه الطويل وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : " واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون " . (١)

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى ... " (١)

بهذا يتبين أن تمنى الموت خشية الفتنة فى الدين جائز .

وعلاقة هذه المسألة بمبحث القضاء والقدر أن تمنى الموت خشية الفتنة فى الدين ليس فيه تسخط وتضجر مما قضاه الله سبحانه وتعالى وقدره وانما هو طلب خير الامرين ، وأما تمنى الموت خوف الضرر ونزول المكروه فهذا فيه تسخط وتضجر من قضاء الله وقدره الذى سبق به الكتاب ولأجل هذا جاء النهى عن ذلك .

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٦٩) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢٧)

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : " ووجه كراهيته فى هذه الحال — أى تمنى الموت — أن المتمنى للموت لضر نزل به انما يتمناه تعجيلا للاستراحة من ضره ، وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت ، فلعله يصير إلى أعظم من ضره ، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إنما يستريح من غفر له"(١) فلهذا لا ينبغى له أن يدعو بالموت الا أن يشترط أن يكون خيرا له عند الله عز وجل ، فكذلك كل مالا يعلم العبد فيه الخيرة له كالغنى والفقر وغيرهما كما يشرع له استخارة الله تعالى فيما يريد أن يعمله مما لايعلم وجه الخيرة فيه ، وإنما يسأل الله عز وجل على وجه الجزم والقطع مما يعلم أنه خير محض " .(٢)

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩/٦) والبزار كما فى كشف الاستار (٢/ ٢٧٤) وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ٣٣٠) رواه البزار ورجاله ثقات .

(٢) لطائف المعارف (ص ٣٠٨) .

المبحث السابع
القضاء والقدر وفعل الأسباب

الإيمان بالقضاء والقدر لا يمنع من مباشرة الأسباب ، لأن مباشرة الأسباب والأخذ بها مأمور به ، وهى من قدر الله ولأن الله سبحانه وتعالى جعل مصالح العباد فى دنياهم وآخرتهم والثواب والعقاب والحل والحرمة وغير ذلك مرتبطة بالأسباب قائمة عليها ، فالله سبحانه وتعالى قدر أن يكون الحرث سببا فى وجود الزرع ، والنكاح سببا فى وجود الولد ، وشرب الماء سببا فى الرى ، والدواء سببا فى الشفاء ، والعمل الصالح سببا فى دخول الجنة ، والعمل السيء سببا فى دخول النار ، مع الإيمان بأن الاسباب لا تعطي النتائج إلا باذن الله سبحانه وتعالى ، فالذى خلق الأسباب هو الذى خلق النتائج والثمار ، والاسباب والمسببات جميعها من أقدار الله تعالى ، فلابد لنا من مباشرتها للحصول على ما ربط بها من نتائج ومسببات .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ببذل الأسباب فقال عز وجل :

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (١) وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأسباب المشروعة هي من القدر كما جاء فى حديث أبى خزامة عن أبيه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : هى من قدر الله ". (٢)

---

(١) سورة الملك آية (١٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٣٣) .

وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه ". (١)

ولذا فإن دعوى أن الايمان بقضاء الله وقدره مدعاة إلى الخمول والكسل والاتكالية كما يدعى ذلك الجهلة من أهل التصوف وغيرهم دعوى باطلة لأن قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره لا يتخذ سبيلا إلى التواكل، ولا ذريعة إلى المعاصى ، وانما يتخذ سبيلا إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال ، ولهذا كان الايمان بالقضاء والقدر سر عظمة المسلمين الأولين لأنهم أخذوا بالأسباب وبذلوا جهدهم انفاذا لأمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد بين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فأعدوا العدة للحرب والقتال ، وفكروا ودبروا وخططوا .

فالرسول صلى الله عليه وسلم استعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى التى كلف بها عليه الصلاة والسلام فقام بها خير قيام فقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم الكفر والمعاصى بالجهاد ، وقاوم الفقر بالعمل ، وقاوم المرض بالدواء ، وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الهم والحزن والعجز والكسل .

وما غزواته المظفرة صلى الله عليه وسلم إلا دليل على أخذه بالأسباب عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الزكاة - باب الاستعفاف
ومسلم : كتاب الزكاة - باب كراهية مسألة الناس (٢/ ٧٢١) .

وهكذا أصحابه رضى الله عنهم حيث أنهم لما سمعوا أحاديث القدر اجتهدوا فى العمل أشد مما كانوا عليه ولذا كان يقول أحدهم : ما كنت بأشد اجتهاداً منى الآن (١) ولهذا لما خرج عمر رضى الله عنه إلى الشام لقيه أمراء الأمصار وأخبروه بانتشار الوباء فيها فاستشار المهاجرين والأنصار ، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش ، فاجتمع المهاجرة على الرجوع بعدا عن الوباء فأمر عمر بذلك ، فقال له أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان : إحداهما خصيبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيبا فى بعض حاجته ـ فقال : إن عندى فى هذا علما ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، قال : فحمد الله عمر ، ثم انصرف " . (٢)

فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا فى فعلها والقيام بها، وأعظم من قيامه فى أسباب معاشه ومصالح دنياه .

وبهذا يتبين أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح مع ملاحظة

---

(١) انظر شفاء العليل (ص ٢٦) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٣٣) .

أن مباشرة الاسباب لا يعنى تعلق القلب بها أو الاعتقاد بأنها مفضية إلى نتائجها قطعا بل يجب أن يكون الاعتماد فى حصول النتيجة على الله وحده لا على مباشرة السبب .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ... فالالتفات إلى الأسباب ، واعتبارها مؤثرة فى المسببات شرك فى التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص فى العقل ، والاعراض عن الأسباب المأمور بها قدح فى الشرع ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدا على الله لا على سبب من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه فى الدنيا والآخرة ، فإن كانت الاسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله كما يؤدى الفرائض وكما يجاهد العدو ، ويحمل السلاح ، ويلبس جنة الحرب ، ولا يكتفى فى دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد ، ومن ترك الأسباب المأمور بها ، فهو عاجز مفرط مذموم .(١)

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى هذه المسألة فقال مبينا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الاسباب والمسببات : " والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره ".(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... لكن العبد مأمور بالسعى فى اكتساب الخيرات والاجتهاد فى الأعمال الصالحات ، وكل ميسر لما خلق له ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ...

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٨/٨ ، ٥٢٩) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٨٣) .

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) (١) (٢) . . .

كما أشار رحمه الله تعالى إلى أنواع الأسباب فقال : " والأسباب نوعان : أحدهما:أسباب الخير فالمشروع أنه يفرح بها ويستبشر ولا يسكن إليها بل إلى خالقها ومسببها ،وذلك هو تحقيق التوكل على الله والايمان به كما قال تعالى فى الامداد بالملائكة (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم بـه وما النصر إلا من عند الله) (٣)

ومن هذا الباب الاستبشار بالفأل وهو الكلمة الصالحة يسمعها طالب الحاجة ، وأكثر الناس يركن بقلبه إلى الأسباب وينسى المسبب لها ، وقل من فعل ذلك الا وكل إليها وخذل ، فإن جميع النعم من الله وفضله كما قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله) (٤) (وما بكم من نعمة فمن الله) (٥) .

ولا تضاف النعم إلى الأسباب بل إلى مسببها ومقدرها كما في الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى بهم الصبح فى أثر سماء ثم قال : " أتدرون ما قال ربكم الليله ، قال : أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر ، فأما المؤمن فقال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما الكافر فقال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب " (٦)

---

(١) سورة الليل آية (٥ ـ ١٠) .
(٢) لطائف المعارف (ص ٢٠٥) .
(٣) سورة آل عمران (١٢٦) .
(٤) سورة النساء آية (٧٩) .
(٥) سورة النحل آية (٥٣) .
(٦) تقدم تخريجه (ص ٤٧٤) .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر "(١) وهذا مما يدل على أن المراد نفى تأثير هذه الأسباب بنفسها من غير اعتقاد أنها بتقدير الله وقضائه ، فمن أضاف شيئا من النعم الى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ، ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفى .

والنوع الثانى : أسباب الشر فلا تضاف إلا إلى الذنوب لأن جميع المصائب إنما هي بسبب الذنوب كما قال تعالى : (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)(٢) وقال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)(٣) فلا تضاف إلى شئ من الأسباب سوى الذنوب كالعدوى أو غيرها ، والمشروع اجتناب ما ظهر منها واتقاؤه بقدر ما وردت به الشريعة مثل اتقاء المجذوم والمريض والقدوم على مكان الطاعون ، وأما ما خفى منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه فإن ذلك من الطيرة المنهى عنها .(٤)

بهذا يتبين لنا غلط كثير من الناس حيث توهموا أن فعل الأسباب وتعاطيها ينافى التوكل والاعتماد على الله ، وينافى الايمان بالقضاء والقدر وفهموا أن الايمان بالقضاء والقدر يعنى الخمول والكسل وترك فعل الاسباب وهذا غلط بين وهو ناتج من عدم فهم الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح ، والحق فى هذه المسألة ما سبق بيانه ، والله أعلم .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٦٨) .
(٢) سورة النساء آية (٧٩) .
(٣) سورة الشورى آيه (٣٠) .
(٤) لطائف المعارف (ص ٨٥ ، ٨٦) .

المبحث الثامن
الاحتجاج بالقدر على المعاصي وبيان معنى حديث
" فحج آدم موسى "

لقد ضل كثير من الناس في هذه المسألة وأخذ كثير منهم ينغمس في فعل المعاصي والفواحش ثم يحتج على ذلك بالقدر وأنه لا حيلة له فيما قدر عليه ، وهذا في غاية البطلان ولا يقوله الا صاحب هوى ، لأنه لا يجوز لمن عصى الله ورسوله أن يدفع عن نفسه اللوم بأن الله هو الذي قدر عليه الوقوع في المعصية وشاءها منه ، فإن هذا الاحتجاج معارضة لشرع الله ، وأمره ، ومخاصمة له سبحانه وتعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وطعن في حكمته وعدله ، ودفع له بقضائه وقدره وفي هذا ابطال للشرع والدين كله (١)

وقد احتج المشركون بقدر الله ومشيئته على شركهم وأنه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه ، فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله عز وجل (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) (٢)

فهذا جواب رب العزة لمن يحتج بقدره سبحانه على معصيته ، ولله الحجة البالغة ، فقد بين سبحانه وتعالى كذبهم في الاحتجاج

---

(١) انظر : رسالة في الاحتجاج بالقدر لشيخ الاسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ١٤٠) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤٨ ، ١٤٩)

بالمشيئة على ما وقعوا فيه من الشرك ونفى عنهم العلم وأثبت لهم الخرص ثم بين أن الحجة له سبحانه وتعالى على عباده بقوله تبارك وتعالى (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)(١) ولو صح الاحتجاج بالقدر على مثل هذا لما حدث الحدود وفرضت الفرائض وخلقت الجنة والنار والله سبحانه وتعالى يقول : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)(٢) وهذا لا ينافى القول بأن الله سبحانه وتعالى خلق أفعال العباد كلها وقدرها عليهم .(٣)

ولو كان القدر حجة للعبد فيما يقترفه من المعاصى لكان حجة لجميع الناس فى كل شىء لأنهم مشتركون فى القدر .

والعجيب أن من يحتج بالقدر فى المعاصى لا يحتج بالقدر إذا وقع عليه ظلم بل يغضب ويلجأ إلى كل وسيلة لرفع الظلم عن نفسه ولم نسمع أحدا منهم يقول بأن الله قدر لي ذلك، وكتبه على، ولذلك لا حيلة لي ، مما يدل على أن الشيطان أضلهم وزين لهم أعمالهم ، والا فيلزم من احتج بالقدر فى المعاصى أن لا يلوم من ظلمه ولا ينكر على من شتمه وأخذ ماله أو أهلك حرثه ونسله ، وهو لا يقر بذلك، ولذلك فإن الاحتجاج بقدر الله على معصيته مع ظهور عقابه سبحانه للعصاة ، فيه نسبة الظلم إليه سبحانه وهو أمر يتنافى مع الإيمان بالله عز وجل .(٤)

اضافة الى أن المحتج بالقدر على معصيته متقول على الله بغير علم إذ كيف يصح للعاصي أن يحتج بأن الله كتب عليه المعصية قبل صدور ذلك منه ، وقدر الله قبل وقوعه غيب لا يعلمه إلا هو عز وجل مع أنه مخاطب

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨) .

(٢) سورة النساء آية (١٦٥) .

(٣) انظر شفاء العليل (ص٣٧ ، ٣٨) .

(٤) انظر رسالة فى القضاء والقدر لشيخ الاسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ٩٠ - ٩٣) .

قبل اقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام أمره ، وبمثل هذه الحجة البالغة أجاب سبحانه على هؤلاء المتذرعين بقدر الله فى مواضع أخرى من القرآن ، من ذلك قوله تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها أباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) (١) .

فليس الإيمان بالقدر حجة للانسان على فعل المعاصى أو التهاون بما أوجب الله عليه لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الانسان عقلا يتمكن به من الارادة وأعطاه قدرة يتمكن بها من العمل ، ولذلك إذا سلب عقل الانسان لم يعاقب على معصية ولا ترك واجب واذا سلب قدرته على الواجب لم يؤاخذ بتركه ، وكذلك لا يؤاخذ الله العبد على ما فعله من محرم جاهلا به أو ناسيا لأنه ليس مختارا لفعله لو علم بتحريمه ، فالاحتجاج بالقدر على المعاصى أو ترك الواجبات حجة داحضة باطلة لا يفعلها إلا المبطلون المكابرون .

كما أن هذه الحجة يبطلها العقل وذلك لأن المحتج بالقدر ليس عالما بالقدر فيبنى عمله عليه فكيف يحتج بما ليس له تأثير فى فعله إذ لا تأثير للشىء فى فعل الفاعل حتى يكون عالما بهذا المؤثر ، فالانسان العاقل اذا تأمل الأمور بعقله ونظر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم علم علما يقينا أنه لا حجة للانسان بقضاء الله وقدره على فعله للمعاصى ، والواجب على المسلم أن يجعل القضاء والقدر وسيلة إلى الاستعانة بالله وطلب الهداية منه لأنه سبحانه وتعالى بيده مقاليد الأمور كلها،فالصحابة رضى الله عنهم لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : أفلا ندع العمل ونتكل على القضاء قال : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء " (٢) ثم قرأ :

---

(١) سورة الاعراف آية (٢٨) .
(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٩٧) .

(فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) . . . [1] [2]

والمحتجون بالقدر على المعاصي هم الجبرية [3] من الجهمية ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم .

ومن أشهر الأدلة التي استدلوا بها على تسويغ تفريطهم وعصيانهم حديث احتجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى " . [4]

---

(١) سورة الليل آية (٥ ـ ١٠) .

(٢) انظر : معارج القبول (٢/٣٦١) .

(٣) سموا بذلك نسبة إلى الجبر وهو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، فهم يقولون إن العبد مجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح وكحركات المرتعش ليس له إرادة ولا قدرة على الفعل ، وممن قال بهذا الجهم بن صفوان ، وهم أصناف، فمنهم الجبرية الخالصة وهم الذين يقولون بقول جهم ، ومنهم من يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٨) ومقالات الإسلاميين (١/٣٣٨) والملل والنحل (١/٨٥) .

(٤) أخرجه البخاري : كتاب القدر ـ باب تحاج آدم وموسى (٧/٢١٤) ومسلم : كتاب القدر ـ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/٢٠٤٢) .

وقد اختلفت الأقوال (١) تجاه هذا الحديث ويمكن حصرها فيما يأتـــي :

١ – هناك فريق كذبوا هذا الحديث وردوه وقالوا : لو صح هـــذا الحديث لبطلت نبوات الأنبياء ، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي ، وهذا هو قول القدرية من المعتزلة ومن نحا نحوهـــم .

٢ – وهناك فريق آخر جعلوا هذا الحديث حجة على فعل المعاصي فكلما عملوا معصية احتجوا بالقدر واستدلوا بهذا الحديث وهـــم الجبرية ومن وافقهم .

٣ – وهناك فريق ثالث فسروه بعدة تفسيرات فبعضهم قال : إنمـا حجه لأنه كان أباه ، والابن لا يلوم الأب ،

وقال بعضهم : إنما حجه لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة أخرى .

وقال بعضهم : إنما حجه لأن الاحتجاج به كان في الآخـــرة دون الدنيا .

وقال بعضهم : إنما حجه لأن اللوم كان بعد التوبة .

وهذه الأقوال كلها لا تسلم من ضعف أو اعتراض ، فمن رد الحديث

---

(١) انظر حكاية هذه الأقوال والردود والمناقشات فيها في مجمـــوع الفتاوى (٨/٣٠٣ – ٣٠٥) ودرء تعارض العقل والنقـــل (٨/٤١٨ – ٤٢٠) وشفاء العليل (ص ٢٨ – ٣١) وفتـــح الباري لابن حجر (١١/٥٠٩ – ٥١١) .

وكذبه فلا عبرة بقوله لأن الحديث ثابت .

وأما من قال إنما حجه لأنه أبوه فهو قول فاسد ، لأن الحق يجب المصير إليه سواء كان مع الأب أو الابن أو العبد أو السيد ،وكذلك قول من قال لأن الذنب كان فى شريعة والملام فى أخرى فهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها ، وان كانت لم تجمعهم شريعة واحدة .

وكذلك قول من قال إنه لامه فى غير دار التكليف فهذا فاسد لوجهين :

١ — أن آدم عليه السلام إنما احتج بالقدر السابق ، ولم يقل لموسى عليه السلام لم تلومنى وأنا لست فى دار التكليف .

٢ — أن هذه الحجة مبنية على أن اللوم لا يصح إلا فى دار التكليف وهذا منقوض بوقوع اللوم فى غير دار التكليف كما يلوم الله سبحانه بعض عباده المستحقين للذم بعد الموت فى يوم القيامة كقوله تعالى للكفار يوم القيامة (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون)(١)

وأما من قال إن آدم حج موسى لأن موسى لامه بعد التوبة من الذنب ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن هذا القول وان كان أقرب إلى الصواب من غيره فإنه لا يصح لثلاثة وجوه :

أحدها : أن آدم لم يذكر ذلك الوجه ، ولا جعله حجة على موسى ، ولم يقل أتلومنى على ذنب قد تبت منه .

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٠٥) .

الثاني : أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعد هداه ، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الرحمن .

الثالث : أن هذا يستلزم الغاء ما علق به النبي صلى الله عليه وسلم وجه الحجة ، واعتبار ما ألغاه ، فلا يلتفت اليه .(١)

٤ - وأحسن جواب فسر به هذا الحديث هو أن موسى عليه السلام إنما لام آدم على المصيبة التي أصابته وذريته وهي خروجه من الجنة ونزوله إلى الأرض ، ولم يكن اللوم لأنه عصى أمر الله وأكل من الشجرة يدل على ذلك قوله في الحديث " أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة " ولم يقل له : لماذا خالفت الأمر ، ولماذا عصيت ؟ . . . فاللوم واقع على المصيبة ،وهي مقدرة فحج آدم موسى ، والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بالتسليم لقدر الله السابق كما قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) .(٢)

وهذا الجواب هو جواب شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) وتلميذه ابن القيم (٤) رحمهما الله تعالى .

وهو ما قال به ابن رجب رحمه الله تعالى حيث قال :

---

(١) شفاء العليل (ص ٣٠ ، ٣١) .

(٢) سورة التغابن آية (١١) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٨/٣١٩) .

(٤) انظر شفاء العليل (ص ٣٨) .

" لما التقى آدم وموسى عليهما السلام عاتب موسى آدم على اخراجه نفسه وذريته من الجنة فاحتج آدم بالقدر السابق ، والاحتجاج بالقدر على المصائب حسن كما قال صلى الله عليه وسلم : " إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن قل قدر الله وماشاء فعل " (١) (٢) ...

والله أعلم .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٤٧) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٥٥) .

الفصل الرابع

الإيمان باليوم الآخر

الفصل الرابـــــع
الايمـان باليـوم الآخـــــــر

ويشتمل على المباحث الآتية :

المبحث الأول : أهمية الايمان باليوم الآخر .

المبحث الثانى : الايمان بأشراط الساعة .

أولا : العلامات الصغرى .

ثانيا : العلامات الكبرى .

المبحث الثالث : الايمان بعذاب القبر ونعيمه وفتنته .

المبحث الرابع : الأعمال التى يعذب أو ينعم بها العبد فى القبر .

المبحث الخامس : مستقر الأرواح .

المبحث السادس : الصراط .

المبحث السابع : بيان المراد بالورود فى قوله تعالى (وان منكم إلا واردها

المبحث الثامـن : الشفاعة .

المبحث التاسع : الجنة ونعيمها .

المبحث العاشر : رؤية الله سبحانه وتعالى فى الجنة .

المبحث الحادى عشر : النار وعذابها .

المبحث الثانى عشـر : خلق الجنة والنار .

المبحث الثالث عشـر : الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبدا .

المبحث الأول
أهمية الايمان باليوم الآخـــــــــر

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الايمان الستة ، وعقيدة مـــن عقائد الاسلام الأساسية ، وأصل عظيم من أصول الإيمان ، اذ لا يصح إيمان أحد إلا بالايمان به .

ويدخل فى الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التى تكون قبلها ، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، وبالنفخ فى الصور ، وخروج الخلق من قبورهم ، وما فى موقف القيامة من الأهـــوال والأفزاع ، وتفاصيل الحشر ونشر الصحف ، ووضع الموازين ، وبالصــراط والحوض ، والشفاعة لمن أذن الله له ، وبالجنة ونعيمها ، وبالنار وعذابها وغيرها من الأمور التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، والصحيح من سنـــة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد دل علـى وجوب الإيمان باليوم الآخر كتاب الله سبحانه وتعالـــى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه العقل والفطرة السليمة ، وقد أكثر الله سبحانه وتعالى من ذكره فى كتابه ، وأقام عليه الأدلة ، ورد شبـــه المنكرين للبعث فى كثير من المواضع ، كما فصل أمــــور ذلك اليـــوم وحوادثه تفصيلا كثيرا ، مع أن كل رسول أرسله الله بشر قومه وأنذرهم بهـذا اليوم العظيم ، وكفر كل من ينكره أو يشك فيه .

والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذى لا يدركه العقـل ولا سبيل إلى معرفته إلا بالنص عن طريق الوحي .

وقد مدح الله المؤمنين بالغيب وأثنى عليهم ونوه بذكرهم ، وذكـر تعالى ما لهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل والنعيم المقيم .

فيجب على المسلم التصديق الجازم بجميع ما جاء عن اليوم الآخر في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأن هذا اليوم قد دل على وقوعه النقل والعقل والفطرة كما صرحت به جميع الكتب السماوية ونادى به جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم .

فمن الآيات الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . . .) (١) الآية .

وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢) .

وقوله تعالى : (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) (٣)

وقوله تعالى : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) (٤) .

ومن الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر قوله صلى الله عليه وسلم :" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " (٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم :" لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع :

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٧) .
(٢) سورة البقرة آية (٦٢) .
(٣) سورة الطلاق آية (٢) .
(٤) سورة النساء آية (١٣٦) .
(٥) تقدم تخريجه (ص ٥١٨) .

يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره " (١) .

فهذه الآيات والأحاديث تدل على وجوب الإيمان باليوم الآخر وتبين أهميته .

وقد اهتم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى بهذا الركن من أركان الإيمان اهتماما كبيرا وتعرض له فى كثير من مؤلفاته بل انه أفرد بعض جوانبه بمؤلفات خاصة ، فقد تكلم فى كتابه أهوال القبور عن عذاب القبر ونعيمه وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث كما تكلم أيضا فى كتاب التخويف من النار عن النار وعذابها وصفات أهلها ، كما أنه أشار فى ثنايا كتبه الأخرى عن جوانب كثيرة مما يكون بعد الموت من البعث والنشور وما يكون فى يوم القيامة من ثواب وعقاب وجنة ونار ، وما يكون قبل ذلك كله من علامات وأشراط مما هو دليل على ذلك اليوم العظيم .

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى وجوب الإيمان بالغيب والتسليم بذلك بدون تكلف البحث عن الكيفيات التى ترد فى الكتاب والسنة، لأن البحث فى ذلك يؤدى إلى الحيرة والشك فقال رحمه الله تعالى مبينا ذلك " ومما يدخل النهى عن التعمق والبحث عنه أمور الغيب الخبرية التى أمرنا بالإيمان بها ولم يبين كيفيتها ، وبعضها قد لا يكون له شاهد فى هذا العالم المحسوس ، فالبحث عن كيفية ذلك هو مما لا يعنى ، وهو مما ينهى عنه ، وقد يوجب الحيرة والشك ويرتقى إلى التكذيب" (٢) .

---

(١) تقدم يخرجه (ص ٥٩٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٣٤٢) .

كما بين رحمه الله تعالى إن كل ما في الدنيا دليل على الآخرة ومذكر بها فقال : " كل ما في الدنيا فهو مذكر بالآخرة ودليل عليها ، فنبات الأرض واخضرارها في الربيع بعد محولها ويبسها في الشتاء وايناع الاشجار واخضرارها بعد كونها خشبا يابسا يدل على بعث الموتى من الأرض ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه في مواضع كثيرة قال الله تعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور" (١) .

وقال الله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (٢) .

وقال الله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٣) .

قال أبو رزين للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : " هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا ؟ " قال : نعم ، قال : " كذلك يخرج الله الموتى وذلك آيته في خلقه " خرّجه الإمام أحمد (٤) .

---

(١) سورة الحج آية (٥ — ٧) .
(٢) سورة ق آية (٩ — ١١) .
(٣) سورة الاعراف آيه (٥٧) .
(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٢) ، ورجاله ثقات إلا وكيع بن حدس وقيل عُدُس ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص (٣٦٩) مقبول .

وقصر مدة الزرع والثمار وعود الأرض بعد ذلك إلى يبسها والشجر إلى حالها الأول كعود ابن آدم بعد كونه حيا إلى التراب الذى خلق منه ،

وفصول السنة تذكر بالآخرة ، فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم ، وهو من سمومها ، وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها . . . . . . وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها ، وينبغى أن يحث المؤمن على الاستعداد لطلب الجنة بالأعمال الصالحة . (١)

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى وجوب الاستعداد لما بعد الموت بالأعمال الصالحة فقال : " فالواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك ، فإنه لا يدرى المرء متى تنزل به هذه الشدة من ليل أو نهار .

وذكر الأعمال الصالحة عند الموت مما يحسن ظن المؤمن بربه ، ويهون عليه شدة الموت ويقوى رجاءه . (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا :" وأعظم الشدائد التى تنزل بالعبد فى الدنيا الموت ، وما بعده أشد منه إن لم يكن مصير العبد إلى خير ، فالواجب على المؤمن الاستعداد للموت وما بعده فى حال الصحة بالتقوى والأعمال الصالحة ، قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) . (٣)

---

(١) لطائف المعارف (ص ٣٢٩) .

(٢) نور الاقتباس (ص ٥٨) .

(٣) سورة الحشر آية (١٨ ، ١٩) .

فمن ذكر الله فى حال صحته ورخائه واستعد حينئذ للقاء الله عز وجل بالموت وما بعده ذكره الله عند هذه الشدائد فكان معه فيها ، ولطف به وأعانه وتولاه وثبته على التوحيد فلقيه وهو عنه راض .

ومن نسى الله فى حال صحته ورخائه ، ولم يستعد حينئذ للقائه نسيه الله فى هذه الشدائد ، بمعنى أنه أعرض عنه فأهمله ، فإذا نزل الموت بالمؤمن المستعد له أحسن الظن بربه ، وجاءته البشرى من الله ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، والفاجر بعكس ذلك .

وحينئذ يفرح المؤمن ويستبشر بما قدمه مما هو قادم عليه ، ويندم المفرط ويقول : (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) (١) (٢)

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أقسام الناس باليوم الآخر فمنهم المكذب والمنكر الذى لا يرجو لقاءه، ومنهم المصدق والمقربه وهؤلاء على درجات متفاوتة فقال : " انقسم بنو آدم فى الدنيا إلى قسمين :

أحدهما : من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا للثواب والعقاب وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم : (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (٣)

وهؤلاء همهم التمتع فى الدنيا واغتنام لذاتها قبل الموت كما قال تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) (٤)

---

(١) سورة الزمر آية (٥٦) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٩٤ ، ٩٥) .

(٣) سورة يونس آية ٧ ، ٨ .

(٤) سورة محمد آية (١٢) .

القسم الثانى : من يقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب ، وهم المنتسبون إلى شرائع المرسلين ، وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات بإذن الله .

والظالم لنفسه هم الأكثرون منهم ، وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها ، فأخذها من غير وجهها ، واستعملها فى غير وجهها ، وصارت الدنيا أكبر همه ، بها يرضى وبها يغضب ، ولها يوالى وعليها يعادى، وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر ، وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ، ولا أنها منزلة سفر يتزود منها لما بعدها من دار الاقامة،وان كان أحدهم يؤمن بذلك إيمانا مجملا فهو لا يعرفه مفصلا ، ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله فى الدنيا ، مما هو أنموذج ما ادخر لهم فى الآخرة .

والمقتصد منهم أخذ الدنيا من وجوهها المباحة وأدى واجباتها وأمسك لنفسه الزائد على الواجب ، يتوسع به فى التمتع بشهوات الدنيا ، وهؤلاء قد اختلف فى دخولهم فى اسم الزهاد فى الدنيا ... ولا عقاب عليهم فى ذلك إلا أنه ينقص من درجاتهم فى الآخرة بقدر توسعهم فى الدنيا

قال ابن عمر :"لا يصيب عبد من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله ، وان كان عليه كريما "(١) أخرجه ابن أبى الدنيا بإسناد جيد ،

---

(١) أخرجه موقوفا ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (ص ١١١) وابن أبى شيبة فى المصنف (١٣/ ٣٢٣) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٠٦) .
وأبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب (٢/ ٥٩٢)
وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٤/ ١٦٣) رواه ابن أبى الدنيا ، واسناده جيد ، وروى عن عائشة مرفوعا ، والموقوف أصح .

وروى مرفوعا من حديث عائشة بإسناد فيه نظر، ويشهد لهذا أن الله حرم على عباده أشياء من فضول شهوات الدنيا وزينتها وبهجتها حيث لم يكونوا محتاجين إليها ، وادخرها لهم عنده فى الآخرة ، وقد وقعت الاشارة إلى هذا بقوله عز وجل : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ". (١)

وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة ". (٢)

وقال : " لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى إناء الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافهما ، فإنها لهم فى الدنيا ، ولكم فى الآخرة ". (٣)

وأما السابق بالخيرات بإذن الله فهم الذين فهموا المراد من الدنيا ، وعملوا بمقتضى ذلك ، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده فى هذه الدار

---

(١) سورة الزخرف آية (٣٣ - ٣٥) .

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ١٤١) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبى . والشطر الأول منه أخرجه البخارى : كتاب اللباس باب لبس الحرير للرجال وقدر مايجوز منه (٧/ ٤٤) والشطر الثانى : أخرجه مسلم ، كتاب الأشربة (٤/ ١٥٨٨) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الاطعمة - باب الأكل فى اناء مفضض (٦/ ٢٠٧) ومسلم : كتاب اللباس والزينة (٤/ ١٦٣٨) .

ليبلوهم أيهم أحسن عملا كما قال تعالى : (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) .(١)

وقال بعض السلف : أيهم أزهد فى الدنيا وأرغب فى الأخرة ، وجعل ما فى الدنيا من البهجة والنضرة محنة ، لينظر من يقف منهم معه ويركن إليه ، ومن ليس كذلك كما قال تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) (٢) ثم بين انقطاعه وانفاده فقال : (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) (٣)

فلما فهموا أن هذا هو المقصود من الدنيا جعلوا همهم التزود منها للآخرة التى هى دار القرار ، فاكتفوا من الدنيا بما يكتفى به المسافر فى سفره كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " مالى وللدنيا ، إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب قال فى ظل شجرة ، ثم راح عنها وتركها " ... (٤)

وأهل هذه الدرجة على قسمين :

منهم من يقتصر من الدنيا على قدر ما يسد الرمق فقط ، وهو حال كثير من الزهاد .

---

(١) سورة هود آية (٧) .
(٢) سورة الكهف آية (٧) .
(٣) سورة الكهف آية (٨) .
(٤) تقدم تخريجه (ص ٥٦٣) .

ومنهم من يفسح لنفسه أحيانا فى تناول بعض شهواتها المباحة لتقوى النفس بذلك وتنشط للعمل كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " حبب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة "...(١)

ومتى نوى من تناول شهواته المباحة التقوى على طاعة الله كانت شهواته له طاعة يثاب عليها .(٢)

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨/٣) والنسائى : كتاب عشرة النساء (٦١/٧) والحاكم (١٦٠/٢) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

قال العراقى : إسناده جيد . تخريج الإحياء (٣٠/٢)

وقال ابن حجر : إسناده حسن . التلخيص الحبير (٣/ ١١٦) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٦١/٢ — ٣٦٧) .

المبحث الثـــانى
الإيمان بأشـراط الساعـــة

إن الله سبحانه وتعالى قد أخفى عن عباده وقت وقوع الساعة فـــلا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا هو سبحانه وتعالى كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن الآيات قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة آيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فـــى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمهـــا عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) .

وقوله تعالى : (يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ومـــا يدريك لعل الساعة تكون قريبا) (٢) .

فالله سبحانه وتعالى يأمر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخـبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده فلا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا اللـــه وحــــده .

ومن الأحاديث النبوية الدالة على أنه لا يعلم متى الساعة إلا اللـــه وحده حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر : " تسألوننى عن الساعة ؟ وانمـــا علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتى عليها مائـــة سنـــة " (٣) .

---

(١) سورة الاعراف آيه (١٨٧) .

(٢) سورة الأحزاب آية (٦٣) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم - باب بيـــان معنى قوله صلى الله عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة (١٩٦٦/٤) .

وحديث جبريل المشهور وفيه سأل جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فقال عليه الصلاة والسلام : " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل "، (١) فجبريل عليه السلام لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن زعم أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم متى قيام الساعة فهو جاهل لا علم عنده، لأن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة السابقة ترد عليه وعلى من قال بقوله، فعلم قيام الساعة مما استأثر الله سبحانه وتعالى به فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الا أن هناك آيات وأحاديث تدل على قرب قيام الساعة ودنوها من ذلك قول الله تعالى : (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) (٢) وقوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر) (٣) .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى " (٤) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على قرب قيام الساعة .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده فإنه سبحانه وتعالى قد جعل لها أمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها ، وقد سمى الله سبحانه وتعالى هذه الأمارات والعلامات بأشراط الساعة قال تعالى : " فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها " . (٥)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٥١٨) .

(٢) سورة الانبياء آيه (١) .

(٣) سورة القمر آية (١) .

(٤) أخرجه البخارى كتاب الرقاق ـ باب قول النبى صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين (٧/ ١٩١) ومسلم : كتاب الفتن ـ باب قرب الساعة (٤/ ٢٢٦٩) .

(٥) سورة محمد آية (١٨) .

وأشراط الساعة هي العلامات الدالة على قربها قال ابن حجر رحمه الله تعالى : " المراد بالأشراط : العلامات التي يعقبها قيام الساعة ".[1]

وقد ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم كثير من أشراط الساعة وعلاماتها وقد قسمها العلماء رحمهم الله تعالى إلى قسمين :

١ — علامات صغرى .

٢ — علامات كبرى .

وقد تناول ابن رجب رحمه الله تعالى جملة من أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى في ثنايا مؤلفاته ، وسأذكر أمثلة لكل قسم مع ذكر كلام ابن رجب رحمه الله تعالى في ذلك :

أولا : العلامات الصغرى :

١ — بعثة النبي صلى الله عليه وسلم :

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعثته دليل على قرب قيام الساعة كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له . . . "[2] الحديث .

وكما في حديث سهل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى "[3]

---

(١) فتح الباري (١٣/٧٩) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٥٤) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٦٥١) .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى شارحا للحديث الأول : " قوله صلى الله عليه وسلم : " بين يدى الساعة " يعنى أمامها ، ومراده أنه بعث قدام الساعة قريبا منها ، ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم الحاشر ، والعاقب كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، والحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، والعاقب الذى ليس بعدى نبى " (١)...

وخرج الامام أحمد من حديث بريدة " بعثت أنا والساعة جميعا إن كادت تسبقنى " (٢)

وللترمذى " بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه - لأصبعيه السبابة والوسطى - ليس بينهما أصبع أخرى " . (٣)

والصحيح أنه يدل من ذلك على القرب من الساعة ، ومما يدل على أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة أنه أخبر عن خروج الدجال فى حديث الجساسة " (٤) ا.هـ (٥)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب المناقب - باب ماجاء فى أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٦٢) ومسلم : كتاب الفضائل - باب فى اسمائه صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨) .

(٣) أخرجه الترمذى : كتاب الفتن - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " بعثت أنا والساعة كهاتين " (٤/ ٤٩٦) .

(٤) حديث الجساسة حديث طويل أخرجه مسلم :كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب قصة الجساسة (٤/ ٢٢٦١) والجساسة : هى دابة كثيرة الشعر حتى إنه لا يعرف قبلها من دبرها من كثرة شعرها كما جاء وصفها فى هذا الحديث ، وسميت بالجساسة لأنها تجس الأخبار للدجال . النهاية لابن الأثير (١/ ٢٧٢) .

(٥) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ١٩ - ٢١) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا شارحا للحديث الثانى : " وقد فسر قوله صلى الله عليه وسلم " بعثت أنا والساعة كهاتين " فقرن بين السبابة والوسطى بقرب زمانه من الساعة كقرب السبابة من الوسطى وبأن زمن بعثته بعقبه الساعة من غير تخلل نبى آخر بينه وبين الساعة كما قال فى الحديث الصحيح : " أنا الحاشر يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " فالحاشر الذى يحشر الناس لبعثهم يوم القيامة على قدمه يعنى أن بعثهم وحشرهم يكون عقب رسالته ، فهو مبعوث بالرسالة وعقيبه يجمع الناس لحشرهم ، والعاقب الذى جاء عقيب الأنبياء كلهم وليس بعده نبى ، فكان ارساله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة "(١) ا. هـ

٢ ـ ظهور الفتن :

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التى يلتبس فيها الحق بالباطل حتى إنه من شدة الفتن يتزلزل الايمان فيصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا كما جاء ذلك فى أحاديث كثيرة، منها حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تكون بين يدى الساعة فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا "(٢).

---

(١) فتح البارى لوحة (٤٠ ، ٤١) .

(٢) أخرجه الترمذى : كتاب الفتن ـ باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم (٤٨٧/٤) والحاكم (٤٣٨/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبى .

ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا ".(١)

ومنها حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، فكَسِّروا قِسيّكم ، وقطِّعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة ، فإن دُخل على أحدكم ، فليكن كخيرابنى آدم " .(٢)

إلى غير ذلك من الأحاديث التى تشير إلى وقوع الفتن العظيمة والتى من شدتها بأن المؤمن يمر بصاحب القبر ويتمنى أنه مكانه كما جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول : ياليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدِّين إلا البلاء"(٣)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/ ١١٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٨) وأبو داود : كتاب الفتن والملاحم ـ باب ذكر الفتن (٤/ ٤٥٧) وابن ماجه : كتاب الفتن ، باب التثبت فى الفتنة (٢/ ١٣١٠) والحاكم (٤/ ٤٤٠) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الفتن ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٤/ ٢٢٣١) .

وقد حذر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمته من الفتن وأمر بالتعوذ منها فقال صلى الله عليه وسلم : " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " (١) نعوذ بالله العظيم من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا عاصم من الفتن إلا الإيمان بالله عز وجل ولزوم جماعة المسلمين وهم أهل السنة والجماعة الذين يسيرون على نهج الكتاب والسنة وان كانوا قلة ففي صحيح البخاري عن حذيفة قال : " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر ، قلت ، فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها ، قلت : يارسول الله : صفهم لنا ؟ قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " (٢) .

وقد تكلم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه العلامة من علامات الساعة وبين أن أول ما ظهر من الفتن بعد قتل عمر ثم عثمان رضي الله عنهما

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه (١٧ / ٢٠٣) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٧٣) .

وما تلى ذلك من الفتن فى الدين كظهور الخوارج على علي رضى الله عنه وفتنة الروافض وفتنة القول بخلق القرآن وغيرها من الفتن العظيمة التى كانت سببا فى تفرق المسلمين وظهور الشر العظيم فقال رحمه الله تعالى :

" قوله صلى الله عليه وسلم : " واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون "[1] المقصود بهذا الدعاء سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته فإن قدر الله عز وجل على عباده فتنة قبض عبده إليه قبل وقوعها ، وهذا من أهم الأدعية ، فإن المؤمن إذا عاش سليما من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها وحصول الناس فيها كان فى ذلك نجاة له من الشر كله ، وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وفى حديث آخر : " وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن "[2] وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر ، وكان يتعوذ بالله فى صلاته من أربع ويأمر بالتعوذ منها " أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال "[3] ففتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها كالكفر والبدع والفسوق والعصيان ، وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة ، وفتنة الملكين فى القبر ، فإن الناس يفتتنون فى قبورهم مثل أو قريبا من فتنة الدجال ، ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظيم موقعها ، فإنه لم يكن فى الدنيا فتنة

---

(١) هذا قطعة من حديث سبق تخريجه (ص ٦٦٩) .

(٢) أخرجه أبو داود : كتاب الصلاة ـ باب التشهد (١ / ٥٩٢) والحاكم (١ / ٢٦٥) وقال : هذا حديث صحيح .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر (٣ / ١٩٢) ومسلم : كتاب المساجد ـ باب ما يستعاذ منه فى الصلاة (٤ / ٤١٢) .

قبل يوم القيامة أعظم منها ، وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن .

وفى حديث معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنه لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة " .(١)

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن الفتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا .

وكان أول هذه الفتن ما حدث بعد مقتل عمر رضى الله عنه ، ونشأ من تلك الفتن مقتل عثمان رضى الله عنه ، وما ترتب عليه من إراقة الدماء ، وتفرق القلوب وظهور الفتن فى الدين كبدع الخوارج المارقين ، واظهارهم ما أظهروا ، ثم ظهور بدع أهل القدر والرفض ونحوهم ، وهذه هى الفتنة التى تموج كموج البحر المذكورة فى حديث حذيفة(٢) رضى الله عنه

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٤) وابن ماجه : كتاب الفتن - باب شدة الزمان (١٣٣٩/٢) .
وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة (٤ / ٩٥) إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) يقصد ابن رجب رحمه الله تعالى بهذا الحديث الذى أخرجه البخارى : كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلاة كفارة (١/ ١٣٣) ، ومسلم : كتاب الفتن - باب فى الفتنة التى تموج كموج البحر (٤/ ٢٢١٨) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : كنا عند عمر ، فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة ؟ فقلت : أنا أحفظه كما قال ، قال : هات ، إنك لجرىء وكيف قال ؟ قلت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،

===

المشهور حين سأله عنها عمر رضى الله عنه ، وكان حذيفة رضى الله عنه من أكثر الناس سؤالا للنبى صلى الله عليه وسلم عن الفتن خوفا من الوقوع فيها ، ولما حضره الموت قال : " حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم ، الحمد لله الذى سبقت بي الفتنة قادتها وعُلُوجها "(١) وكان موته قبل قتل عثمان رضى الله عنه بنحو أربعين يوما ، وقيل : بل مات بعد قتل عثمان وكان فى تلك الأيام رجل من الصحابة نائما فأتاه آت فى منامه ، فقال له : قم فأسال الله أن يعيذك من الفتنة التى أعاذ منها صالح عباده ، فقام فتوضأ وصلى ، ثم اشتكى ومات بعد قليل .

= = = فقال عمر : ليس هذا أريد ، إنما أريد التى تموج كموج البحر قال : قلت : مالك ولها يا أمير المؤمنين ؟ إن بينك وبينها بابا مغلقا ، قال : فيكسر الباب أو يفتح ؟ قال : قلت : لا بل يكسر ، قال : ذاك أحرى أن لا يغلق أبدا ، قال : فقلنا لحذيفة : هل كان عمر يعلم من الباب ؟ قال : نعم كما يعلم أن دون غد الليلة ، إنى حدثته حديثا ليس بالأغاليط ، قال : فهبنا أن نسأل حذيفة : من الباب ؟ فقلنا لمسروق : سله فسأله فقال : عمر " .

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٨٢) وذكره الحافظ الذهبى فى ترجمة حذيفة فى سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٨) وذكره أيضا صاحب كنز العمال (١٣/ ٣٤٦) وعزاه لابن عساكر .
والعُلُوج : جمع عِلْج ، وهو الرجل من كفار العجم وغيرهم .
النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٨٦) .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل : " إذا مت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان ، فإن استعطت أن تموت فمت "(١) وهذه اشارة إلى هذه الفتن التى وقعت بمقتل عثمان رضى الله عنه . . . إلى أن قال رحمه الله " ثم إن المؤمن لابد أن يفتن بشىء من الفتن المؤلمة الشاقة

---

(١) أخرجه ابن حبان فى المجروحين (١/ ٣٤٥) وابن عدى فى الكامل (٣/ ١١٧٥) والعقيلى فى الضعفاء الكبير (٢/ ١٦٥) كلهم فى ترجمة سلم بن ميمون الخواص قال ابن حبان فيه : غلب عليه الصلاح حتى غفل عن حفظ الحديث واتقانه فربما ذكر الشىء بعد الشىء ويقلبه توهما لا تعمدا فبطل الاحتجاج بما يروى إذا لم يوافق الثقات .

وقال ابن عدى : ولسلم غير ما ذكرت أحاديث مقلوبة الاسناد والمتن وهو فى عداد المتصوفة الكبار ، وليس الحديث من عمله ، ولعله كان يقصد أن يصيب ، فيخطىء فى الاسناد والمتن لأنه لم يكن عمله .

وقال العقيلى : حدث بمناكير لا يتابع عليها .

وقال أبو حاتم فى الجرح والتعديل (٤/ ٢٨٤) : أدركته ولم أكتب عنه ، روى عن أبى خالد الأحمر حديثا منكرا شبه الموضوع .

قلت : ولعله هذا الحديث لأنه من روايته عن أبى خالد الأحمر .

ولمزيد من الايضاح انظر ترجمة سلم بن ميمون الخواص فى ميزان الاعتدال (٢/ ١٨٩) ولسان الميزان (٣/ ٦٦) .

عليه ليمتحن إيمانه كما قال الله تعالى : (الـم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) (١) .

ولكن الله يلطف بعباده المؤمنين فى هذه الفتنة ، ويصبرهم عليها ويثيبهم فيها ، ولا يلقيهم فى فتنة مضلة مهلكة ، تذهب بدينهم ، بل تمر عليهم وهم منها فى عافية . . . والفتن الصغار التى يبتلى بها المرء فى أهله وماله وولده وجاره تكفرها الطاعات من الصلاة والصيام والصدقة ،

كذا جاء فى حديث حذيفة (٢) رضى الله عنه . . . وأما الفتن المضلة التى يخشى منها فساد الدين فهى التى يستعاذ منها ويسأل الموت قبلها ، فمن مات قبل وقوعه فى شئ من هذه الفتن فقد حفظه الله تعالى وحماه (٣) .

٣ ـ انشقاق القمر :

جاء فى أحاديث صحيحة أن القمر قد انشق فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منها حديث أنس رضى الله عنه " أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر " (٤) .

ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة ، وكانت فلقة فوق الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أشهد " (٥)

---

(١) سورة العنكبوت آية (١ ـ ٢) .

(٢) سبق ذكر هذا الحديث وتخريجه (ص ٦٥٨) .

(٣) اختيار الأولى (ص ١٠٤ ـ ١١٢) .

(٤ ، ٥) أخرجهما مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب انشقاق القمر (٤/٢١٥٩) .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أن انشقاق القمر من علامات الساعة حيث قال : " وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر)[(١)]، وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة .[(٢)]

٤ - ظهور نار بالحجاز :

وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تذكر أن نارا عظيمة تخرج في أرض الحجاز تشاهد أعناق الابل ببُصرى[(٣)] في ضوئها .

قال النووي رحمه الله تعالى : " خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت نارا عظيمة جدا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان ، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة "[(٤)] ا.هـ

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى هذه النار والى بعض ما ورد فيها من الأحاديث فقال : " وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى "[(٥)]، وقد خرجت هذه النار بالحجاز بقرب المدينة

---

(١) سورة القمر آيه (١) .

(٢) الحكم الجديرة بالاذاعة (ص ١٩) .

(٣) بُصرى : بضم الباء آخرها ألف مقصورة ، مدينة معروفة بالشام ويقال لها : حوران وبينها وبين دمشق ثلاث مراحل ، فتحها المسلمون سنة ١٣ هـ . معجم البلدان (١/٤٤١)، وشرح مسلم للنووي (١٨/ ٣٠)، وفتح الباري (١٣/ ٨٠) .

(٤) شرح مسلم للنووي (١٨/ ٢٨) .

(٥) أخرجه البخاري : كتاب الفتن - باب خروج النار (٨/ ١٠٠)، ومسلم كتاب الفتن - باب لاتقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز (٤/٢٢٢٧) .

ورؤيت أعناق الابل من ضوئها ببصرى فى سنة أربع وخمسين وستمائة ". (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " . . . وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى" (٢)

وهذه النار خرجت من وادى بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة أربع وخمسين وستمائة ، واشتهر أمرها ، وشوهد من ضوئها بالليل أعناق الابل ببصرى واستفاض . (٣)

٥ ــ ولادة الأمة لربتها وتطاول الحفاة العراة فى البنيان :

جاء فى حديث جبريل « أن جبريل عليه السلام سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال عليه الصلاة والسلام : " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان ". (٤)

وفى رواية عند الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم " فحدثنى متى الساعة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فى خمس من الغيب لا يعلمهن إلا هو . . . ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك قال :

---

(١) لطائف المعارف (ص ٩٠) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٦٢٧) .

(٣) فضائل الشام ورقة (٢٨/ب) .

(٤) حديث جبريل تقدم تخريجه (ص ٨/٥) .

أجل يارسول الله فحدثني، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها قال : يارسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟ قال : العرب ".(١)

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى هاتين العلامتين في شرحه لحديث جبريل فقال : " وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم للساعة علامتين :

الأولى : " أن تلد الأمة ربتها " والمراد بربتها سيدتها ومالكتها وفى حديث(٢) أبى هريرة رضى الله عنه " ربها " وهذه اشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السرارى وتكثر أولادهن ، فتكون الأمة رقيقة لسيدها ، وأولاده منها بمنزلته ، فإن ولد السيد بمنزلة السيد فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها وسيدها ...

---

(١) مسند أحمد (٤/٣٣٢) حديث رقم (٢٩٢٦) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) حديث أبى هريرة هو أحدى روايات الحديث المعروف بحديث جبريل وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراطها ، واذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها ، واذا رأيت رعاء البهم يتطاولون فى البنيان فذاك من أشراطها ... " الحديث .
أخرجه مسلم : كتاب الإيمان - باب بيان الاسلام والايمان والاحسان ... (١/٤٠).

والعلامة الثانية : " أن ترى الحفاة العراة العالة " والمراد بالعالة الفقراء كقوله تعالى : (ووجدك عائلا فأغنى)[1] .

وقوله : " رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان " هكذا فى حديث عمر رضى الله عنه ، والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم ، وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته واتقانه .

وفى حديث[2] أبى هريرة رضى الله عنه ذكر ثلاث علامات :

منها : أن تكون الحفاة العراة رؤساء الناس ،

ومنها: أن يتطاول رعاة البهم فى البنيان . . . فإنه إذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء وهم أهل الجهل والجفاء رؤساء الناس وأصحاب الثروة والاموال حتى يتطاولوا فى البنيان فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا فإنه إذا كان رؤوس الناس من كان فقيرا عائلا فصار ملكا على الناس سواء كان ملكه عاما أو خاصا فى بعض الاشياء فإنه لا يكاد يعطى الناس حقوقهم بل يستأثر عليهم بما استولى عليه من المال . . . واذا كان مع هذا جاهلا جافيا فسد بذلك الدين لأنه لا يكون له همة فى اصلاح دين الناس، ولا تعليمهم بل همته فى حيازة المال واكثاره ، ولا يبالى بما أفسد من دين الناس ولا بمن أضاع من أهل حاجاتهم . . . واذا كان ملوك الناس ورؤوسهم على هذه الحال انعكست سائر الأحوال فصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وائتمن الخائن ، وخون الأمين ، وتكلم الجاهل ، وسكت العالم أو عدم بالكلية كما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

---

(١) سورة الضحى آية (٧) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٦٦٤) .

" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل " . (١)

وأخبر " أنه يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (٢)

وفى صحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر مرفوعا " إن من أشراط الساعة أن توضع الاخيار وترفع الأشرار " . (٣)

وفى قوله : " يتطاولون فى البنيان " دليل على ذم التباهى والتفاخر خصوصا بالتطاول فى البنيان ولم يكن اطالة البناء معروفا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بل كان بنيانهم بقدر الحاجة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس فى البنيان " خرجه البخارى (٤) (٥) ...

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب العلم - باب رفع العلم وظهور الجهل (٢٨/١) ومسلم : كتاب العلم - باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان (٢٠٥٦/٤) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٣٤) .

(٣) مستدرك الحاكم (٥٥٤/٤) وفيه " أن ترفع الأشرار وتوضع الاخيار" وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الفتن (١٠١/٨) .

(٥) جامع العلوم والحكم (٩٤/١ — ٩٩) .

٦ ـ خراب البيت ورفع القرآن وبعث ريح طايبة لقبض أرواح المؤمنين

روى الامام أحمد بسنده عن سعيد بن سمعان [١] قال : سمعت أبا هريرة يخبر أبا قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يبايع لرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب ثم تأتى الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه ". [٢]

وعن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يخرب الكعبة ذو السُّوَيْقَتين [٣] من الحبشة ، ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ولكأنى انظر اليه أصليع [٤] أفيدع [٥] يضرب عليها

---

(١) سعيد بن سمعان الأنصارى الزرقى ، قال العجلى : مدنى تابعى ثقة ، وقال النسائى : ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات .
تاريخ الثقات (ص ١٨٥) والثقات لابن حبان (٤/ ٢٧٨) وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٥) .

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٥٣) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد .
وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٢٩٨) رواه أحمد ورجاله ثقات

(٣) ذو السُّوَيْقَتين قال ابن الأثير : السويقة تصغير ساق وهى مؤنثة فلذلك ظهرت التاء فى تصغيرها ، وانما صغر الساق لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة .
النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٢٣) .

(٤) أصيلع : هو تصغير الأصلع ، وهو الذى انحسر الشعر عن رأسه .
النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٧) .

(٥) أفيدع : تصغير أفدع والفدع بالتحريك زيغ بين القدم وبين عظم الساق، وكذلك يكون فى اليد وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها .
النهاية لأبن الأثير (٣/ ٤٢٠) .

بمسحاته (١) ومعوله (٢) " (٣)

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله فى ليلة ، فلا يبقى فى الأرض منه آية ، وتبقى طوائف الناس الشيخ الكبير والعجوز ويقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة " لا إله إلا الله " فنحن نقولها (٤) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فذكر الحديث وفيه : " فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه " (٥) .

---

(١) المسحاة هى المجرفة من الحديد . النهاية لابن الاثير (٤/٤٢٨) .

(٢) المعول : الفأس العظيم التى ينقر بها الصخر . النهاية لابن الاثير (٤/٣٤٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٢٠) وقال ابن كثير فى النهاية فى الفتن والملاحم (١/٢٠٤) وهذا إسناد جيد قوى .

(٤) أخرجه ابن ماجه : كتاب الفتن - باب ذهاب القرآن والعلم (٢/ ١٣٤٥) وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة (٤/١٩٥) إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وأخرجه الحاكم (٤/٤٧٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

(٥) أخرجه مسلم : كتاب الفتن (٤/٢٢٥٩) .

وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج "(١)

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :"لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت "(٢)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :" ولا منافاة بين الروايتين لأن الكعبة يحجها الناس ويعتمرون بها بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم وطمأنينة الناس وكثرة أرزاقهم فى زمان المسيح عليه السلام ، ثم يبعث الله ريحا طيبة فيقبض بها روح كل مؤمن ، ويتوفى نبى الله عيسى عليه السلام ويصلى عليه المسلمون . . . ثم يكون خراب الكعبة على يدى ذى السُّوَيْقَتَين بعد هذا ".اهـ(٣)

وقد يقال إن الاحاديث التى فيها استحلال البيت وهدم الكعبة وخرابها تخالف قوله تعالى : (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم)(٤)

وقد حبس الله سبحانه وتعالى عن مكة الفيل، ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة وهى لم تكن آنذاك قبلة ، فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة المسلمين ؟

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الحج (٢/١٥٩) .
(٢) أخرجه الحاكم (٤/٤٥٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الألبانى : حديث صحيح . صحيح الجامع (٢/١٢٣٧) .
(٣) النهاية فى الفتن والملاحم (١/٢٠٣ ، ٢٠٤) .
(٤) سورة العنكبوت آية (٦٧) .

فالجواب على ذلك أن يقال : إن الله سبحانه وتعالى جعل الكعبة البيت الحرام آمنا إلى قرب قيام الساعة،وخراب الدنيا حينما لا يبقى فى الأرض من يقول الله كما جاء فى حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله الله"(١) وليس فى الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها ، وقد حدث القتال فى مكة مرات عديدة وأعظم قتال وقع ما حصل من القرامطة (٢) فى القرن الرابع الهجرى حيث قتلوا من المسلمين فى المطاف من لا يحصى وقلعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى بلادهم،وفعلوا الأفاعيل المخزية فى الحرم ، وقد أعيد الحجر بعد ذلك ، كل هذا لا يعارض الآية لأن ذلك إنما وقع بأيدى المنتسبين إلى الاسلام ، فهو موافق لقوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان - باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (١/ ١٣١) .

(٢) القرامطة : هم طائفة من الباطنية أتباع حمدان القرمطى،رجل من أهل الكوفة دعا الناس الى المذهب الباطنى فضلّ بسببه خلق كثير وكان أول ظهورهم فى عام ٢٨١ هـ فى خلافة المعتضد ، ولهم أعمال شنيعة مخزية ، وأعظمها ما وقع منهم سنة ٣١٧ هـ حيث هاجموا الحجاج وقتلوا المسلمين فى الحرم واستباحوا دماءهم وأموالهم وهدموا قبة زمزم وقلعوا باب الكعبة والحجر الأسود ونقلوه إلى بلادهم ومكث عندهم اثنتان وعشرون سنة حتى أعيد سنة ٣٣٩هـ على يد أبى إسحاق إبراهيم بن محمد المزكى النيسابورى رحمه الله تعالى .

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٧٩)، ومقالات الاسلاميين (١/ ١٠٠)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٥٠) .

" لن يستحل هذا البيت الا أهله "[1] فوقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام .[2]

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى العلامات الواردة فى الأحاديث السابقة فقال : " وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن هذا البيت يحج ويعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج ، ولا يزال كذلك حتى تخربه الحبشة ويلقون حجارته فى البحر ، وذلك بعد أن يبعث الله ريحا طيبة تقبض أرواح المؤمنين كلهم فلا يبقى على الأرض مؤمن، ويسرى بالقرآن من الصدور والمصاحف فلا يبقى فى الأرض قرآن ولا إيمان ولا شىء من الخير فبعد ذلك تقوم الساعة ولا تقوم إلا على شرار الناس " اهـ[3]

ثانيا : العلامات الكبرى :

١ ـ طلوع الشمس من مغربها :

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة .

وطلوع الشمس من مغربها من الآيات العظام التى تحدث على خلاف ما نعهده الآن من طلوعها من المشرق ، وذلك بقدرة القدير الذى يقول للشىء كن فيكون ، فالذى أطلعها من المشرق قادر على تغيير مسارها واخراجها من المغرب فهو خالقها ومدبر أمرها سبحانه وتعالى.

---

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه (ص ٦٦٧) .

(٢) انظر : شرح مسلم للنووى (٣٥/١٨) وفتح البارى (٤٦١/٣ ، ٤٦٢) و (٣٤١/٤) .

(٣) لطائف المعارف (ص ٩٧) .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى بعض نصوص الكتاب والسنة الواردة فى طلوع الشمس من مغربها فى معرض ذكره لاحاديث أشراط الساعة فقال : " وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل كما قال تعالى : (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) (١)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون " فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا "... (٢)

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ، ودابة الأرض ". (٣)

وفيه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه ". (٤)

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٨) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الرقاق (٧/١٩١) وصحيح مسلم : كتاب الايمان - باب الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان (١/١٣٨) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الايمان - باب الزمن الذى لايقبل فيه الإيمان (١/١٣٩) .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والذكر (٤/٢٠٧٦) .

وعن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ". (١)

وخرج الامام أحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه من حديث صفوان ابن عسال عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن الله فتح بابا قبل المغرب ، عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه ". (٢)

وفى المسند عن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمر ومعاوية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل ". (٣)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب التوبة ـ باب قبول التوبة من الذنوب وان تكررت الذنوب والتوبة (٢١١٣/٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٠/٤) والترمذى : كتاب الدعوات ـ باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده (٥٤٦/٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه : كتاب الفتن ـ باب طلوع الشمس من مغربها (١٣٥٣/٢) والطبرانى فى الكبير (٦٧/٨) وقال الألبانى : حديث حسن . صحيح الجامع (٤٤٣/١) .

(٣) أخرجه أحمد (١٣٣/٣) حديث رقم (١٦٧١) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح . وقال ابن كثير فى النهاية فى الفتن والملاحم (٢٢١/١) وهذا إسناد جيد قوى . وأخرجه البزار كما فى كشف الاستار (٣٠٤/٢) والطبرانى فى المعجم الأوسط (٦٩/١) ، والكبير (٣٨١/١٩) وقال الهيثمى فى المجمع (٢٥٠/٥) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط والصغير .. والبزار .. ورجال أحمد ثقات ، ولم أجده فى المعجم الصغير للطبرانى المطبوع .

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ، ويحال بينها وبينه ، إما بمرض أو موت أو بأن يدركه بعض هذه الآيات التي لا يقبل معها عمل . (١)

فقد دلت الأحاديث السابقة التي ساقها ابن رجب رحمه الله تعالى على أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى وأن المراد ببعض آيات الله في الآية هو طلوع الشمس من مغربها كما دل على ذلك حديث الصحيحين ، ففي ذلك الوقت لا ينفع نفسا إيمانها إن لم تكن آمنت قبل، لأن باب التوبة مغلق فلا يقبل توبة أحد ، فمن أحدث توبة بعد هذا الوقت فتوبته مردودة عليه .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ساق بعض الأحاديث السابقة : فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيمانا أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه ، وإنما كذلك — والله أعلم — لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها ، فعومل ذلك معاملة يوم القيامة . (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣/ ٢١٥ ، ٢١٦) .

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٢٢) .

٢ ـ فتنة المسيح الدجال :

فتنة المسيح الدجال إحدى أشراط الساعة الكبرى ، وفتنته من أعظم الفتن والمحن التي تمر على الناس .

وسمي مسيحا لأن إحدى عينيه ممسوحة أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوما .(١)

وهو مسيح الضلالة يفتن الناس بما يعطاه من الآيات كأنزال المطر واحياء الأرض، وبما يظهر على يديه من عجائب وخوارق للعادات .

أما مسيح الهدى فهو عيسى عليه السلام حيث يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله .

فالله سبحانه وتعالى خلق مسيحين أحدهما ضد الآخر .

وسمي الدجال دجالا لأنه يغطي الحق بالباطل أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتلبيسه وتمويهه عليهم(٢) . ولفظة الدجال أصبحت علما على المسيح الأعور الكذاب ، فإذا قيل الدجال فلا يتبادر إلى الذهن غيره .

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر خروج الدجال في آخر الزمان ، والتحذير منه حيث أنه صلى الله عليه وسلم وصفه لأمته وصفا لا يخفى على ذي بصر كما حذر منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله أممهم ووصفوه لهم أوصافا ظاهرة .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر : النهاية لابن الاثير (٤/٣٢٦) ولسان العرب (٢/٥٩٤) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٢/٩١) .

" ما بعث نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور ، وان ربكم ليس بأعور ، ومكتوب بين عينيه ك.ف.ر" (١) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : " إنى لأنذركموه ، وما من نبى إلا وقد أنذره قومه ولكنى سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه إنه أعور وان الله ليس بأعور " (٢) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدثه نبى قومه ؟ إنه أعور ، وإنه يجىء معه مثل الجنة والنار ، فالتى يقول إنها الجنة هى النار وانى أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه " (٣) .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رُحْنا إليه عرف ذلك فينا فقال : " ما شأنكم ؟ قلنا : يارسول الله ذكرت الدجال غداة ، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ،

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال (٨/١٠٣) ، ومسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب ذكر الدجال (٤/٢٢٤٨) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال (٨/١٠٢) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب ذكر الدجال (٤/٢٢٥٠) .

فقال : " غير الدجال أَخْوَفُنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قَطَط (١) عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق (٢) ، فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا " قلنا : يارسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال : " أربعون يوما ، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : " لا ، اقدروا له قدره " قلنا : يارسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : " كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم (٣) أطول ما كانت ذُرًا (٤) وأسبغه ضروعا

---

(١) قطط : أى شديد جعودة الشعر . النهاية لابن الأثير (٨١/٤)

(٢) خلة بين الشام ، والعراق : أى فى طريق بينهما ، وقيل للطريق والسبيل خلة لأنه خل ما بين البلدين : أى أخذ مخيط ما بينهما ورواه بعضهم بالحاء المهملة من الحلول : أى سمت ذلك وقبالته . النهاية لابن الأثير (٧٣/٢ ، ٧٤) .

(٣) " فتروح عليهم سارحتهم " تروح ترجع آخر النهار ، والسارحة هى الماشية التى تسرح أى تذهب أول النهار إلى المرعى . النهاية لابن الأثير (٣٥٧/٢) .

(٤) ذرا : الذرى جمع ذروة بضم الذال وكسرها ، وذروة الشىء أعلاه ، والذرى الأعالى والأسنمة . لسان العرب (٢٨٤/١٤) .

وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليـــــــــــــــه قولـــــه ، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين [(١)] ليس بأيديهم شئ مـــــن أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل [(٢)] ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جَزلتين [(٣)] رمية الغرض [(٤)] ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلـــك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بـــين مهرودتين [(٥)] ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطـــر ، واذا رفعه تحدر منه جمان [(٦)] كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفســه إلا مات ، ونَفَسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه بباب لد [(٧)] فيقتلــه،

---

(١) ممحلين : المحل على وزن فحل : القحط والجدب ،يقال أمحـل البلد إذا أجدب . الصحاح (١٨١٧/٥) .

(٢) كيعاسيب النحل : اليعاسيب جمع عيسوب ، وهى ذكور النحـــل ، والمراد أن كنوز الأرض تظهر وتجتمع عنده كما تجتمع النحل علــى يعاسيبها . النهاية لابن الأثير (٢٣٥/٣) .

(٣) جزلتين : بفتح الجيم وقيل بكسرها ، والجزل : القطع يقال جزلت الشئ جزلتين أى قطعته قطعتين . الصحاح (١٦٥٥/٤) .

(٤) معنى رمية الغرض أى إنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية السهـــم إلى الهدف . النهاية لابن الأثير (٣٦٠/٤) .

(٥) المهروتان روى بالدال والذال،مفردها مهرود وهو الثوب الذى صبغ والمعنى أنه لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران .
لسان العرب (٤٣٥/٣) .

(٦) الجمان : حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار ، والمعـنى أنه يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفائه .
النهاية لابن الأثير (٣٠١/١) .

(٧) باب لد : بضم اللام وتشديد الدال ، وهو بلدة قريبة من بيت المقدس.
معجم البلدان (١٥/٥) .

ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة " (١) .

والأحاديث الواردة فى الدجال كثيرة جدا . قال النووى رحمه الله تعالى : " قال القاضى : هذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ... فى أنه صحيح الوجود ولكن الذى يدعى مخارف وخيالات لا حقائق لها،وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعى الالهية وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه .

ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه لأن فتنته عظيمه جدا تدهش

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الفتن واشراط الساعة ـ باب ذكر الدجال (٤/٢٢٥١ ، ٢٢٥٢) .

العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره فى الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص ، فيصدقه من صدقه فى هذه الحالة ، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل ابطاله ، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله.(١)

وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى إلى فتنة الدجال فقال فى معرض كلامه عنه : " فإن الناس يفتنون فى قبورهم مثل أو قريبا من فتنة الدجال ، ثم خص فتنة الدجال بالذكر لعظم موقعها فإنه لم يكن فى الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها . (٢)

٣ ــ نزول عيسى بن مريم عليه السلام :

من أمارات الساعة العظام وأشراطها نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أنه ينزل قبل قيام الساعة فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويحكم بالقسط ويقضى بشريعة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحيى من شأنها ما تركه الناس ، ثم يمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ويدفن .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم آيتين تدلان على نزول عيسى عليه السلام :

قال الله تعالى : (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) (٣)

---

(١) شرح مسلم للنووى (١٨/٥٨/٥٩) .

(٢) اختيار الأولى (ص ١٠٥) .

(٣) سورة النساء آية (١٥٩) .

أى قبل موت عيسى عليه السلام وقد ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أن هذا هو قول ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ثم قال : "هذا القول هو الحق ".(١)

وقال تعالى : (وانه لعلم للساعة)(٢) أى أن نزول عيسى عليه السلام قبل القيامة علامة على قرب الساعة ويدل على ذلك القراءة الأخرى (وانه لعَلَم للساعة) بفتح العين واللام . أى علامة وامارة على قيام الساعة .

قال البغوى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية (وانه) يعنى عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) يعنى نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها ، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة "(وانه لعَلَم للساعة)بفتح اللام والعين أى امارة وعلامة .(٣)

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية (وانه لعلم للساعة) تقدم تفسير ابن اسحاق(٤) أن المراد من ذلك ما بعث بـه

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٦) .

(٢) سورة الزخرف آية (٦١) .

(٣) معالم التنزيل .(٤/١٤٣) .

(٤) أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار القرشي المطلبى العلامة الحافظ الأخبارى صاحب السيرة النبوية ، قال ابن سعد : كان ثقة ، ومنهم من يتكلم فيه ، وقال الشافعى : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق ، توفى سنة ١٥٠ هـ،وقيل غير ذلك .

طبقات ابن سعد (٧/٣٢١) ووفيات الأعيان (٤/٢٧٦) وسير أعلام النبلاء" (٧/٣٣) .

عيسى عليه الصلاة والسلام من احياء الموتى وابراء الأكمة والأبرص وغير ذلك من الأسقام وفى هذا نظر ، وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصرى وسعيد بن جبير أن الضمير فى وانه عائد إلى القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فإن السياق فى ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ... ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وانه لعَلَم للساعة) أى أمارة ودليل على وقوعها .

قال مجاهد (وانه لعلم للساعة) أى آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة .

وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم (١)

وأما الأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام فهى كثيرة جدا منها حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها " (٢) ثم يقول أبوهريرة واقرأوا إن شئتم (وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٢) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الأنبياء - باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٤/ ١٤٣) ومسلم : كتاب الإيمان - باب نزول عيسى حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ١٣٥) .

(٣) سورة النساء آية (١٥٩) .

ومنها حديث الآخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم " (١) .

ومنها حديث جابر رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة " (٢) .

ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الأنبياء أخوة لعلات (٣) أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن نبى بينى وبينه وانه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران (٤) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الاسلام ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الانبياء - باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (١٤٣/٤) ومسلم : كتاب الايمان - باب نزول عيسى حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١٣٦/١) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان - باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١٣٧/١) .

(٣) العلات : جمع علة ، والعلة هى الضرة ، والمراد الأخوة من أمهات مختلفة وأبوهم واحد . لسان العرب (٤٧٠/١١) .

(٤) الممصران تثنية ممصر ، والممصر من الثياب الذى فيه صفرة خفيفة . النهاية لابن الأثير (٣٣٦/٤) .

فى زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الأبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون "[1] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

وقد أجمعت الأمة على نزول عيسى عليه السلام قبل قيام الساعة قال السفارينى رحمه الله تعالى : " أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت قائمة به وهو متصف بها " .اهـ[2]

وقد أشار ابن رجب رحمه الله تعالى إلى نزول عيسى عليه السلام وما يقدم به بعد نزوله فقال : " وبالشام ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان وهو المبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلى خلف إمام المسلمين ويقول : إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض " .اهـ[3]

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٤٠٦) وقال أحمد شاكر : حديث صحيح عمدة التفسير (٤/٣٦) . وأبو داود : كتاب الملاحم - باب خروج الدجال (٤/٤٩٨) والحاكم (٢/٥٩٥) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى فى النهاية فى الفتن والملاحم (١/١٨٨) وهذا إسناد جيد قوى .

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٩٤ ، ٩٥) .

(٣) لطائف المعارف (ص ٩٠) .

كما أشار الى نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال فى كتاب فضائل الشام فقد عقد فصلا بعنوان : الفصل الرابع فيما ورد فى نزول عيسى بن مريم عليهما السلام فى آخر الزمان عند دمشق .

وقد ذكر فيه جملة من الأحاديث الدالة على نزول عيسى عليه السلام ومكان نزوله ، وقد سبق ذكر بعضها .

ثم قال رحمه الله تعالى : " وقد جاء من حديث أبى أمامة وغيره ما قد يشعر بأن عيسى ينزل ببيت المقدس ، وليست أسانيدها بالقوية ، ويتعين حملها على تقدير صحتها على أنه يأتى بمن معه من المؤمنين إلى بيت المقدس من دمشق كما قاله ابن عباس وكعب ، جمعا بينها وبين حديث النواس المخرج فى الصحيح ، وظاهر ماتقدم من الأحاديث والآثار يدل على أن عيسى عليه السلام ينزل عند باب مدينة دمشق الشرقى ... "(١)

٤ ـ خروج نار تحشر الناس :

جاء فى الأحاديث الصحيحة أن آخر الآيات خروجا قبل قيام الساعة نار عظيمة تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم ، وتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه العلامة وذكر بعض الأحاديث الواردة فى ذكرها فقال : " وقد تكاثرت الأحاديث والآثار بذكر هذه النار ففى صحيح البخارى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أول أشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب " .(٢)

---

(١) فضائل الشام ورقه (٥٠/أ) .

(٢) صحيح البخارى : كتاب أحاديث الأنبياء (١٠١/٤) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا ". (١)

فهذه الثلاث المذكورة فى هذا الحديث :

أحدها : من يحشر راغبا هو من يهاجر إلى الشام طوعا .

والثانى : من يحشر رهبة وخوفا على نفسه لظهور الفتن فى أرضه .

والثالث : من تحشره النار قسرا وهو شر الثلاثة ...

وفى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ".

وفى رواية له " ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس ". (٢)

وخرّجه الترمذى وعنده " ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ". (٣)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الرقاق - باب كيف الحشر (٧/ ١٩٤) ، وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٤/ ٢١٩٥) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن - باب الآيات التى تكون قبل الساعة (٤/ ٢٢٢٦) .

(٣) سنن الترمذى : كتاب الفتن - باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز (٤/ ٤٩٨) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وخرّج الحاكم من حديث واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه قال : " ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الذرة والنمل " وقال : صحيح الاسناد ... (١)

وخرج أيضا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ، يكون لها ما سقط منهم وتخلف، فتسوقهم سوق الجمل الكبير " . (٢)

إلى أن قال رحمه الله تعالى : " فقد تضمنت هذه الأحاديث أمرين :

أحدهما : أن الناس تحشرهم النار إلى المحشر ، وفى حديث أنس وعبد الله بن عمرو أنهم يحشرون إلى المغرب ، والظاهر أنه أريد بالمغرب مغرب المدينة وهو الشام ...

الثانى : أن فى بعض الأحاديث خروج النار من اليمن ، وفى بعضها من المشرق ، وفى بعضها ما يدل على خروجها من قرب المدينة ، وكله حق .

وقد ذكرنا فى هذه الآثار أنها تخرج من أماكن متعددة ... (٣)

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى أيضا : " ... فأما شرار الخلق فتخرج نار فى آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهرا حتى تجمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة " . (٤)

---

(١) المستدرك (٤/ ٤٢٨) .
(٢) المستدرك (٤/ ٥٤٨) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .
(٣) فضائل الشام من ورقة (٣٢/أ) إلى ورقة (٣٥/أ) .
(٤) لطائف المعارف (ص ٩٠) .

والجمع بين ما جاء فى أن هذه النار هى آخر أشراط الساعة وما جاء فى بعض الروايات أنها أول أشراط الساعة أن يقال أن المقصود أن هذه العلامة آخر اشراط الساعة باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة فى حديث حذيفة .

وهى أول اشراط الساعة باعتبار أنها أول الآيات التى لا شىء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ فى الصور ، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة فى حديث حذيفة فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا ". (١)

وهناك علامات أخرى للساعة ورد ذكر بعضها فيما سبق من الأحاديث كخروج الدابة ويأجوج ومأجوج والدخان وغيرها مما وردت به الاحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرت على ما ذكرت لأنى وجدت فيها لابن رجب رحمه الله تعالى كلاما ، ومن أراد الاطلاع على علامات الساعة الكثيرة فليراجع الكتب المصنفة فى ذلك مثل كتاب النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، والتذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى، وكتاب الاشاعة للبرزنجى ، وكتاب الاذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة لصديق حسن خان ، وكتاب إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة لفضيلة الشيخ / حمود بن عبد الله التويجرى ، وغيرها من الكتب الأخرى .

---

(١) انظر فتح البارى (٨٢/١٣) .

المبحث الثـــــالث
الايمان بعذاب القبر ونعيمه وفتنته

من أصول أهل السنة والجماعة التي يجب الإيمان بها الإيمـــان بعذاب القبر ونعيمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، فمن نجا من عذاب القبر فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده شر منه لقوله صلى الله عليه وسلم : "إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجـا منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج فما بعده أشر منه ". (١)

اعاذنا الله من فتنة القبر وعذابه .

وقد دلت الآيات في كتاب الله سبحانه وتعالى والأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثبات عذاب القبر ونعيمه ، وسيأتـي ذكر هذه الأدلة في معرض كلام ابن رجب رحمه الله تعالى حيث أنه قد ذكر هذه المسألة وما يدل على ثبوتها من أدلة الكتاب والسنة .

فقد جعل رحمه الله تعالى : الباب الأول من كتابه أهـــوال القبور في ذكر حال الميت عند نزوله القبر وسؤال الملائكة له ، وما يفسح لـه في قبره أو يضيق عليه ، وما يرى من منزله في الجنة أو النار .

---

(١) أخرجه الترمذي : كتاب الزهد (٤/ ٥٥٣) وقال : هـــذا حديث حسن غريب و، وابن ماجه : كتاب الزهد - باب ذكـر القبر والبلى (٢/ ١٤٢٦)و الحاكم (٤/ ٣٣٠)وقال:هذا حديـث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

والباب الخامس فى عرض منازل أهل القبور عليهم من الجنة أو النار بكرة وعشيا .

وأما الباب السادس فقد جعل عنوانه نصا فى المسألة فقال :الباب السادس فى ذكر عذاب القبر ونعيمه .

حيث قال رحمه الله تعالى : " وقد دل القرآن على عذاب القبر فى مواضع كقوله تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون)(١) .

ثم ساق رحمه الله تعالى بعد ذلك بعض تفسيرات الصحابة رضى الله عنهم للآيات التى تدل على عذاب القبر منها قوله : " وروى البراء فى قوله : (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك)(٢) قال : عذاب القبر(٣)

وكذا روى عن ابن عباس فى قوله سبحانه وتعالى : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر)(٤)

وكذا قال قتادة والربيع بن أنس(٥) فى قوله تعالى : (سنعذبهم مرتين)(٦) أحدهما فى الدنيا والآخرى هى عذاب القبر " ...(٧)(٨)

---

(١) سورة الأنعام آية (٩٣) .
(٢) سورة الطور آية (٤٧) .
(٣) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٧/٣٦) والآجرى فى الشريعة (ص ٣٥٨) .
(٤) سورة السجدة آية (٢١) .
(٥) الربيع بن أنس بن زياد البكرى الخراساني ، كان عالم مرو فى زمانه توفى سنة ١٣٩هـ . سير أعلام النبلاء (٦/١٦٩) وتهذيب التهذيب (٣/٢٣٨) .
(٦) سورة التوبة آية (١٠١) .
(٧) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١١/١١) .
(٨) أهوال القبور (ص ٤٣) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالى : (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) (١) (٢) ...

كما أنه أورد رحمه الله تعالى تحت بقية الأبواب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التى تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه وفتنته، فمن الآيات التى أوردها قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) (٣)

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى عقب هذه الآية تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للآية فقال : " وخرجا فى الصحيحين (٤) من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة " نزلت فى عذاب القبر ... زاد مسلم : " يقال له من ربك ؟ فيقول ربى الله ونبي محمد ، فذلك قوله سبحانه وتعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) .

وفى رواية البخارى قال : "إذا أقعد العبد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة " ... (٥)

---

(١) سورة الواقعة رقم (٨٩) .

(٢) أهوال القبور (ص ٥٨) .

(٣) سورة ابراهيم آية (٢٧) .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الجنائز ـ باب ماجاء فى عذاب القبر (١٠١/٢) وصحيح مسلم : كتاب صفة الجنة ـ باب عرض مقعد الميت (٢٢٠١/٤) .

(٥) انظر : أهوال القبور (ص ٦) وما بعدها .

ومنها قوله تعالى : (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .[(١)]

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " قال قتادة فى هذه الآية يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا وصغارا ونقيصة ".[(٢)]

وقال ابن سيرين :[(٣)] "كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول عرجت الملائكة ، وهبطت الملائكة ، وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار"...[(٤)] [(٥)]

وأما الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه فهى كثيرة جدا بلغت حد التواتر .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : "وقد تواترت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عذاب القبر والتعوذ منه ".[(٦)]

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى كثيرا من الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه .

---

(١) سورة غافر آية (٤٦) .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٧ / ٢٩١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أبو بكر محمد بن سيرين ، أبوه مولى أنس بن مالك ، كان من سبى عين التمر فاشتراه أنس وكاتبه ، قال هشام بن حسان : " هو أصدق من أدركت من البشر " وقال ابن سعد : " وكان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا " توفى رحمه الله تعالى سنة ١١٠هـ .

طبقات ابن سعد (٧ / ١٩٣)،والبداية والنهاية (٩ / ٢٦٧) .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٧ / ٢٩١) .

(٥) أهوال القبور (ص ٣٩) .

(٦) المصدر السابق (ص ٤٣) .

منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن العبد اذا وضع فى قبره وتولى أصحابه انه يسمع قرع نعالهم آتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال : فيراهما جميعا ، وأما الكافر أو المنافق فيقول : : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، فيضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين ". (١)

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ". (٢)

ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ؟ قال : " نعم عذاب القبر حق "

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى عذاب القبر (٢/ ١٠٢) ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (٤/ ٢٢٠٠) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز ـ باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشى (٢/ ١٠٣) ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت عليه (٤/ ٢١٩٩) .

قالت عائشة : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر ". (١)

ومنها حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : "اللهم أنى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ". (٢)

ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ". (٣)

ومنها حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط بنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به ، فكادت تلقيه ، واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال " من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل أنا : قال متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الاشراك ، فقال : " وان هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه " ثم أقبل علينا

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز - باب ما جاء فى عذاب القبر (١٠٢/٢).

(٢) أخرجه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ما يستعاذ منه فى الصلاة (٤١٣/١).

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز - باب التعوذ من عذاب القبر (١٠٣/٢) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤١٢/١).

بوجهه فقال : " تعوذوا بالله من عذاب النار " قالوا : نعوذ بالله من النار قال : " تعوذوا بالله من عذاب القبر " قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها ومن بطن" قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : " تعوذوا بالله من فتنة الدجال " قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .(١)

ومنها حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال : " يهود تعذب فى قبورها ".(٢)

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى تدل على أثبات عذاب القبر ونعيمه وفتنته كما هو قول أهل السنة والجماعة وخلافا للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة الذين نفوا ذلك وخالفوا بذلك دلائل الكتاب والسنة التى تظافرت على اثباته*.

وقد بيّن ابن رجب رحمه الله تعالى أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه وهو قول أهل السنة والجماعة فقال : " ومما يدل على وقوع العذاب على الأجساد الأحاديث الكثيرة فى تضييق القبر حتى تختلف اضلاعه ، ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر ولم ينسب إليه ".(٣)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب صفة الجنة ـ باب عرض مقعد الميت عليه (٤/٢٢٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب صفة الجنة ـ باب عرض مقعد الميت عليه (٤/٢٢٠٠) .

(٣) أهوال القبور (ص ٨١) .

* انظر شرح مسلم للنووى (١٧/ ٢٠١) ، ولوامع الانوار البهية (٢/ ٢٤، ٢٥)

كما رد رحمه الله تعالى على الذين يقولون إن العذاب على الروح فقط فقال وهو يتكلم عن إعادة الروح للجسد " وأنكر ذلك طائفة منهم ابن حزم وغيره ، وذكر أن السؤال للروح خاصة ، وكذلك سماع الخطاب وأنكر ألا تعاد الروح إلى الجسد فى القبر للعذاب وغيره ، وقالوا : لو كان ذلك حقا للزم الانسان أن يموت ثلاث مرات ويحيى ثلاث مرات ، والقرآن دل على إنهما موتتان وحياتان ، وهذا ضعيف جدا ، فإن حياة الروح ليست حياة تامة مستقلة كحياة الدنيا وكحياة الآخرة بعد البعث ، وانما فيها نوع اتصال الروح فى البدن بحيث يحصل بذلك شعور البدن واحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما، وليس هو حياة تامة حتى يكون انفصال الروح به موتا تاما وانما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه ورجوعها إليه فان ذلك يسمى موتا وحياة كما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ " الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ، واليه النشور "[1] وسماه الله تعالى وفاة لقوله (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى)[2] الآية .
ومع هذا فلا ينافى ذلك أن يكون النائم حيا ، وكذلك اتصال روح الميت ببدنه وانفصالها عنه لا توجب أن يصير حيا حياة مطلقة ".[3]

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الدعوات - باب ماذا يقول إذا نام (١٤٧/٧) ومسلم : كتاب الذكر والدعاء - باب ماذا يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨٢/٤) .

(٢) سورة الزمر آية (٤٢) .

(٣) أهوال القبور (٧٩ ، ٨٠) .

فما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى فى هذه المسألة هو ما عليه أهل السنة والجماعة وهو الحق والصواب ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها ، قاموا من قبورهم لرب العالمين ".(١)

وقد أشار ابن رجب رحمه الله إلى أنواع عذاب القبر التى يعذب بها الميت فى قبره فقال : " وقد ورد فى عذاب القبر أنواع منها الضرب بمطراق من حديد وغيره ..."

ومنها تسليط الحيات والعقارب ...

ومنها تضييق القبر على الميت حتى تختلف أضلاعه ...(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤).

(٢) أهوال القبور (ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤).

المبحث الرابع
الأعمال التي يعذب أو ينعم بها العبد في القبر

أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى إلى بعض الأعمال التي يعذب الميت بسببها في قبره وذكر على ذلك الأحاديث الدالة عليها فقال : " وفي الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال : " إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة " ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين ثم غرز على كل قبر منهما واحدة ، قالوا لم فعلت هذا يارسول الله ؟ قال : " لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا "[1]

وقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة ، خرجه ابن ماجه[2] من حديث أبي بكرة وفي حديثه " وأما الآخر فيعذب في الغيبة " . . .

وقد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب ، والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان :

حق لله ، وحق للعباد ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد الدماء ، وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز - باب عذاب القبر من الغيبة والبول (١ / ٦٠) وصحيح مسلم : كتاب الطهارة - باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (١ / ٢٤٠) .

(٢) ابن ماجه : كتاب الطهارة وسننها - باب التشديد في البول (١ / ١٢٥) .

هذين الحقين ووسائلهما فمقدمة الصلاة : الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النميمة والغيبة والوقيعة فى الاعراض وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ فى البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما . (١)

كما أشار رحمه الله تعالى إلى بعض الأعمال التى تكون سببا فى النجاة من عذاب القبر فقال " إن الطهارة من الحدث تنجي من عذاب القبر ، وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ينجى من عذاب القبر . . . لأن فيه غاية النفع للناس فى دينهم ، وكذلك الجهاد والرباط فإن المجاهد والمرابط فى سبيل الله كل منهما بذل نفسه وسمح بنفسه لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر وليذب عن إخوانه المؤمنين عدوهم . (٢)

---

(١) أهوال القبور (ص ٤٦ ، ٤٨) .

(٢) المصدر السابق(ص ٤٩) .

المبحث الخامس
مستقر الأرواح

تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذه المسألة فى كتاب أهوال القبور وعقد لذلك بابا قال فيه : الباب التاسع فى ذكر محل أرواح الموتى فى البرزخ .

ثم بين أن الأرواح تتفاوت وقسمها إلى الأقسام التالية :

١ – أرواح الأنبياء قال فيها : " أما الأنبياء عليهم السلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله فى أعلى عليين .

وقد ثبت فى الصحيح أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته : " اللهم الرفيق الأعلى "(١) وكررها حتى قبض .

٢ – أرواح الشهداء قال فيها : وأما الشهداء فأكثر العلماء على أنهم فى الجنة وقد تكاثرت بذلك الأحاديث ففى صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ".(٢) قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : "أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شيء نشتهى

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٧/١٩٢) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٦٩) .

ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ". (١)

وخرج الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ عنا اخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد قال : فقال الله تعالى : (أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٢) (٣) . . .

وخرج ابن منده من طريق يحيى بن صالح (٤) عن سعيد بن سويد (٥) أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال : " بلغنى أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو ثم تروح إلى رياض الجنة تأتى ربها سبحانه كل يوم تسلم عليه ".

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٦٦٤) .

(٢) سورة آل عمران آيه (١٦٩) .

(٣) مسند أحمد (١/٢٦٦)
وأبو داود : كتاب الجهاد - باب فى فضل الشهادة (٣/٣٣) ، والحاكم (٢/٢٩٧) وقال: هذا حديث صحيح ووافقه الذهبى .

(٤) الامام العالم الحافظ يحيى بن صالح الدمشقى أبو زكريا الحمصي وثقه يحيى بن معين وابن عدى وابن حبان ، توفى سنة ٢٢٢ هـ. الجرح والتعديل (٩/١٥٨) وطبقات الحنابلة (١/٤٠٢) وسير أعلام النبلاء (١٠/٤٥٣) .

(٥) سعيد بن سويد الكلبى الشامى ، ذكره ابن حبان فى الثقات . الثقات لابن حبان (٦/٣٦١) والجرح والتعديل (٤/٢٩) وتعجيل المنفعة (ص ١٥٢) .

وكذا قال الضحاك وابراهيم التيمي (١) وغيرهما من السلف في أرواح الشهداء .

وقد ذكر ابن رجب كثيرا من الأحاديث الدالة على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ثم قسم بقية الناس غير الأنبياء والشهداء إلى قسمين فقال : " وأما بقية المؤمنين سوى الشهداء فينقسمون الى أهل تكليف ، وغير أهل تكليف فهذان قسمان :

أحدهما : غير أهل التكليف كأطفال المؤمنين فالجمهور على أنهم في الجنة ، وقد حكى الإمام أحمد على ذلك الإجماع ...

وكذلك نص الشافعي على أن أطفال المسلمين في الجنة ، وجاء صريحا عن السلف على أن أرواحهم في الجنة ".

ثم ساق ابن رجب رحمه الله تعالى الأدلة على أن أرواح أطفال المسلمين في الجنة ومنها قوله : " ومما يستدل لهذا أيضا ما خرجه البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليهما أنه رأى في منامه جبرائيل وميكائيل أتيا به فانطلقا به وذكر حديثا طويلا وفيه : " فانطلقا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارا لم أرقط أحسن منها فيها رجال وشيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب " وذكر الحديث وفيه قالا : " والشيخ في أصل

---

(١) إبراهيم بن يزيد التيمي أبو اسماء عابد الكوفة ، قال الذهبي : كان شابا صالحا قانتا لله عالما فقيها كبير القدر ، واعظا ، توفي سنة ٩٢ هـ ، وقيل غير ذلك .
سير أعلام النبلاء (٥/ ٦٠) وتهذيب التهذيب (١/ ١٧٦) .

الشجرة إبراهيم عليه السلام ، والصبيان حوله فأولاد الناس" وفى رواية " فكل مولود مات على الفطرة " وفى رواية " ولد على الفطرة " والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء ".(١)

ثم ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى قولين فى حكم أطفال المسلمين فوجه الأول منها ، واستبعد الثانى فقال : " وذهبت طائفة إلى أنه يشهد لأطفال المسلمين عموما أنهم فى الجنة ولا يشهد لآحادهم وهو قول ابن راهويه نقله عنه إسحاق بن منصور (٢) وحرب فى مسائلهما . ولعل هذا يرجع إلى الطفل المعين لا يشهد لأبيه بالايمان فلا يشهد له حينئذ أنه من أطفال المؤمنين فيكون الوقف فى آحادهم كالوقف فى إيمان آبائهم .

وحكى ابن عبد البر عن (٣) طائفة من السلف القول بالوقف فى أطفال المؤمنين وحماد بن زيد وحماد بن سلمة (٤) وابن المبارك واسحاق ،

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز (٢/ ١٠٥) .

(٢) إسحاق بن منصور بن بهرام المروزى أبو يعقوب الكوسج ، الإمام الفقيه الحافظ ، وهو أحد الأئمة ، من أصحاب الحديث الزهاد المتمسكين بالسنة ، وهو صاحب المسائل عن أحمد بن حنبل ، توفى سنة (٢٥١ هـ .
تاريخ بغداد (٦/ ٣٦٢) وطبقات الحنابلة (١/ ١١٣) وتهذيب التهذيب (١/ ٢٤٩) .

(٣) انظر التمهيد (١٨/ ١١١ ، ١١٢) .

(٤) حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصرى ، الامام الحافظ ، كان عابدا زاهدا ، وكان بحرا من بحور العلم ، قال أحمد بن حنبل : حماد بن سلمة عندنا من الثقات ، ما تزداد فيه كل يوم إلا بصيرة ، توفى سنة ١٦٧ هـ .
مشاهير علماء الأمصار (ص ١٥٧) وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ١١) .

وهو بعيد جداً ولعله أخذ ذلك من عمومات كلام لهم وانهم أرادوا بها أطفال المشركين .

وكذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم الأثرم [(١)] والبيهقى .

وذكر أن ابن عباس رجع إليه ، والامام أحمد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك فى أطفال المشركين ، وانما أخذه البيهقى من عموم لفظ روى عنه كما أنه روى فى بعض ألفاظ حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الأطفال فقال :" الله أعلم بما كانوا عاملين " ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين . واستدل القائل بالموقف بما أخرجه مسلم [(٢)] من حديث عائشة أم المؤمنين قالت : " توفى صبى فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو لا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا "... [(٢)]

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ". [(٣)]

---

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء الطائى ، صاحب الامام أحمد ، كان رحمه الله جليل القدر ، إماما حافظا ، تفقه على الامام أحمد رحمه الله تعالى، ونقل عنه مسائل كثيرة ، توفى سنة ٢٦١ هـ . طبقات الحنابلة (١/٦٦) وسير أعلام النبلاء (١٢/٦٢٣) ، وتهذيب التهذيب (١/٧٨) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب القدر (٤/٢٠٥٠) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز ـ باب فضل من مات وله ولد فاحتسب (٢/٧٢) .

ولهذا قال الامام أحمد : هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه — يعنى أن يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه — ولعل النبى صلى الله عليه وسلم نهى أولا عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به ثم أطلع على ذلك فأخبر به والله أعلم . (١)

ثم ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى بعد ذلك القسم الثانى فقال :

" القسم الثانى : أهل التكليف من المؤمنين وغيرهم سوى الشهداء ، وقد اختلف فيهم العلماء قديما وحديثا . . .

ثم ساق ابن رجب رحمه الله تعالى تلك الأقوال فى هذه المسألة وأدلة كل قول ورد على بعضها وتتلخص الأقوال التى ذكرها فيما يلى :

١ — القول الأول : أن أرواح المؤمنين فى الجنة وأرواح الكفار فى النار ، وهذا يروى عن الامام أحمد رحمه الله تعالى وغيره من العلماء .

٢ — القول الثانى : أن الأرواح كلها فى الأرض وهؤلاء اختلفوا :

أ — فمنهم من قال الأرواح تستقر على أفنية القبور .

ب — ومنهم من قال تجتمع فى موضع من الأرض ، فأرواح المؤمنين تجتمع بالجابية (٢) وأما أرواح الكفار فتجتمع بسبخة (٣)

---

(١) أهوال القبور (ص ١٠٤ — ١٠٥) .

(٢) الجابية : بكسر الباء وياء مخففة ، وهى قرية من أعمال دمشق ، وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية ، وباب الجابية بدمشق منسوب إلى هذا الموضع .
معجم البلدان (٢/ ٩١) .

(٣) السبخة : بفتح الباء هى الأرض التى تعلوها الملوحة ، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٣٣) .

بحضرموت يقال له بَرَهُوت . (١)

٣ ـ القول الثالث : أن الأرواح عند الله عز وجل .

٤ ـ القول الرابع : أن أرواح بنى آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله .

٥ ـ القول الخامس : أن الله خلق الأرواح جملة قبل الأجساد وأنه جعلها فى برزخ ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر ـ يعنى لا ماء ولا هواء ولا نار ـ وأنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح ثم يعيدها عند قبضها إلى ذلك البرزخ وهذا قول ابن حزم .

وقد رد ابن رجب على هذا القول واستبعد أن يكون ذلك من قول أهل الاسلام فقال : " وليس هذا من جنس كلام المسلمين بل من جنس كلام المتفلسفة " .

٦ ـ القول السادس : كما ساقه ابن رجب ورد عليه " وقد ذهب طائفة من المتكلمين إلى أن الروح عرض لا تبقى بعد الموت وحملوا ما ورد من عذاب الأرواح ونعيمها بعد الموت على أحد أمرين : اما أن العرض الذى هو الحياة يعاد إلى جزء من البدن أو على أن يخلق فى بدن آخر ، وهذا الثانى باطل قطعا لأنه يلزم منه أن يعذب بدن غير بدن الميت مع روح غير روحه فلا يعذب حينئذ بدن الميت ولا روحه ولا ينعمان أيضا وهذا باطل قطعا ، والأول

---

(١) برهوت : بضم الهاء وسكون الواو واد أو بئر بحضرموت ، وقيل اسم للبلد الذى فيه هذه البئر .
معجم البلدان (١/ ٤٠٥) .

باطل أيضا بالنصوص الدالة على بقاء الروح منفردة عن البدن بعد مفارقتها له ، وهي كثيرة جدا .

وقد اتضح لي أن ابن رجب رحمه الله تعالى يميل إلى القول الأول وهو قول الامام أحمد رحمه الله تعالى حيث قال عنه :

" والمنصوص عن الامام أحمد : أن أرواح المؤمنين في الجنة ذكره الخلال في كتاب السنة عن غير واحد عن حنبل قال : سمعت أبا عبد الله يقول : أرواح المؤمنين في الجنة ، وقال حنبل في موضع آخر : هي أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار ، والأبدان في الدنيا يعذب الله من يشاء ويرحم من يشاء ...

وقد حكى القاضي أبو يعلى [1] في كتاب المعتمد ومن اتبعه من الأصحاب هذا الكلام عن عبد الله بن أحمد [2] عن أبيه ، ولم ينقله عبد الله إنما نقله حنبل ، وأما ما نقله عبد الله عن أبيه فقال الخلال :

---

(١) الإمام القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الحنبلي ابن الفراء ، شيخ الحنابلة وعالم العراق في زمانه ، وكان ذا عبادة وتهجد وملازمة للتصنيف ، مع الجلالة والورع ، من مؤلفاته : العمدة في أصول الفقه ، أحكام القرآن ، وابطال التأويل ، توفي سنة ٤٥٨ هـ .
طبقات الحنابلة (٢/١٩٣) وتاريخ بغداد (٢/٢٥٦) وسير أعلام النبلاء (١٨/٨٩) والبداية والنهاية (١٢/١٠٢)

(٢) الامام الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي ، قال البغدادي : كان ثقة ثبتا فهما ، وقال الذهبي : الامام الحافظ الناقد محدث بغداد ، له مؤلفات مفيدة منها : كتاب السنة ، توفي سنة ٢٩٠ هـ .
تاريخ بغداد (٩/٣٧٥) وطبقات الحنابلة (١/١٨٠) وسير اعلام النبلاء (١٣/٥١٦) .

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سألت أبى عن أرواح الموتى : أتكون فى أفنية قبورهم أم فى حواصل طير أم تموت كما تموت الأجساد ؟ قال : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نسمة المؤمن إذا مات طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده فيبعثه الله " (١) ...

وهذا الكلام أيضا يدل على أن أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة إلا أنه ذكر فى جوابه الأحاديث الدالة على ذلك المرفوعة والموقوفة ولم يذكر سوى ذلك ، ففى رواية حنبل جزم بأن أرواح المؤمنين فى الجنة ، وفى رواية عبد الله ذكر الأدلة على ذلك ...

إلى أن قال رحمه الله تعالى : " وقد يستدل للقول بأن أرواح المؤمنين فى الجنة ، وأرواح الكفار فى النار من القرآن بأدلة منها قوله تعالى : (فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) إلى قوله : (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم وتصلية جحيم) (٢) هو دخول النار مع احراقها وانضاجها فجعل هذا كله متعقبا للاحتضار والموت ، وكذلك قوله تعالى فى قصة المؤمن فى سورة يس : (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) (٣) وانما قال هذا بعد ما قتلوه ورأى ما أعد الله له : (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) (٤) على تأويل من تأول ذلك عند الاحتضار ،

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٦٦) .

(٢) سورة الواقعة آية (٨٢ — ٩٥) .

(٣) سورة يس آية (٢٦ ، ٢٧) .

(٤) سورة الفجر آية (٢٧ ، ٢٨) .

وكذلك قوله تعالى : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : اين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ قالوا : ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار)(١) الآية . ونظير هذه الآية قوله : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون)(٢) .

ومما يستدل به أيضا لذلك ما رواه مجالد(٣) عن الشعبى(٤) عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن خديجة قال : " أبصرتها على نهر من أنهار الجنة فى بيت من قصب لا لغو فيه ولا نصب "(٥) .

---

(١) سورة الاعراف آية (٣٧ ، ٣٨) .

(٢) سورة النحل آية (٢٨) .

(٣) مجالد بن سعيد بن بسطام الهمدانى أبو عمرو الكوفى وهو من صغار التابعين ، وفى حديثه لين ، توفى سنة ١٤٤ هـ .
سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨٤) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩) .

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد الله الشعبي الإمام الحافظ ، أبو عمرو الهمدانى ، حدث عن عدد من الصحابة ، وكان فقيها محدثا ، أثر عنه قوله " ما كتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا ، ولا حدثنى رجل بحديث قط إلا حفظته ، ولا أحببت أن يعيده على " ، توفى سنة ١٠٤ هـ .
الجرح والتعديل (٦/ ٣٢٢) ووفيات الأعيان (٣/ ١٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤) .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢/ ١٨٨) والأوسط (٢/ ١٣١/ أ) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٢٣) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، ورجالهما رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد ،

===

وخرج أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجم الأسلمي الذي أعترف عنده بالزنا قال : " والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها " (١) وإنما تدخل أرواح المؤمنين والشهداء الجنة إذا لم يمنع من ذلك مانع من كبائر تستوجب العقوبة أو حقوق آدميين حتى يبرأ منها . (٢)

ولعل القول بأن أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار هو أرجح الأقوال في هذه المسألة لأن أدلته كثيرة وصحيحة وصريحة والله أعلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار ، تتنعم أرواح المؤمنين وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان " (٣)

وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى إلى الفرق بين حياة الشهداء في الجنة وحياة غيرهم من المؤمنين فقال : " والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين :

أحدهما : أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد أو هي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ، ويكون أكمل من نعيم الأرواح

=== وقد وثق وخاصة في أحاديث جابر .

وهذا الحديث أخرجه البخاري (٤/ ٢٣١) ومسلم (٤/ ١٨٨٦) من حديث أبي هريرة وغيره بنحوه .

(١) سنن أبو داود : كتاب الحدود (٤/ ٥٨١) .

(٢) أهوال القبور (ص١١١ - ١١٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١١) .

المجردة عن الأجساد ، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل فى سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الاجساد فى البرزخ .

والثانى : أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت له فى حقه مثل ذلك فإنه جاء أنهم يعلقون فى شجر الجنة ، وروى بعلقون بفتح اللام وضمها فقيل : إنهما بمعنى ،وأن المراد الأكل من الشجر ، قال ابن عبد البر وقيل رواية الضم معناها الأكل ، ورواية الفتح معناها التعلق ، ذكره ابن الجوزى ، وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء فى كمال تنعمهم فى الأكل والله أعلم . (١)

---

(١) أهوال القبور (ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

المبحث السادس
الصـــــراط

الصراط جسر منصوب على متن جهنم ويمر الناس عليه إلى الجنة على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشى مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف ويلقى فى جهنم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة .

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها ذكر الصراط وصفته وصفة المرور عليه وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى هذه الأحاديث فى كتاب التخويف من النار حيث عقد بابا قال فيه : الباب السادس والعشرون فى ضرب الصراط على متن جهنم ومرور الموحدين عليه .(١)

ثم شرع فى ذكر الأحاديث الواردة فى ذكر الصراط وصفته وصفة المرور عليه .

ومنها حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل قال فيه : " ... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون : اللهم سلم سلم " قيل: يارسول الله وما الجسر ؟ قال : " دحض مَزلة (٢) فيه خطاطيف وكلاليب وحسك (٣) تكون بنجد

---

(١) التخويف من النار (ص ٢٢٨) .

(٢) مَزلة : بفتح الميم وكسر الزاى ، والدحض والمزلة بمعنى واحد وهو المَكان الذى تزل فيه الأقدام ولا تستقر .
النهاية لابن الأثير (٢/ ٣١٠) والمصباح المنير (١/ ٢٥٤) .

(٣) حسك : جمع حسكة وهى شوكة صلبة .
النهاية لابن الأثير (١/ ٣٨٦) .

فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب [١]، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس [٢] على وجهه في النار " . [٣]

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه قال : " ويضرب الجسر بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ " قالوا : نعم يارسول الله ، قال : " فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المُوبَق [٤] بعمله ، ومنهم المجازى حتى يُنَجّى ... [٥]

---

(١) الأجاويد : جمع أجواد وهو جمع جواد ، وهو الجيد الجري من المطي .
والركاب : هي الابل .
النهاية لابن الأثير (١/ ٣١٢) .

(٢) مكدوس : الكدس الدفع ، وتكدس الانسان إذا دفع من ورائه فسقط .
النهاية لابن الأثير (٤/ ١٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب التوحيد (٨/ ١٨١) ومسلم : كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) .

(٤) الموبق : المهلك ، يقال وَبَقَ يَبِق ، ووَبِق يَوْبَق فهو وَبِق إذا هلك .
النهاية لابن الأثير (٥/ ١٤٦) .

(٥) أخرجه البخاري : كتاب الرقاق ـ باب الصراط جسر جهنم (٧/ ٢٠٥) ومسلم : كتاب الإيمان ـ باب معرفة الرؤية (١/ ١٦٤) .

ومنها حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه قال : " ... فيأتون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل معه الأمانة والرحم ، فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق ، قال : قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال : " ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم " ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا " قال " وفي حافتي الصراط كلاليب مُعَلَّقَةٌ مأمورة بأخذ من أُمِرت بأخذه ، فمخدوش ناج ومكدوس في النار ".(١)

ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا طويلا وفيه قال : " والصراط كحد السيف دحض مَزِلة ، قال : فيقولون : انجو على قدر نوركم ، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كأشد الرجال ، ويرمل رملا ، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على ابهام قدميه تخرّ يد وتتعلق يد ، وتخر رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار ".(٢)

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذكر الصراط وصفته وصفة المرور عليه،وما ذكرته من الأحاديث هو طرف من الأحاديث التي ذكرها

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٧/١).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٧٦/٢) وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي .

الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى .

وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة فهم عند ما يعرضون للكلام عن الصراط يذكرون هذه الأحاديث التي فيها ذكر الصراط وصفته وكيفية المرور عليه ويؤمنون بها .

وصفة الصراط والمرور عليه لم يخالف فيها إلا أهل البدع والاهواء الذين فسروا هذه الأحاديث بتفسيرات باطلة تخالف دلالات هذه النصوص وما قرره علماء أهل السنة والجماعة .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أن المشركين يتبعون آلهتهم التي عبدوها من دون الله فتسير بهم تلك الآلهة حتى تهوى بهم في نار جهنم ، ولا يمر على الصراط إلا المؤمنون وفيهم المنافقون وعصاة المؤمنين،

قال رحمه الله تعالى : " واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا،ومشرك يعبد مع الله غيره ، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط ، وانما يقعون في النار قبل وضع الصراط ، ويدل على ذلك مافي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع الشمس من يعبدها ، ويتبع القمر من يعبد القمر ، ويتبع الطواغيت من يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقون " فذكر الحديث إلى أن قال " ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه ".(١)

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٨).

وفيهما أيضا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب ، فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر آتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفون بها ؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم ، فيقولون :

أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم ...".[1]

فهذا الحديث صريح فى أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشركين فى الوقوع فى النار قبل نصب الصراط إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد فى الدنيا ، فترد النار مع معبودها أولا ، وقد دل القرآن على هذا المعنى فى قوله تعالى فى شأن فرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود)[2] وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء ثم يردون النار بعد ذلك .

وقد ورد فى حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه ، وكذلك من كان يعبد العزير ، وفى حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح وملك على صورة العزير ، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده فى الظاهر سواء كان صادقا أو منافقا من هذه الأمة وغيرها ، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود ، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذى يقسم للمؤمنين".[3]

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن من استقام على الطريق المستقيم سلم من النار واستقام سيره على الصراط المنصوب على متن جهنم قال رحمه الله : " إن الإيمان والعمل الصالح فى الدنيا هو الصراط

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٨) .

(٢) سورة هود آية (٩٨) .

(٣) التخويف من النار (ص ١٨٦) وما بعدها .

المستقيم فى الدنيا الذى أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه، وأمرهم بسؤال الهداية إليه ، فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا ظاهرا وباطنا استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم ومن لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا بل انحرف عنه إما الى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم كما فى حديث أبى هريرة " إنها تخطف الناس بأعمالهم ". (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " واذا طهر المؤمن من ذنوبه . لم يجد حر النار إذا مر عليها يوم القيامة لأن وجدان الناس لحرها عند المرور عليها بحسب ذنوبهم ، فمن طهر من الذنوب ونقى منها فى الدنيا جاز على الصراط كالبرق الخاطف والريح لم يجد شيئا من حر النار ولم يحس بها . . ." (٢)

---

(١) التخويف من النار (ص ٧٤) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٣٤٠) .

المبحث السابع
بيان المراد بالورود فى قوله تعالى : (وان منكم إلا واردها)

ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى الخلاف فى المراد بالورود فى قوله تعالى (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)(١) وعقد له فصلا فى كتاب التخويف من النار بعنوانه " الباب السابع والعشرون فى ذكر ورود النار" قال فيه :

اختلف الصحابة ومن بعدهم فى تفسير الورود ثم ذكر بعد ذلك أقوال العلماء فى ذلك على النحو التالى :

١ ـ قول الذين قالوا إن المراد بالورود المرور على الصراط ، قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " قالت طائفة : الورود هو المرور على الصراط وهذا قول ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وغيرهم ..

٢ ـ القول الثانى : قول ابن عباس رضى الله عنهما ومن وافقه من الصحابة وغيرهم فى أن المقصود من الورود فى الآية هو الدخول فى النار ، قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وقالت طائفة : الورود هو الدخول ، وهذا هو المعروف عن ابن عباس ، روى عنه من غير وجه ، وكان يستدل لذلك بقوله الله تعالى فى فرعون "(يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار)(٢) وبقوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)(٣) وكذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة مريم آية (٧١) .

(٢) سورة هود آية (٩٨) .

(٣) سورة مريم آيه (٨٦) .

(لو كان هؤلاء آلة ما وردوها) ......[1] [2]

٣ ـ القول الثالث : قول الذين قالوا إن المراد بالورود هو ما يصيب المؤمن في الدنيا من حمى ومرض ، قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وقد فسر بعضهم الورود بالحمى في الدنيا ، روى عن مجاهد وعثمان بن الأسود[3] ، وفيه حديث مرفوع " الحمى حظ المؤمن من النار "[4] واسناده ضعيف .

---

(١) سورة الأنبياء آيه (٩٩) .

(٢) التخويف من النار (ص ١٩٣) .

(٣) عثمان بن الأسود بن موسى المكي ، وثقه يحيى القطان وابن أبي حاتم وابن سعد وغيرهم ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، وقيل غير ذلك . الجرح والتعديل (٦/١٤٤) وسير أعلام النبلاء (٦/٣٣٩) ، تهذيب التهذيب (٧/١٠٧) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ القضاعي في مسند الشهاب (١/٧١) من حديث عبد الله بن مسعود ، وفيه سنده صالح بن أحمد الهروي قال أبو أحمد الحاكم : فيه نظر ، وفي سنده أيضا أحمد بن راشد الهلالي قال الذهبي : أتى بخبر باطل .
ميزان الاعتدال (٢/٢٨٨) و (١/٩٧) ، ولسان الميزان (٣/١٦٥) ، (١/١٧١) .
وأخرجه أحمد (٥/٢٦٤) والبزار كما في كشف الاستار (١/٣٦٤) والطبراني في الكبير (٨/٩٣) .
وهو عند أحمد والطبراني من حديث أبي امامة بلفظ " الحمى كير من جهنم ، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار " .
قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٥٥) رواه أحمد باسناد لا بأس به ، والبزار باسناد حسن ، وكذا قال الهيثمي في المجمع (٢/٣٠٦) .
وانظر الفاظ هذا الحديث وشواهده في الجامع الصغير للسيوطي (١/١٥٢) وشرحه فيض القدير (٣/٤١٩ـ٤٢١) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للالباني (٤/٤٣٥) وما بعدها .

٤ — القول الرابع : قول الذين قالوا إن الورود ليس عاما وانما هو خاص بالمحضرين حول جهنم، قال ابن رجب رحمه الله تعالى : " وقالت طائفة : الورود ليس عاما وانما هو خاص بالمحضرين حول جهنم المذكورين في قوله تعالى : (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) إلى قوله (وان منكم إلا واردها)[1] كأنه يقال لهؤلاء الموصوفين " وان منكم إلا واردها " روي هذا التأويل عن زيد بن أسلم[2] وهو بعيد جدا ".[3]

ويبدو لي أن ابن رجب رحمه الله تعالى يرجح القول الأول الذي يقول أن المراد بالورود هو المرور على الصراط ، ويدل على ذلك ما يأتي :

١ — عند ذكره للقول الأول قال : " ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول ما خرّجه مسلم من حديث جابر قال : أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها " قالت : بلى يارسول الله فانتهرها ، فقالت حفصة : " وان منكم إلا واردها "[4] فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله عز وجل (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)[5] ...[6] "[7] . فهذا يشعر برده للقول الثاني ...

(١) سورة مريم الآيات (٦٨ — ٧١) .
(٢) زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري مولاهم الامام الحافظ الفقيه ، كان من العلماء العاملين وكان عالما بتفسير القرآن الكريم ، توفي سنة ١٣٦هـ . سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦) وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٥) وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٨٢)
(٣) التخويف من النار (ص ٢٠٠) .
(٤) سورة مريم آية (٧١) .
(٥) سورة مريم آية (٧٢) .
(٦) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أصحاب الشجرة (٤/ ١٩٤٢) .
(٧) التخويف من النار (ص ١٩٤) .

٢ ـ أنه بعد أن ذكر بعض الآثار التي تدل على القول الثاني رد عليها بقوله " ولكن هذا والذي قبله قد يدلان على أن الورود هو المرور على الصراط كالقول الأول ".(١)

٣ ـ أنه صدر به الأقوال .

والقول بأن الورود في هذه الآية هو المرور على الصراط ذهب إليه كثير من المفسرين والعلماء .

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى : " أختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى (وان منكم الا واردها)(٢) ما هو ؟ والأظهر الأقوى أنه المرور على الصراط ".(٣)

وقال الشوكاني " وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على ظاهره لقوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ...)(٤) ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط ... فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة فينبغي حمل الآية على ذلك ".(٥)

---

(١) التخويف من النار (ص١٩٧) .
(٢) سورة مريم آية (٧١) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧١) .
(٤) سورة الأنبياء آيه (١٠١) .
(٥) فتح القدير (٣/ ٣٤٤) .

المبحث الثامن
الشفاعة

قال ابن الأثير : تكرر ذكر الشفاعة فى الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة ، وهى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال : شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع ، والمشفِّع الذى يقبل الشفاعة ، والمشفَّع الذى تقبل شفاعته ". (١)

وقال الراغب الأصفهانى : " الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل فى انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى . . . " . (٢)

وقال الحافظ ابن حجر : الاستشفاع طلب الشفاعة وهى انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه . (٣)

فالشفاعة هى طلب وسؤال الخير للغير .

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بكل ما جاءهم عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشفاعة، ويثبتون جميع الشفاعات التى وردت الأدلة فى الكتاب والسنة باثباتها كشفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف وأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعاته صلى الله عليه وسلم التى ستأتى ، وشفاعات غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين ، وينفون الشفاعة التى نفتها الأدلة من الكتاب والسنة .

---

(١) النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٥٨) .
(٢) المفردات فى غريب القرآن (ص ٢٦٣) .
(٣) فتح البارى (١١/ ٤٣٣) .

والشفاعة ملك لله وحده لا يشفع أحد لأحد إلا بعد إذنه سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه قال تعالى : (قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون) (١)

وقال تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى). (٢)

وقال تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) (٣) وغير ذلك من الآيات الواردة فى الشفاعة .

ومن الأدلة الواردة فى السنة فى الشفاعة حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا " . (٤)

ومنها حديثه الآخر رضى الله عنه وهو حديث طويل وفيه ذكر الشفاعة العظمى حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر، وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ماقد

---

(١) سورة الزمر آيه (٤٤) .

(٢) سورة النجم آيه (٢٦) .

(٣) سورة طه آيه (١٠٩) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب الدعوات (٧/ ١٤٥) ومسلم : كتاب الإيمان (١/ ١٨٨) .

بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ... " فذكر في الحديث أنهم يأتون آدم ونوحاً وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكلهم يتبرأ ويقول : اذهبوا الى غيري حتى يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث : " فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه اشفع تشفع ..."(١) الحديث .

ومنها حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة ".(٢)

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعا " .(٣)

فالشفاعة حق ، وهي ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن يأذن الله له عز وجل من النبيين والملائكة والمؤمنين ، والشفاعات(٤) الثابتة على سبيل البسط ثمانية أنواع هي :

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الأنبياء (٤/١٠٦) ومسلم : كتاب الايمان (١/١٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان (١/١٧٨) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان (١/١٨٨) .

(٤) انظر ذكر هذه الأنواع في كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٥٨٨)

===

١ ـ الشفاعة العظمى وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى الخلائق كلهم ليخلصوا من هول الموقف يوم القيامة ، وليعجل الله حسابهم بعد طول الموقف ، ويقضى بينهم فى اليوم الذى تقف فيه الخلائق خاضعين أمام خالقهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا حيث تنتهى إليه صلى الله عليه وسلم بعد مراجعتهم الأنبياء للقيام بها ، فيقول عليه الصلاة والسلام : " أنا لها " وقد سبق ذكر دليل هذا النوع .(١)

٢ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة فى دخولها بعد الفراغ من حسابهم . وقد تقدم دليل هذا النوع .(٢)

٣ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب فى تخفيف العذاب عنه لأنه كان يحميه من أذى كفار قريش فيخفف عنه العذاب فيجعل فى ضحضاح من النار(٣) بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لا بعمله الذى عمله لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، وانما الشفاعة لأهل التوحيد خاصة ،

=== وشرح مسلم للنووى (٣/٣٥) والتذكرة للقرطبى (ص ٣٠١) والنهاية فى الفتن والملاحم (٢/٢٠٢ ـ ٢٤٨) وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٥٣ ـ ٢٦٠) وفتح البارى (١١/٤٢٧ ـ ٤٢٩) ولوامع الانوار" (٢/٢١١) .

(١) انظر (ص ٧٤٤) .

(٢) انظر (ص ٧٥٥) .

(٣) الضحضاح فى الأصل : ما رق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين واستعاره هنا للنار .
النهاية لابن الأثير (٣/٧٥) .

ولكن شفاعته لعمه أبى طالب خاصة به، وخاصة لأبى طالب ، ويدل على هذا النوع حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : " لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه " (١)

وهذه الأنواع الثلاثة السابقة من أنواع الشفاعة خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٤ — شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم من عصاة الموحدين استحقوا دخول النار أن لا يدخلوها ، وقد استدل ابن حجر (٢) رحمه الله تعالى لهذا النوع بقوله صلى الله عليه وسلم : " ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد " (٣).

٥ — شفاعته صلى الله عليه وسلم فى العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم أن يخرجوا منها ، وقد تقدم دليل هذا النوع (٤).

٦ — شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات بعض أهل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم يدل على ذلك حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأبى سلمة بعد ماتوفى فقال : " اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين ... " (٥)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الايمان (١/١٩٥) .

(٢) أنظر : فتح البارى (١١/٤٢٨) .

(٣) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان (١/١٨٧) .

(٤) انظر (ص ٥٢٧) .

(٥) أخرجه مسلم : كتاب الجنائز (٢/٦٣٤) .

وحديث أبى موسى الأشعرى أنه لما أصيب عمه أبو عامر فى غـــزوة أوطاس دعا له النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " اللهم أجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس" . (١)

٧ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم فى قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ، وقد استدل ابن حجر رحمه الله تعالى لهـــذا النوع بما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس قال : السابق يدخـــل الجنة بغير حساب ، والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفســـه ، وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبى صلى الله عليه وســـلم ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهـم وسيئاتهم . (٢)

٨ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم فى دخول بعض المؤمنين الجنة بغـــير حساب ولا عذاب كشفاعته صلى الله عليه وسلم فى عكاشة بن محصن رضى الله عنه حيث دعا له النبى صلى الله عليه وسلم أن يكون من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب كمـــا جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى اللــــه عليه وسلم قال: " يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حســـاب، فقال رجل يارسول الله : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قـــال اللهم اجعله منهم ، ثم قام آخر فقال : يارسول الله ، ادع اللـــه أن يجعلنى منهم ، قال : سبقك بها عكاشة " . (٣)

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٩٤٤) .

(٢) فتح البارى (١١/ ٤٢٨) وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦-٢١٨)

(٣) تقدم تخريجه ص(٣٤٣)

وهذه الأنواع الخمسة الأخيرة يشارك النبى صلى الله عليه وسلم فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء. وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها ويثبتونها لثبوتها فى الكتاب والسنة مع إيمانهم أن هذه الشفاعات لا تتحقق إلا بعد تمام شروطها وهى :

١ — اذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع ، فإنه لا يشفع أحد حتى يأذن الله له كما قال عز وجل : (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه)(١) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)(٢) وقال سبحانه (ما من شفيع إلا من بعد اذنه)(٣) وأمثال ذلك من الآيات التى تدل بوضوح على انتفاء الشفاعة قبل الإذن من المولى عز وجل .

٢ — رضى الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له كما قال تعالى : (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(٤)، وقال سبحانه وتعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)(٥) .

ففى هاتين الآيتين قيد الله عز وجل الشفاعة برضاه عن المشفوع له وهو لا يرضى إلا لأهل التوحيد الخاص .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٥) .
(٢) سورة سبأ آية (٢٣) .
(٣) سورة يونس آيه (٣) .
(٤) سورة النجم آية (٢٦) .
(٥) سورة الأنبياء آية (٢٨) .

وقد خالفت الجهمية ، والمعتزلة والخوارج أهل السنة والجماعة في الشفاعة فأنكروا *بعض أنواع الشفاعات السابقة كشفاعته صلى الله عليه وسلم وشفاعة غيره في أهل الكبائر واحتجوا على ذلك بالآيات التي فيها نفي الشفاعة كقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (١) وقوله تعالى : (فما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (٢) وقوله تعالى (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) (٣)

وأمثال ذلك من الآيات التي تتضمن نفي الشفاعة .

والحقيقة أن هذا استدلال غير صحيح لأن الشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة في أهل الشرك، فهم الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، وأما المؤمنون فهم الذين تنفعهم الشفاعة بشروطها لثبوت الأدلة عليها من الكتاب والسنة ، وهي التي وفّق الله سبحانه وتعالى أهل السنة والجماعة إلى القول بها ، ولا عبرة بمخالفة أهل الزيغ والضلال .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن الشفاعة وبين أنواعها فقد ذكر في كتاب التخويف من النار في باب ضرب الصراط على متن جهنم الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقال : أخرج مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة كلاهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديث الشفاعة وفيه قال : " فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له ... " (٤) الحديث .

---

(١) سورة المدثر آية (٤٨) .

(٢) سورة غافر آية (١٨) .

(٣) سورة البقرة آية (١٢٣) .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٧/١) .

* انظر شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٦٠)

وفى الباب الثامن والعشرين فى ذكر حال الموحدين وخروجهم منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين ذكر نوعا آخر من أنواع الشفاعة وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر من أمته ممن يدخلون النار ويخرجون منها فيقول :

وفى الصحيحين . . . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يجمع الله الناس يوم القيامة " فذكر الحديث بطوله ، وفيه ذكر جواز الناس على الصراط ثم قال : " حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل الكبائر من النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن دخل النار يعرفون بأثر السجود ، تأكل النار ما من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا (١) فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحِبَّة (٢) فى حَمِيل السيل (٣) . . . " وذكر بقية الحديث . (٤)

---

(١) امتحشوا : احترقوا ، والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم . النهاية لابن الأثير (٤/ ٣٠٢) .

(٢) الحبة : بكسر الحاء هى بزور مالا يقتات من البقول مثل بزور الرياحين المصباح المنير (١/ ١١٧) .

(٣) حميل السيل : بفتح الحاء وكسر الميم وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ، ومعناه محمول السيل .
النهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٢) .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الرقاق (٧/ ٢٠٢) وصحيح مسلم كتاب الإيمان (١/ ١٦٥) .

وخرج مسلم من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات[(١)] وجوههم حتى يدخلوا الجنة "[(٢)].

وخرج أيضا .. عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال بخطاياهم — فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن فى الشفاعة فجئ بهم ضَبائِر[(٣)] ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل لأهل الجنة : أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحِبّة فى حَميل السيل "[(٤)] ...[(٥)]

وقال رحمه الله تعالى عند قوله صلى الله عليه وسلم :" حلت له شفاعتى "[(٦)] معناه نالته وحصلت له ووجبت ، وليس المراد بهذه الشفاعة

---

(١) دارات : جمع دارة وهى ما يحيط بالوجه من جوانبه ، ومعناه أن النار لا تأكل دارة الوجه لكونه محل السجود .
النهاية لابن الأثير (٢/ ١٣٩) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (١/ ١٧٨) .

(٣) ضبائر : جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها ، أشهرها الكسر ، ومعنى ضبائر جماعات متفرقة .
النهاية لابن الأثير (٣/ ٧١) .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الايمان - باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار (١/ ١٧٢ ، ١٧٣) .

(٥) التخويف من النار (ص ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٦) هذا جزء من حديث فضل إجابة المؤذن أخرجه البخارى : كتاب الآذان (١/ ١٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .
ومسلم : كتاب الصلاة (١/ ٢٨٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .

الشفاعة فى فصل القضاء فإن تلك عامة لكل أحد ولا الشفاعة فى الخـــروج من النار ولابد ، فإنه قد يقول ذلك ممن لا يدخل النار ، وانما المـــراد والله أعلم أنه يصير فى عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث تتحتم له شفاعته ، فإن كان ممن يدخل النار بذنوبه شفع له باخراجه منها أو فى منعه من دخولها وان لم يكن من أهل النار فيشفع له فى دخوله الجنة بغـــير حساب أو فى رفع درجته فى الجنة " . (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... وأما الشفاعة الـــتى اختص بها النبى صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء فليست هى الشفاعـــة فى خروج العصاة من النار ، فإن هذه الشفاعة شاركه فيها الأنبياء والمؤمنون أيضا كما تواترت بذلك النصوص ، وانما الشفاعة التى يختص بها دون الأنبياء أربعة أنواع :

١ ــ أحدها : شفاعته للخلق فى فصل القضاء بينهم .

٢ ــ والثانى : شفاعته لأهل الجنة فى دخول الجنة .

٣ ــ الثالث : شفاعته فى أهل الكبائر من أهل النار ، فقد قيـــل إن هذه يختص هو بها .

٤ ــ الرابع : كثرة من يشفع له من أمته ، فإنه وفر شفاعته وأدخرهـــا إلى يوم القيامة ، وقد ورد التصريح بهذه الشفاعة .

فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لكل نبى دعوة يدعو بها ، فأريد أن اختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة" (٢)

---

(١) فتح البارى ورقه (٢٥/أ) .

(٢) صحيح البخارى : الدعوات (١٤٥/٧) وصحيح مسلم : كتـــاب الايمان (١٨٩/١) .

وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته ، وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة "...(١)

وعن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله تعالى أيقظنى فقال : يا محمد إنى لم أبعث نبيا ولا رسولا إلا وقد سألنى مسألة أعطيتها إياه فاسأل يا محمد تعط ، فقلت : مسألتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فقال أبو بكر : يارسول الله ، وما الشفاعة ؟ قال : أقول يارب شفاعتى التى اختبأت عندك ، فيقول الرب تبارك وتعالى : نعم فيخرج ربى تبارك وتعالى بقية أمتى من النار فينبذهم فى الجنة ".(٢)

والمراد من هذه الأحاديث والله أعلم أن كل نبى أعطى دعوة عامة شاملة لأمته فمنهم من دعا على أمته المكذبين له فهلكوا ،ومنهم من سأل فى الدنيا ملكا له كسليمان عليه السلام ، واختص النبى صلى الله عليه وسلم بأن أدخر تلك الدعوة العامة الشاملة لأمته شفاعة لهم يوم القيامة .

وقد ذكر بعضهم شفاعة خامسة خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهى شفاعته فى تخفيف عذاب بعض المشركين كما شفع لعمه أبى طالب ، وجعل هذا من الشفاعة المختص بها صلى الله عليه وسلم .

وزاد بعضهم شفاعة سادسة خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهى شفاعته فى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ...(٣)

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (١/ ١٩٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٢٦) .

(٣) فتح البارى ورقه (٩١/ب) ، (٩٢) .

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن هناك أعمالا تشفع لصاحبها يوم القيامة ومنها الصيام وقراءة القرآن فقال : " الصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها ، أو لا يختص به كشهوة فضول الكلام المحرم والسماع المحرم والنظر المحرم والكسب المحرم ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها ، فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة ، ويقول : يارب منعته شهواته فشفعني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ، ومنعه من شهواته ، فأما من ضيع صيامه ، ولم يمنعه عما حرمه الله عليه ، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ، ويقول له : ضيعك الله كما ضيعتني . . . وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل فإن من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له . . .

كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان " . . . (١) (٢)

---

(١) مسند أحمد (٢/ ١٧٤)/ وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٤) وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي .
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله محتج بهم في الصحيح ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن .

(٢) لطائف المعارف (ص ١٨٢) .

المبحث التاسع
الجنة ونعيمها

الجنة هى دار النعيم التى أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين الأبرار المشتملة على أصناف النعيم والبهجة والسرور ، والحور ، والقصور ، وكل ما لذ وطاب .

قال الله تعالى : (إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ، لايذقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم ، فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) (١) .

وقال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) (٢)

وقال تعالى : (إن المتقين فى جنات وعيون أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (٣)

ولقد رغب الله سبحانه وتعالى فى الجنة وحث المؤمنين على العمل من أجلها فقال عز وجل : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٤) .

---

(١) سورة الدخان الآيات (٥١ ـ ٥٧) .
(٢) سورة محمد آية (١٥) .
(٣) سورة الحجر آية (٤٥-٤٨) .
(٤) سورة الحديد آية (٢١) .

يارب ما أدنى أهل الجنة منزلة قال : هو رجل يجئ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له أدخل الجنة فيقول : يارب كيف ، وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا ، فيقول : رضيت يارب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة : رضيت يارب فيقال هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدى ، وختمت عليها فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر "....(١)(٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ومن عرف الآخرة وعظمتها رغب فيها ، عباد الله هلموا إلى دار لا يموت سكانها ولا يخرب بنيانها ولا يهرم شبابها ولا يتغير حسنها وأحسانها هواؤها النسيم وماؤها التسنيم يتقلب أهلها فى رحمة أرحم الراحمين ويتمتعون بالنظر إلى وجهه كل حين (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم إن الحمد لله رب العالمين)...(٣)(٤)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " قال الله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " ،(٥) الجنة ضيافة الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (١/١٧٦)

(٢) لطائف المعارف (ص ٢٢ ، ٢٣) .

(٣) سورة يونس آية (١٠) .

(٤) سورة يونس آيه (٢٥) .

(٥) لطائف المعارف (ص ٢٨) .

أعدها للمؤمنين نزلا ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إليها بالإيمان والإسلام والإحسان ، فمن أجابه دخل الجنة ، وأكل من تلك الضيافة ومن لم يجب حرم "(١).

نسأل الله العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعلنا من أهل الجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقد حث ابن رجب رحمه تعالى على سلوك الصراط المستقيم والاجتهاد فى الأعمال والأسباب الموصلة إلى الجنة ونعيمها والى مرضاة الله ومغفرته ورحمته سبحانه وتعالى فقال : " يتعين على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول الجنة ، وللقرب من مولاه والنظر إليه فى دار كرامته أن يطلب ذلك بالأسباب الموصلة إلى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته ، فبها ينال ما عند الله من الكرامة ، إذ الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول إلى ذلك أسبابا من الأعمال التى جعلها موصلة إليه ، وليس ذلك موجودا إلا فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله ، وأخبر عنه رسوله أنه يقرب إلى الله ، ويوجب رضوانه ومغفرته ، وأنه مما يحبه الله ، أو أنه من أحب الأعمال إلى الله عز وجل فقد قال تعالى : (إن رحمت الله قريب من المحسنين)(٢) وقال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون)(٣) فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الإحسان التى شرعها الله فى كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتقرب بذلك إلى الله عز وجل، فإنه لا طريق للعبد يوصله

---

(١) لطائف المعارف (ص ٣٠٦) .

(٢) سورة الأعراف آيه (٥٦) .

(٣) سورة الاعراف آية (١٥٦)

إلى رضى مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك .(١)

كما بين رحمه الله تعالى بعض أوصاف أهل الجنة فقال رحمه الله تعالى : " وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته : " وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال . . ."(٢) ففى هذا الحديث جعل النبى صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة أصناف :

أحدهم : ذو السلطان المقسط المتصدق ، وهو من كان له سلطان على الناس فسار فى سلطانه بالعدل ، ثم ارتقى درجة الفضل .

والثانى : الرحيم الرقيق القلب الذى لا يخص برحمته قرابته ، بل يرحم المسلمين عموما ، فتبين أن القسمين أهل الفضل والاحسان.

والثالث : العفيف المتعفف ذو العيال ، وهو من يحتاج إلى ما عند الناس فيتعفف عنهم ، وهذا أحد نوعى الجود، أعنى العفة عما فى أيدى الناس لا سيما مع الحاجة .

وقد وصف الله فى كتابه أهل الجنة ببذل الندى وكف الأذى ولو كان الأذى بحق فقال : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)(٣)

---

(١) المحجة فى سير الدلجة (ص ٤٤ — ٤٥) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٩٨) .

(٣) سورة آل عمران آية (١٣٣ ، ١٣٤) .

فهذا حال معاملتهم للخلق ، ثم وصف قيامهم بحق الحق فقال (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين)(١)

فوصفهم الله عند الذنوب بالاستغفار ، وعدم الاصرار وهو حقيقة التوبة النصوح .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة).(٢)

والعقبة قد فسرها ابن عباس بالنار ، وفسرها ابن عمر بعقبة فى النار ، فأخبر سبحانه أن اقتحامها وهو قطعها ومجاوزتها يحصل بالاحسان إلى الخلق إما بعتق الرقبة واما بالاطعام فى المجاعة ، والمطعم إما يتيم من ذوى القربى أو مسكين قد لصق بالتراب فلم يبق له شئ ولا بد مع الاحسان أن يكون من أهل الإيمان،والأمر لغيره بالعدل والاحسان وهو التواصى بالصبر والتواصى بالرحمة ، وأخبر سبحانه أن هذه الأوصاف أوصاف أصحاب الميمنة ".(٣)

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٥ — ١٣٦) .

(٢) سورة البلد آية (١١ — ١٨) .

(٣) التخويف من النار (ص ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " . . . وأتفق السلف الصالح على تلقى هذا الحديث بالقبول والتصديق قال يزيد بن هارون (١) : من كذب بهذا الحديث فهو برئ من الله ورسوله " .

وقال وكيع : من رد هذا الحديث فاحسبوه من الجهمية . . . (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وأبعادهم عنه واعراضه عنهم وسخطه عليهم كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة ، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) (٣) فذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من العذاب حجابهم عنه ، ثم صليهم الجحيم ، ثم توبيخه بتكذيبهم به فى الدنيا ، ووصفهم بالران على قلوبهم ، وهو صدأ الذنوب الذى سود قلوبهم فلم يصل إليها بعد ذلك فى الدنيا ، من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبته فكما حجبت قلوبهم فى الدنيا عن الله حجبوا فى الآخرة عن

---

(١) يزيد بن هارون بن زاذى السلمي أبو خالد الواسطى الامام الحافظ قال أحمد بن حنبل : كان يزيد حافظا متقنا .
وقال ابن أبى حاتم : يزيد ثقة إمام ، لايسأل عن مثله ، توفى سنة ٢٠٦ هـ .
الجرح والتعديل (٩/٢٩٥) تاريخ بغداد (١٤/٣٣٧) وسير أعلام النبلاء (٩/٣٥٨) .

(٢) فتح البارى شرح البخارى ورقة (٣٨) .

(٣) سورة المطففين آية (١٤ ــ ١٧) .

رؤيته ، وهذا بخلاف حال أهل الجنة قال الله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) [(١)] والذين أحسنوا هم أهل الاحسان ، والاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما فسره النبى صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام ، فجعل جزاء الاحسان الحسنى وهو الجنة والزيادة وهى النظر إلى وجه الله عز وجل كما فسره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث صهيب وغيره " . [(٢)]

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " وقد ثبت فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى فى الجنة وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الاحسان ، لأن الاحسان هو أن يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة ، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه فى حال عبادته ، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عيانا فى الآخرة ، وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الله للكفار فى الآخرة : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [(٣)] ، وجعل ذلك جزاء لحالهم فى الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته فى الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته فى الآخرة " . [(٤)]

كما أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى أن أهل الجنة كلهم يشتركون فى رؤية الله تبارك وتعالى إلا أنهم يتفاوتون فى أوقات الرؤية ومقدارها حيث قال : " كل أهل الجنة يشتركون فى الرؤية لكن يتفاوتون فى القرب

---

(١) سورة يونس آية (٢٦) .

(٢) التخويف من النار (ص ١٥٣) .

(٣) سورة المطففين آية (١٥) .

(٤) جامع العلوم والحكم (١ / ٨٣) .

فى حال الرؤية ، وفى أوقات الرؤية ، عموم أهل الجنة يرون يوم المزيد وهو يوم الجمعة ، وخواصهم ينظرون إلى وجه الله فى كل يوم مرتين بكرة وعشيا" (١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " . . . أما المقصود الثانى فحاصل لأهل الجنة على أكمل الوجوه وأتمها ، ولا نسبة لما حصل لقلوبهم فى الدنيا من لطائف القرب ، والأنس والاتصال إلى ما يشاهدونه فى الآخرة عيانا ، فتنعم قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم بقرب الله ورؤيته وسماع كلامه ، لا سيما فى أوقات الصلاة فى الدنيا كالجمع والأعياد ، والمقربون منهم يحصل ذلك لهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا فى وقت صلاة الصبح ، وصلاة العصر ، ولهذا لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يرون ربهم ، حض عقب ذلك على المحافظة على صلاة العصر ، وصلاة الفجر لأن وقت هاتين الصلاتين وقت لرؤية خواص أهل الجنة ربهم وزيارتهم له . . ." (٢)

كما أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى أن رؤية الله تبارك وتعالى هو أعظم نعيم أهل الجنة ، وأنهم يحقرون كل نعيم أمام نعيم رؤية ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى حيث قال : " إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة واستدعاهم الرب سبحانه إلى زيارته ومشاهدته ومحاضرته يوم المزيد ، فإنهم ينسون عند ذلك كل نعيم عاينوه فى الجنة قبل ذلك ، ولا يلتفتون إلى شئ مما هم فيه من نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم سبحانه ، ويحقرون كل نعيم فى الجنة حين ينظرون إلى وجهه جل جلاله كما جاء فى أحاديث يوم المزيد ". (٣)

---

(١) المحجة فى سير الدلجة (ص ٨٢) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٨) .

(٣) التخويف من النار (ص ١٩٦) .

فقد أوضح ابن رجب رحمه الله تعالى فى كلامه السابق أن رؤيـــة المؤمنين لربهم عز وجل عيانا بأبصارهم يوم القيامة حق لا مرية فيه ، وهـــو ما عليه سلف هذه الأمة وأئمتها رحمهم الله تعالى .

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله فى معرض كلامه السابق بعض الأدلـــة التى استدل بها أهل السنة والجماعة على ثبوت رؤية الله تبارك وتعالى يـــوم القيامـــة .

وهناك أدلة أخرى تدل على ثبوت الرؤية لم يتعرض لها ابن رجـــب رحمه الله تعالى .

منها قوله تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) (١) وقوله تعـــالى (واتقوا الله وأعلموا أنكم ملاقوه) (٢) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والرؤية " (٣) .

أما الأحاديث الدالة على رؤية الله تبارك وتعالى ولقائه فهى كثـــيرة جدا تصل إلى حد التواتر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ثبت بالسنة المتواترة واتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهـــل الاسلام الذين أئتموا بهم فى دينهم أن الله سبحانه وتعالى يرى فى الـــدار الآخرة بالأبصار عيانا ، وقد دل على ذلك القرآن فى مواضع كما ذلك مذكـــور

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٤) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٢٣) .

(٣) حادى الأرواح (ص ٢٠٤) .

فى مواضعه ، والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة متواترة فى الصحاح والسنن والمسانيد .[١]

ومنها حديث أبى سعيد الخدرى قال : قلنا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تضارون[٢] فى رؤية الشمس والقمر اذا كانت صحوا قلنا : لا ، قال : فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ ، إلا كما تضارون فى رؤيتهما "[٣] متفق عليه .

ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه " أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر قالوا : لا يارسول الله قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا يارسول الله ، قال : فإنكم ترونه كذلك . . ." الحديث[٤] .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١ / ٣٤٨) .

(٢) تضارون : يروى بالتشديد والتخفيف للراء ، فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون فى صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره ، يقال ضاره يضاره مثل ضره يضره .
يقول الجوهرى : " يقال أضرَّنى فلان إذا دنا منى دنوا شديدا "
فأراد بالمضارة الاجتماع والازدحام عند النظر إليه .
وأما التخفيف فهو من الضير لغة فى الضرة والمعنى فيه كالأول .
الصحاح (٢ / ٧٢١) والنهاية لابن الاثير (٣ / ٨٢) .

(٣) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) (٨ / ١٨١) ومسلم : كتاب الايمان - باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١ / ١٦٧) .

(٤) أخرجه البخارى : كتاب التوحيد (٨ / ١٧٩) ومسلم : كتاب الإيمان (١ / ١٦٣) .

والمراد من التشبيه فى الأحاديث السابقة كما فسره علماء السلف رحمهم الله تعالى هو تشبيه الرؤية بالرؤية من حيث الوضوح والحقيقة وعدم التكلف والتزاحم حال الرؤية ، لا تشبيه المرئى بالمرئى لأن الله تبارك وتعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (١) .

ومنها حديث صهيب بن سنان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال: يقول الله تبارك وتعالى : " تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتُنَجِّنَا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل " (٢) .

هذه الآيات والأحاديث التى ذكرتها وغيرها مما لم أذكره فيها دلالة لما ذهب اليه أهل السنة والجماعة من ثبوت رؤية الله تعالى حقيقة يوم القيامة .

ولا عبرة بمن خالف ذلك من الفرق الأخرى ممن حادوا عن الصواب وخالفوا نصوص الكتاب والسنة .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى فى معرض الرد على المخالفين" وانما خالف فيه طوائف من أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ونحوهم ممن يرد النصوص الصحيحة لخيالات فاسدة ، وشبهات باطلة ، يخيلها لهم الشيطان فيسرعون إلى قبولها منه ، ويوهمهم أن هذه النصوص الصحيحة تستلزم باطلا ، وتسميته تشبيها أو تجسيما فينفرون منه ،

---

(١) سورة الشورى آية (١١) .
(٢) أخرجه مسلم : كتاب الايمان ـ باب اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١/ ١٦٣) .

كما خيل إلى المشركين قبلهم أن عبادة الأوثان ونحوها تعظيم لجناب الرب وانه لا يتوصل إليه من غير وسائط تعبد فتقرب إليه زلفا وأن ذلك أبلغ في التعظيم والاحترام ، وقاسه لهم على ملوك بنى آدم فاستجابوا لذلك وقبلوه منه .

وانما بعث الله الرسل وأنزل الكتب لابطال ذلك كله ، فمن اتبع ما جاؤا به فقد اهتدى ، ومن أعرض عنه أو عن شىء منه واعترض فقد ضل . . . وقد كان المريسى ونحوه ممن ضل وافترى على الله أن هذا الحديث يرد لما يتضمن من التشبيه فضل وأضل ". (١)

والحقيقة إن المتأمل لكلام النفاة للرؤية واستدلالاتهم يجد أن ذلك منهم مبنى على التعسف وتحريف الكلم عن مواضعه ، لأنه لا يشهد لمذهبهم سمع ولا عقل بل كل ذلك يرد عليهم .

وسأذكر أشهر أدلتهم التى استدلوا بها من القرآن والرد عليها :

الدليل الأول : قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) . (٢)

قالوا : إن الله مدح نفسه بأنه لا يرى بالأبصار ، وما كان نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان اثباته نقصا ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى فى حال من الأحوال . (٣)

---

(١) فتح البارى شرح البخارى ورقه (٣٤) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٠٣) .

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار (ص٢٣٣) والإبانة فى أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى (ص ٧٩) .

والجواب عن ذلك أن يقال : ان الآية تدل على كمال عظمة الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء وأنه لكمال عظمته لا يدرك،وهذا ما مدح الله به سبحانه وتعالى نفسه ولم يذكر أنه لا يرى ، والادراك هو الاحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين) (١) فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية ، وانما نفى الادراك ولا يمكن أن يقال إن موسى عليه السلام نفى الرؤية لأن الله تعالى سبحانه وتعالى صرح باثبات الرؤية بقوله (فلما تراءى الجمعان) .

فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، والرب تبارك وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به علما ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة من هذه الآية . (٢)

ومما يدل على أن الادراك قدر زائد على الرؤية أن هذه الشمس وهذه السماء المخلوقتان يتمكن كل إنسان من رؤيتهما ولا يتمكن أن يدركهما على ما هما عليه . (٣)

الدليل الثانى : استدلوا بقوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى انظر إليك ، قال لن ترانى) الآية . (٤)

---

(١) سورة الشعراء آيه (٦١ ، ٦٢) .

(٢) انظر : حادى الأرواح لابن القيم (ص ٢٠٧) وتفسير ابن كثير (٢/ ١٦٠) .

(٣) انظر : الشريعة للآجرى (ص ٢٧٦) وحادى الارواح (ص ٢١٠)

(٤) سورة الاعراف آية (١٤٣) .

قالوا : إن "لن" كلمة تدل على التأبيد فقوله (لن تراني) نفى فيه أن يكون مرئيا البته ، وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه (١) .

والجواب عن ذلك : أن هذه الآية كالآية السابقة لا حجة لهم بهاء وادعاؤهم بأن لن تفيد النفى المؤبد غير صحيح لأن غاية ما تدل علية "لن" النفى فى المستقبل ، ولا تفيد التأبيد حتى ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا اطلقت . والدليل قوله تعالى عن الكفار (ولن يتمنوه أبدا) (٢) ومع ذلك أخبرسبحانه وتعالى أنهم يتمنونه يوم القيامة كما قال تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربـــك) (٣) .

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدهـــا ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى) (٤)

ولأنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم فى قوله تعالى (فلـن أكلم اليوم انسيا) (٥) .

فثبت أن لن لا تقتضى النفى المؤبد (٦) .

اضافة إلى أن أئمة هذا الشأن وهم النحاة قالوا إن (لن) لا تفيـد النفى المؤبد ، قال ابن مالك (٧) فى الكافية :

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٢٦٤) .

(٢) سورة البقرة آية (٩٥) .

(٣) سورة الزخرف آية (٧٧) .

(٤) سورة يوسف آية (٨٠) .

(٥) سورة مريم آية (٢٦) .

(٦) انظر : حادى الأرواح (ص ٢٠٥) وشرح العقيدة الطحاويـــــة (ص ٢٠٨) .

(٧) جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائى النحوى

===

ومن رأى النفى بـ (لن) مؤبدا * فقوله أردد وخلافه أعضـــدا

ثم يقول فى الشرح : ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفى بلن وهو الزمخشرى فى " انموذجه " وحامله على ذلك اعتقاد أن اللـــه تعالى لا يرى ، وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ـ أعنى ثبوت الرؤية ـ جعلنا الله من أهلها وأعاذنا من عدم الإيمان بها ".[1]

وما ذهب اليه أهل السنة والجماعة ووافقهم عليه ابن رجب رحمه الله تعالى فى رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة عيانا بأبصارهم كما أخبر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها هو الحق الذى لا يجوز اعتقاد غيره لوضوح الأدلة عليه من الكتاب والسنة واجماع السلف عليه .

=== صاحب التصانيف المشهورة المفيدة ، ومنها الكافية الشافيـــــة وشرحها ، كان إماما فى اللغة والنحو والقراءات ، توفى سنة ٦٧٢هـ. البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٤) وبغية الوعاة (١/ ١٣٠) .

(١) شرح الكافية الشافية (٣/ ١٥١٥ ، ١٥٣١).

المبحث الحادى عشـــر
النار وعذابهـــا

النار دار أعدها الله سبحانه وتعالى لاعدائه ولمن عصاه وخالف أمره ، وهى دار العقوبة فى الآخرة ، ودار الذل والهوان والعذاب ، دار أهلهـا أهل البؤس والشقاء ، شرابهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ومأكلهم الزقوم كالمهل يغلى فى البطون .

والآيات والأحاديث الواردة فى النار ووصفها ووصف عذابها وصفات أهلها أكثر من أن تحصى،أعاذنا الله من النار ومن عذابها .

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نـارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهـــم ويفعلون ما يؤمرون) (١)

وقال تعالى : (وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبـواب لكل باب منهم جزء مقسوم) (٢)

وقال تعالى : (إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيهـا أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا) (٣)

وقال تعالى : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنـة للظالمين إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطـــين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم) (٤)

---

(١) سورة التحريم آيه (٦) .
(٢) سورة الحجر آيه (٤٣ ، ٤٤) .
(٣) سورة النبأ لآيات (٢١ ــ ٢٦) .
(٤) سورة الصافات الآيات (٦٢ ــ ٦٧) .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى كلاما كثيرا عن النار وأهلها ووصف عذابها فى كتاب التخويف من النار ، وساق فى هذا الكتاب أبوابا عديدة يذكر فى كل باب كثيراً من الآيات والأحاديث المتعلقة بها .

قال فى مقدمته : " وقد استخرت الله تعالى فى جمع كتاب أذكر فيه صفة النار ، وما أعد الله فيها لأعدائه من الخزى والنكال والبوار ، ليكون بمشيئة الله قامعا للنفوس عن غيها وفسادها ، وباعثا لها على المسارعة إلى فلاحها ورشادها ...". (١)

وقال فى الباب السادس عشر فى ذكر حجارة النار : ومن جملة أنواع عذاب أهل النار فيها تلاعنهم وتباغضهم ، وتبرؤ بعضهم من بعض، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب كما قال الله تعالى : (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت آخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا فى النار). (٢)

وقال الله تعالى : (وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا ...) (٣) الآية

وقال الله تعالى : (هذا فوج مقتحم معكم لامرحبا بهم) إلى قوله (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) (٤)، وحينئذ فلا يبعد أن يقرن كل كافر بشيطانه الذى أضله وبصورة من عبده من دون الله من الحجارة . (٥)

---

(١) التخويف من النار (ص ٩) .

(٢) سورة الاعراف آية (٣٨) .

(٣) سورة غافر آية (٤٧) .

(٤) سورة ص آية (٥٩ - ٦٤) .

(٥) التخويف من النار (ص ١٣٥) .

وفى الباب الثامن عشر فى ذكر طعام أهل النار وشرابهم فيها قال :

" قال الله تعالى : (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم) (١) ... ثم قال : وقد دل القرآن على أنهم يأكلون منها حتى تمتلئ منها بطونهم فتغلى فى بطونهم كما يغلى الحميم وهو الماء الذى قد انتهى حره ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم " . (٢)

وفى الباب الحادى والعشرين فى ذكر أنواع عذاب أهل النار وتفاوتهم فى العذاب بحسب أعمالهم قال : " واعلم أن تفاوت أهل النار فى العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التى دخلوا بها النار كما قال تعالى : (ولكل درجات مما عملوا) . (٣)

وقال تعالى : (جزاء وفاقا) (٤) قال ابن عباس : " وافق أعمالهم " . (٥)

فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد فى الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك قال تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) . (٦)

وقال تعالى : (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) . (٧)

---

(١) سورة الدخان آيه (٤٣ — ٤٦) .

(٢) التخويف من النار (ص ١٤٢ ، ١٤٤) .

(٣) سورة الأنعام آية (١٣٢) .

(٤) سورة النبأ آية (٢٦) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ١٥) .

(٦) سورة النحل آية (٨٨) .

(٧) سورة غافر آية (٤٦) .

وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين فى النار بحسب أعمالهم ، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر ، وقد يخفف عن بعضهم العذاب بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب ..." (١)

وقال فى هذا الباب أيضا عن أنواع عذابهم :" ومن أنواع عذابهم الصهر قال الله تعالى : (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ...) (٢)

ومن أنواع عذابهم سحبهم فى النار على وجوههم قال الله تعالى : (إن المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) ... (٣)

ومنهم من يعذب بالصعود إلى أعلى النار ثم يهوى فيها كذلك أبدا ، ومنهم من يكلف صعود جبل فى النار والتردى منه ...

ومنهم من يدور فى النار ويجر أمعاءه معه ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي يجر قُصْبَه (٤) فى النار ... (٥)

---

(١) التخويف من النار (ص ١٨١ ، ١٨٢) .

(٢) سورة الحج آية (١٩ - ٢١) .

(٣) سورة القمر آية (٤٧ ، ٤٨) .

(٤) قُصْبَه : بضم القاف الأمعاء ، وقيل هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء .
النهاية لابن الأثير (٤/ ٦٧) .

(٥) أخرج البخارى (٤/ ١٦٠) ومسلم (٤/ ٢١٩٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" رأيت عمرو بن عامر لحي الخزاعى يجر قصبه فى النار ، وكان أول من سيب السوائب" والسوائب جمع سائبة وهى الناقة التى تترك فلا تحلب ولا تركب ، ولا تمنع من ماء ولا مرعى ، إما للآلهة واما لأجل نذر أو شفاء من مرض . لسان العرب (١/ ٤٧٨) .

ومنهم من يلقى فى مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة الضيقة قال الله عز وجل : (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك بثورا) (١)

وربما يبتلى أهل النار بأنواع من الأمراض الحادثة عليهم ...

ومن أهل النار من يتأذى أهل النار بعذابه إما من نتن ريحه أوغيره ... (٢)

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى أن أعظم عذاب أهل النار هو حجابهم عن الله عز وجل وعدم تمكنهم من رؤيته تبارك وتعالى فقال : " وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وابعادهم عنه واعراضه عنهم وسخطه عليهم كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة ، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة" قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) . (٣)

فذكر الله تعالى لهم ثلاثة أنواع من العذاب : حجابهم عنه ، ثم صليهم الجحيم ، ثم توبيخهم بتكذيبهم به فى الدنيا ، ووصفهم بالران على قلوبهم ، وهو صدأ الذنوب الذى سود قلوبهم ، فلم يصل إليها بعد ذلك فى الدنيا شىء من معرفة الله ولا من اجلاله ومهابته وخشيته ومحبته ، فكما حجبت قلوبهم فى الدنيا عن الله حجبوا فى الآخرة عن رؤيته " . (٤)

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى بعض أهل النار الذين يدخلونها

---

(١) سورة الفرقان آيه (١٣) .
(٢) التخويف من النار (ص ١٨٤) وما بعدها .
(٣) سورة المطففين آية (١٤ - ١٧) .
(٤) التخويف من النار (ص ١٩٥ - ١٩٦) .

فقال : " وفى صحيح مسلم [١] عن عياض بن حمار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته : " ... وأهل النار خمسة : الضعيف الذى لا زَبْرَ له [٢] الذين هم فيكم تبعا لا يبغون أهلا ولا مالا ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك " وذكر البخل أو الكذب والشِّنْظِير [٢] الفحاش [٣] ... أهل النار ... قسمهم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث إلى خمسة أصناف :

الصنف الأول : الضعيف الذى لا زبر له ، ويعنى بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه فى الآخرة من التقوى والعمل الصالح ولما حدث مطرف بن عبد الله [٤] بحديث عياض بن حمار هذا وبلغ قوله : " الضعيف الذى لا زبر له " فقيل له : أو يكون هذا ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتهم فى الجاهلية ، وان الرجل ليرعى على الحى ما به إلا وليدتهم يطؤها .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا وأهل الجنة وأهل النار (٤/ ٢١٩٨) .

(٢) قال فى النهاية : لا زَبْرَ له .أى لا عقل له يزبره وينهاه عن الأقدام على ما لا ينبغى .
النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٩٣) .

(٣) الشِّنْظِير : فسره بالحديث بأنه الفحاش وهو السيء الخلق .
النهاية لابن الأثير (٢/ ٥٠٥) .

(٤) مطرف بن عبد الله الشخير العامرى أبو عبد الله البصرى الامام الحافظ من كبار التابعين . قال ابن سعد : كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب ، توفى سنة ٨٦ هـ ، وقيل بعد ذلك .
طبقات ابن سعد (٧/ ١٤١) وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧) وتهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣) .

وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم هم فى طلب الدنيا ولا الآخرة ، وانما همة أحد هم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له ، وهو تبع للناس خادم لهم أو طواف عليهم سائل لهم .

والصنف الثانى : الخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق إلا خانه أى يعنى لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها ، ويدخل فى ذلك التطفيف فى المكيال والميزان ، وكذلك الخيانة فى الأمانات القليلة كالودائع وأموال اليتامى وغير ذلك ، وهو خصلة من خصال النفاق وربما يدخل الخيانة من خان الله ورسوله فى ارتكاب المحارم سرا مع إظهار اجتنابها .

الصنف الثالث : المخادع الذى دأبه صباحا ومساء مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم ، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك ، والخداع معناه إظهار الخير واضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك ، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة .

الصنف الرابع : الكذب والبخل . . . والكذب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح كما جاء ذلك فى الأحاديث ، والشح هو شدة حرص الانسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة ، وينشأ عنه البخل ، وهو إمساك الانسان ما فى يده والامتناع من إخراجه فى وجوهه التى أمر بها ، فالمخادع الذى سبق ذكره هو الصحيح ، وهذا الصنف هو البخيل ، فالشحيح أخذ المال بغير حقه ، والبخيل منعه من حقه .

وينشأ عن الشح أيضا الكذب والمخادعة والتحيل على مالا يستحقه الانسان بالطرق الباطلة المحرمة ، وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار "(١).

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى — كتاب الأدب —

===

الصنف الخامس : الشنظير وقد فسر بالسيء الخلق ، والفحاش هو الفاحش المتفحش ، وفى الصحيحين (١) عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه " .

وفى الترمذى (٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يبغض الفاحش البذىء " والبذىء الذى يجرى لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام .،.. والفاحش هو الذى يفحش فى منطقه ويستقبل الرجال بقبيح الكلام من السب ونحوه ، ويأتى فى كلامه بالسخف وما يفحش ذكره . (٣)

كما بين ابن رجب رحمه الله تعالى بعض الأعمال التى تنجى العبد من نار جهنم أعاذنا الله منها فقال : " قد تكاثرت النصوص فى أن البكاء من خشية الله يقتضى النجاة منها ، والبكاء خوفاً من نار جهنم هو البكاء من خشية الله لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه والبعد عنه وعن رحمته وجواره ودار كرامته . (٤)

=== باب قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (٧/ ٢٠٠) ومسلم : كتاب البر والصلة ـ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢) .

(١) صحيح البخارى : كتاب الأدب ـ باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (٧/ ٨٦) وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب مدارة من يتقى فحشه (٤/ ٢٠٠٢) .

(٢) سنن الترمذى : كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء فى حسن الخلق (٤/ ٣٦٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) التخويف من النار (ص ٢٧٧) وما بعدها .

(٤) المصدر السابق (ص ٥٥) .

المبحث الثانى عشـــــر
خلق الجنة والنـــار

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن فالجنة معدة للمتقين والنـار معدة للكافرين كما جاء ذلك فى كتاب الله عز وجل وسنة رسولنا صلى اللـــــه عليه وسلم ، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة :

فمن الأدلة فى القرآن على خلقهما ووجودهما :

قوله تعالى عن الجنة (أعدت للمتقين) (١) .

وقوله تعالى (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) (٢) .

وقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندهـــا جنة المأوى) (٣) .

وقال تعالى عن النار (أعدت للكافرين) (٤) .

وقال تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) (٥) .

وقال تعالى (إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا) (٦) .

وقال تعالى (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) (٧)

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٣٣) .

(٢) سورة الحديد آية (٢١) .

(٣) سورة النجم آية (١٣ ــ ١٥) .

(٤) سورة البقرة آيه (٢٤) وسورة آل عمران آية (١٣١) .

(٥) سورة الفرقان آيه (١١) .

(٦) سورة النبأ آية (٢١ ، ٢٢) .

(٧) سورة الفتح آية (٦) .

ومن الأدلة التى وردت فى السنة حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفها بالمكاره ، فقال : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال : ولما خلق الله النار قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فحفها بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع قال : وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها ".(١)

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا " قالوا : وما رأيت يارسول الله ؟ قال : " رأيت الجنة والنار ".(٢)

---

(١) أخرجه أبو داود : كتاب السنة - باب فى خلق الجنة والنار (٤٧٤٤) والترمذى : كتاب صفة الجنة - باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنسائى : كتاب الأيمان والنذور - باب الحلف بعزة الله تعالى (٣/٧) والحاكم (٢٧/١) وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الصلاة - باب تحريم سبق الامام بالركوع أو سجود ونحوهما (٣٢٠/١) .

ومنها حديث عمران بن الحصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ". (١)

ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله عليه يوم القيامة ". (٢)

فهذه النصوص وغيرها من الآيات والأحاديث تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن .

وقد تكلم ابن رجب رحمه الله تعالى عن مسألة وجود الجنة والنار وأنها موجودتان الآن معدتان وقرر ذلك بما يوافق معتقد أهل السنة والجماعة فقال رحمه الله تعالى : " إن الله تعالى خلق لعباده دارين يجزيهم فيها بأعمالهم مع البقاء فى الدارين مع غير موت ، وخلق داراً معجلة للأعمال

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار (١٧٩/٧)، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (٢٠٩٦/٤) .

(٢) أخرجه البخارى : كتاب الجنائز - باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى (١٢٤/٢)، ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (١٦٠/٨) .

وجعل فيها موتا وحياة وابتلى عباده فيها بما أمرهم به ونهاهم عنه وكلفهم فيها بالايمان بالغيب ومنه الإيمان بالجزاء، والداران المخلوقتان له وأنزل بذلك الكتب وأرسل به الرسل وأقام الادلة الواضحة على الغيب الذى أمر بالايمان به وأقام علامات وأمارات تدل على وجود دارى الجزاء فإن إحدى الدارين المخلوقتين للجزاء دار نعيم محض لا يشوبه آلم ، والأخرى دار عذاب محض لا يشوبه راحة ، وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والألم ، فما فيها من النعيم يذكر بنعيم الجنة ، وما فيها من الألم يذكر بألم النار ، وجعل الله تعالى فى هذه الدار أشياء كثيرة تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية فمنها ما يذكر بالجنة من زمان ومكان ، أما الأماكن فخلق الله بعض البلدان كالشام وغيرها فيها من المطاعم والمشارب والملابس وغير ذلك من نعيم الدنيا ما يذكر بنعيم الجنة ، وأما الأزمان فكز من الربيع فإنه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها ، وكأوقات الاسحار فإن بردها يذكر ببرد الجنة ...

ومنها ما يذكر بالنار فإن الله تعالى جعل فى الدنيا أشياء كثيرة تذكر بالنارالمعدة لمن عصاه وما فيها من الآلام والعقوبات من أماكن وأزمان وأجسام وغير ذلك ، أما الأماكن فكثير من البلدان مفرطة الحر أو البرد ، فبردها يذكر بزمهرير جهنم ، وحرها يذكر بحر جهنم وسمومها ... وأما الازمان فشدة الحر والبرد يذكر بما فى جهنم من الحر والزمهرير ...

وأما الأجسام المشاهدة فى الدنيا المذكرة بالنار فكثيرة منها الشمس عند اشتداد حرها .(١)

---

(١) لطائف المعارف (ص ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " ... وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ".(١)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : " اعلم أن الله خلق الجنة والنار ثم خلق بنى آدم وجعل لكل واحدة من الدارين أهلا منهم ... واشهد عباده فى هذه الدار آثارا من الجنة وآثارا من النار ".(٢)

وقال رحمه الله تعالى وهو يذكر فوائد حديث الكسوف الذى رأى فيه النبى صلى الله عليه وسلم الجنة والنار قال :

"ومنها أنه يدل على وجود الجنة والنار كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ".(٣)

فخلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن من عقيدة أهل السنة والجماعة وهى من المسائل التى أجمعوا عليها ، وقد حكى الاجماع غير واحد منهم ، ومن ذلك قول الآجرى رحمه الله تعالى فى الشريعة : " اعلموا رحمنا الله واياكم أن القرآن شاهد أن الله خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام ، وخلق للجنة أهلا وللنار أهلا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف فى هذا من شمله الاسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان ، دل على ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله معن كذب بهذا ".(٤)

---

(١) أهوال القبور (١٩) .

(٢) البشارة العظمى ورقه (٣) .

(٣) فتح البارى ورقه (١٣٦/أ) .

(٤) الشريعة للآجرى (ص ٢٢٥) .

فأهل السنة والجماعة اتفقوا على القول بخلق الجنة والنار، وقالوا : إنهما موجودتان الآن ، خلاف ما قالته المبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن خالفوا الأدلة الواردة فى ذلك، وحادوا عن طريق الصواب وقالوا : إن الجنة والنار غير موجودتين الآن بل ينشئهما الله يوم القيامة وقالوا : إنهما لو كانتا مخلوقتين الآن لوجب أن تفنيا يوم القيامة وأن يهلك كل من فيهما ويموت لعموم قوله تعالى : (كل شئ هالك إلا وجهه ...)[1]

قال ابن أبى العز رحمه الله تعالى : " وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم ، فهم مشبهة فى الأفعال ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، لأنها تصير معطلة مددا متطاولة فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى ، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم .[2]

وأما استدلالهم بقوله تعالى : (كل شئ هالك إلا وجهه)[1] فلا حجة لهم فيه .

قال الامام أحمد رحمه الله تعالى : " ... فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شئ هالك إلا وجهه)[1] وبنحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شئ مما كتب الله عز وجل عليه الفناء والهلاك

---

(١) سورة القصص آية (٨٨) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٦) .

هالك ، والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما في الآخرة لا من الدنيا ". (١)

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى : " ... وأما احتجاجكم بقوله تعالى : (كل شئ هالك إلا وجهه) (٢) فأتيتم من سوء فهمكم بمعنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما ، فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية ، وانما وفق لذلك أئمة الاسلام ، فمن كلامهم أن المراد (كل شئ) مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء . (٣)

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٨) .

(٢) سورة القصص آية (٨٨) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٩ — ٤٨٠) .

المبحث الثالث عشر
الجنة والنار باقيتان لا تفنيان

خلود الجنة والنار ودوامهما وبقاؤهما بابقاء الله لهما وأنهما لا تفنيان أبدا ولا يفنى ما فيهما ثابت بالكتاب والسنة والأدلة عليهما كثيرة جدا .

قال الله تعالى عن الجنة وأهلها : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا)(١) .

وقال تعالى : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم)(٢) .

وقال تعالى عن النار وأهلها : (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا)(٣) .

وقال تعالى : (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لايجدون وليا ولا نصيرا)(٤) .

---

(١) سورة النساء آية (٥٧) .
(٢) سورة التوبة آية (٢٠ — ٢٢) .
(٣) سورة النساء آية (١٦٨ ، ١٦٩) .
(٤) سورة الأحزاب آية (٦٤) .

ومن الأحاديث الدالة على أبدية الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل الله أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه "(١)

فهذا الحديث وغيره من الأحاديث التى سأذكرها فى معرض كلام ابن رجب رحمه الله تعالى كلها تدل على أبدية الجنة والنار ودوامهما وخلود أهلهما فيهما لا إلى غاية ولا إلى أمد ، فأهل الجنة ينعمون بما فيها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا ، وأهل النار أعاذنا الله منها خالدين فيها من غير موت ولا حياة ولا نجاة من عذاب الله .

وقد تكلم الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى عن هذا كله وذكر الأدلة عليه فقال عن النار وعذابها : " وعذاب الكفار فى النار لا يفتر عنهم ولا ينقطع ولا يخفف بل هو متواصل أبدا قال الله عز وجل : (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون)(٢) وقال تعالى : (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)(٣)

وقال تعالى : (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)(٤)

---

(١) أخرجه البخارى : كتاب الرقاق ـ باب يدخل الجنة سبعون ألف بغير حساب (٧/١٩٩) ومسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/٢١٨٩) .

(٢) سورة الزخرف آية (٧٤ ، ٧٥) .

(٣) سورة فاطر آية (٣٦) .

(٤) سورة البقرة آية (٨٦) .

وقال تعالى : (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) (١) . . . (٢)

وقال رحمه الله تعالى أيضا : ولا يزال أهل جهنم فى رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت ، فحينئذ يقع منهم الاياس وتعظم عليهم الحسرة

والحزن ، وفى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون (٣) وينظرون ، ويقولون : نعم هذا الموت ، ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت " (٤) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) (٥) . . . (٦)

---

(١) سورة غافر آية (٤٩ ، ٥٠) .

(٢) التخويف من النار (ص ١٩٤) .

(٣) يشرئبون : أى يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه ، وكل رافع رأسه مشرئب. النهاية لابن الأثير (٢/٤٥٥) .

(٤) صحيح البخارى : كتاب التفسير- تفسير سورة مريم - باب قوله تعالى : (وأنذرهم يوم الحسرة) (٤/٣١٦) ، وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/٢١٨٨) .

(٥) سورة مريم آية (٣٩) .

(٦) التخويف من النار (ص ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

وقال عن الجنة : قوله صلى الله عليه وسلم " من يدخلها ينعم ولا يباس ، ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم "

إشارة إلى بقاء الجنة وبقاء جميع ما فيها من النعيم ، وان صفات أهلها كاملة من الشباب لا تتغير أبدا ، وملابسهم التى عليهم من الثياب لا تبلى أبدا .

وقد دل القرآن على مثل هذا فى مواضع كثيرة كقوله تعالى : (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) (١) وقوله تعالى : (أكلها دائم وظلها) (٢) وقوله تعالى : (خالدين فيها أبدا) (٣) فى مواضع كثيرة .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه " (٤)

وفيه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد أن لكم أن تنعموا ولا تبأسوا أبدا ، وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا " (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) (٥) ... (٦)

---

(١) سورة التوبة آية (٢١) .
(٢) سورة الرعد آية (٣٥) .
(٣) سورة التوبة آية (٢٢) .
(٤) صحيح مسلم : كتاب صفة الجنة ـ باب فى دوام نعيم أهل الجنة (٤ / ٢١٨١) .
(٥) سورة الاعراف (٤٣) .
(٦) صحيح مسلم : كتاب صفة الجنة ونعيمها ـ باب فى دوام نعيم أهل الجنة (٤ / ٢١٨٢) .

وفى رواية لغيره زيادة : " وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا " . . . (١) (٢)

وهذه المسألة من المسائل التى أتفق عليها أهل السنة والجماعة ولا عبرة بمن خالف ذلك من أهل البدع والاهواء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع سلف الأمة وأئمتها ". (٣)

وقد خالف أهل السنة والجماعة فى هذه المسألة الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والخوارج وقالوا : الجنة والنار تفنيان وتبيدان ليس لهما بقاء ولا خلود ، وقالوا : إن الجنة إذا دخلها أهلها ولبثوا فيها زمنا طويلا فتبيد الجنة وأهلها ويبيد نعيمها ، وان أهل النار إذا دخلوا النار ومكثوا فيها زمنا طويلا تهلك النار ويبيد عذابها ثم يبقى الله سبحانه آخرا لا شىء معه كما كان أولا لا شىء معه وهو قوله الأول والآخر . (٤)

وشبهتهم فى ذلك أصلهم الفاسد الذى أصلوه وجعلوه أساسا لرد النصوص الصحيحة هو امتناع وجود مالانهايةلهمن الحوادث واستدلوا بها

---

(١) وهي فى مسلم أيضا (٤/ ٢١٨٢) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٣٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧) .

(٤) انظر : مقالات الاسلاميين (٢/ ١٤٨) والفصل فى الملل والنحل (٢/ ٨٣) والفرق بين الفرق (ص ٣١٩) والملل والنحل (١/ ٨٧)

على حدوث الاجسام وحدوث مالم يحل من الحوادث فقالوا : إن الجنة والنار تفنيان لأنهما كانتا معدومتين فى الماضى، ويخلقهما الله يوم البعث والجزاء ، فكل ما كان فى الماضى معدوما فهو حادث ، وكل حادث لابد له من الفناء ، فالجنة والنار تفنيان وليس لهما بقاء .

وهذه شبهة باطلة تعارض الأدلة القطعية والنصوص الشرعية .(١)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "إن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع ، لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين ، والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا . . ."(٢)

وقال ابن أبى العز رحمه الله تعالى : " وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان أمام المعطلة ، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به ، وهذا قاله لأصله الفاسد الذى اعتقده وهو امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث ".(٣)

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٨/٣٠٧) .

(٢) حادى الأرواح (ص ٣٥٣) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٨٠) .

الخاتمة

" الخاتمــــة "

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد :

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث واكماله وقد استفدت فوائد كثيرة وخرجت بنتائج طيبة ، وذلك من خلال قراءتى لكثير من كتب العقيدة والسنة والتفسير والتراجم وغيرها من مختلف العلوم المتعلقة بهذا البحث ، وخاصة كتب العقيدة فقد استفدت منها فائدة عظيمة لأن قراءتى لها لم تكن مقصورة على أبواب معينة منها ، وانما شملت جميع أبوابها فالحمد لله الذى وفقنى إلى ذلك .

هذا ويمكن أن أجمل أهم النتائج والفوائد التى توصلت إليها فى النقاط التالية :

١ — أن ابن رجب رحمه الله تعالى عاش فى القرن الثامن الهجرى وهو قرن كثر فيه العلم والعلماء خصوصا فى بلاد الشام ومصر مما كان له الأثر البالغ فى ثقافته وعلومه .

٢ — أن الصواب فى ولادة ابن رجب هو سنة ٧٣٦ هـ وما عداها فهو خطأ للأسباب التى ذكرتها فى ترجمته .

٣ — أن ابن رجب نشأ فى بيت علم ، وبدأ حياته العلمية منذ الصغر وتتلمذ على عدد كبير من مشاهير علماء عصره ، وكان أكثرهم تأثيرا فيه شيخه الامام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى الذى لازمه حتى الممات .

٤ – أن ابن رجب قد خلف عددا كبيرا من المؤلفات والرسائل القيمة في مختلف العلوم ، ولم يزل بعض هذا التراث مخطوطا أو في حكم المخطوط ، وتجدر العناية بتحقيقه ودراسته .

٥ – أن ابن رجب وافق السلف في التوحيد وما يتعلق به ولم يتبين لي من خلال هذا البحث أية مخالفة لهم في ذلك ، بل هو أوضحه وبينه ودعا إليه .

٦ – ان ابن رجب رحمه الله تعالى وافق السلف في أن الايمان قول وعمل واعتقاد وأنه يزيد وينقص وأن هذا هو الحق الذى دلت عليه الأدلة كما وافق السلف في الايمان بالملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر واليوم الآخر مما يدل دلالة واضحة على أن ابن رجب رحمه الله تعالى من أئمة أهل السنة والجماعة الذين كان لهم أثر واضح في توضيح العقيدة السلفية .

وأخيرا أحمد الله تعالى وأشكره الذى أعانني على اتمام هذا البحث واخراجه بهذه الصورة التي أرجو أن اكون وفقت في عرضه وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب ، ولا شك أن الانسان معرض للخطأ في عمله والكمال لله وحده .

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى : " ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه ". (١)

---

(١) القواعد الفقهية (ص ٣).

وانني معترف هنا بالتقصير ، فإن كان ما ذكرته في بحثي هــذا وما عرضته فيه حق وصواب ،فهذا من فضل الله وحده فله الحمد والشــكر أولا وآخرا ، وما كان فيه من خطأ وزلل فهو مني ومن الشيطان ، واستغفر الله من ذلك وأتوب إليه .

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا اتباع كتابـــه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم اتباعا سليما نقيا خاليا من البدع والاهواء ، كما كان عليه سلف هذه الأمة ، وأن يجنبنا الزلل ومزالق الاهواء ، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين أنه سميع مجيب وآخــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهارس

فهرس الآيات

" فهرس الآيات "

فهرس الأحاديث

" فهرس الأحاديث "

الصفحة

(أ)

الصفحة

الصفحـــة

الصفحــة

الصفحة

الصفحة

الصفحـــة

الصفحـــة

فهرس الآثار

" فهرس الآثـــار"

فهرس الأعلام

" فهرس الأعلام المترجم لهـــــم "

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحة

الصفحة

فهرس

الفرق والطوائف والمصطلحات

" فهرس الفرق والطوائف والمصطلحات "

فهرس
المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

١ ــ الابانة عن أصول الديانة :
لأبي الحسن الأشعري ــ تقديم الشيخ / حماد الأنصاري .
مطابع الجامعة الاسلامية ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ

٢ ــ الابانة عن شريعة الفرق الناجية :
لابن بطة العكبري ت (٣٨٧ هـ) دار الراية ، الرياض ـ
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ ، تحقيق / رضا بن نعسان
معطي .

٣ ــ ابن رجب الحنبلي وآثاره الفقهية :
د / أمينة محمد الجابر ــ دار قطري بن الفجاءة ، قطر
الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ م

٤ ــ ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه :
د / محمود بن حمود الوائلي ــ رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة
الكاتبة .

٥ ــ أبو العتاهية أشعاره وأخباره :
تحقيق /د.شكري فيصل ــ دار الملاح ، دمشق .

٦ ــ اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة :
للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ــ طبع مطابع الرياض ، الطبعة
الأولى سنة ١٣٩٤ هـ .

٧ ــ اتحاف الورى بأخبار أم القرى :
ابن فهد المكي ت (٨٨٥هـ) تحقيق / فهيم شلتوت/من منشورات
مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ١٤٠٤ هـ .

٨ ـ اثبات صفة العلو :
لابن قدامة ت (٦٢٠ هـ) تحقيق / بدر البدر ـ الدار السلفية
الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٩ ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية :
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ) تحقيق / د . عواد عبدالله
المعتق ـ مطابع الفرزدق ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

١٠ ـ الاحتجاج بالقدر :
ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ـ دار
الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ

١١ ـ الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان :
ترتيب / الأمير علاء الدين الفاسي ـ تقديم وضبط / كمال يوسف
الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى
سنة ١٤٠٧ هـ .

١٢ ـ الأحكام في أصول الأحكام :
الآمدي ت (٦٣١) تعليق / عبدالرزاق عفيفي ـ مؤسسة
النور ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧ هـ .

١٣ ـ إحياء علوم الدين :
للغزالي ت (٥٠٥ هـ) مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني
القاهرة .

١٤ ـ اخبار القضاة :
وكيع : القاضي محمد بن خلف (٣٠٦ هـ) عالم الكتب ، بيروت

١٥ــ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار :
لأبي الوليد الأزرقي ت (٢٤٤ هـ) تحقيق / رشدي الصالح
دار الأندلس للطباعة والنشر ــ بيروت .

١٦ــ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية :
لابن قتيبة ت (٢٧٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ــ
الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٧ــ اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى :
ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) مكتبة دار الأقصى ـ الكويت ، ١٤٠٦هـ
تحقيق / جاسم فهد الدوسري .

١٨ــ الأدب المفرد :
للبخاري ت (٢٥٦ هـ) ترتيب / كمال يوسف الحوت ـ عالم
الكتب ، بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

١٩ــ ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل :
للألباني ــ المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى
١٣٩٩ هـ .

٢٠ــ الاستخراج لأحكام الخراج :
ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / محمود شلاش الهيتي ــ
مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ .

٢١ــ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس :
ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) مطبعة الامام ـ مصر ، ١٣٦٣ هـ .

٢٢ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب :
ابن عبد البر ت (٤٦٣ هـ) تحقيق / علي محمد البجاوي ـ مكتبة
نهضة مصر ومطبعتها ـ الفجالة ـ مصر .

٢٣ـ أسد الغابة فى معرفة الصحابة :
ابن الأثير ت (٦٣٠ هـ) تحقيق / محمد ابراهيم البنا ومحمد عاشور ـ دار الشعب ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ .

٢٤ـ الأسماء والصفات :
للبيهقى ت (٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٢٥ـ الاصابة فى تمييز الصحابة :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ .

٢٦ـ أصول الدين :
لعبدالقاهر البغدادى ت (٤٢٩ هـ) دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

٢٧ـ أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن :
لمحمد الأمين الشنقيطى ت (١٣٩٢ هـ) طبعة دار الافتاء الرياض ١٤٠٣ هـ .

٢٨ـ الاعتصام :
للشاطبى ت (٧٩٧ هـ) دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٢ هـ

٢٩ـ الاعتقاد :
للبيهقى ت (٤٥٨ هـ) المطبعة العربية ، باكستان

٣٠ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :
للرازى ت (٦٠٦ هـ) مراجعة وتحرير / على سامى النشار دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤٠٢ هـ .

٣١- اعلام الحديث في شرح صحيح البخارى :
للخطابى ت (٣٨٨ هـ) من مطبوعات مركز احياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة/تحقيق/د.محمدبن سعدبن عبدالرحمن السعود .

٣٢- الاعلام :
للزركلى ت (١٢٩٥ هـ) دار العلم للملايين ، بيروت - الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠ م .

٣٣- اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان :
ابن القيم ت (٧٥١ هـ) تحقيق / محمد سيد كيلانى - طبعة الحلبى ، القاهرة ١٣٨١ هـ .

٣٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم :
ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) تحقيق / د . ناصر بن عبد الكريم العقل - مطابع العبيكان ، الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

٣٥- اقتضاء العلم العمل :
الخطيب البغدادى ت (٤٦٣ هـ) تحقيق / الألبانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت سنة ١٣٩٧ هـ .

٣٦- الاكمال :
ابن ماكولا ت (٤٧٥ هـ) تعليق وتصحيح / عبد الرحمن المعلمى مصور عن طبعة حيدر آباد ، الهند ، الطبعة الثانية .

٣٧- الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع :
للسيوطى ت (٩١١هـ) مكتبة القرآن ، القاهرة ، تحقيق / مصطفى عاشور .

٣٨ـ انباء الغمر بابناء العمر :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) دار الكتب العلميه ، بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

٣٩ـ الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل :
العليمى ت (٩٢٨ هـ) المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٨٨ هـ

٤٠ـ الأنساب :
السمعانى ت (٥٦٢هـ) الناشر : محمد امين دمج ، بيروت ، سنة ١٤٠٠ هـ .

٤١ـ أهوال القبور وأحوال أهلها الى النشور :
ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / أبى هاجر محمد السعيد زغلول ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٤٢ـ ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون :
البغدادى ت (١٣٣٩ هـ) طبع استانبول ١٩٥١ م

٤٣ـ الايمان :
لابن أبى شيبة ت (٢٣٥ هـ) تحقيق / الألبانى ، نشر وتوزيع دار الأرقم ـ الكويت .

٤٤ـ الايمان :
لابن منده ت (٢٩٥ هـ) تحقيق / د.على ناصر فقيهى ـ طبع المجلس العلمى ، بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعه الأولى ١٤٠١ هـ .

٤٥ـ الايمان :
أبوعبيد ت(٢٢٤هـ) تحقيق / الألبانى ـ نشروتوزيع دارالأرقم ، الكويت

٤٦- الايمـــان :
ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) المكتب الاسلامى - دمشق ، بيروت
الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ .

٤٧- الباعث على انكار البدع والحوادث :
لأبى شامة ت (٦٦٥ هـ) مطبعة النهضة الحديثة ، مكـــة
المكرمة - الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

٤٨- بدائع الفوائد :
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ) تصحيح وتعليق / محمود غانم
غيث - نشر مكتبة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

٤٩- البداية والنهاية :
ابن كثير ت (٧٧٤ هـ) اعتناء / عبد العزيز النجار - مكتبـــة
الأصمعى وغيرها ، الرياض .

٥٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :
الشوكانى ت (١٢٥٠ هـ) مطبعة السعادة ، القاهـــرة
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ .

٥١- البدع والنهى عنها :
ابن وضاح القرطبى ت (٢٨٦ هـ) تحقيق / محمد أحمد دهمان
دار البصائر ، دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

٥٢- البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان :
للسكسكى ت (٦٨٣ هـ) تحقيق / بسام على العموش - مكتبـــة
ودار المنار ، الاردن - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٥٣ـ البشارة العظمى فى أن حظ المؤمن من النار الحمى :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) مخطوط ويوجد له نسخة فى مكتبة
جامعة الملك سعود المركزية تحت رقم ٩/١٨١٧

٥٤ـ بصائر ذوى التمييز :
للفيروز أبادى ت (٧١٨ هـ) المكتبة العلمية ، بيروت .

٥٥ـ بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس :
للضبى ت (٥٩٩ هـ) دار الكاتب العربى ، بيروت ١٩٦٧م
.

٥٦ـ بغية الوعاة :
للسيوطى ت (٩١١ هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم
دار الفكر ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ

٥٧ـ بيان تلبيس الجهمية أو نقض التأسيس :
لابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) تصحيح / محمد بن عبد الرحمن بن
القاسم ـ مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٢ هـ .

٥٨ـ تاج العروس فى جواهر القاموس :
لمحمد مرتضى الزبيدى ت (١٢٠٥ هـ) تحقيق / مجموعة من
المحققين ، طبعة وزارة الاعلام الكويتية ـ صدر الجزء الأول
عام ١٣٨٥ هـ

٥٩ـ التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول :
لصديق حسن خان ت (١٣٠٧ هـ) المطبعة الهندية العربية
الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢ هـ .

٦٠ـ تاريخ ابن قاضى شهبة :
أبوبكر أحمد بن محمد ت (٨٥١) هـ نسخه مصورة بمركز البحث
العلمى بجامعة أم القرى برقم ١٦١٠

٦١- تاريخ بغداد :
الخطيب البغدادى ت (٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت

٦٢- تاريخ الثقات :
العجلى ت (٢٦١ هـ) تحقيق / عبدالمعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

٦٣- تاريخ جرجان :
للسهمى ت (٤٢٧ هـ) عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠١ هـ .

٦٤- التاريخ الصغير :
للبخارى (ت ٢٥٦ هـ) طبعة مصورة عن الطبعة الهندية الناشر احياء السنة باكستان .

٦٥- التاريخ الكبير :
البخارى ت (٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية ـ طبعة مصورة عن طبعة الهند .

٦٦- تأويل مختلف الحديث :
ابن قتيبة ت (٢٧٦ هـ) تحقيق / محمد زهرى النجار ، دار الجيل .

٦٧- تبصير المنتبه :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) تحقيق / محمد على البجاوى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٦٨- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرقة الهالكة :
للاسفرايينى ت (٤٧١) تحقيق / كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٦٩- التبيان فى شرح بديعة البيان :
لابن ناصر الدين ت (٨٤٢ هـ) مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٥٦١/٩٠٠

٧٠- تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب :
لابن حجر ت (٨٥٢ هـ) دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ .

٧١- تبيين كذب المفترى :
ابن عساكر ت (٥٧١ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .

٧٢- تحذير المسلمين من الابتداع والبدع فى الدين :
لأحمد بن حجر آل طامى – مكتبة ابن تيمية ، الكويت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .

٧٣- تحفة الأشراف :
للمزى ت (٧٤٢ هـ) تحقيق / عبد الصمد شرف الدين/ بومباى الهند ١٣٨٤ هـ .

٧٤- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد :
للبيجورى ت (١٢٧٧ هـ) دار الكتب العربية ، بيروت سنة ١٤٠٣ هـ .

٧٥- التحفة المهدية شرح التدمرية :
للشيخ فالح بن مهدى – نشر مكتبة الحرمين ، الرياض – الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ .

٧٦- التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار :
لابن رجب ت (٧٩٥هـ) تحقيق / بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - دمشق.بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ .

٧٧- تذكرة الحفاظ :
للذهبى ت (٧٤٨ هـ) تصحيح / عبد الرحمن المعلمي ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٧٨- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة :
للقرطبى ت (٦٧١هـ) تحقيق / أحمد حجازى ، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٠ هـ

٧٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :
للقاضى عياض ت (٥٤٤ هـ) تحقيق / سعيد أحمد أعرابى — طبعة وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية.

٨٠- الترغيب والترهيب :
لأبى القاسم الأصبهانى (ت ٥٣٥ هـ) طبع بعناية / محمد السعيد بن بسيونى زغلول على نفقة احد المحسنين — الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

٨١- الترغيب والترهيب :
للمنذرى ت (٦٥٦ هـ) تحقيق / مصطفى محمد عمارة — دار احياء التراث العربى ، بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ

٨٢- التصوف . المنشأ والمصادر :
احسان الهى ظهير ت (١٤٠٧ هـ) ادارة ترجمان السنة باكستان . — الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٨٣- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة :
لابن حجر ت (٨٥٢ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت .

٨٤- التعريفات :
للجرجانى ت(٨١٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٨٥- تعظيم قدر الصلاة :
لمحمد بن نصر المروزي ت (٢٩٤ هـ) تحقيق / عبدالرحمن الفريوائي - الناشر مكتبة الدار - بالمدينة المنورة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٨٦- تفسير أسماء الله الحسنى :
لأبي اسحاق الزجاج ت (٣١١ هـ) تحقيق / أحمد يوسف الدقاق - دار المأمور للتراث ، بيروت، دمشق - الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٦ هـ .

٨٧- تفسير البغوي :
البغوي ت (٥١٦ هـ) تحقيق / خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار - دار المعرفة ، بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٨٨- تفسير ابن أبي حاتم :
ت (٣٢٧ هـ) مكتبة الدار ودار طيبة وابن القيم الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ - الجزء الأول تحقيق / د. أحمد عبدالله الزهراني .

٨٩- تفسير سورة الاخلاص :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / محمد بن ناصر العجمي الدار السلفية - الكويت سنة ١٤٠٧ هـ .

٩٠- تفسير سورة النصر :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / محمد بن ناصر العجمي - الدار السلفية ، الكويت سنة ١٤٠٧ هـ .

٩١- تفسير القرآن العظيم :
ابن كثير ت (٧٧٤ هـ) دار المعرفة ،بيروت سنة ١٤٠٣ هـ

١٠٠ـ تهذيب تاريخ دمشق :
ابن بدران ت (١٣٤٦ هـ) دار المسيرة ، بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

١٠١ـ تهذيب التهذيب :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ .

١٠٢ـ تهذيب الكمال :
المزى ت (٧٤٢ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ـ تحقيق / بشار عواد معروف .

١٠٣ـ تهذيب اللغة :
لأبي منصور الأزهرى ت (٣٧٠ هـ) تحقيق / عبد السلام هارون طبع مطبعة الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة ـ سنة ١٩٦٦ م .

١٠٤ـ التوحيد :
لابن منده ت (٣٩٥ هـ) تحقيق / د.على ناصر فقيهي طبع مطابع الجامعة الاسلامية ـ الطبعة الأولى .

١٠٥ـ تيسير العزيز الحميد :
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٣٣ هـ) ـ المكتب الاسلامى ، بيروت ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ .

١٠٦ـ تيسير الكريم الرحمن :
ابن سعدى ت (١٣٧٦ هـ) تحقيق / محمد زهرى البخارى ـ طبع دار الافتاء ، الرياض سنة ١٤٠٤ هـ .

٩٢- تقريب التهذيب :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) دار الكتب الاسلامية ، باكستان - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣ هـ .

٩٣- التكملة لوفيات النقلة :
للمنذرى ت (٦٥٦ هـ) تحقيق / بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ هـ .

٩٤- تلبيس ابليس :
لابن الجوزى ت (٥٩٧ هـ) دار الطباعة المنيرية - مصر ١٣٩٦ هـ .

٩٥- التلخيص الحبير :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) نشر دار الكتب الاسلامية ،باكستان سنة ١٣٨٤ هـ .

٩٦- تلخيص المستدرك على الصحيحين :
الذهبى ت (٧٤٨ هـ) بذيل المستدرك للحاكم - دار الكتاب العربى ، بيروت .

٩٧- التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد :
لابن عبد البر ت (٤٦٣هـ) طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية تحقيق / جماعة من العلماء .

٩٨- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين :
لابن النحاس ت (٨١٤ هـ) مكتبة الحرمين الرياض - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

٩٩- تنبيه الغبى الى تكفير ابن عربى :
البقاعي ، تحقيق / عبد الرحمن الوكيل - طبع السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٣ هـ .

١٠٧- الثقـــات :
لابن حبان ت (٣٥٤ هـ) دائرة المعارف العثمانية ، الهنـد سنة ١٣٩٨ هـ

١٠٨- الجامع لأحكام القرآن :
القرطبى ت (٦٧١ هـ) دار الكتاب العربى ، القاهرة ، سنـة ١٣٨٧ هـ .

١٠٩- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع :
الخطيب البغدادى ت (٤٦٣ هـ) تحقيق / محمود الطحـــان دار المعارف ،الرياض .

١١٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله :
لابن عبدالبر ت (٤٦٣ هـ) راجعه وصححه / عبدالرحمـــن حسن ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

١١١- جامع البيان فى تأويل القرآن :
ابن جرير الطبرى ت (٣١٠ هـ) طبعة الحلبى ، القاهـــرة الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٨٨ هـ .

١١٢- جامع التواريخ :
لرشيد الدين فضل الله الهمذانى - نقله الى العربية جماعة من العلماء - طبع دار احياء الكتب العربية ، مصر .

١١٣- الجامع الصغير :
للسيوطى ت (٩١١ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت - الطبعة الرابعة .

١١٤- جامع العلوم والحكم :
لابن رجب ت (٧٩٥هـ) من منشورات المؤسسة السعيدية ،الرياض.

١١٥ـ جذوة المقتبس :
لابن فتوح الحميدى ت(٤٨٨ هـ) نشر مكتبة الثقافة الاسلامية
مصر ، سنة ١٣٧٥ هـ .

١١٦ـ الجرح والتعديل :
لابن أبى حاتم ت (٣٢٧ هـ) دائرة المعارف العثمانية ،الهند
طبع سنة ١٣٧٢ هـ

١١٧ـ الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية :
لعبدالقادر محمد القرشى ت (٧٧٥ هـ) حيدر آباد ، الهند
١٣٣٢ هـ .

١١٨ـ الجوهر المنضد فى طبقات متأخرى الامام أحمد :
لابن عبدالهادى ت (٩٠٩ هـ) تحقيق / عبدالرحمن العثيمين
مكتبة الخانجى ، القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

١١٩ـ حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح :
لابن القيم ت (٧٥١ هـ) مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ـ
الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ .

١٢٠ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة :
للسيوطى ت (٩١١ هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم
مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ـ الطبعة الأولى
سنة ١٣٨٧ هـ .

١٢١ـ الحسنة والسيئة :
لابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) دار المعرفة ـ الطبعة الثانية سنة
١٣٩٨ هـ .

١٢٢ــ الحكم الجديرة بالاذاعة :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تقديم الألباني ــ دار مرجان للطباعة ، مصر .

١٢٣ــ حلية الأولياء :
لأبي نعيم الأصبهاني ت (٤٣٠ هـ) دار الفكر ، بيروت .

١٢٤ــ الخشوع في الصلاة :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق علي حسن علي عبد الحميد دار عمار ، سنة ١٤٠٦ هـ .

١٢٥ــ خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه :
للالباني ــ المكتب الاسلامي ، بيروت ــ دمشق ــ الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠ هـ .

١٢٦ــ الخطط :
للمقريزي ت (٨٤٥ هـ) الناشر : دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق ، سنة ١٢٧٠ هـ .

١٢٧ــ خلق أفعال العباد :
للبخاري ت (٢٥٦ هـ) تحقيق / عبد الرحمن عميرة ــ دار عكاظ للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية .

١٢٨ــ درء تعارض العقل والنقل :
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) تحقيق / محمد رشاد سالم مطابع جامعة الامام محمد بن سعود ــ الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١ هـ .

١٢٩ـ الدارس فى تاريخ المدارس :
للنعيمى ت (٩٢٧ هـ) عنى بنشره / جعفر الحسينى ـ مطبعة الترقى ، دمشق سنة ١٣٧٠ هـ .

١٣٠ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور :
للسيوطى ت (٩١١ هـ) دار الفكر ، بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ

١٣١ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة :
لابن حجر ت (٨٥٢ هـ) تحقيق / محمد جاد الحق ـ دار الكتب الحديثة ، مصر ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٥ هـ .

١٣٢ـ درة الحجال فى أسماء الرجال :
لابن القاضى ت (١٠٢٥ هـ) تحقيق / محمد أبو النور ـ دار التراث ، مصر ١٩٧٠ م .

١٣٣ـ دعوة التوحيد :
د . محمد خليل هراس ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ

١٣٤ـ الدليل الشافى على المنهل الصافى :
لابن تغرى بردى ت (٨٧٤ هـ) تحقيق / فهيم شلتوت ـ نشر جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ١٣٩٩ هـ .

١٣٥ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب :
لابن فرحون ت (٧٩٩ هـ) القاهرة ١٣٥١ هـ ـ تحقيق محمد الأحمدى أبو النور .

١٣٦ـ ذكر أخبار أصبهان :
أبو نعيم الأصبهانى ت (٤٣٠ هـ) نشر الدار العلمية ، الهند
الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ هـ

١٣٧ـ ذم التأويل :
لابن قدامة ت (٦٢٠ هـ) تحقيق / بدر البدر ـ الدار السلفية
الكويت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٣٨ـ ذم الخمر وشاربها :
لابن رجب (٧٩٥ هـ) طبع المركز العربى للدراسات الأمنية
والتدريب بالرياض سنة ١٤٠٨ هـ ، تحقيق / الوليد بن
عبد الرحمن الفريان .

١٣٩ـ ذم الدنيا :
لابن أبى الدنيا ت(٢٨١هـ) تحقيق / مجدى ابراهيم ـ مكتبة
ومطبعة القرآن ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

١٤٠ـ ذم الكلام وأهله :
شيخ الاسلام الأنصارى الهروى ت (٤٨١ هـ) مخطوط مصور
بالمكتبة المركزية ـ بالجامعة الاسلامية .

١٤١ـ ذيل تذكرة الحفاظ :
للحسينى ت (٧٦٥هـ) دمشق ، ١٣٤٧ هـ .

١٤٢ـ ذيل الروضتين :
لأبى شامة ت (٦٦٥هـ) القاهرة ، ١٣٦٦هـ

١٤٣ـ ذيل العبر :
للحسينى ت (٧٦٤هـ) تحقيق / محمد السعيد بن بسيونى زغلول
دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

١٤٤ـ الذيل على طبقات الحنابلة :
لابن رجب الحنبلي ت (٧٩٥هـ) تصحيح / محمد حامد الفقي
مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٢ هـ .

١٤٥ـ الرحلة في طلب الحديث :
الخطيب البغدادي ت (٤٦٣ هـ) تحقيق / نورالدين عتر
بيروت .

١٤٦ـ الرد على الجهمية :
الدارمي ت (٢٥٥ هـ) المكتب الاسلامي ، دمشق ـ الطبعة
الرابعة سنة ١٤٠٢ هـ .

١٤٧ـ الرد الوافر :
لابن ناصر الدين الدمشقي ت (٨٤٢ هـ) طبعة المكتب الاسلامي
دمشق ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .

١٤٨ـ الرسالة التدمرية :
شيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ)المطبعة السلفية ومكتبتها
القاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧هـ .

١٤٩ـ رسالة في الرد على الرافضة :
لأبي حامد المقدسي ت (٨٨٨) تحقيق / عبدالوهاب خليل
الدار السلفية ، الهند ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

١٥٠ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور السنة المشرفة :
الكتاني ت (١٣٤٥هـ) دار البشائر الاسلامية ـ الطبعة
الرابعة سنة ١٤٠٦ هـ .

١٥١ـ رسالة منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز :
للعلامة الشنقيطي ت (١٣٩٢هـ) طبع في آخر اضواء البيان في
ايضاح القرآن بالقرآن للمؤلف نفسه .

١٥٢ـ الـــروح :
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ) تحقيق / بسام على سلامة العموشى
دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ، الرياض ـ الطبعة الأولـــى
١٤٠٦ هـ .

١٥٣ـ الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم :
لابن الوزير ت (٨٤٠ هـ) دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩ هـ

١٥٤ـ رياض الصالحين :
للنووى ت (٦٧٦ هـ) دار المأمون ، دمشق ـ الطبعة الثالثة
سنة ١٤٠٠ هـ .

١٥٥ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد :
لابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ) تحقيق / شعيب الأرناؤوط ـ
مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

١٥٦ـ الزهـــد :
ابن المبارك ت (١٨١ هـ) تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمـــى
دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٥٧ـ الزهـــد :
لوكيع بن الجراح ت (١٩٧هـ) تحقيق / عبد الرحمن الفريوائـــى
مكتبة الدار ، المدينة النبوية ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ

١٥٨ـ الزهـــد :
أحمد بن حنبل ت (٢٤١هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ـ
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

١٥٩- الزهـــد :
هناد بن السرى ت (٢٤٣هـ) تحقيق / عبد الرحمن الفريوائـــى
دار الخلفاء ، الكويت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٦٠- الزواجر عن اقتراف الكبائر :
ابن حجر الهيثمى ت (٩٧٤ هـ) دار المعرفة ، بيروت .

١٦١- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة :
ابن حميد ت (١٢٩٥ هـ) مكتبة الامام احمد - الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ .

١٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة :
محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الاسلامى ، دمشـــق
بيروت ، الدار السلفية ، الكويت - المكتبة الاسلاميـــة
الأردن - الطبعة الأولى .

١٦٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة :
الألبانى - المكتب الاسلامى ، دمشق بيروت - الطبعـــة
الأولـــى .

١٦٤- السلوك لمعرفة دول الملوك :
المقريزى ت (٨٤٥ هـ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـــر
القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٥٦ م

١٦٥- سنن الدارمى :
الدارمى ت (٢٥٥هـ) طبعه مصورة فى بيروت .

١٦٦- سنن ابن ماجه :
ابن ماجه ت(٢٧٣هـ) تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقى - دار
احياء التراث العربى ، بيروت سنة ١٣٩٥ هـ .

١٦٧ـ سنن أبي داود :
أبو داود السجستاني ت (٢٧٥ هـ) تحقيق / عزة عبيد الدعاس وعادل السيد ـ دار الحديث ، حمص ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣ هـ .

١٦٨ـ سنن الترمذي :
الامام الترمذي ت (٢٧٩ هـ) تحقيق / أحمد شاكر ، محمد فؤاد عبدالباقي ، ابراهيم عطوة عوض ، القاهرة ـ الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٥ هـ .

١٦٩ـ سنن النسائي :
النسائي ت (٣٠٣ هـ) المكتبة السلفية ، لاهور ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ هـ .

١٧٠ـ سنن الدارقطني :
الدارقطني ت (٣٨٥ هـ) اعتناء / عبدالله هاشم يماني المدينة ١٣٨٦ هـ .

١٧١ـ السنن الكبرى :
البيهقي ت (٤٥٨ هـ) دار الفكر ، بيروت .

١٧٢ـ السنة :
عبدالله بن أحمد بن حنبل ت (٢٩٠ هـ) تحقيق / د محمد سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

١٧٣ـ السنة :
ابن أبي عاصم ت (٢٨٧ هـ) تخريج الألباني ، المكتب الاسلامي بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .

١٧٤ــ السـنة :
لمحمد بن نصر المروزى ت (٢٩٤ هـ) دار الثقافة والنشر
الريـاض .

١٧٥ــ سير أعلام النبلاء :
الذهبى ت (٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ الطبعة
الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، مجموعة من المحققين .

١٧٦ــ شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية :
لمحمد مخلوف ت (١٣٦٠ هـ) المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ

١٧٧ــ شذرات الذهب :
ابن العماد الحنبلى ت (١٠٨٩ هـ) دار المسيرة ، بيروت .

١٧٨ــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :
للالكائى ت (٤١٨ هـ) تحقيق / د.أحمد سعد حمدان ــ دار
طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض .

١٧٩ــ شرح الأصول الخمسة :
للقاضى عبد الجبار ت (٤١٥ هـ) تحقيق عبد الكريم عثمان ــ
مكتبة وهبة ، مصر ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ هـ .

١٨٠ــ شرح حديث أبى الدرداء :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) طبع مكتبة التراث الاسلامى ١٩٨٧ م
تحقيق / أشرف بن عبد المقصود .

١٨١ــ شرح حديث زيد : لبيك اللهم لبيك :
لابن رجب ت(٧٩٥ هـ) مخطوط توجد له نسخة خطية بمكتبة
الملك سعود المركزية ، بالرياض برقم ١/١٨١٧

١٨٢- شرح حديث شداد بن أوس :

لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) يوجد له نسخة خطية بمكتبة جامعة الملك سعود المركزية ، بالرياض تحت رقم ٨/١٨١٧

١٨٣- شرح حديث عمار بن ياسر :

لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) طبع بتحقيق / ابراهيم بن محمد العرف ، مكتبة السوادى ، جده - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ

١٨٤- شرح حديث " ماذئبان جائعان " ويسمى أيضا " ذم الجاه والمال"

لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) الدار السلفية ، الكويت ١٤٠١ هـ تحقيق / بدر البدر .

١٨٥- شرح حديث " مثل الاسلام "

ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) مخطوط ، وتوجد له نسخة فى المكتبة السليمانية بتركيا برقم ٥٣١٨

١٨٦- شرح حديث النزول :

ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) المكتب الاسلامى ، بيروت - الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ .

١٨٧- شرح السنة :

للبربهارى ت (٣٢٩ هـ) تحقيق / د محمد سعيد بن سالم القحطانى ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الدمام - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

١٨٨- شرح السنة :
للبغوى ت (٥١٦ هـ) تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، وزهير الشاويش - المكتب الاسلامى ، بيروت سنة ١٩٧١ م .

١٨٩- شرح صحيح مسلم :
النووى ت (٦٧٦ هـ) القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ

١٩٠- شرح العقيدة الطحاوية :
ابن أبى العز الحنفي ، حققها وراجعها / جماعة من العلماء خرج أحاديثها / الألبانى - المكتب الاسلامى ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ .

١٩١- شرح العقيدة الواسطية :
محمد خليل هراس ، مراجعة / عبدالرزاق عفيفى - طبع مركز شئون الدعوة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة السابعة .

١٩٢- شرح الكافية الشافعية :
لابن مالك ت (٦٧٢) تحقيق د / عبدالمنعم أحمد هريدى دار المأمون للتراث .

١٩٣- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى :
للشيخ عبدالله الغنيمان - توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة - طبع مكتبة المدنى ، جده - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٩٤- شرح لمعة الاعتقاد :
للشيخ / محمد صالح العثيمين - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ

١٩٥ ـ شرح سنن أبى داود:
للعلامة ابن القيم ت (٧٥١) ،مطبوع على حاشية عون المعبود
الطبعة الثانية/الناشرعبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية .

١٩٦ـ الشريعة :
للآجرى ت (٣٦٠ هـ) اتحقيق / محمد حامد الفقى ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

١٩٧ـ شعب الايمان :
للبيهقى ت (٤٥٨ هـ) مخطوط نسخه مصورة بقسم المخطوطات
بالمكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية .

١٩٨ـ الشعر والشعراء :
لابن قتيبة ت (٢٧٦ هـ) القاهرة ـ الطبعة الثالثة
١٩٧٧ م تحقيق / أحمد شاكر .

١٩٩ـ شفاء العليل :
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ) تحرير الحسانى حسن عبدالله
مكتبة دار التراث ، القاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م

٢٠٠ـ الشهادة الزكية :
لمرعى بن يوسف الكرمى ت (١٠٣٣ هـ) مؤسسة الرسالة ،بيروت
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ ، تحقيق / نجم عبدالرحمن
خلف .

٢٠١ـ الصحاح :
للجوهرى ت (٣٩٣ هـ) تحقيق / أحمد عبدالغفورعطار ـ
الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٠٢ـ صحيح البخارى :
البخارى ت (٢٥٦ هـ) المكتبة الاسلامية ، تركيا سنة١٩٨١م

٢٠٣ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته :
الألبانى ـ المكتب الاسلامى ، بيروت .

٢٠٤ـ صحيح ابن خزيمة :
ابن خزيمة ت (٣١١ هـ) تحقيق / محمد مصطفى الأعظمى
المكتب الاسلامى ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٠٥ـ صحيح مسلم :
مسلم بن الحجاج ت (٢٦١ هـ) تحقيق / محمد فؤادعبدالباقى
دار احياء التراث العربى ، بيروت سنة ١٣٧٤ هـ .

٢٠٦ـ صفة المنافق :
للفريابى ت (٣٠١ هـ) تحقيق / بدر البدر ـ دار الخلفاء
للكتاب الاسلامى ، الكويت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٠٧ـ صلة الخلف بموصول السلف :
للرودانى ت (١٠٩٤ هـ) دار الغرب الاسلامى ـ بيروت ـ
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ

٢٠٨ـ الصلة :
لابن بشكوال ت (٥٧٨ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة
سنة ١٩٦٦ م .

٢٠٩ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :
لابن القيم ت (٧٥١هـ) تحقيق / د على بن محمد الدخيل الله
دار العاصمة ، الرياض ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ .

٢١٠ـ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام :
للسيوطى ت (٩١١ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، تعليق علي سامي النشار .

٢١١ـ الضعفاء الصغير :
للبخارى ت (٢٥٦ هـ) تحقيق / محمود ابراهيم زايد ــ دار الوعي ، حلب ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦ هـ .

٢١٢ـ الضعفاء الكبير :
للعقيلى ت (٣٢٢ هـ) تحقيق / عبدالمعطى قلعجى ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢١٣ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :
السخاوى ت (٩٠٢ هـ) دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٢١٤ـ طبقات الحفاظ :
السيوطى ت (٩١١ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ .

٢١٥ـ طبقات الحنابلة :
ابن أبى يعلى ت (٥٢٥ هـ) دار المعرفة ، بيروت .

٢١٦ـ طبقات الشافعية الكبرى :
السبكى ت (٧٧١ هـ) تحقيق / محمود الطناحى ، وعبدالفتاح الحلو ــ طبعة الحلبى ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ .

٢١٧ـ طبقات الشافعية :
ابن هداية الله ت (١٠١٤هـ) تحقيق / عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ــ المطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ م .

٢١٨ـ طبقات فحول الشعراء :
لابن سلام ت (٢٣١ هـ) تحقيق / محمود شاكر ـ مطبعة المدنى .

٢١٩ـ الطبقات الكبرى :
لابن سعد ت (٢٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت .

٢٢٠ـ طبقات المفسرين :
السيوطى ت (٩١١ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٢١ـ طبقات المفسرين :
الداودى ت (٩٤٥ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٢٢ـ طرح التثريب فى شرح التقريب :
لعبد الرحيم العراقى ت (٨٠٦ هـ) مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٥٣ هـ .

٢٢٣ـ العبر فى خبر من غبر :
الذهبى ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / محمد السعيد بن بسيونى زغلول ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٢٤ـ العبودية :
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) طبع ونشر / رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد .

٢٢٥ـ العصر المماليكي في مصر والشام :
تأليف د / سعيد عبد الفتاح عاشور ـ الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦ م .

٢٢٦ـ العقائد الشيعية :
لناصر الدين شاه ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .

٢٢٧ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين :
الفاسي ت (٨٣٢ هـ) مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ .

٢٢٨ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث :
لأبي عثمان الصابوني ت (٤٤٩ هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد ـ نشر مكتبة المعارف ، الطائف .

٢٢٩ـ العلم :
لأبي خيثمة ت (٢٣٧ هـ) تحقيق الألباني ـ نشر وتوزيع دار الأرقم ، الكويت .

٢٣٠ـ علماء نجد خلال ستة قرون :
لعبد الله البسام ـ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ .

٢٣١ـ علماء ومفكرون عرفتهم :
محمد المجذوب ـ دار النفائس ، بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧ هـ .

٢٣٢ـ العلو للعلي الغفار :
الذهبي ت (٧٤٨ هـ) صححه / عبد الرحمن محمد عثمان ـ المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ .

٢٣٣ـ عمل اليوم والليلة :
لابن السنى ت (٣٦٤ هـ) تحقيق / عبدالقادرعطا ـ دار المعرفة ، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٣٤ـ عمل اليوم والليلة :
للنسائى ت (٣٠٣ هـ) تحقيق / فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

٢٣٥ـ عنوان المجد فى تاريخ نجد :
لعثمان بن بشر ت (١٢٩٠ هـ) تحقيق / عبدالرحمن بن عبداللطيف ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩١ هـ .

٢٣٦ـ غاية النفع فى شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / ابراهيم محمد العرف طبعة مكتبة السوادى ، جدة سنة ١٤٠٨ هـ .

٢٣٧ـ غاية النهاية فى طبقات القراء :
للجزرى ت (٨٨٣ هـ) تحقيق / ج ـ برجستراسر ـ دارالكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٣٨ـ فتح البارى :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) نسخة بالمكتبة الظاهرية ، دمشق بسوريا برقم ٩٤١٤

٢٣٩ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) المكتبة السلفية ومطبعتها ، القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ .

٢٤٠ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية :
لابن عثيمين ـ دار طيبة ، الرياض ـ الطبعة الأولى
سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٤١ـ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير :
للشوكانى ت (١٢٥٠ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى
الحلبى وأولاده ، مصر ـ الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ .

٢٤٢ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد :
لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ت (١٢٨٥ هـ)
تحقيق / عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة : دار البيان ، دمشق
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٤٣ـ فتوح البلدان :
للبلاذرى ت (٢٨٩ هـ) تعليق / رضوان محمد رضوان ، دار
الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٣٩٨ هـ .

٢٤٤ـ الفتوى الحموية :
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) المطبعة السلفية ومكتبتها
القاهرة ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ .

٢٤٥ـ الفرق بين الفرق :
لعبد القاهر البغدادى ت (٤٢٩ هـ) تحقيق/ محمد محى الدين
عبد الحميد ، مطبعة المدنى ـ القاهرة .

٢٤٦ـ الفرق بين النصيحة والتعبير :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / نجم عبد الرحمن خلف
دار ابن القيم الدمام .

٢٤٧- الفروق اللغوية :
لأبي هلال العسكري ت (٣٨٢) دار الكتب العلمية
بيروت سنة ١٤٠١ هـ .

٢٤٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل :
لابن حزم ت (٤٥٦ هـ) شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع
جدة - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ ، تحقيق / د عبد الرحمن
عميرة ود . محمد ابراهيم نصر .

٢٤٩- فضائل الشام :
ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) مخطوط ، وتوجد منه في المكتبة
البلدية بالاسكندرية نسخة برقم ١٠٨

٢٥٠- فضل علم السلف على علم الخلف :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) طبع الدار السلفية ، الكويت ، سنة
١٤٠٧ هـ تحقيق / محمد بن ناصر العجمي .

٢٥١- فهرس الفهارس :
لعبد الحي الكتاني - دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥٢- الفهرسة الأبجدية والترتيب المعجمي :
د / محمد سليمان الأشقر - دار البحوث العلمية ، الكويت
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ .

٢٥٣- الفوائد :
لابن القيم ت (٧٥١ هـ) دار الكتب العربية ، بيروت - الطبعة
الثانية سنة ١٣٩٣ هـ .

٢٥٤- فوات الوفيات :
لابن شاكر الكتبي ت (٧٦٤ هـ) تحقيق / احسان عباس دار صادر
بيروت سنة ١٩٧٣م .

٢٥٥- فيض القدير :
للمناوى ت (١٠٣١ هـ) دار المعرفة ، بيروت سنة ١٣٩١ هـ

٢٥٦- القاموس المحيط :
للفيروز أبادى ت (٨١٧ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٢٥٧- القضاء والقدر :
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى - دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٢٥٨- القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية :
ابن حولون الصالحى ت (٩٥٣ هـ) تحقيق / محمد أحمد دهمان ، دمشق سنة ١٣٦٨ هـ .

٢٥٩- القواعد الكبرى فى الفروع :
ابن رجب ت (٧٩٥ هـ) المطبعة الخيرية ، القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

٢٦٠- القول المفيد فى أدلة التوحيد :
لابى ابراهيم العبدلى - مكتبة الضياء ، جده - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

٢٦١- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة :
الذهبى ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / عزة عبيد عطية ، موسى محمد الموشى - دار الكتب الحديثة ، القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ .

٢٦٢- الكامل فى التاريخ :
ابن الأثير ت (٦٣٠ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت - الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٦٣ـ الكامل في ضعفاء الرجال :
ابن عدى ت (٣٦٥ هـ) دار الفكر ، بيروت ـ الطبعة الثانية
سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٦٤ـ الكبائر وتبيين المحارم :
الذهبي ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / محى الدين مستو ـ مؤسسة
علوم القرآن ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ

٢٦٥ـ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل :
لابن خزيمة ت (٣١١ هـ) دار الرشد ، الرياض ـ الطبعة
الأولى سنة ١٤٠٨ هـ ، تحقيق د / عبدالعزيز الشهوان .

٢٦٦ـ كشف الأستار عن زوائد البزار :
الهيثمي ت (٨٠٧ هـ) تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي
مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٢٦٧ـ كشف الخفا ومزيل الالباس :
العجلوني ت (١١٦٢ هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت
الطبعة الثالثة سنة ١٣٥١ هـ .

٢٦٨ـ كشف الظنون :
حاجي خليفة ت (١٠٦٧هـ) دار الفكر ، بيروت سنة ١٤٠٢ هـ

٢٦٩ـ كشف الكربة وصف حال أهل الغربة :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / بدر البدر ، دار الأرقم
الكويت سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٧٠ـ الكشاف :
للزمخشري ت (٥٣٨هـ) مطبعة الحلبي ، القاهرة سنة ١٣٨٥هـ

٢٧١– كنز العمال : ا
المتقي الهندي ، عناية / بكري حياتي ، صفوت السقا –
مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ

٢٧٢– اللباب في تهذيب الأنساب :
ابن الأثير ت (٦٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت سنة ١٤٠٠ هـ.

٢٧٣– لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ :
ابن فهد المكي ت (٨٧١ هـ) الناشر / دار احياء التراث
العربي - بيروت .

٢٧٤– لسان العرب :
ابن منظور ت (٧١١ هـ) دار صادر ، بيروت - بدون تاريخ .

٢٧٥– لسان الميزان :
ابن حجر ت (٨٥٢ هـ) دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت -
بدون تاريخ .

٢٧٦– لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) طبع دار الجيل ، بيروت .

٢٧٧– لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد :
لابن قدامة ت (٦٢٠ هـ) الدار السلفية ، الكويت – الطبعة
الأولى سنة تحقيق / بدر البدر .

٢٧٨– لوامع الأنوار البهية :
السفاريني ت (١١٨٨ هـ) طبع المنار ١٣٢٥ هـ .

٢٧٩- المجروحين :
لابن حبان ت (٣٥٤ هـ) تحقيق / محمود ابراهيم زايد
دار الوعي ، حلب سنة ١٣٩٦ هـ .

٢٨٠- مجمع الزوائد :
الهيثمي ت (٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت - الطبعة
الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ .

٢٨١- مجمل اللغة :
أبو الحسين بن فارس ت (٣٩٥ هـ) تحقيق / زهير عبد المحسن
مؤسسة الرسالة ، بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٨٢- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم
وابنه محمد .

٢٨٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة :
للعلامة الشيخ / عبد العزيز بن باز جمع وترتيب / محمد بن سعد
الشويعر ، مطابع الفرزدق ، الرياض - الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ .

٢٨٤- المحجة في سير الدلجة :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / مختار غراوى ، دار البشائر
الاسلامية ، بيروت .

٢٨٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :
لابن عطية ت (٥٤٢ هـ) تحقيق / المجلس العلمي بفاس -
طبع وزارة الأوقاف بالمغرب .

٢٨٦ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة :
اختصار / محمد الموصلي ، مكتبة الرياض الحديثة ـ بالرياض .

٢٨٧ـ مختصر طبقات الحنابلة : للشطي :
تأليـــــــــــف / محمد جميل بن عمر الشطي ت (١٣٧٩هـ)
مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٣٩ هـ .

٢٨٨ـ المختصر في أخبار البشر :
لعماد الدين أبي الفداء ت (٧٣٢ هـ) المطبعة الحسينيـــــة
المصرية سنة ١٣٢٥هـ .

٢٨٩ـ مدارج السالكين :
ابن القيم ت (٧٥١ هـ) عناية / محمد حامد الفقي ـ دار
الكتاب العربي ، بيروت سنة ١٣٩٢ هـ .

٢٩٠ـ المدخل الى السنن الكبرى :
البيهقي ت (٤٥٨ هـ) تحقيق / محمد ضياء الرحمن الأعظمـي
دار الخلفاء للكتاب الاسلامي ، الكويت سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٩١ـ المراسيل :
لأبي داود ت (٢٧٥ هـ) دار المعرفة ، بيروت ـ الطبعـــــة
الأولى سنة ١٤٠٦ هـ تحقيق / يوسف المرعشلي .

٢٩٢ـ المزهر فى علوم اللغة :
للسيوطى ت (٩١١ هـ) القاهرة ١٩٥٨م ـ تحقيق/أبوالفضل ابن ابراهيم .

٢٩٣ـ مسائل الامام أحمد :
لابن هانئ ت (٢٧٥ هـ) تحقيق / زهير الشاويش
المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ

٢٩٤ـ مساوئ الاخلاق :
للخرائطى ت (٣٢٧ هـ) مخطوط / نسخة مصورة بقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية .

٢٩٥ـ المستدرك على الصحيحين :
للحاكم ت (٤٠٥ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت .

٢٩٦ـ المستدرك على معجم المؤلفين :
لعمر رضا كحالة ـ مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

٢٩٧ـ المستصفى فى علم الأصول :
للغزالى ت (٥٠٥ هـ) المطبعة الأميرية ، مصر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤ هـ .

٢٩٨ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد :
لابن النجار ت (٦٤٣ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت ـ تحقيق / د . قيصر أبو فرح .

٢٩٩ـ المسند :
أحمد بن حنبل ت (٢٤١ هـ) المكتب الاسلامى ، بيروت ـ دار صادر/وتحقيق / أحمد شاكر/دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٥٤م

٣٠٠ــ المســند :
للحميدى ت (٢١٩ هـ) تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمــى
عالم الكتب ، بيروت .

٣٠١ــ المسند :
لأبى عوانة ت (٣١٦ هـ) دار المعرفة بيروت .

٣٠٢ــ مسند أبى يعلى :
لأبى يعلى الموصلى ت (٣٠٧ هـ) تحقيق / حسين سليم ،
دار المأمون ، بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٣٠٣ــ مسند الشهاب :
للشهاب القضاعى ت (٤٥٤ هـ) تحقيق / حمدى السلفى ،
مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .

٣٠٤ــ مشاهير علماء الأمصار :
لابن حبان ت (٣٥٤ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٠٥ــ المشتبه فى اسماء الرجال :
للذهبى ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / على البجاوى ، القاهــرة
١٩٦٢م .

٣٠٦ــ مشكاة المصابيح :
التبريزى ت ( ) تحقيق/ محمد ناصر الدين الألبانــى
المكتب الاسلامى ، بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

٣٠٧ــ مشكل الآثار :
للطحاوى ت (٣٢١ هـ) مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند
الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ .

٣٠٨- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه :
البوصيري ت (٨٤٠ هـ) دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.

٣٠٩- المصباح المنير :
الفيومي ت (٧٧٠ هـ) تصحيح / مصطفى السقا ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٣١٠- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك :
تأليف الدكتور / سعيد عبدالفتاح عاشور - دار النهضة العربية بيروت ، لبنان .

٣١١- المصنف :
عبدالرزاق الصنعاني ت (٢١١ هـ) تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الاسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٣١٢- المصنف :
ابن أبي شيبة ت (٢٣٥ هـ) تحقيق مختار أحمد الندوي - الدار السلفية ، الهند - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

٣١٣- معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد :
لحافظ حكمي ت (١٣٧٧ هـ) المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة

٣١٤- معالم السنن :
للخطابي ت (٣٨٨ هـ) المكتبة العلمية ، بيروت - الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

٣١٥- معجم الأدباء :
ياقوت الحموي ت (٦٢٦هـ) دار الفكر ، بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

٣١٦- المعجم الأوسط :
للطبراني ت (٣٦٠ هـ) تحقيق / محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .
ومخطوط نسخه مصورة بقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٣١٧- معجم البلدان :
لياقوت الحموي ت (٦٢٦ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣١٨- معجم الشيوخ :
لابن فهد الهاشمي ت (٨٨٥ هـ) تحقيق / محمد الزاهي - طبع دار اليمامة بالرياض ، سنة ١٤٠٢ هـ .

٣١٩- معجم الشيوخ الكبير :
للذهبي ت (٧٤٨ هـ) نشر مكتبة الصديق ، الطائف - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ .

٣٢٠- المعجم الصغير :
للطبراني ت (٣٦٠ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣ هـ .

٣٢١- المعجم الكبير :
للطبراني ت (٣٦٠ هـ) مطبعة الوطن ، بغداد - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .

٣٢٢- معجم المؤرخين الدمشقيين :
لصلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

٣٢٣- معجم المؤلفين :
عمر كحالة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٣٢٤- معجم مقاييس اللغة :
لابن فارس ت (٣٩٥ هـ) تحقيق / عبد السلام هارون ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ .

٣٢٥- معرفة القراء الكبار :
للذهبى ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط ، وصالح مهدى ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٣٢٦- المعين فى طبقات المحدثين :
للذهبى ت (٧٤٨ هـ) تحقيق : همام عبد الرحيم سعيد
دار الفرقان - الأردن - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ

٣٢٧- المغنى :
ابن قدامة ت (٦٢٠ هـ) مكتبة الجمهورية العربية مصر

٣٢٨- المغنى عن حمل الأسفار فى الاسفار :
العراقى (ت ٨٠٦ هـ) مطبوع بهامش احياء علوم الدين للغزالى ـ مطبعة المشهد الحسينى / القاهرة .

٣٢٩- المغنى فى ضعفاء الرجال :
للذهبى ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / نور الدين عتر ، دار المعارف حلب ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ .

٣٣٠- مفتاح دار السعادة :
لابن القيم ت (٧٥١ هـ) نشر / رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض .

٣٣١- المفردات :
للراغب الأصفهاني ت (٥٠٢ هـ) تحقيق / محمد سيد كيلاني طبعة الحلبي ، القاهرة سنة ١٣٨١ هـ .

٣٣٢- المقاصد الحسنة :
للسخاوي ت (٩٠٢ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٣٩٩ هـ .

٣٣٣- مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين :
لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هـ .

٣٣٤- مقتل الحسين وفتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر :
لمرتضى عياد - دار الزهراء للطباعة والنشر ، بيروت .

٣٣٥- المقصد الأرشد في تراجم أصحاب الامام أحمد :
ابن مفلح الحنبلي ت (٨٨٤ هـ) نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم

٣٣٦- مكارم الأخلاق :
الخراشطي ت (٣٢٧ هـ) تحقيق / عبد الله حجاج ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة .

٣٣٧- الملل والنحل :
للشهرستاني ت (٥٤٨ هـ) تحقيق / محمد سيد الكيلاني - دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤٠٢ هـ .

٣٣٨- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال :
ابن بدران ت (١٣٤٦ هـ) المكتب الاسلامي ، دمشق
الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢ هـ .

٣٣٩- مناقب الشافعي :
للبيهقي ت (٤٥٨ هـ) تحقيق / أحمد صقر ، مكتبة دار التراث
القاهرة سنة ١٣٩١ هـ .

٣٤٠- المنتظم :
ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ) طبعة دائرة المعارف العثمانية
الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩ هـ .

٣٤١- منهاج السنة النبوية :
لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق / محمد رشاد سالم ، طبع
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ـ الطبعة
الاولى سنة

٣٤٢- المنهاج في شعب الايمان :
للحليمي ت (٤٠٣ هـ) تحقيق / حلمي محمد فوده ، دارالفكر
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٣٤٣- المنهج الأحمد :
للعليمي ت (٩٢٨ هـ) تحقيق / محمد محيي الدين عبدالحميد
عادل تويهض ، عالم الكتب ، بيروت ـ الطبعة الثانية سنة
١٤٠٤ هـ (مخطوط) نسخة مصورة بمركز البحث العلمي
بجامعة أم القرى .

٣٤٤- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي :
لابن تغردي بردي ت (٨٧٤ هـ) مخطوط بمكتبة عارف حكمت
بالمدينة المنورة .

٣٤٥- موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان :
للهيثمي ت (٨٠٧ هـ) تحقيق / محمد عبد الرزاق حمزة
دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٤٦- موسوعة التاريخ الاسلامية والحضارة الاسلامية :
د / أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - الطبعة
الخامسة سنة ١٩٧٤ م

٣٤٧- الموطأ :
مالك بن أنس ت (١٧٩ هـ) تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء الكتب العربية ، الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٤٨- ميزان الاعتدال :
للذهبي ت (٧٤٨ هـ) تحقيق / علي محمد البجاوي ، دار
المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٣٤٩- النبوات :
لابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت سنة
١٤٠٢ هـ .

٣٥٠- النجوم للخطيب البغدادي ت (٤٦٣ هـ) (مخطوط) نسخة
مصورة بمكتبة المخطوطات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

٣٥١- النجوم الزاهرة :
ابن تغري بردي ت (٧٨٤ هـ) دار الكتب العربية ، القاهرة
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ .

٣٥٢- نزهة الأسماع في مسألة السماع :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / الوليد بن عبد الرحمن الفريان
الناشر / دار طيبة بالرياض سنة ١٤٠٧ هـ .

٣٥٣- نصب الراية :
الزيلعى ت (٧٦٢ هـ) مطبوعات المجلس العلمى ، توزيـــع المكتب الاسلامى ، بيروت سنة ١٣٩٣ هـ .

٣٥٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :
المقرى ت (١٠٤٢ هـ) تحقيق / احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨م

٣٥٥- النهاية فى غريب الحديث :
ابن الأثير ت (٦١٦ هـ) تحقيق / محمد أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى ، المكتبة الاسلامية ، بيروت ، بدون

٣٥٦- النهاية فى الفتن والملاحم :
ابن كثير ت (٧٧٤ هـ) تحقيق / محمد أحمد عبد العزيـــز دار احياء التراث الاسلامى بالأزهر .

٣٥٧- نور الاقتباس فى مشكاة وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابـــن عباس :
لابن رجب ت (٧٩٥ هـ) تحقيق / محمد ناصر العجمى - طبع مكتبة دار الأقصى ، الكويت سنة ١٤٠٦ هـ

٣٥٨- هدية العارفين :
للبغدادى ت (١٣٣٩ هـ) طبع استانبول سنة ١٩٥١ م

٣٥٩- هذه هى الصوفية :
لعبد الرحمن الوكيل ، الكتب العلمية ، الطبعة الثالثـــة سنة ١٩٧٩م .

٣٦٠ـ الوابل الصيب :
لابن القيم ت (٧٥١ هـ) تحقيق / اسماعيل الأنصارى ـ
طبعة دار الافتاء ، الرياض ، بدون .

٣٦١ـ الوافى بالوفيات :
للصفدى ت (٧٦٤ هـ) عناية / س. ريد . رينغ ـ الطبعة
الثانيـــــة .

٣٦٢ـ الوفيات :
لابن رافع السلامى ت (٧٧٤ هـ) تحقيق / صالح مهدى عباس
مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٢ هـ .

٣٦٣ـ وفيات الأعيان :
لابن خلكان ت (٦٨١ هـ) تحقيق / احسان عباس ، دار صادر
بيروت .

فهرس الموضوعات

" فهرس الموضوعات "

الصفحــــة

الصفحة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحــة